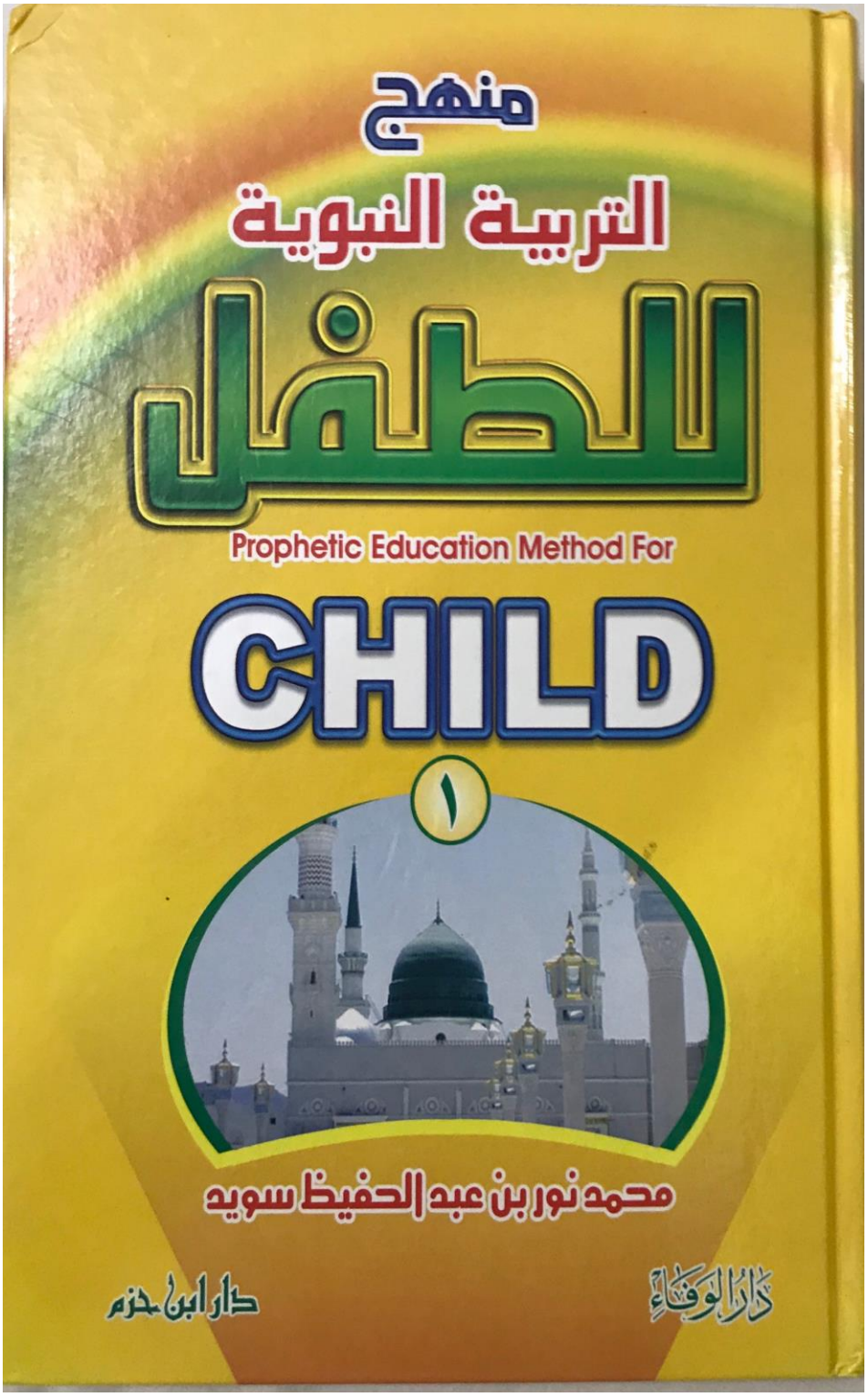
منهج
التربية النبوية
للطفل
Prophetic Education Method For
CHILD
١
محمد نور بن عبد الحفيظ سويد
دار ابن حزم
دار الوفاء

ب

سم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرتـه إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دُنْيا يُصِيبُهَا ، أو امرأةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرتُهُ إلى ما هَاجَر إليه». متفـق عليه .

وقال ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيرًا أَدْخلَ عليهم الرفق» . أخرجه أحمد (6/ 71) وقال الهيثمى : ورجال أحمد رجال الصحيح . المجمع (8/ 19) . وصححه المناوى فى (فيض القـدير) : (1/ 263) .

أقوال تربوية

(1)قال رجل للأعمش : هؤلاء الغلمان حولك ! قال : اسكت ، هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك . [عن الكفاية فى علم الرواية ص 115] .

(2)قال رجلٌ لابنِ سحنون – رحمه الله – ممن يطلب ابنه العِلمَ عِنْدَه :إنى أتولى العملَ بنفسى ، ولا أُشْغِلُهُ عَمَّا هو فيه ؛ فقال له: أعلمت أن أجرك في ذٰلك أعظم من الحج والرباط ؟ [عن التربيةفى الإسلام ص 250].

(3) بادروا بتعليم الأطفال قبل تراكم الأشغال ؛ وإن كان الكبيرُ أوقد عقلاً ، فإنه أشغلُ قلبًا [حكمة].

(4) إننى أؤمن بقوة المعرفة ، أؤمن بقوة الثقافة ، ولكننى أؤمن أكثر بقوة التربية. [سيد قطب – مجلة الرسالة عدد 995 سنة 1952] .

الإهداء

إلى والدى الذى شجعنى فى طفولتى على حفظ القرآن الكريم والسنة الشريفة .

إلى والدتى التى غرست فى نفسى معانى : الحب ، والوفاء ، والإخلاص ، وحب العلم .

أبتى وأُمِّى يَا رَجَائى فى المُنَى أَبَتِى وأُمِّى مَنْبَعُ الإيثـــــــــارِ

إنِّى جَعَلْتُ ذَخِرَتى بِدُعَاكُمَا وَرِضَاكُمَا عَوْنِى على الأَخْطَارِ [1]

إلى والدىّ الحبيبين – وإن عَلَون – أكرر إهداء ثواب وأجر هذا العمل لهما فى الإصدار الثالث وإلى يوم القيامة .

وإننى أتوجه إلى الله تعالى – بالدعاء بهذه الآيات الكـريمات ، راجيـاً منـه – سـبحانه – القبـول ، وحسن الختام ، فى الدنيا والآخرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ديوان (أمى) للشاعر الرحل بهاء الدين أميرى رحمه الله تعالى.

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر : 60] .

﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة:128] .

﴿ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةٗۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران].

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم].

﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم].

﴿ هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامٗا ٧٤﴾ [الفرقان]

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل] .

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف] .

تقريظ السادة الفضلاء العلماء

شكر الله سعيهم

ثم مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تقديم

للداعية : أبى الحسن على الحسنى الندوى

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، فقد طلب منى الأخُ الكريم محمد نور سويد أن أكتب كلمة عن كتابه:«منهج التربية النبوية للطفل» للطبعة الثالثة ، وقدم نسخةً من كتابه القيم،وعندما تصفّحت أوراقه وجدت أنَّ نخبة من أهل القلم والفكر الإسلامى والتربية قد أعربوا عن تقديرهم لهذا المجهود العلمى الكبير ؛ الذى ملأ فراغاً كبيراً فى تربية الطفل ، ولم يكن المؤلف فى حاجة إلى كلمة جديدة للتعريف بالكتاب ، فقد عرفه الكتّاب المعروفون ، وكان عنوان الكتاب نفسه يعرِّف الكتاب خير تعريف ، وقد نال الكتابُ القبولَ كما يظهر من صدور طبعتين فى سنة واحدة ، الأمر الذى يدل على ما يحمل الكتاب من نفع ، واستحقاق للقراءة ، والاستفادة منه .

لقد بذل المؤلف جهداً كبيراً فى جمع المواد فى هذا الموضوع الطريف ؛ الذى لم يتجه إليه انتباه الكتاب فى التربية ، وعلى عكس ذلك كان عمادهم منهج التربية الغربية ؛ لأن العصر الذى نعيش فيه هو عصر الغزو الفكرى ، وقد غُزِى المسلمون فى كل مجال من مجالات العلم والثقافة ، وكانت التربية الميدان الفسيح الذى تغلغل فيه النفوذ الأوربى المادى ، فإن جميعَ تعريفات التربية تلتقى على إعداد الطفل؛ليكون الطفل قادراً على تحقيق رغباته الدنيوية ، وتطبق عليه التجارب التى أجريت على الحيوانات والبهائم ، ولمتابعة هذا المنهج المادى لا يخرّج مجتمعا إنساناً يحمل الصفات الإنسانية النبيلة .

وقد أشار المؤلف على أساس دراسته للسيرة النبوية والسُّنَّة : أنَّ مرحلة تربية الطفل تبدأ من الزواج ، وأن العلاقات بين الوالدين ، وصلاح الوالدين ، والتوافق بينهم على الخير ، لهما تأثير على تكوين نفسية الطفل وميوله ، وذكر أهمية نشأة الطفل فى حضن أمه، وأهله ، وبيئته ، وصلته بالوالدين وأقاربه ، ورعاية المثل الإسلامية فى مراحل النشأة ، وتربيته الفكرية ، وأكّد على ضرورة اتخاذ وسائل تلائم طبيعته ، والاستفادة في ذلك من المنهج النبوى الشريف ، وما ورد فى الحديث النبوى الشريف ،

وأقوال رجال التربية الإسلامية ، وقدّم ملخّص قصص وحكايات إسلامية نافعة فى تربية ذهن الطفل ؛ من الكتب الإسلامية ؛ ليتكيَّف ذهن الطفل المسلم بالجو الإسلامى ، وينشأ فيه الذوق الإسلامى ؛ وتتكون الطبيعة الإسلامية ؛ التى تميز بين الخير والشر ، والنافع والضارّ ، وتوجد فيه مناعة ذاتية ، وتهيّئ السيرة النبوية مواد دسمة توجيهية فى تربية السلوك على جميع المستويات .

لقد وصفت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها خُلُق النبى ﷺ : «كان خلقه القرآن» ، وقدّم القرآن الكريم حياة الرسول ﷺ للمسلمين :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:21]، ولايمكن اتباع هذه الأسوة إلا إذا عرضت السيرة النبوية ، والمنهج التربوى على جميع المستويات ، وهذا هو المجهود الأول لعرض السيرة والمنهج النبوى فى تربية الطفل ، وفى الحياة المنزلية .

جزى الله الأخَ الكريم محمد نور سويد على هذا الإبداع ، والتقدّم فى هذا الموضوع الطريف ، وأدعو الله أن ينفعَ به المسلمين ، ويستحق الكتاب أن يكون فى كل بيت ، وأن تعدّ برامج التربية فى ضوء ما عرضه المؤلف فى كتابه من الفكر الإسلامى للتربية .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

دار العلوم / ندوة العلماء- 17/ 11/ 1413هـ. 1/ 5/ 1993م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الدكتور

محمد فوزى فيض الله

ربما كانت دراسة السنة النبوية الشريفة ، والعناية بالحديث الشريف:سنداً،ومتناً ، من أبرز ظواهر النهضة الإسلامية المعاصرة .

ويرجع السبب فى ذلك إلى هذه الأمور :

1 – العودة بالأمة إلى التمسك بالوحى المنزل على رسول الله ﷺ بنوعيه : المتلو وهو القرآن الكريم ، وغير المتلو وهو الحديث .

2 – أن الأمة الإسلامية لما تخلفت عن عزها الغابر ومجدها التليد ، سلكت جميع وسائل النهضة والتقدم الحديثة ، لتعود إلى مجدها التليد ، فلم تجد شيئاً ، فاستيقنت أن هذه الأمة لا تصلحُ إلا بما صلح به أَوّلها ، وإنما صلح العرب والمسلمون السابقون بالكتاب والسنة .

3 – ربما كانت العناية بالسنة أيضاً فى هذا العصر؛ للرد على المستشرقين والمستغربين ، الذين تشككوا ، وشككوا الناسَ فى سُنَّةِ نبيهم ، بالطعن فى أكثر الصحابة رواية للحديث، وبالطعن بالمسانيد ، وفى المتون ، ثم بتجريح كتب الصحيح ، واختراع الضعف فى بعضها، ثم باختلاف بعض روايات الحديث ، مما جَرَّأَ بعض ذوى السلطة على القول بنبذ السنة ، والاقتصار على كتاب الله تعالى .

من أجل ذلك تصدى أهل السنة والتخصص الدقيق العميق فيها لدحض كل هذه المزاعم والشكوك ، والرد على كل ما أثير حول السنة من أباطيل .

وبذلك أصبح الاشتغال بالسنة ضرباً من خدمة الإسلام وعلومه ، والدفاع عن الشريعة وأدلتها .

غير أن العناية الظاهرة بالسنة الشريفة ، فى هذا العصر ، لا يعنى أبداً – عند المعنيين بالسُّنة وغيرهم – تقديمها على القرآن الكريم ، كما لا يعنى أبداً إهمال الفقه الإسلامى ، ولا إطراح اللغة العربية وفنونها ، وإن توهم بعض المبتدئين المشتغلين بالسنة الشريفة ذلك. فالقرآن هو كتاب المسلمين

الأول ، لا يهارى بذلك مسلم ، والسنة تليه مباشرة فى الأهمية ، تخـص عامّـة ، وتُقيـد مطلقـه ، وتُبـين مُجمله ، وتَشرح معناه ، وتُوضح أهدافه ، وتُحقّق مقاصده .

أما الفقه الإسلامى فإنه يرتكز عليهما ، وينبثق منهما ، وتُستنبط أحكامه منهما ، وذلك بالاجتهاد ؛ الذى يعتبر روح الشريعة ، والمحرك الذى أورث الفقه الإسلامى الحيوية ، والانطلاق ، والخلود .

وهذا لأن الشريعة – كما يقول الشاطبى ـ رحمه الله: «لم تنص على كل جزئية على حدتها ، وإنما أتت بأمور كليّة ، وعبارات مطلقة ، تتناول أعداداً لا تنحصر» .

وكان الاجتهاد فى استنباط أحكام المستحدثات ، التى لا نـص فيهـا ، مسرـى الفكـر الفقهـى فى السلف والخلف ، فى عصر الصحابة ، وفى عصر التابعين ، ومن بعدهم ، وأذن به النبى ﷺ لمعاذ ، وأقرّ عليه الصحابة ، ورضى باجتهاد سعد بن معاذ فى حكمه على بنى قريظة .

وقد رأينا بعض السلف من المُحَدِّثين يمارسون الاجتهاد بوسـائله المتعـددة: فأحمـد – رحمـة الله – يعمل بالمصالح المرسلة ، مع تمسكه الشديد بالسنة ، ومالك – إمام أهل المدينة– يقول بالاستصـلاح ، والقياس ، وغيرهما من المحدثين يعمل بسدّ الذرائع ، وبالعرف .

وليس الذى يقال عن الحنفية: أنهم أصحاب الرأى ، بمعنـى أنهـم يتركـون الحـديث، ويعملـون بالرأى صحيحاً ، فالذى صَحَّ عن أبى حنيفة – رحمه الله – أنه كان يقول : «ما جاء فى كتاب الله وسـنة رسوله ﷺ فعلى الرأس والعين» .

بل من المعروف عند أهل العلم قوله : «لم يزل الناسُ فى صلاح ما دام فيهم من يطلـب الحـديث ، فإذا طلبوا العلم بلا حديث فَسَدُوا » . وكذا قولُه : «إياكم والقول فى دين الله تعالى بـالرأى ، وعلـيكم باتباع السُّنة ، فمن خرجَ عنها ضَلَّ» .

ولا شك أن مراده القول المذموم ، وهو الهوى ، والرأى الذى لا يعتمد على دليل من الكتاب ، أو السنة،أو القياس على منصوصاتها ، فأما الرأى بمعنى البراعة فى الاستنباط فهو صحيح بالنسبة إليهم ، وإلى غيرهم أيضاً ، ولهذا عَدَّ ابن قُتيبة فى كتابه «المعارف» من أصحاب الرأى : الأوزاعى ، وسـفيان

الثورى ، وهما من أعلام المُحَدِّثين ، بل يصفُ بعض الكاتبين أتباع مالك ، بأنهم أصحاب الرأى ، كما نقل الخشنى فى كتابه «قضاة قرطبة» .

ولايوجد- إن شاء الله – فى هذه الأمة المسلمة من يُقدِّم رأيَه على سُنَّةِ النبى ﷺ ، وكفى بهذا قول الإمام الشافعى – رحمه الله – فى رسالته المشهورة : «ليس لأحد بلغته سنة عن رسول الله ﷺ أن يدعها لقول أحد» .

سمةُ نهضة هذا العصر العلمية الاشتغال بالسنة ، تحقيقاً لمخطوطاتها ، وشرحاً لمتونها ، وعناية بمسانيدها ، وبطبع مصنفاتها التى لم تر النور من قبل ، وفهرسة ألفاظها ، وترتيب أطراف الحديث ، تسهيلاً لمراجعةالباحثين فيها ، وتمييز الصحيح من الضعيف فيها ، ومن ذلك دراسة جوانب من حياة الرسول ﷺ وإفرادها بالتصنيف ، لغرض التأسّى ، والقدوة به : كحياته فى السِّلْم ؛ وفى الحرب وحياته فى منزله ، وحياته بين أصحابه ، ومواقفه من المنافقين ؛ والكافرين من أهل الذمة .

وكذا دراسة هدى النبى ﷺ فى العبادة ؛ والتعامل ، والفتوى ،والقضاء ، وإقامة الحدود ، والمؤاخاة بين الناس ، وإبرام العهود ، والإصلاح بين الخصوم .. ونحو ذلك مما أَفرَدَ له الأئمة رسائل ؛ وبحوثاً خاصة ، كان من أهمها : «زاد المعاد»لابن القيم – رحمه الله .

وهذا الكتاب الذى بين يدى الآن ، هو واحد من تلك الكتب القيمة ، التى عنيت بجانب معين من السنة النبوية ، والهدى النبوى ،وهو «التربية النبوية للطفل».

وإن يكن قد كتب في التربية الدينية،والتربية النبوية، فإنه لم يكتب – فى حدود العلم – فى التربية النبوية للطفل ، فهذا جانب مستقل هام حيوى ، من جوانب الهدى النبوى فى تربية النشء .

وقد تناوله المؤلف بعقيدة المؤمن ، وفكر المثقف الراجح ، ونظر البصير العميق، وتنظيم المهندس المتذوق ، فأقامه على عدة فصول ، رتب بعضها على بعض:

فصلٌ فى نصائحه إلى الوالدين ، وفصلٌ فى حقوق الطفل الرضيع ؛ وفصل فى بناء شخصية الطفل من الفطام حتى البلوغ ؛ وهذا أهم فصول الكتاب ؛ ومحور التربية الطفلية ؛ أقام الكتاب على

أساسيات من البناء العَقَدِى والعبادى والاجتماعى ، والأخلاقى ، والعاطفى ، والفكرى ، والجسمى ، والجنسى ، والصحى ، كما عقد فصلاً خاصاً لتوجيه الطفل ببر الوالدين ، ورعاية حقوقهما ، وفصلاً آخر بأساليب التربية النبوية الفكرية ، والنفسية المؤثرة فى الطفل . ثم فصلاً خاصاً بتأديب الطفل ، وختم الكاتب بحثه بأربعينيتين من الأحاديث : أولاهما فى الأربعين الموجهة إلى الآباء ، والأخرى فى الأربعين الموجهة إلى الأبناء ، وقد رجع الكاتب فى بحثه إلى مصادر أمينة : فى التربية ، وفى السنة والتفسير ، والفقه والتاريخ والدعوة ، وحاضر العالم الإسلامى ، والثقافة الإسلامة، وكان يعزو إلى كل مصدر يأخذ عنه ، ويوثق كل ما يقول .

ودعم كل فكرة تربوية رآها ، وسجلها ؛ بالحديث الشريف ، وتطبيقات السلف ، ومسالك الأئمة المربين من أهل العلم ، وشيد نظرياته التربوية للطفل،بالحقائق الدينية الثابتة ، والوقائع التاريخية المتوارثة ، والمشاهد المقررة فى أنظار المربين الإسلاميين ، وأتى من ذلك بالمعجب الكثير ، حتى كاد يكون كتابه بحق ،موسوعة تربوية دينية للطفل ، وفهرساً لمعظم ما ورد فى السنة الشريفة ، وآثار السلف الصالح ، ومسالك المربين فى تربية الطفل المسلم، وإنى لأقدر أن يكون لهذا الكتاب القيم أثر علمى ، وتطبيقى واسع فى المجتمع المسلم ، ويستفيد منه المربُّون، من الآباء والأمهات ، ويستفيد منه المربُّون من الأبناء الذين لم يبلغوا الحلم، وحتى الذين بلغوا منهم . لقد كُتِبَ بلغة سهلة ميسورة ، وشيّد بآى القرآن الكريم ، وحُلِّىَ بالسنة المطهرة ، ووُشِّىَ بالقَصَصِ ، وزُين بالحِكَمِ والمأثورات عن السلف الصالح من هذه الأمة ، ولا شىء أسرع إلى قلب المؤمنين من هذه المذكورات ، المُسَلَّمِ بها من جملة الجماعة المسلمة .

وأشهد أنى مررت بمعظم فصول هذا الكتاب ، ورجعت بفوائد جمة ، وتمنيت أن لو اطلعت على هذا الكتاب ، أو لو أتيح لى أن ألم بفصوله إلماماً كافياً ، إذاً لعدّلت من سلوكى فى تربية الأولاد ، فأفدتهم ، وأنقذتهم بما يغالبنى فيهم المجتمع من حولهم بمغرياته البراقة ، ووسائله لملء فراغهم بما لاينفع ولا يغنى عنهم من الجِدِّ شيئاً ، ولا يُحَبِّبُ إليهم العلم ، ولا يَبنى لهم مستقبلاً ، ولا يَشدهم إلى عزائم الأمور، ومطامح ذوى الرشاد .

سأقرأ هذا الكتاب مستفيداً ، وسيقرؤه كثيرون فيستفيدون ، وسندعوا جميعاً لمؤلفه باطراد التوفيق ، وحسن المثوبة فى الدنيا والآخرة ، كفاء ما قدم للأمة من جهد، وسَدَّ من ثغرة ، وأغنى المكتبة التربوية للطفل المسلم من فقر .

ولا أزكى على الله أحداً ، فما تزال السنة معيناً لا يغيض ماؤه ، ويُصدر جميع الوارد من حوض النبوة ، ولو كانوا أهل الأرض كافة ، وكم ترك الأول للآخر ! وجزى الله عنا نبينا وسيدنا محمداً ﷺ ما هو أهله .

الكويت الشويخ-11 من ذى القعدة الحرام : 1404هـ 8/ 8/ 1984م

أ . د : محمد فوزى فيض الله [1]

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه

فى جامعة دمشق (سابقاً)

ورئيس قسم الفقه والأصول فى كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية من جامعة الكويت

---

(1) قال لى شيخنا الدكتور محمد فوزى فيض الله - حفظه الله تعالى - بعد أن شاهد الإصدار الثالث فقال : هذا كتاب القرن فى موضوعه ، وبحثه ، وجمعه ، ودقة استنباطه ، وعمق تحليله . وكان قد قال لى عند الإصدار الأول ، بعد أن حثنى على طبعه : هذا الكتاب له شأن كبير ، ويستحق أن يكون شهادة دكتوراه ، وسوف تحصل به على جائزة دولية إن شاء الله تعالى ، فللَّه الحمد والفضل والمنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم العلامة الشيخ : عبد الرحمن حسن حبنكة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المعلمين من البشر ، وسيد المربين والمؤدبين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد أطلعنى الشاب المؤمن المهندس – محمد نور عبد الحفيظ سويد – على أصول كتابه الذى أَعَدّه للنشر بعنوان – منهج التربية النبوية للطفل – فوجدته قد اجتهد عدة سنين فى جمع مادته ، من كتب السنة ، وكتب التربية والأخلاق الإسلامية ، وقد أحسنَ ترتيبَ فصوله ومباحثه . وقد دفعه للقيام بهذا العمل الطيب حرصه على توجيه الأسرة الإسلامية لتربية ناشئتها ، وفق منهج التربية النبوية ، التى كانت التطبيق العملى ، والبيان القولى للتربية الإسلامية للنشء . وقد مرّ على ما ينبغى جمعه واستيعابه من كل ما يتعلق بالطفل منذ اختيار الزوجين المسلمين لعقد الزواج بينهما ، حتى المرحلة الجنينية ، فالولادة، فالطفولة ، فالتمييز ، فالمراهقة ، فالبلوغ ، فالرشد . وتدرج فى الجمع والترتيب والتصنيف ، واهْتمَّ بقراءة مراجع كثيرة لجمع المادة المتعلقة بالموضوع . وفى ظنى أنه لم يألُ جهداً يملكه إلا بذله ، فمن أراد أن يطلع على ما يهمه فى شأن تربية الأطفال ، تربيةً إسلاميةً نبويةً ، فإنه يجد فى هذا الكتاب زاداً نافعاً ، ومادةً جاهزةً ، يقتبس منها خيراً كثيراً.

وإنى أدعو لأخينا – محمد نور عبد الحفيظ سويد – بأن يثيبه الله على عمله ، ويمنحه مزيداً من فضله ، كما أسأل الله أن ينفع بكتابة هذا ، ويُنَوِّرَ به بصائرَ أُسَرنا الإسلامية حتى تهتدى بهدى رسول الله ﷺ فى تربية أطفالها ، تربيةً إسلاميةً صحيحةً.

اللهم سدِّد خُطانا ، وألهمْنَا الصواب ، وارزُقْنِا العمل بمراضيك ، إنك كريم منّان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . **الكويت فى 28 رمضان 1405 هجرية – عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى**

الأستاذ فى جامعة أم القرى – مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ العلامة المربى الشيخ / أحمد قلاش

لم يؤلف فى مثله نظير ، كيف لا ؟ ! وهو يَربط قلوبَ الصغار بسيد الأبـرار ، فكـلُّ بحـثٍ منـه فى تربية الأطفال ؛ تجد له أصلاً من إرشاد المربى الأكبر ، ﷺ . وتالله! لقد اعترانى مراراً فى قرائته خشوع ، وفاضت عيناى بدموع ، فى كثير من مواقفه .

فجزى الله مؤلفه خيرًا، ووفَّقَ المسـلمين أن يطبعـوا منـه الآلاف . وحبـذا لـو قُـرر لمـادة التربيـة الإسلامية ، لا سيما فى المدارس الابتدائية .

أحمد القلاش [1]

(1) أحد علماء وشيوخ حلب الشهباء ، تخرّج على يديه أغلب علماء حلب ، وطلاب العلم فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الدكتور : محمود الطحان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المربِّين سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد طلبَ منى الأخ الكريم محمد نور سويد – بعد أن أهدانى نسخة من كتابة القيِّم «منهج التربية النبوية للطفل» – أن أكتبَ كلمةً موجزةً عن الكتاب بعد الاطلاع عليه . وقد تصفحتُ الكتاب ، واطلعتُ على فهارسه ، فرأيتُه كتابه حافلاً بالفوائد الكثيرة فى مجال تربية الطفل .

والجديدُ فى هذا الكتاب أنه لَفتَ أنظارَ المسلمين إلى أنه يوجد منهج تربوى متكامل لتربية الطفل ، مستقىً من هَدْى النبى ﷺ وسُنَّته المطهرة ، وأنه لا حاجة للمسلمين أن يستوردوا النظريات التربوية من رجالات ملحدين أو غير مسلمين، وفى سُنَّة نبيهم – الذى لا ينطق عن الهوى – ما يغنى عن ذلك كله .

والكتاب فيه جهدٌ واضحٌ ، وعاطفةٌ صادقةٌ ، ونيةٌ مخلصةٌ إن شاء الله تعالى ، كما يبدو ذلك لمن يقرأ فيه .

وقد جمعَ المؤلف فيه من الشواهد الحديثية وفى مجال تربية الطفل والشئ العجيب، وكان موفقًا فى هذا الجمع ، ووضع كل شاهد فى محله المناسب .

وأما ترتيب الكتاب ، فكان ترتيبً ممتازً ، يدل على عقلية صافية وتفكير سليم ، وذوق رفيع .

وباختصار ، فالكتاب لا تَستغنى عنه أى أسرة مسلمة ، تضعه فى مكتبتها البيتية لتقرأ فيه ، وتُطبِّق

ما جاء فيه من الهدى النبوى بشكل عملى .

وحبذا لو قَرَّرَتْهُ وزارات التربية فى البلاد العربية والإسلامية فى مدارسها ، أو قررت فصولا منه ، فإنه جدير بذلك .

وفى الختام أسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفة الثواب الجزيل ، وأن يجعله فى ميـزان حسـناته ، يـوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله رب العالمين .

الكويت : فى 21/ جمادى الآخرة / 1408هـ

الموافق 9/ شباط / 1988م

أ . د . محمود الطحان

رئيس قسم التفسير والحديث

فى كلية الشريعة جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ : الدكتور / أحمد الحجى الكردى

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والتابعين ، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن الأطفال هم وجه المستقبل ، بل هم المستقبل كله ، فهم القادة والشعب ، وهم العلماء والطلاب ، وهم العمال والفلاحون ، وهم الضباط والجنود المدافعون عن حدود الله ـ تعالى ، والحامون للحرمات ...

لهذه المعانى أولى الشارع الإسلامى اهتمامًا كبيرًا بهم ، ورعاية شاملة لتربيتهم ، وحذَّر كثيرًا من التهاون فى أمرهم ، أو التساهل فى إعدادهم .

وقد بدأ الشارع الحكيم بالعناية بالأطفال منذ اللحظة الأولى لخلقهم ، بل قبل ذلك منذ خطبة أمهم ، فقال النبى ﷺ :«تخيَّروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم» رواه ابن ماجه ، فإذا ما ولدوا توجه الأمر على الوالدين لبدء بحسن تربيتهم فور ولادتهم : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» متفق عليه ، فإذا شبُّوا قليلاً كانت العناية بهم أكبر ، والمسؤولية نحوهم أشد : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع» رواه أبو داود ، وهكذا تستمر العناية بهم حتى الشباب ، ثم الكهولة والشيخوخة .

وقد عنى علماؤنا القدامى والمعاصرون بهذه المعانى عناية فائقة ، وصنفوا لنا فيها كتبًا قيمة، ومن هذه الكتب التى عنيت بهذا الموضوع فى العصر الحديث كتاب «منهج التربية النبوية للطفل» للشاب المهندس: محمد نور سويد ، وهو كتاب متميز فى بابه بأمور ، منها :

– أنه جمع الكثير من النصوص القرآنية والنبوية المتعلقة بتربية الطفل بل أكثر النصوص التى تعالج ها الموضوع الهام مع توثيقها وعزوها إلى مراجعه الأصلية وتطور حياته .

رتب هذه النصوص ترتيبًا منطقيا، متمشيًا مع نمو الطفل .

– شرح هذه النصوص شرحاً لطيفاً ، أظهر كنهها وأبعادها وخفايا معانيها ، وأثرها الكبير فى إعداد الطفل .

– تبع فى عرضه بحوث الكتاب أسلوبًا عربيًا سهلًا ورصينًا ، يغنى القراء على اختلاف مستوياتهم الثقافية ، فلا يمل واسع الثقافة من الإطلالة فيه ، ولا يعجز محدود الثقافة عن فهم أبعاده ومراميه ، وقد أكرم الله تعالى به الكثيرين من القراء ، حتى أعيد طبعه مرات عديدة ، كما أفاد منه الكثيرون فى إعداد رسائلهم العلمية للماجستير والدكتوراه .

والله تعالى أسأل أن يديم نفعه لعباده المتقين ، وأن يثيب كاتبه أجرًا فى الجنة .

والحمد لله رب العالمين

18 / من ذى الحجة / 1417هـ

27/ مارس آذار / 1997م

أ . د . أحمد الحجى الكردى

الخبير فى الموسوعة الفقهية

وأستاذ فى كليتى الشريعة والحقوق

فى جامعات دمشق وحلب والكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الإصدار التمهيدى والإصدار الموسوعى

بقلم / محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

اللهم لك الحمد على التوفيق فى هذا الكتاب ، ولك الحمد على الهداية إليه ، ولك الحمد على التفضيل بإنجاز هذا الإصدار ، ولك الحمد عى ربط قلبى وفؤادى بحبك وحب نبيك ﷺ ، ولك الحمد على الرعاية والعناية بالتوجيه إلى طلب العلوم الشرعية ، ولك الحمد أن سَخَّرتنى لخدمة هذا الدين ، ولك الحمد أن استعملتنى فى البحث عن سنة نبيك وتوجيهه ﷺ فى تربية الطفل .

وأصلى وأسلم على سيدنا وحبيبنا وقائدنا فى الدنيا والآخرة ، سيدنا محمد ﷺ ، الذى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم]، وكان خلقه القرآن ، وأَدَّبَه ربُّه ورعاه وربَاه ، فأحسن ذلك غاية الإحسان ، وحُفظت أيام حياته ﷺ صغيرها وكبيرها، ما لا تستطيع البشرية حفظه لأى قائد أو أى زعيم ، وكانت حياته كلها فى غاية القمة الإنسانية ؛ذلك لأنه أعظم وأفضل رسول بعث ، فهو سيد الأولين والآخرين ، آمن به جميع الأنبياء والرسل ، وأتباعهم قبل أن يروه ، فكان كل واحد منهم يُبشِّرُ ببعثته ، ويحث قومَه على الإيمان به ، وكان ﷺ رحمة العالمين : إنسيها وجنيها ، وجمادها وحيوانها ، مؤمنها وكافرها ، دنياها وآخرتها ، علويها بما فيهم الملائكة وسفليها بما فيهم الشياطين ، فهو رحمة الله المهداة من الحق سبحانه إلى الخلق أجمعين .

فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

تزداد أهمية تربية الطفل يوماً بعد يوم ، لدى كافة العلماء المفكرين ،الذين يبحثون فى إصلاح الفرد ، والأسرة ، والمجتمع ، والدولة ، فالأطفال ثروة الأمة الخالدة التى تبحث عن مكان الصدارة العالمى بين الدول .

ومن إعجاز الإسلام الخالد إلى يوم القيامة أن يظل شامخاً ؛ تتتلمذ على يديه كل المجتمعات والدول ؛لتأخذ منه الأحكام الصحيحة السليمة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، رغم تأخر المسلمين وضعفهم فى التطبيق العملى للإسلام . وليس أدل على ذلك من كثرة المعتنقين للإسلام على كافة المستويات العلمية والاجتماعية لحالة المعتنق للإسلام، وذلك لأنه الدين الوحيد الخاتم ، والناسخ لكل الأديان السماوية السابقة ، واعتقاد المنسوخ باطل لدى كافة العقلاء أجمعين .

ورغم الصعوبات التى تعترض المعتنق الجديد للإسلام ، والتحديات التى يواجهها من بنى جنسه ، فتُنزع عنه المناصب ، ويُجرد من الوظائف ومثاله السفير الألمانى فى الجزائر الذى أسلم وهو مراد هوفمان وألف كتاباً (الإسلام كبديل) فما يزيد إلا ثباتاً واستمراراً ، وتلك معجزة أخرى للإسلام .

إن البشرية والإنسانية مدعوة للاستيقاظ من سباتها العميق الغارق فى الشهوات، إلى التأمل والتدبر والتفكر بالعقيدة الإسلامية والتشريع الإسلامى السامق ، وعندما تستيقظ سوف تعرف مدى الحسرة التى كانت فيها ، والظلم الإنسانى المستمر فى الضياع، وتضييع الشعوب عن الله تعالى والإيمان بكتابه المعجز الخالد ألا وهو القرآن .

لقد تخرج وفق المنهج التربوى النبوى جيل الصحابة الذى ما زال ظاهرة تاريخية فريدة لم تتكرر كجيل كامل متكامل ، وإن تتكرر فى قمم عديدة كأفراد ومجموعات، إلا أن قمة جيل الصحابة تمثل أقصى ما يمكن للتربية والجهد البشرى من الوصول إليه ، من التجرد من مغريات الحياة ، والتزام المبادئ ؛ عقيدة ، وتشريعاً،وواقعاً ، وجهاداً فى سبيل الله ، وفتحاً للبلاد ، وإن المنهج النبوى الذى خَرّج على مدار التاريخ أجيالاً وعلماء ومصلحين وقواداً قادر اليوم أن يخرج مثلهم وأن تتكرر الظاهرة فى كل آن ، لأن حركة التغيير والاستبدال التى وعد الله بها تحصل فى بناء الأطفال :﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[سورة المائدة :54] ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد] .

فالاستبدال الإلهى للأقوام بمجىء جيل جديد ، يبدأ من عهد الطفولة بالرعاية والعناية وفق المنهج النبوى فى تربية الطفل . فالذى يهمه أمر الإسلام ، ويغار عليه ، ويهمه وطنه الإسلامى الكبير ، ويغار عليه ، ويهمه شأن طفله الصغير ، بل والذي يهمة شأن نفسه ، مدعو إلى المنهج النبوى ، والتأسى به .

إن الطفولة اليوم فى كافة أصقاع الأرض ، تعيش مرحلة الضياع ، والفراغ ، والاعتداء عليها [1] ، وهذا الاعتداء سواء كان مادياً ، أو معنوياً ،أو تربوياً شأنها شأن الإنسان الشارد عن الله تعالى ، الضائع تحت ملذات الشهوات ، اللاهث نحو السراب ؛ لأن مناهج التربية الحديثة قامت دراستها على التجارب المخبرية المعملية، وعلم الإحصاء ، والتحليل الرياضى ، وكل هذا المنهج صحيح وسليم بالنسبة للمادة ؛ لأن المادة تسلك سلوكاً واحداً عندما تواجه تأثيراً معيناً ، وتسلك سلوكاً واحداً متكرراً عندما تواجه تأثيرين أو ثلاثة أو أربعة ، على حسب المؤثرات التى تواجهها ، أما الإنسان فيختلف تماماً ، فهو ينتقل بسرعة عجيبة : بين الفرح والحزن، وبين الأمل والكآبة ، وبين حب الحياة وحب الموت ، فهو يتنقل بين الضدين ، وبين النقيضين وبسرعة تفوق سرعة الخيال . وإذا كان البحث العلمى يحترم نفسه فى التعرف على المنتجات من خلال مواصفات منتجيها ، فحرىٌ به أن يتعرف إلى مواصفات هذا الإنسان من خالقه سبحانه ، بوساطة هذا القرآن ولكن هيهات هيهات أن ينصف الإنسان نفسه في مسألة الاعتقاد وتنظيم الشهوات .

لهذا فإننى أعجب أشد العجب ، من بعض المفكرين والدعاة،أن يدعو إلى الأخذ من تجارب الغرب فى عالم التربية ، وعلى الأخص مرحلة الطفولة ، وخاصة بعد التعرف على المنهج التربوى النبوى للطفل!!

إن الطفل المسلم الذى يباشر الارتباط بالقرآن والسنة الشريفة ، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، هو النموذج العملى الذى يبشر لاستئناف الحياة الإسلامية على الوجه الأمثل ، وإن التصاق

---

(1) انظر ملاحق الكتاب .

الطفل بالقرآن حفظاً وتدبراً وفهماً ؛ سيزيد من قدراته الفكريـة ، والعقليـة ، والنفسـية والاجتماعيـة ؛ أضعافاً مضاعفة عن غيره من الأطفال .

وإن من إعجاز القرآن الكريم أن يحفظه غيباً عن ظهر قلب ، الصغار والكبار ، المسلمون الذين لا ينطقون اللغة العربية فضلاً عن المسلمين الذين ينطقونها ، وإن فى حفظه وتكراره يحقق أهـدافاً سـامية للطفل الحافظ ، منها :

1 – تدريب قوة الحفظ لدى الطفل ، وزيادة قوة وسرعة الاستذكار واستحضـار المعلومـة بدقـة فائقـة ، تصـل إلى دقـة الحـرف وحركتـه ، وبـذلك يتفـوق عقـل الطفـل عـلى سرعـة الحاسـب الآلى (الكمبيوتر) .

2 – تهذيب نفس الطفل ، وتسلحه ضد وساوس الشـيطان ، وقـرين السـوء ، والـنفس الأمـارة بالسوء ، والشهوات المتكاثرة .

3 – انشغال الطفل بالعمل المفيد المثمر ، بدلاً من انشغاله المستمر فى اللهو واللعب ورفقاء السوء .

4 – روى نبوياً وثبت علمياً وواقعاً «أن الحفـظ فى الصـغر كـالنقش عـلى الحجـر» وبالتـالى فـإن انشغال ذاكرة الطفل وحافظته بالقرآن الكريم سيزيدها قوة ، ونضارة ، وحيوية ، وتأثراً ، وتأثيراً .

5 – إن الذين يَدْعون إلى عدم حفظ الطفل القرآن،بحجة أنه إثقال على ذاكرته، وتحميل لهـا فـوق طاقتها ، هم أنفسهم يُحمَلون أطفالهم من العلوم الدنيوية أضعافاً مضاعفة ، ويرهقونهم بهـا ، فى حـين أن الطفل المرتبط بالقرآن أقدر على حفظ العلوم الدنيوية؛ لأنه يملك رصيدًا من حفظ القرآن والسـنة ، وهو الحفظ والفهم ، وأصبحت لديه عادة وملكة، فهو أقدر من غيره على التقدم .

6 – إن نبغاء الأمة الإسلامية عبر تاريخها الأربعـة عشر قرنـاً ، تميـزوا بحفـظ القـرآن دون سـن السابعة ، وتصدروا مجالس العلم فى السادسة عشرة ، وحتى العشرين من عمـرهم ، فى حـين نـرى أن التخرج من الجامعة اليوم ، لا يمكن أن يحصل فى أقل من واحـد وعشرـين عامـاً ، فضـلاً عـن قـدرة

الخريج للتصدر إلى التعليم بشكل جيد ، فضلاً عن الامتياز ، فضلاً عن التفوق فى التدريس .

7 – إن المؤتمرات الدولية حول جنايات الأحداث التى تعقد فى كل سنة ، تصرخ بجرائم الأحداث والأطفال ، وما ذلك إلا لفشل تلك المناهج التى توجه الأطفال وتربيهم .

فى حين لم تسجل تلك الجنايات أى رقم بالنسبة للطفل المسلم الملتزم ، فكفى بالنتيجة عبرة لأولى العقول والألباب .

8 – ليعلم الآباء أن غاية وجودهم هو عبادة الله تعالى ، وأهم واجب فى مسؤليتهم تجاه الله تعالى ، عدم إضاعة أطفالهم ، ويتم لهم ذلك بربط الطفل بالقرآن وسيرة خير الأنام رسول الله ﷺ ، وبالتالى فإن الهدف تربية الأطفال ، تربية إيمانية ، إسلامية ، قرآنية ، نبوية ، هو أساس حياة كل مسلم ، غيور على دينه، صادق فى إسلامه .

9 – إن القرآن الكريم كتاب الله ، المعجز برسمه (طريقة كتابته) وحرفه وكلمته، ونظمه ، وسياقه ، ومعانيه ، وقراءاته ، وتجويده ، والذى حفظ من الضياع أو التحريف والتبديل حتى فى قراءاته وتجويده ، حرى بالعناية والرعاية والاهتمام من قبل الآباء ، ومن قبل الغيورين على الإسلام

إنه ربط للطفل بالعناية الإلهية ، وبالنور الربانى ، وبالكلام المعجز ، وبالمعانى المتجددة فى كل تلاوة ، المنشط للعقل والنفس والفؤاد ، فهل أساليب التربية الغربية مثل الدعوة القرآنية ، حتى يدعو إليها البعض ، إن هذا لشىء عجاب !

10 – إن فضل الله عظيم علينا – نحن المسلمين – بهذا القرآن وسنة نبيه محمدﷺ يحسدنا عليهما أهل الكتاب إنهما (القرآن والسنة) صمام الأمان للأطفال وللكبار، وهما المصل الواقى من الأمراض النفسية والعقلية ، ومن دعوات تأييس المسلمين من قيادة البشرية مرة أخرى فى الانتصار ، وإن كانت عقيدة الإسلام وشريعته مستمرة فى الانتصار، إلى يوم القيامة لاستمرار قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل

عمران:110] وإن القرآن والسنة ، والعقيدة والشريعة التابعين منهما ، هما السد المنيع من الغزو الفضائى وشبكة الحاسب الآلى (الإنترنت) التى تبث سمومهما على مدار الساعة فى عقر البيوت بلا رقيب ولا حسيب ، إلا من مراقبة الله تعالى وخشيته، وهذا ما لا تقوم به التربية الغربية ، وإنما تقوم به التربية القرآنية والتربية النبوية .

إن الإسلام ليس فكرة بشرية ، وليس حزباً أرضياً كما عليه البشر ، إن الإسلام دين الله تعالى ، الذى أنزل كتاباً معجزاً فى كل ما جاء به ، وأرسل رسولاً أمياً تكلم فى كل شؤون الحياة ، فكل شىء تكلم به يعجز العقول البشرية أن يكون تلم به رجل أمى، ولا يكون رسولاً من عند الله ! ! لقد استطاع هذا الرسول ﷺ تربية أناس كانوا يسجدون لحجارة تارة ، ولتمر تارة أخرى ، ثم يأكلونها ، واستطاع تربية أناس كانوا يأدون البنات الصغيرات وهن أحياء ، ويدسّونهنّ فى التراب: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل] فأصبحوا يحبون البنات .

واستطاع تربية أناس كانوا يقيمون حرباً أربعين سنة [1] لأتفه الأسباب، واستطاع تربية أناس يقرضوا الشعر ، ويخطبون الناس خطبًا عصماء ، وينتثرون أحسن الكلام ، فحولهم من أمة خطب وشعر وكلام إلى أمة عمل وجهاد وفتوحات ، واستطاع تربية قوم كانوا يعشقون ويقدسون تربة الوطن فإذا به ﷺ يخرجهم من أوطانهم فى سبيل العقيدة والمبدأ .

واستطاع تربية قوم يباشرون استخدام السلاح ويتفننون فى استخدامه فإذا به يأمرهم بالكف عنه ، حتى ينتصر المبدأ فى نفوسهم ، وحتى تخضع أهواؤهم للعقيدة والشريعة ، فيستخدموه تحت ظل العقيدة والشريعة ، وليس حسب هواهم أو للانتقام الشخصى .

---

(١) حرب داحس والغبراء وحرب البسوس .

واستطاع تربية قوم منهم حضرى ومنهم بدوى ومنهم رومى وحبشى وفارسى، فإذا بهم ينتقلون من رعاية الغنم والإبل إلى رعاية البشر والأمم ، ومن أواصر العصبية القومية إلى أواصر العقيدة .

أليس فيمن استطاع ذلك ، جديرًا بالاتباع ؟ ! أليس فيمن هزم قيصر وكسرى وأزال عروشهما ، جديرًا بالتأمل فى طريقة تربيته للنفوس ؟ !

أليس جديرًا بالدراسة والبحث عن منهج الرسول ﷺ الأمى ، الذى سيرته نور على نور ، والتى أقواله تفتح العقول والنفوس ؟ ! أليس جديراً بتقمص أساليبه فى التربية ، من ربّى من ينام فى سريره[1] وفتيان قريش تنتظر قتله بالخروج إليهم ؟ فينام ذلك الطفل الذى تربى فى أحضان الرسالة والنبوة ، بلا خوف ولا وجل ، وبلا تذمر ولا تردد ؟ !

أليس جديراً بالمؤمن والمؤمنة بالله ورسوله ﷺ أن يتحرك كل منهما للاقتداء والتأسى برسول الله ﷺ ؟ !

إنها دعوة لكل الناس ، أن يقتدوا بالنبى والرسول الأمى ، سيدنا محمد ﷺ ، فإذا لم يتبعوه ديانة ، وإيمانًا ، وتسليمًا ، فسوف يتبعونه من أجل الحفاظ على أنفسهم، وأطفالهم ؛ وأهليهم ؛ ومجتمعاتهم ؛ وأوطانهم لأن كل من لا يتبع الرسول ﷺ فهو أبتر ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر] .

ولأن كل بحث ومحاضرة وكتاب وخطبة فى أمر الإنسان لا يُستشهد فيها بقول رسول الله ﷺ فهى بتراء لا خير فيها ، وهى فرقعة لا يكتب لها البقاء (انظر تفسير ابن تيمية رحمه الله لهذه الآية) .

إن صلاح الإنسان يكون وفق كلام الله ـ تعالى ـ وكلام رسوله ﷺ ، ومن رضى بغيرهما فقد ضل ، ومن ابتغى العزة بغيرهما ذَلَّ ، ومن استنصر بدونهما هُزم ، ومن دعا بضدهما فقد كفر ، ومن اتبع غيرهما فله معيشة ضنكًا فى الدنيا الآخرة .. وصدق الله العظيم ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا

---

(١) سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه عندما نام فى فراش النبى ﷺ فى حادثة الهجرة النبوية المباركة.

فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران].

وإن غير المسلم سوف يرى جمال ونور التربية النبوية عندما يطلع عليها ، أو يراقبها واقعاً فى أطفال المسلمين (انظر الملاحق) وليس الأمر بالعكس ، أى : أن ينظر المسلم فى التربية غير القرآنية وغير النبوية ، وإن كانت الحكمة ضالة المؤمن ، ولكن فى غير ما يتعارض مع القرآن والسنة ، وفيما لا يرد فيهما نصّ .

لقد عرّف العلماء البدعة فى استحداث أمور،تزيل سنة ، أو تخالف شرعًا ، فيكون من أبدع البدع ، ومن شر المحدثات : الأخذ عن غير القرآن وغير السنة فى أمور التربية خاصة؛لأن القرآن والسنة هما مصدرا تربية الإنسان عامة ، والمسلم خاصة ، فالتخلى عنهما بحجة الاستفادة من تجارب الأمم ، فيه اعوجاج فى المنهج ، وخطأ فى التفكير ، وضلال فى الطريق ، وخاصة بعد معرفة المنهج النبوى فى التربية.

إن التربية النبوية تختلف عن غيرها من التربيات فى عدة أمور أهمها :

1 –إن التربية النبوية تقوم على الإيمان بالله ـ تعالى ـ ومراقبته، والإيمان باليوم الآخر والجنة والنار ، والإيمان بالرسل ، والاقتداء بسيدنا محمد ﷺ ، بينما لا يوجد ذلك البتة فى غيرها .

2 –إن التربية النبوية تربية عملية واقعية ، حصلت فى الواقع وتفاعلت معه ، ودورنا الاستنباط من ذلك التفاعل وذاك الواقع ، فهى حقيقة واقعية ، بينما هى فى غيرها عبارة عن اجتهادات فردية لبعض التجارب ، تحكمها ظروف خاصة لأطفال خاصين لوضعية خاصة، فهى غير قابلة للتعميم على الأطفال جميعًا ، بدليل استحداث آراء جديدة كل يوم تنقض سابقتها ، تكشف معايبها ، وتبين سلبياتها .

3 – أن التربية النبوية تقوم على استشعار الأبوين دورهما ووظيفتهما ، وتحثَهما على الترابط الأسرى وصلة الرحم ، وتحثهما حثًا قويًّاعلى تنشئة ورعاية الطفل ، بينما فى غيرها يعيش الطفل فى تفكك أسرى عجيب ، ويمكن للعصابات أخذه من أحضان والديه ، ولا يستشعر ، ولا يحس

الوالدان بمسؤولية تربية الطفل ، كما لا يوجد عندهما صلة الأقارب والأرحام ؛ لذا فطفلهم يحس بالضياع .

4 – تقوم التربية النبوية على التهذيب الجنسى للطفل ، والمحافظة عليه من الوقوع فى الفاحشة ، فى حين نجد أن التربيات الأخرى تقوم على ترسيخ الإباحية الجنسية فى الطفل، وأن الاتصال الجنسى بين الأطفال طريق للتعبير عن الحرية فى نظرهم، وأن الطفل المتصل جنسيًا بآخر (سواء كان من جنسه أو غير جنسه) يسمى انحرافه انطلاقًا وتعبيرًا عن الذات . وتنظر إلى الطفل المحافظ – غير المتصل جنسيًا بالآخرين – على أنه طفل معقد ، يحتاج إلى علاج ، بينما فى التربية النبوية الأمر على عكس ذلك تمامًا .

5 – تبدأ التربية النبوية بتدريب الطفل على التكاليف الشرعية بدءًا من السابعة من عمره ، ويبقى متدربًا على تطبيقها إلى سن البلوغ أى: نصف تلك المدة تقريبًا ، أى: إن نصف فترة الطفولة يقضيها الطفل متدربًا على التكاليف الشرعية ، بينما فى غيرها من التربيات لا يوجد ذلك البتة .

6 – تَنْظر التربية النبوية إلى أن كل ما يقدم من خير للطفل على أنه عبادة ، يثاب عليها الكبار ، كما أن فعل الطفل للخير سوف يثاب عليه يوم القيامة من الله تعالى ، بينما فى غيرها لا يوجد ذلك البتة .

7 – ترسخ التربية النبوية فى الطفل الخوف من الله تعالى وسؤاله عن كل شىء ، والاستعانة به فى قضاء حاجات الطفل ، ومواجهته للأحداث ، بينما فى غيرها من التربيات ترسخ تطبيق القانون ونظامه ، فإذا ابتعد الطفل عن القانون أباح لنفسه كل شىء .

8 – تجعل التربية النبوية للطفل رسول الله ﷺ قدوة له فى كل شىء ، فمهما أصاب الطفل من قسوة الحياة ، فإنه يجد فى طفولة رسول الله ﷺ قدوة فى فقد أبيه وأمه ، فهو يتفاعل مع قدوة واحدة ، وشخص واحد ، بينما فى غيرها من التربيات ، فإنها ترسخ حب الزعيم فسرعان ما يتبدل الزعيم ، ويتحول الطفل عنه .

9 – تنمى التربية النبوية فى الطفل بر الوالدين وطاعتهما ، بينما فى غيرها لا يوجد ذلك البتة .

10 – تنشىء التربية النبوية الطفل بشكل متوازن ، فهى تلبى رغبات جسده فى اللعب، وتدعوه إلى المسجد والعبادة ، وتعزز فى نفسه حب القرآن وحفظه ، وتناديه إلى العطاء فى بذل ما يملك فى سبيل الله ـ تعالى ، بينما فى غيرها تلبى شيئًا واحدًا وهو رغبات الجسد ، والمتعة الفكرية العلمية .

11 – تنمى التربية النبوية فى الطفل مصل المناعة من دخول أفكار غربية على عقيدة الطفل ، بينما فى غيرها يمكن اختراق الطفل بأى فكرة كانت ، لأن التربية النبوية تربط الطفل بالقرآن والسنة بشكل ثابت ، وتتجدد معانيهما فى كل آن ، بينما فى غيرها فالكل ضائع الكبير والصغير .

12 – يمكن للنظريات التربوية تطبيقها بنجاح على أطفالهم ، ولكنها لا يمكن تطبيقها على من نشأ على التربية النبوية ، لأن الطفل غير المسلم فارغ من أى محتوى ، بينما الطفل المسلم معبأ عقديًّا وفكريًّا وسلوكيًّا .

13 – تنمى التربية النبوية فى الطفل الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ أى تعطى الطفل ميزانًا يزن فيه الأشخاص والأفكار والسلوك ، فهو ينشأ وهو يحاكم ذلك وفق منهج ثابت يرجع إليه كل آن ، بينما لا يوجد ذلك فى غيره من التربيات ، وبالتالى فإن التربية النبوية تحدث فى الطفل شخصية متزنة مؤثرة فى غيره سواء فى واقعه الطفولى أو فى مستقبله الأبوى، أو الأموى .

14 – تبدأ التربية النبوية بتنمية خيال الطفل بحقائق موجدة سواء بأخبار الرسل السابقين ، وقصص القرآن ، أو بأوصاف الجنة والنار ، بينما تنمية خيال الطفل فى غيرها من التربيات تقوم على أوهام وأساطير وخرافات لا وجود لها فى عالم الواقع .

15 – تقوم التربية النبوية على تربية الطفل على الحب والوئام ، ودعوة الآخرين إلى الحق ، بينما فى غيرها تقوم على تربيته على الحقد على الآخرين ، وكراهية القوميات الأخرى .

16 – تنشىء التربية النبوية الطفل على العقيدة الصحيحة السليمة ، الخالية من الخرافات والأكاذيب ، سواء كانت أكاذيب الإلحاد أو غيرها ، فى حين نجد أن غيرها من التربيات إن لم تنشئه على الباطل ، تركته هَمَلًا يعيش طوال عمره فى الشك والإلحاد والأوهام .

17 – تقوم التربية النبوية للطفل على الوحى الصادق ، بينما غيرها من التربيات تقوم على التجارب البشرية المتغيرة ، فالطفل الذى يطبق عليه المنهج النبوى يحقق طفولته ويتمتع بها ، ويصبح ابن المستقبل ، بينما غيره على حسب التجارب البشرية ، فإن أصابت فبها ونعمت ، وإن أخطأت أنشأت الطفل على الخطأ ، وليس أدل على ذلك من التحول العالمى فى علم النفس من علم النفس التحليلى الذى وضعه فرويد (اليهودى) محللًا كل شىء عن طريق الجنس إلى علم النفس السلوكى الذى أوجده الأمريكان ، فالكل فى تحول وتغير بينما الطفل المسلم فى ثبات لأن مصدر تلقيه الوحى .

18 – توزع التربية النبوية المسؤولية بين الأب والأم تجاه تربية الطفل ، فالإنفاق المالى مطالب به الأب حتى لو انفصل عن الأم بالطلاق ، فللأم حضانته – ما لم تتزوج بينما فى غيرها على خلاف ذلك.

وإذا أردنا أن نعدد الفوارق لوجدنا الاختلاف بين التربية النبوية للطفل وغيرها من التربيات ، فى كل فقرة من فقرات هذا الكتاب ، فهناك **اختلاف فى الأصل وهو العقيدة** التى ينشأ عليها الطفل ، **واختلاف فى الوسائل** ؛ لأن الوسائل المحرمة شرعًا لا يجوز استعمالها فى المنهج النبوى حتى لباس الحرير للصبى، فإنه محرم عليه ، بينما تجيز التربيات الأخرى كل وسيلة ،وهناك اختلاف فى الغاية ، فالتربية النبوية تنشئ الطفل ليكون عبدًا لله تعالى ، متحررًا من كل عبودية غيرها ، بينما فى غيرها من التربيات تزرع فى نفسه عبودية غير الله تعالى ، سواء المادة ، أو الشهوات ، أو الشهوات ، أو الجاه ، أو غير ذلك .

وحتى لواتحدت الفكرة فإن هناك اختلافًا جوهريًا بينها ، فمثلًا طلب العلم فى التربية النبوية تؤسسه أولًا على القرآن والسنة النبوية ، فتضع الميزان فى نفس الطفل، ثم تدعوه لطلب العلم الدنيوى من أجل مرضاة الله ـ تعالى ، لا من أجل الشهوة أو المال ، وحتى اللعب فإن التربية النبوية تقول للطفل : «ارموا فإن الرمى أنكأ للعدو» فهى تجهزه لنصرة الدين ، بينما فى غيرها من التربيات اللعب من أجل اللعب ، والعلم من أجل العلم ، بلا غاية من فعل الوسيلة .

لهذا فإن التزام الوالدين والمربين فى المنهج النبوى للطفل ، الخيركل الخير فى الـدنيا والآخـرة ،وإن فى تطبيق هذا المنهج تحقيـق الأمـل المنشـود لكـل محـب للطفـل ، وإن الاكتشـافات العلميـة الحاليـة والمستقبلية سوف لن تجد إلا أسبقية المنهج النبوى، وأضرب مثالًا على ذلك :

أظهرت الأبحاث والتجارب العلمية أن نسبة الذكاء تتشكل فى الطفل فى أول عامية مـن الـولادة حوالى 50٪ وحتى الخامسة تصل النسبة إلى 80٪ .

وتفسير ذلك : أن المنهج النبوى أعطى حق الحضانة للأم فى هذه الفـترة ، أى: إن الطفـل المسـلم أعلى ذكاءً من غيره من الأطفال ؛ لأن أصل الإحصائية والتجربـة أنـه كلـما كانـت الأم أكثـر التصـاقًا بطفلها زاد ذكاؤه ونموه العقلى .

فقبل أن يتعرف الناس إلى هذه المعلومة ، كان تطبيق المنهج النبوى فى تربية الطفـل قـد كفـل لهـم ذلك ، سواء اكتشف الناس ذلك أم لا ، وسواء سمَوّه الأسماء اللماعة الكبيرة أم لم يسمّوه .

ومثال آخر : الرضاعة الطبيعية ، وهذا يعرف القاصى والدانى . إن من شدة حرص المنهج النبوى فى إرضاع الطفل طبيعيًا ، أن أنزل المرضعة منزلة الأم الحقيقية فى كل الأحكـام فقـال ﷺ : «يَحْـرُمُ مـن الإرضاع ما يَحْرُم من النسب» رواه مسلم فإذا لم تستطع الأم الحقيقية الإرضـاع – لأى سـبب كـان – فإن المرضعات الأخريات يقمن بذلك ، وفى مقدمة الركب الإسلامى الذين أرضـعتهم غـير أمهـاتهم سيدنا رسول الله ﷺ فهل ينتظر الطفل المسلم تجارب البشر ومختبراتهم وأبحاثهم ليُفعل به الصـواب ؟ ! لهذا أؤكد القول :

إن تطبيق منهج التربية النبوية للطفل ، فيه الخير كل الخير لمن أراد لطفله الخير ، وهو نموذج حـى واقعى ، التزمه الصحابة والتابعون ، واستعمله كل النبغاء فى تـاريخ الإسـلام المجيـد ، والتزمـه كـل الخلفاء لأبنائهم ، وتربى عليه كل القادة الفاتحين ، وسار على دربه كل الملهمين المبدعين خـلال أربعـة عشر قرنًا قبل أن تستيقظ الأمم المتحدة فتصـدر عـام 1410هـ – 1990م . الميثـاق الـدولى لحقـوق

الطفل وتوقع عليه الدول [1] .

إنها دعوة للأمم جميعاً إلى التأمل به ، فإن هى صدقته ، فما عليها إلا أن تصدق برسالة ونبوة مؤسسه سيدنا محمد ﷺ ، وإن هى كذبت ذلك فإن الحق أصل ثابت فى الكون والتاريخ ، يعرفه كل منصف عاقل يبحث عنه ، وما على المسلم إلا البلاغ.

19 – إن التربية أسست الطفل لإنقاذ البشرية من الكفر إلى الإيمان ، وهيأته وهو يلعب ويلهو أن يخلص النية لله ـ تعالى ، وأن يوجه لعبه نحو البناء الذى يفيده فى غده، ويرغم أنف عدوه ، إنها تُربيه على المبادئ والعقيدة ، ليكون منفذًا لأمر الله تعالى سواء فى حياته العادية ، أو إذا أصبح مجاهدًا فى سبيل الله تعالى .

فإذا كانت التربية غير الإسلامية تُعِد أطفالها لاستعمار الشعوب ، وإذلالها ، ونهب خيراتها ، فإن التربية النبوية تعد الطفل ليكون سفير الإسلام أينما حلّ وارتحل ، وليكون جنديًّا من جنود الإسلام أينما ذهب وهاجر ، وليكون فاتحًا للقلوب قبل أن يكون فاتحاً للبلاد والأراضى .

إن التربية النبوية حرّمت على الكبار قتل الأطفال : روى أبو داود عن أنس بن مالك ﷺأن رسولَ الله ﷺ قال : «انْطلِقُوا ؛ باسم الله ، وبالله ، وعلى مِلَّةِ رسول الله ، ولا تقتُلُوا شيخاً فانياً ، ولا طِفْلاً ، ولا صغيرًا، ولا امرأةً ، ولا تَغُلُّوا[2] وضُمُّوا[3] غنائمكم ، وأصلحوا ؛ وأحْسِنوا إن الله يحب المحسنين» فحافظت بذلك على الطفل فى أشد الظروف وأرهبها ، وهيأت له الرعاية والعناية سواء فى المجتمع الإسلامى أو الدولة الإسلامية ، وإن الوقف الإسلامى الخيرى عبر أربعة عشر قرناً قدم الخير كل الخير للطفل وساهم فى بنائه وتعليمه وعلاجه ، وساهم فى تدريبه على الحرف والصناعات ، كما ساهم فى توجيهه إلى كل خير أينما وجد ، حتى لمس مشاعره الرقيقة فأوقف مالاً خاصًا للطفل الذى يغدو لخدمة والديه أو معلمه ، فإذا فقد الطفل النقود فى الطريق فحتى لا يتأثر ولا تتأزم نفسيته ، أوقف

---

(١) انظر ملاحق الكتاب .

٢() الغلول : ما يؤخذ من الغنيمة خفية قبل قسمتها .

٣() الضم : الجمع .

المسلمون مالًا خاصاً ووقفًا خاصًا لإعطاء هذا الطفل بدل المال الذى فقده ، وذلك مراعاةً ومواساةً لطفولته ، فأين يمكن أن نجد ذلك فى غير التربية النبوية ؟ !

إن هناك اختلافًا جذريًّا بين المنهج التربوى وبين غيره من النظريات التربوية ، لأن المنهج التربوى النبوى قائم على الإيمان بالله ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى ، على خلاف غيره من النظريات التربوية التى لاتعتمد على ذلك .

كما أن هناك اختلافاً فى الواقع والهدف ، فواقع التربية النبوية أثبتت المعجزات البشرية فى عالم التربية ، أعنى جيل الصحابة والتابعين وتابع التابعين ، فالمسلمون فى فتوحاتهم بشروا بالعقيدة ، وأقاموا الشريعة ، والتزموا بإحقاق الحق ، فلم ينهبوا ثروات البلاد ، ولم يذلوا الشعوب ، وأنصفوا غير المسلمين غاية الأصناف ، ومنحوا الجنسية الإسلامية لكل من ينطق بالشهادتين ، بلا شروط أخرى ، وغدا المسلمون مثاليين بالنسبة لغيرهم ، الذين استباحوا كل شىء ضد الإسلام والمسلمين عندما انتصروا عليهم ، وكذلك تختلف التربية النبوية عن غيرها بالهدف، فهى تهدف لإقامة المسلم الملتزم بشرع الله تعالى ، عقيدة وسلوكاً ، أينما وجد ، وحيثما سار ، وتدعوه وتحضه على نقل خير الإسلام إلى الناس كافة، وتحثه على بذل النفس والمال والجاه والولد وكل شىء من عرض الدنيا فى سبيل الله ـ تعالى ،دون أن يكون له هدف دنيوى غير إرضاء الله تعالى، وتثبيت كلمته فى الأرض .

بينما التربيات الأخرى تسعى لتنظيم تربيته فى حدود الوطن القومى ، وتبيح له كل شىء فى سبيل تحقيق مصلحة الوطن ، ولو على حساب المبادئ والقيم ، ولو أدى لتدمير غيره من البشر ، ولو أدى لتفقير غيره ، وإذلاله . بينما التربية الإسلامية تجعل المبادئ فوق كل اعتبار ، فالعقيدة والتشريع فى الإسلام غاية الوجود ، ووسيلة الوجود ، وهما كل شىء فى حياة المسلم ، وهما يعلوان على الوطن والأهل والأقارب والأصحاب والمال والجاه :﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ

ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة] .

ولعل الباحث التربوى الغربى ، أو المسلم الذى يعيش فى المغرب ، سوف يكتشف عظمة المنهج التربوى النبوى ، وسوف يجد ضالته المنشودة فى تربية الطفل تربية نبوية؛ لأن هذا المنهج هو الغذاء المقوى لروح وعقل ونفس وجسم الطفل ، وهو البلسم الشافى لعلاج مشاكله المختلفة، بل إن هذا المنهج سوف يكسب الطفل قوة المناعة ، وقوة السيطرة على كل المشاكل التى يواجهها ، وبالتالى فهو لا يعانى من المشكلة التى يعانيها غيره من الأطفال غير المسلمين . ومثال ذلك (أفلام الكرتون الغربية)[1] فأغلبها يعالج مشكلة طفل فقد أباه أو أمه وهو يبحث عنهما ، وذلك نتيجة التفسخ الأخلاقى هناك ، وتهدم كيان الأسر ، فى حين لا يعانى الطفل المسلم لهذه الظاهرة ، فالتشريع الإسلامى لم يحرم الطفل من الاتصال بوالديه حتى لو انفصلا بالطلاق ، ولم يحرمه من العناية والرعاية فى كافة الأحوال ، فمشكلة الطفل الغربى تختلف جذريًا عن الطفل المسلم .

وإن أى برنامج ثقافى أو ترفيهى للأطفال ينتج بأيدى المسلمين لهو أفضل ألف مرة ومرة من (أفلام الكرتون الغربية) الرعبة والمفزعة أحياناً .

وإنى أسجل هنا شكرى وتقديرى لبرامج تحفيظ القرآن التى تذاع وترى فى المذياع والرائى (التلفاز) فى بعض القنوات العربية الإسلامية ، وحبذا زيادة مدته والتعدد فى أساليب عرضه ، وحبذا لو تعددت وتنوعت فى بقية الدول العربية الإسلامية ! !

- **قصة الكتاب مع الكاتب**[2] :

كانت دوافع البحث : أن الباحث كان فى حالة عجيبة من الحب لرسول الله ﷺ وكان يحب أن

---

[1] () قرأت أن هناك خطة تم الانتهاء منها وهى: أفلام كرتون ضد الإسلام ، لذا أدعو الآباء والأمهات من الحذر منها ، أو الجلوس مع أبنائهم لرؤيتها، والانتباه والتحزير من أماكن الخطر التى تعرض فيها، فالطفل يتلقى من والديه التعليقات وترسخ فيه بسرعة .

[2] () خادم هذا الكتاب محمد نور سويد ، أسجلها بضمير الغائب ، كانت بداية الفكرة عام 1397 = 1977م .

يقضى وقته فى المسجد حتى دراسته الجامعية يقوم بها داخل المسجد ، وكان مهتمًا بتربية الأطفال، ويرى أن صلاح المجتمع يبدأ بإنشاء وتربية أجيال الطفولة ، وفى لحظة صفاء بعد العصر ـ فى المسجد ، انتابه الحديث النفسى التالى :

– أليس الرسول ﷺ قدوة لنا فى كل شىء ؟

– نعم .

أليس الرسول ﷺ كان أبا لأطفال؟

– نعم.

– أليس الصحابة رضوان الله عليهم كان لديهم أطفال ، ويأخذونهم عند الرسول ﷺ فيراهم ويرونه ؟

– نعم .

– إذا لابد من تتبع السنة فى معرفة تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال توجيهًا ؛ وتقديراً ؛ ومعايشة ؛ وتوجيه الآباء فى كيفية التعامل مع الأبناء ، وكان من طليعة الأحاديث النبوية التى قفزت إلى الذهن : حديث ابن عباسرضى الله عنهما: «بينما كنت خلف النبى ﷺ ذات يوم ، فقال النبى ﷺ :« ياغلام ، إنى أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام، وجفت الصحف» رواه الترمذى .

وكان هذا الحديث الشريف هو مفتاح الطريق فى منهج البحث ، فانطلق إلى مكتبته المتواضعة وبدأ بقراءة كتاب رياض الصالحين، ثم الأذكار، ثم حياة الصحابة، وهكذا بدأ يستخرج الأحاديث النبوية ، ويضع العناوين المستنبطة ، ويسجل خواطره فى الليل والنهار ، وأعانه على ذلك صدور كتاب «صفحات من صبر العلماء» للشيخ عبد الفتاح أبى غدة ـ رحمه الله تعالى ، فقرأه بنهم وشغف ،

مرات عدة ، فزاد من نشاطه ومن حيويته ، وقرأ فيه أن الإمام البخارى كان يقوم فى الليل أربعين مـرة يسجل فيها خواطره ، فاتبعه فى ذلك ، ولم يأل جهـدًا فى ذلـك ، رغـم أن حياتـه الجامعيـة الهندسـية ، متطلباتها كثيرة ، ولا تدع الفرصة لمثل تلك الأعمال ، إلا أن الله ـ تعالى ـ بـارك ووفـق ، وكـان يجـد فى نفسه دافعًا شديدًا للاستمرار فى البحث ، وخاصة عندما كان يعرض فكرته وأعماله على أهل العلم[1]، فكانوا يشجعونه ويحثونه على المتابعة والاسـتمرار ، وكـانوا يستحسـنون الفكـرة دائـمًا ، فكـان لـذاك التشجيع زيادة إلى حماسته ونشاطه ، فجزاهم الله خير الجزاء ، وأحسن الله إليهم كل الإحسـان ، ولهـم إن شاء الله المشاركة فى أجر هذا الكتاب .

ثم مرت ظروف عصيبة فى البلاد والعباد ، وتم السهر فى كتابة الكتاب ومواصلة الليـل بالنهـار ؛ خشية حصول أى شىء يبعد عن توليد فكرة الكتاب ، وتمت كتابة أصول الكتاب ولله الحمد .

ثم حيل بين الكاتب والكتاب فترة زمنية ، وتمَّ فَقْدُ أصوله ، وكان دعـاؤه : اللهـم إن كـان عمـل هذا الكتاب خالصًا لوجهك فرده علىّ ، وإن كان غير ذلك فليس لى به حاجة .

وتم الإلحاح بالدعاء ، إلى أن جمع الله تعالى بين الكاتب والكتاب ، فأعاد كتابته من جديـد ، وفـق نمط جديد ، بعد أن تلقى أصول الفقه ، عن شيخ المشايخ وأستاذ الـدكاترة ، فضـيلة الشـيخ الأسـتاذ الدكتور محمد فوزى فيض الله – حفظه الله فى صحة وعافية – ثم عرضه عليه ، وكان إعجابه به شديدًا ، وقدّم له ، ثم ألح عليه بطباعته لما رآه من أهمية ، فامتثل للأمر وللأدب . وكـان الإصـدار الأول ، فى ظروف الانقطاع عن العمل فى الغربة ، ثم كان الإصدار الثانى[2] ، واستمر فى البحـث والتنقيـب ، ولم ينقطع عن موضوع الكتاب بحثًا واستدراكًا ، إلى أن جاء هذا الإصدار الثالث ، ورغم صف الكتـاب وتنضيده ، إلا أنه مازال يضيف ويحذف ، ويقدم ويؤخر ، وتتوارده الخواطر والأفكار إلى أن خرج من

---

[1]() مما قال له الشيخ عبد الرحمن زين العابدين – رحمه الله – : هذا عمل جيد .

[2]() فى ظروف الإنقطاع عن العمل كذلك ، ثم الإصـدارالثالث فى ظـروف الانقطـاع عـن العمـل ، وتفسيره لدى : الإقامة الجبرية من الله تعالى لمتابعة الكتابة ومواصلة البحث ، ثم لـدفع ثمـن شـهرة الكتاب مقدماً ، فلله الحمد والفضل والمنة .

عهدته يودعه بحنين الشوق إلى لقائه ، عسى أن يثيبه الله تعالى أجرًا فى الآخرة ، ولقاء للحبيب المحبوب، الشفيع المشفع ، الصادق المصدوق ﷺ مع الثلة والقلة المؤمنة الصابرة المحتسبة من الأولين والآخرين وإنه سميع مجيب.

تلك قصة الكاتب والكتاب مختصرة فى أسطر ، مفعمة بمشاعر لا تستنطقها الحروف والأقلام ، ولا تعرفها الملائكة ، وإنما تبقى لعلام الغيوب ؛ الذى يعلم ما فى الصدور والقلوب .

وهكذا أصبح عمر الكتاب نصف عمر صاحبه ، يربيه وينميه ، ويهذبه ويجدده، ويغذيه بالأدلة ، ويفكهه بالقصص ، ويبنيه لبنة لبنة ، ويقويها بمونة[1] البراهين ، ويُكَحِّلُها بكلام الراسخين ، ويصبغه بالتضرع والدعاء ، ويسد فراغات نوافذه بنماذج تربوية من حياة السلف الصالح من خير القرون فما بعده ، ويصعد من فصل إلى فصل بالتدريج مع القارئ، ويدخل من باب إلى باب ، يتعرف فيه إلى غرفة كل بناء ، مُجَمَّلَةً بأبهى بلاط التأسيس ، وأفخم أنواع المساح ، مساح القلب والفكر والمشاعر ، ويأخذ بيد القارئ فيقدم له أطايب الكلام ، مع أحلى القصص ، ونفائس الأفكار .

ولا ينسى أن يودِّع الكاتبُ القارئ بحسن الخاتمة ، وأن يلحق معه ملاحق تزيده فيما رأى من نور النبوة والهدى ثباتًا وتثبيتًا ، من صحة «منهج التربية النبوية للطفل» ، وأنه منهج حق ، متكامل الجوانب ، ومتنوع الأفكار ، يأخذ بالمربى إلى شاطئ البر والأمان ، إن شاء الله تعالى .

وأحب أن أنوّه إلى عدة أمور التزمتها فى إعداد هذا الكتاب بالإضافة إلى ما ذكرته فى (كلمة فى المنهج) :

1 – استفدت من طريقة الإمام البخارى ـ رحمه الله تعالى فى تجزئة أفكار الحديث النبوى والاجتهاد فى عنونة تلك الفكرة التى استفادها من الحنفية[2] ، كما استفدت من طريقة الإمام مسلم فى

---

[1] () استخدمت بعض الكلمات الهندسية [مونة : رمل + أسمنت ، الكحلة بين الحجرة والآخرى بمونة ملونة تناسب الوجهات ، والصبغ : الدهان ، المساح : طبقة المونة] على الجدران وتسمى فى بلاد الشام الزّريقة .

[2] () انظر : إعلاء السنن 20 / 262 .

جمع الحديث النبوى فى مكان واحد ، وخاصة فى أول ذكره – ما أمكن – ثم تجزئة فقرات الحديث النبوى حسب طريقة الإمام البخارى ـ رحمهما الله تعالى ـ كما استفدت من طريقة الإمام النووى فى الاستنباط من الحديث الشريف فى شرحه لصحيح مسلم .

2 – تتبعت الاختلاف فى الرواية ، حيث زيادة الثقة مقبولة ، عند المحدثين ، فكان لهذا التتبع إثراء لمادة الكتاب وزيادة فى الاستنباط ، استفدتها من طريقة ابن حجر فى فتح البارى .

3 – ذكرت الأحاديث النبوية ، وإن كان بعضها ضعيفًا وأشرت إلى ذلك – ما أمكن – وذلك حسب الشروط التى ذكرها ابن حجر ـ رحمه الله تعالى . وقد نقل ابن القيم ـ رحمه الله تعالى[1] قول الإمامين المجتهدين أبى حنيفة وأحمد ـ رحمهما الله تعالى: «الحديث الضعيف أحب إلى من رأى الرجال» . وكذلك أقول :

الحديث الضعيف أحب إلىّ فى تربية الطفل من رأى الرجال وتجاربهم غربيهم وشرقيهم ، بالإضافة إلى أنه يمكن العثور على تقوية له فى المستقبل ، ومثاله تقوية السيوطى لحديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم» .

4 – التزمت النقل فيما وافق القرآن والسنة من أقوال العلماء ، على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم الفقهية ، فلم يمنعنى النقل من اختلافهم ، واختلاف جماعتهم وتلامذتهم من الاستفادة منهم ؛ لأن الحق رائد الجميع ، ولو استبعدنا فى البحث تلك الاستفادة لترضية فريق دون فريق ، لضاعت الشريعة وضعف البحث العلمى، والاقتباس من اختلاف خير القرون عبرة وعظة واقتداء ، أكبر دليل على صحة منهج البحث ، وليستفيد منه كل مسلم .

5 – هذا الكتاب ليس كتابًا فقهيًا بحيث يأخذ القارئ منه أحكاماً فقهية ، إذ مجال الفقه كتب الفقه ، ومكان التفسير كتب التفسير ، فقد يكون الحديث المستشهد به منسوخًا من الناحية الفقهية، إلا

---

[1] () فى كتابه : إعلام الموقعين .

أن القضايا الأخلاقية والتربوية لا يصاحبها نسخ ، على ماهو مذكور فى كتب الاجتهاد[1] .

6 – عزوت تخريج الحديث الشريف إلى مصدره ، وإلى من درس إسناده ، بكل أمانة ما أمكن ذلك ، وكنت أحيانًا أذكره فى متن الصفحة وليس فى الهامش ليقرأ القارئ اسم الكتاب فيتعرف عليه ، وإن كانت الكتابات الأكاديمية تفضل أن يكون العزو فى الهامش، أو فى نهاية الفصل .

7 – حاولت التوازن فى الاستشهاد للفكرة ، بحيث تتغزى كل فكرة بالحديث النبوى وأقوال وأفعال الصحابة والتابعين ، وأقوال العلماء العاملين ، بحيث تصبح كل فكرة دسمة بالدليل ، مشبعة من كل حيثية ، حتى لو كانت الفكرة مكررة ، إلا أن تكرارها يكون من حيثية أخرى ، وبأسلوب آخر ، وأدلة أخرى ، لتترسخ الفكرة أكثر وأكثر ، وهذه استفدتها من كتاب (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحنبلى ـ رحمه الله ، وكتب ابن تيمية ـ رحمه الله ، وكتب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى .

8 – استبعدت حوار ومناقشة المخالف فى الرأى ، لكون الكتاب عامًا لجميع المسلمين، كما أننى لم أُشر إليه ، إذ تثبيت الصح والصحيح و بالدليل والبرهان ، يغنى عن إثارة الرأى المخالف ، وليصبح القارئ المقتنع هو صاحب الفكرة فيدعو إليها .

9 – أكرر القول بأن الكتاب لا يفترض مشاكل ثم يحلها ، وإنما الكتاب ينشئ عقلية ونفسية تربوية تساعد صاحب المشاكل على حلها ، فهو أقدر الناس على حلها، كما أن حصول مشكلة ما مثلاً : مشكلة اجتماعية أو خلقية أو نفسية أو .. ليكون حلها بالرجوع إلى البناء الاجتماعى أو الخلقى أوالنفسى أو .. على حسب طبيعة المشكلة ، ويسأل نفسه : هل التزم المربى ذلك البناء أم لا ؟ فيعود إلى إنشاء وتطبيق ما تم ذكره ، مع الاهتمام كثيراً بمطالعة الأساليب التربوية النبوية وإمعان النظر فيها كثيرًا ، وذلك لمواجهة أى موقف وأى مشكلة وحلها . فالأب والأم والمربى يشاهد ويراقب حالة الطفل بدقة أكثر مما يشاهدها غيرهم . كما أنه يمكن أن يستخدم أكثر من أسلوب نبوى فى مواجهة

---

[1]() انظر كتاب : الاجتهاد لشيخنا الدكتور محمد فوزى فيض الله – حفظه الله .

موقف من المواقف ، فالاطلاع كثيرًا – فى الكتاب – يورث الملكة إن شاء الله .

10 – أخطأ البعض فى فهم فقرة عدم ملامة الطفل ، بحيث تركه على غاربه؛إذ عدم الملامة لا تعنى الإهمال ، ولا تعنى الترك الكامل ، فلابد من متابعة أخطاء الطفل وتصحيحها أولًا بأول فى البيت ، فإذا خرج الوالدان من البيت فيراقبان الطفل ، ويشاهدان درجة التزام الطفل ، ولا يلومانه أمام الناس ولا يجرحانه بالتشهير به ، بل إن الثناء عليه أمام الآخرين ،كثيرًا ما يصحح أخطاء الطفل .

فلا يجوز للبعض أخذ بعض أفكار المنهج وترك الباقى ، فالكل جزء لا يتجزأ ، ويحتاج إلى القراءة أكثر من مرة بل مرات .

11 – استبعدت نقل أى قصة أو كلام – حتى لكبار المربين – إن كان مخالفاً لحديث نبوى ، أو آية قرآنية ، ولم أشرك إلى ذلك ، فلا يظن أحد أننى حاطب ليل ، أو قماشٌ ، أو هماشٌ ، فعقليتى الهندسية أثَرت فى البحث عن الدليل ، والتشبث بالحق – ما أمكن ذلك – فكل نقل إنما هو نقل هادف ، وليس خبط عشواء لم تصب هدفها ، ومن يمارس تجربة تربوية، فسوف يجد مصداق هذا الادعاء ؛ لأنه بحاجة إلى شواهد عملية يركزها فى نفس الطفل وعقله ، وقد لا يوقظه أحد الشواهد ، فيوقظه الشاهد الآخر ، وهكذا .

12 – أنبه هنا بأنه لن ينتفع من هذا الكتاب عاق لوالديه ، فمن يريد إصلاح ولده ، فعليه ببر والديه ، لقوله ﷺ «اعمل ما شئت كما تَدين تُدان» رواه عبد الرزاق فى المصنف[1] .وإن بر الوالدين يكون فى حياتهم وبعد وفاتهما ، كما بينت أسسه فى هذا الكتاب ، وإن تأخر العمل الإسلامى المنشود كان وما زال أحد أسبابه : عقوق الوالدين من أبناء المسلمين المتحمسين ، فإذا أُريد الإصلاح ، فبر الوالدين يجب أن يكون فى أولويات المنهج التربوى .

إن الصغار والكبار مدعوون إلى بر الوالدين لاستئناف الحياة الإسلامية القيادية، ولا يمكن نجاح نجاح العمل الإسلامى مع العقوق ، ولا يمكن أن يكون دعوة إسلامية مع العقوق ، فالحذر الحذر

---

[1]() عن أبى قلابة مرسلاً ، بإسناد ضعيف – انظر ضعيف الجامع رقم 2369 .

من العقوق . وفقنى الله تعالى والمسلمين إلى البر والتقوى .

13 – تم ذكر الدعاء فى أغلب نهايات فقرات الكتاب ، وهو أسلوب جديد فى الكتابة ، لم يألفه الناس من قبل فى عالم الكتابة ، وإنما التزمته لترسيخ مفهوم جديد : أن التربية الصالحة تحتاج لتضرع وابتهال إلى الله تعالى ، وليست هى حتمية النتيجة على الله ـ تعالى ، فالله تعالى يحكم ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ [الرعد : 41]، وليست التربية فيها إبراز عضلات الإنسان وفهمه،وذكائه ،وشهاداته العليا ، فالواقع الحالى يصدق ذلك ؛ لذا لابد من الدخول فى عالم التربية والإصلاح والهداية من باب التذلل والتضرع إلى الله تعالى فى إصلاح الطفل ، أو إصلاح أى فرد ، كما فعل رسول الله ﷺ عندما دعا:

«اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين» فكان إسلام عمر بن الخطاب .

«اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون» فكان إسلام قريش والعرب قاطبة .

«إنى لأرجو من الله تعالى أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله» فكان أن أسلم أهل الطائف .

«اللهم نصرك الذى وعدتنى» فكان الانتصار فى بدر . وهكذا فى كل أمر من الأمور يحتاج الإنسان لقضاء حاجته التربوية والحياتية والمادية إلى التضرع والتذلل إلى الله تعالى ومناجاته . فأين التربية غير الإسلامية من هذا المنهج النبوى ؟ ! وأين التجارب المخبرية ، وأخذ العينات ،ودراسة المؤثرات من هذا المنهج النبوى الفريد؟! أيا ليت قومى يعلمون قو بما يسره لى ربى ، وجعلنى من المكرمين بالمنهج النبوى فى تربية الطفل ، والتنويه والدعوة إليه ، والبحث فيه .

14 – اتبعت نظام تحليل أفكار الحديث النبوى ، وما يمكن استنباطه من أفكار تربوية، ثم استخرجت تلك العناوين وبدأت الربط بينها فى محور فكرى واحد ، ثم تجميعها بفقرات، ثم بأبواب ثم بفصول الكتاب عامة .

فالحديث النبوى هو أساس الكتاب وعمدته الأولى ، ولم يتم إخضاع الحديث ولىّ معناه لفكرة ما ، وإنما أينما يتوجه الحديث النبوى بالأفكار يتم التوجه نحوها ، وذلك لرؤية المنهج النبوى واضحًا

ناصعًا دون تأويل أو تحريف، أو هوى .

وهذه الطريقة استفدتها من طريقة الحنفية فى كتابة أصولهم الفقهية ، وهى طريقة عملية علمية تقوم على أسس البحث العلمى وقواعده سواء الفكرية أو المادية .

وإن استنباط المعانى من القرآن والسنة دون فرض معانٍ مسبقة عليهما هو غاية الاستنباط الجيد المفيد ، الفعال ، المؤثر ، وتلك المعانى هى الثابتة على مدار التاريخ ، وهو منهج السلف الصالح فى الاستنباط . لذا خلدت استنباطاتهم الفقهية ، ومعانى تفسيرهم.

أما إخضاع القرآن والسنة لأفكار مسبقة فهى مخالفة لمنهج الصحابة والسلف الصالح، وهى طريقة ترقيعية ما تلبث زمنًا حتى تنكشف أخطاؤها ؛لأن القرآن والسنة وحى إلهى ، فإذا لم يخضع الباحث عقله ونفسه لهما ، فلن يعطياه شيئاً ، وإذا لم يجعلهما القاعدة التى ينطلق منها ويحاكم إليها ، فلن يذوق طعم الإيمان وحلاوته ، ولن تتكون لديه شخصية إسلامية متميزة .

وقدار تأينا إصدار كتاب (منهج التربية النبوية للطفل) إن شاء الله بإصدارين اثنين :

الإصدار الأول : وسميته الإصدار التمهيدى ، وهو الذى تم إصداره فيما سبق، حيث اعتاده غالبية القراء ، من الأمهات والآباء ، وبقاء حجمه كما هو .

والإصدار الثانى : وهو هذا – وسميته الإصدار الموسوعى ،وهو الذى تتم فيه الزيادات ، وما يستجد من البحث يتم إضافته إليه ، وهذا يفيد لمن يريد التوسع من الباحثين والأساتذة والمربين ، ولمن يطلبون المزيد من الأفكار التربوية ، وذلك حتى يبقى البحث مفتوحًا كلما اجتمعت مادة علمية تفيد فى تغيير الإصدار من طبعة إلى أخرى .

ولهذا اقتضى التنويه والتنبيه لتحقيق الفائدة العامة بالإصدار التمهيدى ، والفائدة الخاصة بالإصدار الموسوعى ، وفى كل خير إن شاء الله تعالى .

وأما عن الزيادات فى هذا الإصدار الموسوعى ، فلقد تم إعادة هندسة الكتاب ، إلى فكرتين أساسيتين : الأولى التهيئة والإعداد للزوجين (الأب والأم) والثانية تكون وبناء شخصية الطفل .

فالأولى تمثل مرحلة التصميم ، لرفد الوالدين بالأفكار وتهيئتهما ، **والثانية** تمثل مرحلة التنفيذ فى عكس الأفكار على الواقع العملى ، وبناء على ذلك جرت عملية التقديم والتأخير حسب تلك الفكرتين الأساسيتين .

أما الزيادات الرئيسة فهى شرح رواية أوصاف الرسول ﷺ بتوسع ، وذلك بهدف تعريف المسلم الكبير والصغير بتلك الأوصاف الشريفة ، حتى تقترب شخصية الرسول ﷺ من النفوس أكثر فأكثر .

كما تم إضافة باب أخبار طفولة الرسول ﷺ من الحمل إلى الولادة إلى البلوغ ، لما فيها من عبر وعظات ، وهى أقل القليل الذى يتعرف الطفل المسلم عن أخبار طفولة حبيبه ورسوله سيدنا محمد ﷺ ، وذلك بأصح الروايات التى حصلت عليها نتيجة صدور عدد من كتب السيرة مع دراسة الأسانيد . وأما الزيادات الثانوية فهى زيادة فى بعض الأسس ، وزيادة فى مضمون الفقرات ، استجدت خلال الفترة الماضية .

وأما الزيادة الأخيرة فهى وضع ملاحق للكتاب عن الطفل المسلم فى عيون الغرب ، وعن رأى بعض مفكرين غير مسلمين فى التربية النبوية ، ثم تقرير عن منظمة اليونسكو للطفولة ، ثم تقرير موسع عن أخبار الطفولة فى كل من ألمانيا وانكلترا وفرنسا وأمريكا .

وهذه الملاحق هدفت من وضعها ليزداد المؤمنون إيمانًا بصحة منهج التربية النبوية ، وأنه لا حاجة للمسلم لاتباع غير نبيه ورسوله ﷺ ؛ولتكون عظة لمن يريد أن يربى طفله وفق النمط الغربى والأمريكى ، فيرى نتائج تلك التربية[1] .

أرجو من الله تعالى العلى القدير أن يتقبل منى ومن القارئ هذا العمل – وكل عمل – وأن يجعل من هذا الكتاب فتحًا للقلوب والعقول ، والدول الإسلامية وحكوماتها نحو الاهتمام بالطفولة وفق المنهج النبوى ، وأن تزداد مساعى الغيورين فى إصلاح الإعلام المرئى والمسموع والمقروء إلى تبنى المنهج النبوى للطفل فى إعلامهم ، ولابد من صيحة الإصلاح أن تجد صدىّ يوماً ما ، وما على المؤمنين إلا البلاغ

(1) أقوم بعون الله تعالى بكتابة : (أحكام الطفل فى الفقه الإسلامى) ، ثم يتبعه كتاب (منهج التربية النبوية للطفل فى تقييم النظرات التربوية الحديثة) . أرجو من الله التوفيق ، ومن القارئ الدعاء .

والعمل: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة:105] .

ولا يسعنى فى نهاية المطاف إلا أن أشكر أساتذتى ومشايخى الأفاضل الذين تكرموا بتقديم الكتاب للقراء ، فجزاهم الله خير الجزاء .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، ووفقنا لمرضاتك ، وارزقنا حسن الختام ، وارحم من يترحم علىّ إلى يوم الدين .

وصلى الله وسلم على خير خلقه ، محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مساء الجمعة 2 / محرم / 1418 هـ .

9 / 5 / 1977 م .

الكويت – ص ب – 3082

السالمية الرمز البريدى: 22031

وكتبه

محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

كلمة فى المنهج

منهج الكتاب : اتّبع فيه ، أن يكون النبعُ النبوى هو الأساسَ والمرتكزَ فى استنباط الأفكار وترتيبها ، ولم يكن لدى الكاتب ثمة أفكار مسبقة ليبحث لها عن دليل فى الأحاديث النبوية ، وإنما العكس هو الصحيح .

فكان كلما وجد حديثاً نبوياً انبهر قلبه بنور يقذفه الله فى قلبه ، وبعد أن كان أمضى وقتاً فى مطالعة الكتب الغربية حول تربية الطفل ، ولم يصل فيها إلى شىء ، سوى آراء ومذاهب مختلفة ، كلٌ يدلى بدلوه ، وبتجربته الناقصة ، فإذا بالحديث النبوى يجده يحسم أى خلاف ، ويضع الأمور فى نصابها ، ويُبيّنُ ، ويهدى ، ويأمر ، وينهى ، وبذلك كان يزداد إيمانه فى متابعة البحث والتنقيب عن مزيد من الأحاديث النبوية ، التى تخص الأطفال ، دون كلل أو ملل ، وازداد يقينه فى سلامة المنهج المتبع، الأمر الذى زاد فى نشاطه لمتابعة السير فى البحث عن علاقة الرسول ﷺ بالأطفال بالتوجيه المباشر ، وغير المباشر ، أو بالإقرار ، أو بالتصحيح .

وقد وجَّه على – كرم الله وجهه – نداءً للأمة جميعها بالأخذ من النبع النبوى ، وأن هذا الاتباع هو السلوك الصحيح ؛ فقال : «إذا حدثتُكُم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا به الذى هو أَهْيَأ ، والذى هو أهدى ، والذى هو أتقى» رواه أبو يعلى مسنده (1/ 444) بسند صحيح .

لذلك جاء هذا الكتاب يحمل فى طياته عدة مميزات ، وهى :

1 – الحديث النبوى هو أساس مادة هذا الكتاب ، ثم تطبيقات الصحابة ، والتابعين، والسلف الصالح .

2 – وهذا يعنى أنه بتطبيقه فى هذا الكتاب : الأخذُ من النبع الصافى الذى يتّصف

بالثبات والاستقرار ، بخلاف المذاهب الأخرى .

3 – الاقتداء بالرسول ﷺ وفى ذلك عبادة الله تعالى ، وتنفيذ أمره ، يقول سعيد بن إسماعيل الزاهد[1] : من أَقَرَّ السُّنةَ على نفسه ،قولاً ،وفعلاً ، نطقَ بالحكمة ، ومن أَمَّرَ الهوى على نفسه ؛ نطق بالبدعة ؛ لأن الله يقول:﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [النور 54]

4 – عالمَ الطفل فيه كثير من المجاهيل ، وهو بحاجة إلى شخص كامل ، وعالم بخفايا الأمور ، وهو شخص رسول الله ﷺ ؛ لكى يكتشف هذا العالم الطفولى المجهول لنا .

5 – الكتاب لم يتعرض لحلّ المشكلات التى يعانى منها الآباء والمربون مع الأطفال، أو مشكلات الأطفال أنفسهم ، وإنما وضع الغذاء ،الذى يقضى على هذه الأمراض ، وتلك المشكلات ،من جذورها ، فإذا حصلتْ مشكلة ما ، فيعنى ذلك وجود خلل فى إعطاء هذا الغذاء التربوى النبوى ، فما على المربى سوى مراجعة الغذاء فى بطون هذا الكتاب ، وتقديمه للطفل بشكل جيد ؛ وبذلك يمكن القضاء على تلك المشكلات ، فإن كانت المشكلة اجتماعية مثلاً ،رجع إلى البناء الاجتماعى ، وهكذا .

6 – بإمكان أى مُرَبٍّ ، أو مسؤول ؛ أو الوالدَيْن ، أن يسيروا فى دراسة هذا الكتاب، والنهوض بأطفالهم ؛ من أى مستوى هم فيه ، والانطلاق بهم من جديد .

7 – لم يتعرض الكتاب إلى المقارنة مع المدارس التربوية الغربية أو الشرقية ، وذلك

---

[1] كتاب الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى (1/ 80) .

لعدة أسباب أهمها :

أ – الخَوَاء العَقَدى الذى يعانى منه الباحث الغربى ، وبالتالى فإن استنباطه للأفكار سيكون ناقصاً .

ب – احتواؤه على آراء كثيرة تصل إلى حدّ التناقض مع بعضها ، فالطفل المسلم فى غنى أن يكون حقلاً لتجارب غير المسلم ، ما دام له رسول يقتدى به .

جـ– أنه يعتمد على تجارب معملية ، لها ظروفها، وظروف العينات المجربة، وظروف الباحث .

8 – صحيح أن هذا الكتاب موجه للأطفال ، إلا أنه كذلك يُربى الوالدين و المربين، ويكبح جماح نزواتهم ؛ وعنفوانهم ، وإهمالهم فى قيامهم بواجباتهم .

9 – امتاز الكتاب بالعرض المبسط للحديث النبوى، أو النموذج التطبيقى، والإقلال ما أمكن من كلام الكاتب ، والاستعاضة عن ذلك بكلام السلف الصالح ، والعلماء ، اتباعاً لنصيحة أحد الشيوخ العلماء العاملين[1] ؛ فجزاه الله خيراً .

10 – عرض الكاتب نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح ؛ لتزداد الفكرة وضوحاً، ولتكون مادة موجهه فى يد المربى ، يستفيد منها ، فيرسخها فى نفس

---

(1) هو الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى مجدد علوم السنة فى هذا العصر ، قال لى : – عندما عرضت عليه أصل الكتاب ، فى زيارته لمدينتنا حلب الشهباء عام 1398 هـ – قال لى بالحرف الواحد: انتظر ، ولا تستعجل الكلام من عندك ، فسوف تجد من كلام العلماء السابقين من يعبر عن فكرتك ، فهو خير من أن يتكلم مثلى ومثلك ، فقلت فى نفسى : هذا درس عملى فى التواضع ودرس عملى فى التأليف ، فرحمه الله تعالى ، وعسى أن أدخل فى دعوته «ورحم الله من ترحم علىّ» قالها فى مقدمة تحقيقه لكتاب (ظَفَر الأمانى بشرح مختصر السيد الشريف الجُرجانى» .

الطفل ، وحسب الوقت المناسب الذى يختاره لغرسها ، وكما قيل : «عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمات» .

11 – كل نقل ، أو قصة مشار إليها بالمرجع الذى أخذت منه .

12 – جاء الكتاب – بقسميه – فى سبعة فصول : الفصلان الأول والثانى : وهما موجهان إلى الوالدين والمربين ، ثم الفصل الثالث ، وهو : الطفل من الولادة إلى الحولين، والفصل الرابع : تهيئة الرعاية الصحية للطفل ، والفصل الخامس: فى بناء عقلية الطفل الإسلامية،والفصل السادس : بناء نفسية الطفل الإسلامية، والفصل السابع : فى بناء سلوك الطفل الإسلامى .

13 – يمتاز الكتاب بالإضافة لما سبق بما يلى :

أ- **الشمولية** : لأنه تطرق إلى كافة ميادين الحياة التى يحتاج إليها الطفل .

ب- **الواقعية** : لأنه بُنِىَ من واقع توجيهات الرسول ﷺ للصحابة فى تربية أطفالهم ، وتوجيهه ﷺ للأطفال مباشرة ، أى : ليس تجربة مخبرية ، أو إحصائية ، كما هو حال التربية الغربية .

جـ – **العالمية** : فهو يخاطب الطفل المسلم ، فى أى بقعة من الأرض يعيش عليها ، وفى أى زمن هو فيه .

د – **المساواة** : فهو سَوّى بين جميع الاطفال ، وخاطب كل الأطفال ، فلا تمييز بين الطفل الغنى والفقير ، وبين طفل الحاكم المحكوم ، وبين الطفل الأبيض والأسود .

هـ- **التوازن** : فبما أنه شامل فى بنائه ، فإنه بالتالى يلبى حاجات الطفل جميعها ، ويجعله يعيش فى توازن مستقر فى حاضره الطفولى ومستقبله .

و- **الوحدة** : فباعتبار أطفال المسلمين يتلقون من مصدر واحد ، هو رسول الله ﷺ، فإنه بالتالى حقق لهم الوحدة: الشعورية ، والسلوكية ، والأخلاقية ، والفكرية .

14 – مرّت كتابة البحث بمراحل : التجميع ، فالتبويب ، فالكتابة ، فالصياغة الأصولية ؛ المقعدة بقواعد أساسية ، وأساسيات ثابتة ، أشبه بالمعادلات الرياضية ، التى تستطيع بناء الطفل،وحل مشكلاته ، وبمثابة قوانين راسخة إذا ثبتت فى الطفل فإنها تجعل منه طفلاً مسلماً بإذن الله تعالى .

وينتهى دور الوالدين عند إعطاء هذا المنهج ، مع تقديمه للطفل بالأساليب النبوية المبينة بالفصل الخامس ، وتبقى النتيجة النهائية بيد الله تعالى ، وبذلك ترتفع مسؤولية الوالدين فى تربية طفلهم ؛ لأنهما أخذا بالأساليب التى أوجبها الله تعالى عليهم ، وهى الاقتداء برسول الله ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب] .﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء] .

وقد تم تسهيل ذلك على الوالدين ؛ بأن ختم الكتاب بأربعين حديثاً ، يخاطبهم بها رسول الله ﷺ وبأربعين حديثاً موجهةً إلى الأطفال ليحفظوها .

15 – وأخيراً ، هو محاولة متواضعة ، أضعها بين يدى القارئ، استغرقت عشر سنوات ، فما كان من خير وصواب فهو من توفيق الله تعالى ، وما كان من نقص، وعجز ، وخطأ ، فهو منى ،وهذا ما توصلت إليه ، مع ضعف الإمكانيات ، وبداية الطلب العلمى الشرعى ، وهذا الاجتهاد التربوى لا أجزم بصوابه كله ، ولا أدعى أنه حكم الله وحكم نبيه ﷺ إذ هذا ليس من شأنى ، وحسبى فى ذلك ما رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذى أن النبى ﷺ كان يوصى أمير الجيش أو السرية بقوله : «وإذا

حاصرت حصناً فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله ، فلا تُنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله أم لا ؟» .

«من أَلَّف فقد اسْتُشهد ؛ فإن أحسنَ فقد استعطف ، وإن أساءَ فقد اسْتُقْذف»[1].

هذا ، وقد تم بحث الكتاب فى فكرتين أساسيتين هما :

القسم الأول : التهيئة والإعداد للوالدين : لكى تتكون لديهم الفكرة التربوية ومهماتها وواجباتها وأساليبها .

القسم الثانى : بناء شخصية الطفل الإسلامية : وهى مرحلة التنفيذ والعمل مع الطفل فى بناء شخصيته المكونة من بناء عقليته الإسلامية ونفسيته الإسلامية وسلوكه الإسلامى، حتى تنسجم جميعاً فى بوتقة واحدة ؛ فتتشكل شخصيته الإسلامية ـ إن شاء الله .

وختاما ، أدعو الله تعالى من أعماق قلبى ، لكل من ساعدنى ، وأسدى إلىّ معروفاً، وجزاه الله خير الجزاء ، وأثابنى وأثابه الأجر الوافر ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأحسب القارئ المستفيد وَفىَّ العهدِ بالدعاء لى فى ظهر الغيب ، لِتُؤَمِّنَ الملائكةُ على دعائه ؛ وتقول : ولكَ مِثْل ذلكَ .

والله من وراء القصد .

الكويت 12 / ربيع الأول / 1404هـ

15 / كانون الأول / 1983م

وكتبه الفقير إليه تعالى

محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

---

[1]() عن كتاب (الحلل فى إصلاح الخلل) من كتاب (الجمل) للبطليوسى ، المتوفى سنة (521هـ) ، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودى .

القسم الأول

تهيئة وإعداد الوالدين لتربية الطفل

الفصل الأول : التهيئة للزواج والإنجاب .

الفصل الثانى:التهيئة والإعداد للوالدين بالأساليب التربوية النبوية للطفل .

الفصل الأول

التهيئة للزواج والإنجاب

*** تعريفات عنوان الكتاب .**

*** تمهيد .**

1 – مسؤولية التربية .

2 – السعى للزواج من امرأة صالحة مربية .

3 – ثواب الإنفاق على الزوجة والأولاد .

4 – أهداف الزواج الإسلامى .

5 – صفات المربى الناجح .

6 – بشرى للوالدين .

7 – الأولاد زينة الحياة الدنيا .

8 – صراع الشيطان مع الإنسان على الذرية .

9 – صلاح الوالدين وأثره على الأبناء .

10 – الدعاء عند الجماع رجاء الولد الصالح .

11 – الزواج والمصاهرة .

12 – الطفل لم يك شيئاً .

13 – الطفل نطفة .

14 – لمحة عن التصوير فى الأرحام وتطور الجنين .

15 – العلاج النبوى للعقيم .

16 – عقاب من تبرأ من ولده .

17 – المواصفات النبوية للبيت الصالح .

تعريفات عنوان الكتاب

1 – **مَنهج** – بفتح الميم وكسرها :

الطريق الواضح ، والخطة المرسومة ، ومنه :منهاج الدراسة ،ومنهاج التعليم ، ونحوهما ،وجمعه: مناهج [1] .

2 – **التربية** :

لأصل معنى التربية ثلاثة معان :

الأول : رَبَا يَرْبو ، بمعنى : زاد وَنَما .

الثانى : رَبَا يَرْبى ، على وزن : خفى ، يخفى ، ومعناها : نشأ وترعرع .

الثالث : رَبَّ يَرَبُّ ، على وزن مدّ يمدّ بمعنى : أصلح وتولى الأمر ، وقال البيضاوى فى تفسيره : الرّبّ فى الأصل ، بمعنى التربية ، وهى :تبليغ الشىء إلى كماله شيئاً فشيئاً ؛ ثم وُصف به تعالى للمبالغة . أما الراغب الأصفهانى

فقال فى كتابه «المفردات» : الربّ فى الأصل : التربية ، وهو إنشاء الشىء حالاً فحالاً إلى حد التمام [2] .

مما سبق يمكن القول :

التربية : عملية بناء الطفل شيئاً فشيئاً إلى حدّ التمام والكمال .

وقد جمعنا المعنى اللغوى للتربية بكلمة بناء ؛ لأنها تعنى بذل الجهد ، ووضع الشىء فى مكانه ، ومتابعة النظر إليه ؛ بالرعاية والإصلاح بعيداً عن الإهمال .

وشيئاً فشيئاً : على سبيل التدرج ، وأنَّ ما يصعب تحقيقه اليوم ، يمكن أن يتحقق غداً.

وإلى حدّ التمام والكمال : هو الحد الذى يصل فيه الطفل إلى أن يتمسك بشرع الله من ذاته ، ويحاسب نفسه بنفسه ، ويراقبها ، ويتابع تربية نفسه : بتلاوة القرآن ، والتمسك بالشرع الحنيف .

3 – **النبوية** :

المقصود بها : كل ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير يخص

---

(1) المعجم الوسيط .

(2) أصول التربية الإسلامية وأساليبها للنحلاوى (ص 12) .

مرحلة الطفولة .

4 – **الطفل**:

(الطفل) الولد حتى البلوغ ، ويستوى فيه المذكر والمؤنث ، والجمع أطفال [1] .

والمقصود بمرحلة الأطفال من الولادة إلى البلوغ ، فمرحلة البداية تبدأ بالطفولة لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [الحج : 5]

ومرحلة النهاية تبدأ بالبلوغ؛ لقوله تعالى :﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [النور : 59] .

غلمة : فِتية – جمع غلام ، وهو الطارّ الشارب ، أى : صبيان،وقال الزمخشرى : والغلام هو الصغير إلى حدّ الالتحاء ،فإن قيل بعد الالتحاء فهو مجاز [2] .

الصِّبيان : قال النووى – رحمه الله : الصِّبيان بكسر الصاد ، هذه اللغة المشهورة، وحكى ابن دريد ضَمَّها [3] . وجاء فى «مختار الصحاح» : الصَّبى : الغلام. والجمع : صبية وصبيان . والجارية : صبية ، والجمع : صبايا مثل : مطية ، ومطايا. وقال ابنُ نجيم فى «الأشباه والنظائر»[4] فى باب أحكام الصبيان :

هو جنين ما دام فى بطن أمه ، فإذا انفصل ذكراً فصبى ، وسُمِّى رجلاً كما فى آية المواريث[5] إلى البلوغ ، فغلام إلى تسع عشرة ، فشاب إلى أربع وثلاثين ، فكهل إلى إحدى وخمسين ، فشيخ إلى آخر عمره ، هكذا فى اللغة .

وفى الشرع: يسمى غلاماً إلى البلوغ ؛ وبعده شاباً ، وفتى إلى ثلاثين ، فكهل إلى خمسين ، فشيخ .

---

1) المعجم الوسيط .

2) فيض القدير (6/ 354) ،وانظر التفسير الكبير للرازى (21/ 155) .

3) شرح صحيح مسلم ، باب : حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله .

(1) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر للحموى (3/ 309) ، طبع بيروت

2) يسمى رجلاً كما فى آية المواريث ، يعنى : مجازاً كما يفيده كلام العلامة ابن حجر فى شرح البخارى فى باب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ ﴾ [النور : 27] كما فى القاموس. (المصدر السابق) .

تمهيد

«الطفل أول ما يَرى من الوجـود منزلَـه وذويـه ، فترتسـم فى ذهنـه أولُ صـور الحياة، مما يراه من حالهم ، وطرق معيشتهم ، فتتشـكل نفسـه المرنـة ، القابلـة لكـل شىء ، المنفعلة بكل أثر بشكل هذه البيئة الأولى يقول الإمام الغزالى : الصـبى أمانـة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ؛ وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال إليه ، فإن عُوّد الخير وعُلِّمه نشأ عليـه ، وسـعد فى الدنيا والآخرة أبواه ، وكل معلم له ومـؤدب ، وإن عُـوّد الشّرـ ، وأهمـل إهمـال البهائم،شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القَيّم عليه ، والـوالى لـه . يقـول رسـول اللهﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يُهَوِّدانه أو يُمَجِّسانة أو يُنَصِّرانه»[1] وإلى هذا أشار أبو العلاء بقوله :

وينشـــأ ناشـــئ الفتيـــان منـــا ... عـــلى مـــا كـــان عـــوّده أبـــوه
ومـــا دان الفتـــى بحجًـــى ولكـــن ... يُعَـــوِّده التَّـــدَيُّنَ أقربـــوه

وإذا كان للمنزل كل هذا الأثر فى حياة الطفل ، وجب تحقيقاً للغايـة السـابقة ، أن يحاط بكل ما يغرس فى نفسه روح الدين والفضيلة»[2] .

«إن أطفال اليوم هم اللبنات الرطبة التى يشـاد عـلى كاهلهـا فى المسـتقبل بنـاء المجتمع ، هم رجال الغد ، وبقدر ما يبذل فى تربيتهْم وتقويتهم بقدر ما يكون للأمة من مكانة وعزة . وبقدر ما يهملون ، فتتمكن من قلوبهم أساليب الانحراف ، بقـدر ما يكون للأمة من اختلال ، وضعف فى القوى الموجهة لها ، القائمة بشؤونها»[3] .

1 – مسؤولية التربية :

«أيها الكفيل ، إذا ألقيتَ مسؤولية الطفل فى مراتع وخيمة ،أخشى أن يُضاعف لك العذاب ضعفين ، تُعذَّب على تشويه تلك الجوهرة المكرمة عذاباً نكـيراً، وتحـوز

---

(1) فالأب والأم عنصران مهمان ، وإرسالهما لطفلهما إلى المدارس الخاصة – باسم الـتعلم والعلم – إنما هو هلاك للولد إن لم يتنبه والداه عليه ، كما أن إهمالهما إنما هو طريق لإهلاكه – والعياذ بالله .

(2) رسالة «أنجع الوسائل» .

(1) انظر : من توجيهات الإسلام للشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر سابقاً رحمه الله تعالى – ص 160 ، طبعة دار الشروق القاهرة ، ط7 .

من تلك الجناية العامة نصيباً مفروضاً»[1].

لهذا نجد الرسول ﷺ يُحَمِّلُ الوالدين مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية كاملة.فعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته ،الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته » متفق عليه. حتى إن الرسول ﷺ يضع قاعدة أساسية مفادها أن الابن يشب على دين والديه ، وهما المؤثران القويان عليه .

أخرج البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يُهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه ، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟» ثم يقول أبو هريرةﷺ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[الروم : 30][2].

وإن الله تعالى أمر الوالدين بتربية الأبناء ، وحضّهم على ذلك ، وحمّلهم مسؤولياتها بقوله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم] .

عن على بن أبى طالب ﷺ فى قوله عز وجل : ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم :6] قال : علموا أنفسكم وأهليكم الخير . رواه الحاكم فى مستدركه

---

(2) السعادة العظمى (ص 90) للشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله .

(3) رواه البخارى :كتاب (23) باب (80 و93) وكتاب (65) سورة (30) ، وكتاب (82) باب (3) ورواه مسلم : كتاب (46) حديث رقم (22 – 25) وسنن أبى داود كتاب (39) باب (17) والترمذى: كتاب (30) باب (5) والموطأ : كتاب (16) حديث (52) ومسند أحمد : الجزء الثانى من (233 و253و275و282و315 و 346و 393و 470و481) والجزء الثالث (ص 353 و435) ، والجزء الرابع (ص 22) انظر: مفتاح السنة (ص 535) .

(4/ 494) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

قال الفخر الرازى فى التفسير[1] : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [التحريم : 6] أى : بالانتهاء عما نهاكم الله عنه .

وقال مقاتل : أن يؤدب المسلم نفسه وأهله ، فيأمرهم بالخير ، وينهاهم عن الشر. وقال فى «الكشاف» : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [التحريم : 6] بترك المعاصى وفعل الطاعات ، وأهليكم بأن تؤاخذوهم بما تؤاخذون به أنفسكم .

فلا بد من بذل الجهد ، والعمل الدؤوب ، فى إصلاح الأطفال ، وتصحيح أخطائهم على الدوام ، وتعويدهم الخير، وهذا سبيل الأنبياء والمرسلين ؛ فلقد دعا نوح ابنه إلى الإيمان ، ووصَّى إبراهيم بنيه بعبادة الله وحده ؛ وهكذا .

وقد ذكر الإمام النووى فى كتابه «بستان العارفين»[2] عن الشافعى ، عن فضيل قال : قال داود النبى ﷺ : «إلهى ! كنْ لابنى كما كنتَ لى ! فأوحى الله تعالى إليه : ياداود ! قُل لابنكَ يكن لى كما كنتَ لى ، أكنْ له ، كما كنتُ لك» .

لذلك قرر الإمام الغزالى- رحمه الله - فى رسالته : «أيها الولد» أن معنى التربية يشبه عمل الفلاح الذى يقلع الشَّوْك ، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ، ليحسن نباته ، ويكمل ريعُهُ[3] .

وقد أكد ابن القيم - رحمه الله - هذه المسؤولية ، وتكلم كلاماً مفيداً نافعاً ، فقال[4]:«قال بعض أهل العلم : إن الله سبحانه - يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة، قبل أن يسأل الولد عن والده ؛ فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً ، فللابن على أبيه حق ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا ﴾ [العنكبوت : 8] . وقال تعالى : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : 6] . وقال على ابن أبى طالب : علموهم وأدبوهم . وقال تعالى :﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

---

(1) التفسير الكبير (30/ 46) .

(2) (ص 45) .

(3) الريع : النماء والزيادة . مختار الصحاح .

(1) أحكام المولود (ص 229) .

﴾[النساء :36] وقال النبى ﷺ «اعدلوا بين أولادكم»[1].

فوصية الله للآباء بأولادهم، سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء].

ويتابع ابن القيم قوله: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم مِنْ قِبَلِ الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آبائهم كباراً؛ كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت! إنك عققتنى صغيراً، فعققتك كبيراً، وأضعتنى وليداً فأضعتك شيخاً».

وإن الزواج وإنجاب الأولاد مسؤولية كبيرة يحاسب عليها المرء يوم القيامة، أخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعلْ لكَ سمعاً وبصراً ومالاً وولداً؟ وسخَّرتُ لكَ الأنعام والحرث؟ وتركتكَ ترأس وتربع؟ فكنتَ تظن أنك ملاقى يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتنى» وفى رواية: «ألم أزوجك؟».

«فأى شهادة على سخافة مدارك الرجل، وفقد شعوره، أعظم ممن يمثل أمام عينيه، الزمن الذى يبلغ فيه الطفل أشدّه، ويرسم فى مخيلته، كيف ينتظم فى دائرة رجاله، ولا يؤهله بالتربية الحسنى لأن يكون سيداً نبيلاً»[2].

أما هذه التربية فهى حق الابن على والديه، وليست هبة أو هدية، وهذا أكده النبى ﷺ بقوله: «إنما سماهم الله أبراراً، لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالدك عليك حقاً، كذلك لولدك عليك حق» أخرجه البخارى فى الأدب المفرد[3].

وروى النسائى، وابن حبان فى صحيحه مرفوعاً: «إن الله سائل كل راع عما

---

(2) «اعدلوا بين أولادكم فى النحل كما تحبون أن تعدلوا بينكم فى البر واللطف» صحيح، رواه الطبرانى عن النعمان بن بشير. انظر صحيح الجامع الصغير برقم (1046).

(1) السعادة الغظمى (ص 90) للشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله.

(2) ورواه الطبرانى، وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافى، وهو ضعيف، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (8/ 146).

استرعاه أَحَفِظَ أم ضَيَّعَ ؟ حتى يسألَ الرجل عن أهل بيته»[1].

وفى رواية عبد الرزاق :«إن الله ـ عز وجل ـ سائل كل ذى رعية فيما استرعاه، أقام أمر الله فيهم أم أضاعه،حتى إن الرجل ليسأل عن أهل بيته».

لهذا قال سعيد بن العاص ﷺ وهو يتحسس مسؤولية تربية ولده ، وحقه عليه ، فيقول : «إذا علّمتُ ولدى القرآن ، وحَجَّجْتُه ، وزوّجْتُه ، فقد قضيتُ حقَّه ، وبقى حقى عليه» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب«العيال» (1/ 331) .

وقال سفيان الثورى – رحمه الله : «كان يقال : حق الولدعلى والده أن يحسن اسمه ، وأن يزوجه إذا بلغ ، وأن يُحجِّجه ، وأن يُحسِن أدبه» رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «العيال» (1/ 332) .

2 – **السعى للزواج من امرأة صالحة ومربية :**

روى البخارى – كتاب العتق – عن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «كُلُّكم راع فمسؤول عن رعيته ، فالأميرُ الذى على الناس راعٍ ، وهو مسؤولٌ عنهم ، والرجلُ راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤولٌ عنهم ، والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده، وهى مسؤولة عنهم ... الحديث» ،ورواه مسلم،والترمذى،وأبو داود،وأحمد.

فخص رسول الله ﷺ المرأة مسؤولية رعاية وتربية الأولاد؛لأنها أكثر تفرغًا،وقربًا من الطفل.

إن الإسلام دين أسرة ، ويقرر تبعة المؤمن فى أسرته ، وواجبه فى بيته ، والبيت المسلم هو نواة الجماعة الإسلامية ، وهو الخلايا التى يتألف منها ، ومن الخلايا الأخرى

وإن مما يساعد الأب على تربية طفله ، ورعايته فى العملية التربوية : الزوجة الصالحة ، التى تتفهم دورها ، ووظيفتها ، وتقوم بهما على أحسن وجه ، وهى الركن الرئيسى فى هذا العمل ، وعملها هذا ، له دور تاريخى فى حياة المجتمعات ، فقد تنتج ولداً مصلحاً للمجتمع ، يقود الأمة إلى الخير والقوة .

يقول صاحب الظلال – رحمه الله :

«إن البيت قلعة من قلاع هذه العقيدة ، ولابد أن تكون قلعة متماسكة من داخلها، حصينة فى ذاتها ، كل فرد منها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها ، وإلا تَكُنْ كذلك ، سهلَ اقتحام العسكر من داخل قلاعه ، فلا يصعب على طارق ، ولا

---

[1]) انظر :سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1636) .

يستعصى على مهاجم .

وواجب المؤمن ، أن يُؤمّن هذه القلعة من داخلها ، وواجبه أن يسد الثغرات فيها، قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً .

ولا بد من الأم المسلمة ، فالأب المسلم وحده لا يكفى لتأمين القلعة ، لا بد من أب وأم ليقوما - كذلك - على الأباء والبنات ، فعبثاً يحاول الرجل أن ينشئ المجتمع الإسلامى بمجموعة من الرجال ... لا بد من النساء فى هذا المجتمع ، فهن الحارسات على النشء ، الذى هو بذور المستقبل وثماره .

هذا أمر ينبغى أن يدركه الدعاة إلى الإسلام ، وأن يدركوه جيداً :

« إن أول الجهد ينبغى أن يوجه إلى البيت ، إلى الزوجة ، إلى الأم ، ثم إلى الأولاد ، وإلى الأهل بعامة ، ويجب الاهتمام البالغ بتكوين المسلمة ، لتنشئ البيت المسلم ، وينبغى لمن يريد بناء بيت مسلم أن يبحث له أولا عن الزوجة المسلمة،وإلا فسيتأخر بناء الجماعة الإسلامية ، وسيظل البنيان متخاذلاً ، كثير الثغرات» [1] .

«إن خير ما تنكح عليه المرأة دينها ، وصلاحها ، وتقواها ، وإنابتها إلى ربها ـ تبارك وتعالى ـ مثل هذه تقر العين بها ، وتؤتمن على نفسها ، ومال زوجها ، وتربية أولاده ، كى تغذيهم بالإيمان مع الطعام ، وتصب فيهم أحسن المبادئ مع اللبن ، وتسمعهم من ذكر الله ـ تعالى ـ ومن الصلاة على نبيه ﷺ ما يشربهم التقوى ، ويركز فيهم حب الإسلام إلى أن يموتوا ؛ والمرء يشيب على ما شبّ عليه ، وإن صفات الوالدين تنحدر إلى الأولاد .

وكثيراً ما تظهر ملكة التقوى فى الولد ، تبعاً لأبويه ، أو لأحدهما ، أو للعم،أو الخال، وقد ورد الإرشاد النبوى ، منبهاً إلى هذا : فيما رواه ابن عدى وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها ، عن سيدنا رسول الله ﷺ قال : «تَخَيّروا لنطفكم ؛ فإن النساء يَلِدْنَ أشباه إخوانهن وأخواتهن»[2] .

---

[1] دستور الأسرة فى ظلال القرآن (ص 112) .

[2] رحمة الإسلام بالنساء للشيخ محمد الحامد - رحمه الله - (ص 40- 41) . وفى رواية ابن ماجه والبيهقى : «تخيروا لنطفكم ، فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم» صحيح . انظر صحيح الجامع رقم (2928) .

وروى الدراقطنى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة» .

«ومن حق الزوج أن يبتغى الثقافة فى زوجته ؛ لأن الثقافة تُعينها على تدبير المنزل، وتربية الولد تربية صالحة . وللمرأة أن تتعلم ما تشاء من العلوم ، بالطريقة التى تلائم كمالها . ومما صدر من الخواطر : «إن الرجل والمرأة كالبيت من الشِّعْر، ولا يحسن فى البيت أن يكون شطره محكماً والشطر الآخر متخاذلاً» [1].

وإن رسول الله ﷺ امتدح نساء قريش لما يتمتعن به من صفات جيدة تجاه أولادهن بالحنان ، وأزواجهن بالرعاية :

أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال : «خَيْرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده».

قال أبو العباس القرطبى : ويعنى بالصلاح – هنا : صلاح الدين ، وصلاح المخالطة للزوج وغيره ، كما دلَّ عليه قوله : «أحناه ،وأرعاه» .

وقال زين الدين العراقى : «قوله : «أحناه» أى : أشفقه ، والحانية على ولدها التى تقوم عليهم بعد تيتمهم ، فإن تزوجت فليس بحانية ، قاله الهروى» .

وقوله : «أرعاه على زوج » أى : أحفظ وأصون .

وقوله : «فى ذات يده» أى : فى ماله المضاف إليه ، والمراد : حفظها مال الزوج ، وحسن تدبيره فى النفقة وغيرها ، وصيانته عن أسباب التلف .

قوله : «أحناه ، وأرعاه» : أصله : أحناهن ، وأرعاهن ، ولكنهم لا يتكلمون به إلا مفرداً ، قاله أبو حاتم السجستانى وغيره .كذا فى «طرح التثريب فى شرح التقريب» لزين الدين أبى الفضل العراقى (7/ 13) .

وإن من صلاح المرأة ، وتقواها ، وحبها لزوجها ، وأولادها ، ومن أدلة حسن تربيتها من والديها ، هو احترامها لزوجها ، والتأدب معه ، والتلطف إليه ، مما يساعد على تربية الأطفال ، ورؤيتهم للبيت الهادئ الساكن ، فينشؤون بسكينة ووقار .

فهذه ابنة سعيد بن المسيَّب تقول : ما كُنَّا نَعْلمُ أزواجَنا إلا كما تعلمون أنتم أُمَراءَكم . رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 739) .

---

[1] دراسات فى الشريعة الإسلامية (ص 98) للشيخ محمد الخضر حسين – رحمه الله .

هكذا تقول : «ما كُنا نعلم» أى : إن والدها قد علمها ، وهذّبها ، وأحسن تربيتها، وكانت عالمة تقية ، فمن تقوى المرأة ، وحبها لدينها أن تنظر إلى زوجها باحترام وتقدير ، حتى لو كان فقيرًا مثل زوج ابنة سعيد ، فالفقر ليس عيباً فى الرجل ، ما دام يسعى على قوت عياله من حلال ... تلك ابنة سعيد بن المسيب ابنة العالم العامل الداعية إلى الله ، يقول عنها زوجها الذى تحترمه ذلك الاحترام : «ثم دخلتُ بها ، فإذا هى من أجمل الناس، وإذا هى أحفظ الناس لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج»[1] .

إن المرأة الصالحة مهما بلغت من الدرجات العلمية العليا ، تعرف أن مكانة زوجها أعلى من ذلك . إنها تنظر إليه بنور النبوة الذى جعل الزوج أحد مفاتيح الجنة لزوجته ، وتنظر إليه بعين الإيمان واليقين بما قاله الله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء :34] .

وإن قيام المرأة بالعملية التربوية لأطفالها ، وأولادها ، وقيامها على خدمة زوجها ، يرقيها إلى أعلى الدرجات ، ويضعها فى مصاف النساء العظيمات ، وعملها هذا يعدل جهاد الرجل فى المعركة ، وصلاة الجمعة فى المساجد .

روى مسلم فى صحيحه أن أسماء بنت يزيد بن السكن – رضى الله عنها – أتت النبى ﷺ فقالت : إنى رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولى، وعلى مثل رأيى ، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنّا بكَ واتبعناكَ ؛ ونحن معشر النساء ، مقصورات مخدرات ، قواعد بيوت ، وإن الرجال فضلوا بالجُمُعَات ؛ وشهود الجنائز ، والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد ، حفظنا لهم أموالهم ، وربَّينا أولادهم ، أفنشاركهم فى الأجر يارسول الله ؟

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال : «هل سمعتم مقالةَ امرأةٍ أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟!» .

فقالوا : لا يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ :«انصرفى يا أسماء وأعلمى من وراءك من النساء : أن حُسن تَبَعُّلِ إحداكنَّ لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته ، يعدل كل ما ذكرت» .

وهذا ما فعلته الفاضلة امرأة عمران ، عندما توجهت إلى الله تعالى فقالت :

---

[1])انظر : هامش كتاب العيال وعزاه محققه إلى حلية الأولياء لأبى نعيم .

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران : 35] . قال العلامة أبو بكر الجصاص – رحمه الله – فى كتابه: «أحكام القرآن» (2/ 11) :

«والنذر فى مثل ذلك صحيح فى شريعتنا أيضاً ، بأن ينذر الإنسان أن يُنشئ ابنهُ الصغير على عبادة الله وطاعته ، وألا يَشغله بغيرهما ، وأن يُعلِّمه القرآن والفقه وعلوم الدين ، وجميع ذلك نذور صحيحة ؛ لأن فى ذلك قربة إلى الله تعالى ...» ثم قال :

«ويدل على أن للأم ضرباً من الولاية على الولد فى تأديبه وتعليمه وإمساكه وتربيته ، ولولا أنها تملك ذلك لما نذرته فى ولدها، ويدل أيضاً على أن للأم تسمية ولدها ، وتكون تسمية صحيحة ، وإن لم يسمه الأب لأنها قالت :﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران 36] وأثبت الله تعالى لوالدها هذا الاسم» .

وإن الماوردى يعتبر اختيار الزوجة حق الولد على أبيه ، اقتباساً من قول عمر ابن الخطاب ﷺ فيقول : «فمن أول حق الولد أن ينتقى أمه ، ويتخير قبل الاستيلاد منهن : الجميلة ، الشريفة ، الدّيِّنة ، العفيفة ، العاقلة لأمورها ، المرضية فى أخلاقها ، المجربة بحسن العقل وكماله ، المواتية لزوجها فى أحوالها»[1] .

وإن رسول الله ﷺ يقر النظرة التربوية التى نظرها جابر بن عبد الله فى اختياره لزوجته ؛ لتقوم بمهام تربوية فى بناء أخوات صغار لجابر ، بالإضافة إلى أبنائه فى المستقبل .

أخرج الخمسة عن جابر فى حديث طويل[2] أنه قال لرسول الله ﷺ حين سأله : «هل تزوجت بكراً أم ثَيِّباً ؟» قال : بل ثَيِّباً ، قال : «هَلا بِكراً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ ؟» فقلت : يا رسول الله تُوفى والدى ، ولى أخوات صغار ، فكرهت أن أتزوج مثلهنّ «أى : فى السن» فلا تُؤدبهن ، ولا تقوم عليهن ، فتزوجت ثيباً ؛ لتقوم عليهن وتؤدبهن» .

لذلك فإن من واجبات المرأة الأم ، تجاه زوجها ، أن تحسن القيام بتربية أولادها منه ، فى صبر ، وحلم ، ورحمة، فلا تغضب على أولادها أمامه ، ولا تدعوا عليهم ، ولا تسبهم، ولا تضربهم ، فإن ذلك قد يُؤذيه منها ، وربما استجاب الله دُعاءَها

---

(1) كتاب نصيحة الملوك لأبى حسن الماوردى ، تحقيق : الشيخ الخضر محمد الخضر (ص 162) .

(2) انظر: الحديث بطوله فى تيسير الوصول (1/ 62) ، وجامع الأصول (1/ 15) .

عليهم ، فيكون مصابهما بذلك عظيماً [1] .

وأخيراً ، فإن الزوجة الصالحة هى الكنز الحقيقى الذى يدخره الرجل فى دنياه وآخرته. روى الترمذى عن ثوبان ، قال : «لما نزلت ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ [التوبة : 34] كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فقال بعض أصحابه : أُنزلت فى الذهب والفضة ، فلو علمنا أى المال خير لاتخذناه ؛ فقال رسول الله ﷺ: «أفضله لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وزوجة صالحة ، تُعين المؤمن على إيمانه» .

وروى أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ [التوبة: 34] كَبُرَ ذلك على المسلمين ، فقال عمر : أنا أُفَرِّجُ عنكم ، فانطلق ؛ فقال : يا نبى الله . إنه كَبُرَ على أصحابك هذه الآية ، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقى من أموالكم ، وإنما فرض المواريث ، لتكون لمن بعدكم» فَكَبَّرَ عمر ، ثم قال له: «ألا أُخبرك بما يكنز الرجل : المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها زوجها سَرَّتْهُ ، وإذا أَمَرَها أطاعته ، وإذا غابَ عنها حفظته» .

اللهم اجعل زوجاتنا كذلك ، صالحات قانتات حافظات للغيب .

وهذه نماذج من الأمهات الصالحات اللواتى كن سبباً فى إنجاب وتربية أولادهن، فكن سبباً فى تغيير أحداث التاريخ حول أولادهن الأبطال ، العلماء ، الأتقياء ، الصالحين،ولم يكن يرغبن بالعمل خارج تربية أولادهن تربية صالحة ، ولم يرغبن فى الدرهم والدينار على أن يدخلن التاريخ عبر تربية أولادهن ، ولم يكن يستقبحن دورهن القيادى فى منازلهن ، وهن يُرضعن أولادهن الحليب مع التأديب، والحنان مع الصلاح ، والكلمة الحسنة مع العلم والحكمة .

ولم يكن أولئك الخالدات بحاجة إلى اتحاد نسائى يُعرفهن بحقوقهن ، ويُنسيهن واجباتهن ، وإنما كنَّ يُدركن رسالة الأمومة التى تهز العالم بيسارها ، وهى تهز سرير طفلها بيمينها .

إن إيمان الأم بدورها الريادى فى تربية أولادها ، يجعلها تدخل فى مؤثرات الأحداث من أوسع أبوابها ، إنه درس خصوصى فى بيت خصوصى ، الأم فيه

---

[1] المرأة المسلمة للشيخ وهبى سليمان الغاوجى (ص 153) .

المعلمة، والمربية ، والطباخة ، والقائمة بشؤون البيت ، والأولاد هم رعيتها المحبّبون إليها ، ولا يرضون عنها بديلاً ما دامت هى لا ترضى عنهم بديلاً .

إن الأم المربية لأولادها تساهم فى بناء أكثر المجتمع ، فهى تملك طفلاً ، أو طفلين على أقل تقدير ، وهى تملك أكثر فى توسط التقدير ، فقيامها على التربية الصالحة تحمى المجتمع من أن تنتج له مجرمين ، ورعايتها لبيتها توفر للدولة اقتصاداً أقوى ؛ لأنها تعلم قيمة المال الذى يأتى به زوجها . كما أنها تتيح للذكور من أمتها تقلد الأعمال بدلاً من أن يتيهوا فى الطرقات والشوارع ، فيكثر فراغهم ، فيؤدى بهم فى الوقوع فى حبائل العصابات الشريرة، وما أكثر أنواع هذه العصابات فى عصرنا الحالى !

إن الإسلام حفظ لكل أنثى نفقتها على الرجال سواء كانت بنتاً ، أم أختاً ، أم زوجة ، أم أماً ؛ وذلك لكى تتحرك رجولة الرجال فى العمل ، وتتحرك غيرة النساء إلى إنجاب وتربية الأبطال من الذكور ، والأمهات القادرات من الإناث .

فهذا [1] على بن أبى طالب أمير المؤمنين – كرم الله وجهه – يتربى على يدى أمه فاطمة بنت أسد ، وابن عمه رسول الله ﷺ وزوجته خديجة بنت خويلد ، فكانت نتيجة ذلك أن يكون على – رضى الله عنه – فداءً لرسول الله ﷺ فينام فى فراشه لكى يوهم المشركين ، وييسر هجرة رسول الله ﷺ وكانت أول عملية فدائية لعلى ﷺفى تاريخ الإسلام.

وهذا عبد الله بن جعفر يستشهد والده ، وهو صغير ، فتعاهدته أمه أسماء بنت عُمَيْس، فتكمل تربيته ، وتنشئته على الجود والكرم ، والفداء لدين الله ، فيهز التاريخ طرباً بفتوحاته ، وقيادته .

وهذا معاوية بن أبى سفيان ﷺ الذى كانت فتوحاته تمتد أربعين سنة ، عشرين سنة والياً لدمشق ، وعشرين سنة خليفة للمسلمين ، ربّته أمه على القيادة الحكيمة، والحلم ، والأناة ، وتتنبأ له بهذه المكانة وهو طفل صغير ، فيقال لها عنه وهو صغير: «إن عاش معاوية ساد قومه»،فإذا بجوابها يحفظه التاريخ لنا نبراسا للأمهات فترد: «ثَكِلْتُهُ إن لم يَسُدْ إلا قومه» . ولما نُعى إليها ولدها يزيد بن أبى سفيان قال لها بعض المعزين : «إنا لنرجو أن يكون فى معاوية خَلَفٌ عنه» ، فقالت :

«أو مثل معاوية يكون خلفاً من أحد ؟ والله لو جَمعت العربُ من أقطارها،ثم

---

[1])نذكر هذه النماذج نقلاً من كتاب (عودةالحجاب) لمحمد أحمد إسماعيل المقدم (2/ 141) بتصرف .

رُمى به فيها ؛ لخرج من أيها شاء» .

وكان معاوية ﷺإذا نُوزع الفخر بالمقدرة ، وجُوذب المباهاة بالرأى ، انتسب إلى أمه ، فصدع أسماع خصمه بقوله : «أنا ابن هند» .

وأما سفيان الثورى – أحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة فى الفقه ، وإمام المحدثين– فقد روى الإمام أحمد بسنده عن وكيع قال : قالت أم سفيان لسفيان : «يابنى ، اطلب العلم ،وأنا أكفيك بمغزلى» .

ومما قالت له أيضاً : «يا بنى ، إذا كتبتَ عشرة أحرف فانظر : هل ترى فى نفسك زيادة فى خشيتك ، وحلمك ، ووقارك ، فإن لم تر ذلك ، فاعلم أنها تضرك ، ولا تنفعك» .

ومما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «العيال» (2/ 578 – 583) فى فضل عمل المرأة بالمِغْزَل : عن مجاهد – رفعه – قال : «نِعْمَ لهْوُ المرأةِ المغزل» . قال محقق الكتاب: حديث مرسل ، رجاله رجال الصحيح ، ما خلا حسين بن يزيد فهو ليّن .

وقال عمر ﷺ : «علموا أولادَكم العَوْمَ والرمايةَ ، ونِعْم لهو المرأة المِغْزَل» .

وقال على – كرم الله وجهه : «إن المِغْزَل من طيّباتِ الرزق» .

وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : «المِغْزَلُ فى يَدِ المرأةِ مِثلُ الرُّمْح فى يد الغازى» .

وهذه أم الإمام الأوزاعى الفقيه ، المحدِّث ، الذى أفتى وله من العمر ثلاث عشرة سنة، تربية تربية صالحة تجعل منه إماماً ، رغم يتمه ، ولم يمنعها فقرها من تأديبه وتعليمه ، قال الذهبى [1] :«قال الوليد بن مزيد البيروتى :

«ولد الأوزاعى ببعلبك ، وربُى يتيماً فقيراً فى حجر أمه ، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبَه فى نفسه ، ما سُمِعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه ، ولا رأيته ضاحكاً يقهقه ، ولقد كان إذا أخذ فى ذكر المعاد أقول : ترى المجلس لم يبك» .

وهذه أم «ربيعة الرأى» شيخ الإمام مالك ، أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار، خلّفها زوجها عندها ، وخرج إلى الغزو فى سبيل الله ، ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة ، والمشيخة ، وكانت أمه قد اشترتها له بمال الرجل ، فأحمد الرجلْ صنيعها ، وأربح تجارتها فى قصة طويلة ساقها ابن خلّكان ، فقال :

---

[1] تذكرة الحفاظ (1/ 178– 179) .

«كان فَرُّوخ أبو ربيعة الرأى ، خرج فى البعوث على خرسان أيام بنى أمية ، وربيعة حمل فى بطن أمه ، وخَلَّف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبعة وعشرين سنة ، وهو راكب فرساً ، وفى يده رمح ، فنزل ؛ ودفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة، وقال : «يا عدو الله ! أتهجم على منزلى ؟ !» .

فقال فَرُّوح : «يا عدو الله ، أنت دخلت على حرمى ؟ !» فتواثبا ، حتى اجتمع الجيران ، وبلغ مالك بن أنس ، فأتوا يُعينون ربيعة ، وكثر الضجيج ، وكل منهما يقول : «لا فارقتك» ، فلما بصروا بمالك سكتوا ، فقال مالك : «أيها الشيخ ، لك سعة فى غير هذه الدار» .

فقال الشيخ : «هى دارى ، وأنا فَرُّوخ» .

فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت ، وقالت : «هذا زوجى ، وهذا ابنى الذى خَلَّفَهُ وأنا حاملٌ به» . فاعتنقا جميعاً وبكيا ، ودخل فرّوخ المنزل ، وقال : «هذا ابنى؟!» قالت : «نعم» قال : «أخرجى المالَ الذى عندَكِ» ، قالت - تُعَرِّضُ : «قد دفنتُه وأنا أخرجُه» .

ثم خرج ربيعةُ إلى المسجد النبوى ، وجلس على حلقته ، فأتاه مالك والحسن ، وأشراف أهل المدينة ، وأحدقَ الناسُ به ،فقالت أُمُّه لزوجها فَرُّوخ :

«أُخرج فَصلِّ فى مسجد رسول الله ﷺ» ، فخرج ، فنظر إلى حلقة وافرة ، فأتاها، فوقف عليها ، فنكس ربيعةُ رأسَه يُوهمُه أنه لم يره ، وعليه قلنسوة طويلة ، فشك أبوه فيه ، فقال : «مَنْ هذا الرجل ؟» فقيل : «هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن» فقال : «لقد رفع الله ابنى» ، ورجَع إلى منزله ، وقال لوالدته : «لقد رأيتُ وَلَدكِ على حالةٍ ما رأيتُ أحداً من أهل العلم والفقه عليها» ، فقالت أمه : «فأيما أحب إليك : ثلاثون ألف دينار ؛ أوهذا الذى هو فيه ؟ !» . فقال : «لا والله بل هذا» فقالت : «أنفقتُ المالَ كُلَّه عليه» . قال : «فوالله ما ضَيَّعْتِهِ» .

هكذا الأمهات الخالدات ، تصرف المال فى تعليم أولادهن ، وليس فى زيادة كسوتهنّ ، وحليهنّ ، وزينتهن ، وهذا هو الحب الحقيقى للأولاد ، سواء من الأمهات العاملات بمغزلهن فى بيوتهن ، أو ممن يَصرفن المال فى تحصيل أولادهن أفضل العلوم الشرعية .

ومن لطائف ما قيل فى فضل الأم ، وأثرها على أولادها :

قال رافع بن هُريم :

فَلَوْ كُنْتُم لِكْيِسَةٍ لَكَاسَتْ وكَيْسُ الأُمُّ يُعْرَفُ فى البنينا

وقال حافظ إبراهيم – رحمه الله :

الأُمُّ مَدْرَسَـــةٌ إذا أَعْدَدْتهـــا ... أَعْدَدْتَ شَعْبَاً طَيِّبَ الأَعْـرَاقِ
الأُمُّ روْضٌ إنْ تَعَهَّـــدَهُ الحَيَـــا ... بـالــرّيِّ أَوْرَقَ أَيُّـــما إيـــراقِ
الأُمُّ أُسْتـــاذُ الأَسَـــاتِذَةِ الأُلى ... شَغَلَتْ مَـآثرُهُم مَـدى الآفَـاقِ

3 – ثواب الإنفاق على الزوجة والأولاد :

إن الإنفاق له أثر طيب فى العملية التربوية ، وخاصـة عنـدما يكـون مصـدرها الموجه هو الشرع : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق : 7] فلا إسراف ؛ ولا تبذير ، ولا تقتير ؛ ولا شُحّ ، وإنما اعتدال فى الإنفاق والبـذل ؛ وذلـك تـدريب أيضا للطفل الناشئ ، على البذل المستطاع ، والإدارة الجيدة للاقتصاد المنزلى .

ولما كان الإثم كبيراً أن يُضَيَّعَ الرجـلُ مـن يعيـل مـن أطفـال وغـيرهم ، كـان لخروجه للسعى فى الرزق أجر الجهاد فى سبيل الله .

روى ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 154) وأسنده إلى أبى المُخارق قـال : كنا عند رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، فطلعتْ ناقة له ، فأقام عليها سبعاً ،فمرَّ عليـه أعرابى شابٌّ شديد قوى ، يَرعى غُنيمة له ، فقالوا : لو كان شبابُ هـذا ، وشـدتهُ ، وقوتُه فى سبيل الله عز وجل ! فقال رسول الله ﷺ :

«إن كان يسعى على أبوين كبيرين له ليغنيهما فهو فى سبيل الله .

وإن كان يسعى على صبيان له صِغَارٍ ليُغْنيهم فهو فى سبيل الله .

وإن كان يسعى على نفسه ليغنيها ويكافَ الناسَ فهو فى سبيل الله .

وإن كان يسعى رياءً وسـمعةً فهـو للشـيطان» .قـال محقـق الكتـاب : حـديث مرسل، رجاله ثقات .

وعن ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ قال : قـال رسـول الله ﷺ : «أفضـلُ دينـار ينفقهُ الرجلُ دينار يُنفقه على عياله ، ودينار يُنفقه عـلى فَرَسـه فى سـبيل الله ، ودينـار يُنفقه على أصحابه فى سبيل الله» قال أبو قِلاَبة : بدأ بالعيال ، ثم قال أبو قِلابـة : أىُّ رَجُلٍ أعظمُ أجْراً من رجل يُنفق على عيالٍ صغارٍ يُعفُّهُمُ الله به ، أو ينفعهم الله به ؟ !

رواه مسلم والترمذى [1] .

بل الإنفاق على العيال من الكسب الحلال سبب لدخول الجنة مع الثلاثة الأوائل . عن أبى هريرة ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : «عُـرِضَ عـلىَّ أولُ ثلاثـةٍ يَـدخلون الجنـةَ ؛ وأولُ ثلاثةٍ يدخلون النار .فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة:فالشهيد،وعبد مملـوك أحسـن عبادة ربه ونصح لسيده،وعفيف متعفف ذو عيال.

وأما أولُ ثلاثة يدخلون النار :فأميرٌ مُسلَّطٌ ، ودو أثَرٍ من مـال ، لا يـؤدى حـقَّ الله فى ماله ، وفقيرٌ فخور» رواه ابن خزيمـة فى صـحيحه ، ورواه الترمـذى ، وابـن حبان بنحوه [2] .

وهكذا ترتبط الدنيا بالآخرة فى مفهوم التربية النبوية ، فليست عمليـة الإنفـاق غريزة أو شهوة ، بل مع استحضار النية لله تعـالى ، وبـذلك تسـمو النفقـة إلى أفـق الجنة، وتدبُ فيها الروح الإيمانية ، مما تزيد الوالدين على صـدق العـزم فى الكسـب الحلال؛ لأنه طريق الجنة . اللهم ! وفقنا لذلك أبداً .

وقد جاءت أحاديث كثيرة توجه الإنسان إلى الإنفاق ، وأنه مأجور عليـه ؛ بـل إنه يتقدم كل الصدقات :

أخرج مسلم عن أبى هريرة ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين،دينارٌ أَنفقتَه على أهلـك ، أعظمُهَا الذى أنفقته على أَهْلِكَ» .

وعن سعد بن أبى وقاص ﷺ أن النبى ﷺ قال : «إنك مهما أنفقـتَ عـلى أهلـك من نفقةٍ ، فإنك تؤجر ، حتى اللّقْمَة ترفعُها إلى فى امرأتك» رواه أبو يعلى فى مسـنده (2/ 81) بسند صحيح ، ورواه أحمد (1/ 172) .

وروى عن العرباض بن سارية ﷺ قـال : سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول : «إن الرجلَ إذا سقى امرأته من الماء أُجِرَ» قال : فأتيتُها ، فسقيتُها ، وحدثتها بـما سـمعتُ من رسول الله ﷺ ،رواه أحمد،والطبرانى في الكبير والأوسط.

وعن أبى هريرة ﷺ أنه قال : يا رسول الله ، أى الصدقة أفضل ؟ قال : «جهـد

[1، 2]انظر: الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ، الجـزء الثالـث ، بـاب : الترغيـب فى النفقة .

المقل ، وابدأ بمن تعول» رواه الحاكم فى مستدركه (1/ 414) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى ، ورواه أحمد (2/ 4، 94) .

وروى أحمد بإسناد جيد – عن المقدام بن معد يكرب ﷺ قال : قال رسول اللهﷺ : «ما أطعمتَ نفسكَ فهو لك صدقة ،وما أطعمتَ ولدَكَ فهو لك صدقة ، وما أطعمتَ زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمتَ خادمك فهو لك صدقة» .

وروى أبو حنيفة فى مسنده عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ: «إذا ماتَ أحدُكم مغموماً مهموماً ، كان أفضل عند الله ، من ألف ضربة بالسيف فى سبيل الله» وقال العلامة مُلا على القارى فى شرحه لهذا الحديث : «مغموماً» أى : حزيناً بحيث يغم فؤاده «مهموماً» تأكيد لما قبله ، من : سبب العيال وكسب الحلال، الذى هو فرض عين عند أهل الكمال . «كان» فى تلك الحال «أفضل عند الله من ألف ضربة بالسيف فى سبيل الله» فإنه فرض كفاية فى غالب الأحوال .

وقد روى القضاعى عن ابن عباس ، وأبو نعيم فى الحلية : «طلبُ الحلالِ جهادٌ».

وروى الطبرانى عن ابن مسعود : «طلب الحلال فريضة» .

وروى الديلمى عن أنس : «طلب الحلال واجب على كلِّ مسلم» .

وروى ابن عساكر عن أنس : «من باتَ كالاًّ فى طلب الحلالِ باتَ مغفوراً له»[1].

وعن ابن عمرو – رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «كفى بالمرء إثماً أن يُضَيِّعَ من يقوت» . رواه الحاكم فى مستدركه (1/ 415) وقال : صحيح الإسناد، ولم يخرجه ، وأقره الذهبى .

وعن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال : كتبت إلى جابر بن سَمُرة مع غلامى نافع : أن اكتب إلىَّ بشىء سمعته من رسول الله ﷺ ، فكتب إلىّ : سمعته – يعنى النبى ﷺ – يقول : «إذا أعطى الله – عز وجل – أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه ، وأهل بيته» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 160) . وقال محقق الكتاب : أخرجه مسلم (3/ 1454) وأحمد فى المسند (5/ 86و88و89) .

وقال عمرﷺ: «لأن أموت من سعى على رجلى ، أطلب كفاف وجهى ، أحب

---

(1) شرح مسند أبى حنيفة للمحدث الملا على القارى – رحمه الله تعالى – (ص 62) .

إلىّ من أن أموت غازياً فى سبيل الله»[1].

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 559) عن محمد بن المثنى قال : حدثنا معتمر ، عن أبيه ، حدثنا مسلمٌ قال :

لقينى معاوية بنُ قرَّة ، وأنا جاءٍ من الكَلأ (أى : كلأ الدين : تأخر دفعه)

فقال : ما صنعتَ ؟ قلتُ : استبرأت لأهلى كذا وكذا (أى : دفعت قيمة الدّين)

قال : وأصبتَهُ من حلالٍ ؟ قال : قلت : نعم ، قال : لأن أغدو فيما غدوتَ فيه كلَّ يوم أحبُّ إلىّ من أن أقوم الليل ، وأصومَ النهار .

وعن أيوب السختيانى أنه كان يقول لأصحابه كثيراً : تعاهدوا أولادكم وأهليكم بالبرّ والمعروف ، ولا تدعوهم تطمعُ أبصارُهم إلى أيدى الناس .

قال : وكان له (أى : لأيوب) زنبيل يغدو به إلى السوق فى كل يوم ، فيشترى فيه الفواكه ؛ والحوائج لأهله وعياله قال : وكان يقول : أفضلُ الجودِ ، كلُّ ما أُحْرِزَ به أجر . قال : وكان لأيوب أهلُ بيت فقراء ، كانَ يأتيهم بالنفقة ، والكسوة بنفسه ، فقيل له : لو أرسلتَ بها إليهم ؟ قال : ذهابى بها إليهم بها أعطفُ لى عليهم .

وعن الحسن قال : أول ما يوضع فى ميزان ابن آدم يوم القيامة نفقته على أهله إذا كانت من حلال .

وهذا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يعلِّم ابنه أن يطلب الكسب الحلال لأولاده : أورد ابن المبارك فى كتابه «الزهد» وأسنده إلى الحسن ، قال : بينما عمر ابن الخطاب يمشى ذات يوم فى بعض أزقة المدينة، إذا صَبِيَّة بين يديه تقوم مرة ، وتقعد أخرى ، فقال : يابؤسها ! من لهذه ؟ فقال ابن عمرو : هذه إحدى بناتك يا أمير المؤمنين ، قال : فما لها ؟ قال : مَنَعْتَها ما عندكَ ، قال : أَفعجزتَ إذا منعتُها ما عندى، أن تكسَبَ عليها ، كما يكسبُ الأقوام على بناتهم ؟ والله مالكَ عندى ، إلا ما لرجلٍ من المسلمين ، وبينى وبينك كتاب الله قال الحسن : فَخصَمَه والله [2] . وكان عبد الله ابن المبارك يقول : «لا يقع موقع الكسب على العيال شىء ولا الجهاد فى سبيل الله

---

(2) أورده الكتانى فى التراتيب الإدارية (2/ 23) ، وعزاه لابن الجوزى فى كتابه (تلبيس إبليس) .

(1) الزهد والرقائق للإمام عبد الله بن المبارك ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى – رحمه الله تعالى (ص 375) .

عز وجل»[1] .

وقال أبو الأحوص : سمعت سفيان يقول :عليك بعمل الأبطال : الكسب من الحلال ؛ والإنفاق على العيال .

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 158) ، ورواه أبو نعيم فى «الحلية» (6/ 381) من طريق المصنف نفسه ، قاله محقق كتاب العيال .

وجاء رجل إلى الشبلى – رحمه الله – يشكو إليه كثرة العيال ، فقال : «ارجع إلى بيتك ، فمن ليس رزقه على الله تعالى فاطرده عنك» [2].

ولا بد أن نذكر ثواب إنفاق الزوجة على زوجها وأولادها :

فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ انصرف يوماً من الصبح، فأتى النساء فى المسجد ، فوقف عليهن ، فقال :«يا معشر النساء ، ما رأيتُ من نواقص عقولٍ قَطُّ ودين أذهبَ بقلوب ذوى الألباب منكنَّ ، وإنى قد رأيتُ أنكنَّ أكثرَ أهل النار يوم القيامة ، فَتَقَرَّبْنَ إلى الله بما اسْتَطَعْتُنَّ» ، وكان فى النساء امرأةُ عبدِ الله بن مسعود فانقلبت إلى عبدِ الله بنِ مسعود ، أين تذهبين بهذا الحلى ؟ قالت : أتقربُ به إلى الله ورسوله ، قال : ويحك ، هلمى ؛ تصدقى به علىَّ وعلى ولدى ، فإنا له موضع ، فقالت : لا ، حتى أذهب إلى رسول الله ﷺ قال : فذهبتْ تستأذن على رسول الله ، فقالوا : يا رسول الله ، هذه زينب ؛ تستأذن ؛ قال : «أى الزيانب هى؟» قالوا : امرأة ابن مسعود ، قال : «ائذنوا لها» فدخلتْ على النبى ﷺ فقالت :يا رسول الله ، إنى سمعت منكَ مقالةً ، فرجعت إلى ابن مسعود ، فحدثتُه ، وأخذتُ حلياً لى ، أتقرب به إلى الله وإليك ، رجاء ألا يجعلنى الله من أهل النار ، فقال لى ابنُ مسعود : تصدقى به علىَّ ، وعلى ابنى ، فإنا له موضع ، فقلت : حتى أستأذن رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «تصدقى به عليه ، وعلى بنيه ، فإنهم له موضع» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 106) وإسناده صحيح .

وفى رواية : «صدقَ ابن مسعود ، زوجك ، وولدك ، أحق من تصدقت به عليهم» وفى رواية : «نَعم ، لهما أجران : أجر القرابة ،وأجر الصدقة» .

بل إن الأمر ليتعدى الإنفاق فى الحياة الدنيا فقط ، فيتخطاه إلى ترك الورثة

---

[1] مقدمة كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ، تحقيق : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى – رحمه الله .

[2] الرسالة القشيرية ، باب : التوكيل .

أغنياء يستغنون عن الناس بوراثة مال أبيهم وأمهم :

روى أحمد والشيخان عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع ، فمرضتُ مرضاً أشفيت منه على الموت ، فعادنى رسول الله ﷺ ، فقلتُ : يا رسول الله ، إن لى مالاً كثيراً ، وليس يرثنى إلا ابنة لى ، أَفأُوصِى بثلثى مالى؟ قال «لا» ، قلتُ : فثلث مالى ؟ ، قال : «الثلثُ ، والثلثُ كثير ، إنكَ يا سعد أن تَدَعَ وَرَثَتَكَ أغنياء ، خيرٌ لكَ مِنْ أنْ تَدَعَهُم عَالةً يتكفَّفون الناس» .

وإنَّ همَّ الإنفاق ليكفِّر الذنوب والمعاصى :

روى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة ﷺمرفوعاً : «إن من الذنوب ذنوباً لا يُكفِّرُها الصلاةُ ، ولا الصومُ ، ولا الحَجُّ ، ويُكفِّرُها الهمُّ فى طلب المعيشة» . وفى لفظ : «ويكفرها عَرَقُ الجبين فى طلب المعيشة» .

وللديلمى عن أبى هريرة ﷺمرفوعاً : «إن فى الجنة درجةً لا ينالها إلا أصحاب الهموم» [1] . يعنى : فى طلب المعيشة .

ولأبى سليمان الدارانى : «مَنْ باتَ تَعِبًا من كسب الحلال ، فإن الله عنه راض».

وروى ابن الدنيا عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من طلب الدنيا حلالاً ، استعطافاً عن المسألة ، وتعطُّفاً على جاره ، وسعياً على عياله ، جاء يوم القيامة ووجهُهُ مثلُ القمر ليلة البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً مُفاخِراً ، مُكاثراً ، مُرَائياً ، لقىَ الله وهو عليه غضبان»[2].

وعندما يكون الزوج بخيلاً شحيحاً ، فقد أجاز النبى ﷺ للزوجة أن تأخذ من مال زوجها من غير إذنه ما تحتاجه ، لضروريات الأسرة ، وليس لكمالياتها ، فالكماليات لا تنتهى ، وهى تدخل فى حب الدنيا وزينتها ؛ فعن عائشة ﷺ أن هندًا أُمَّ معاويةَ جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيانَ رجلٌ شحيحٌ ، وإنه لا يُعطينى ما يَكفينى وَبَنِىَّ ؛ فهل علىَّ جناح أن آخذ من ماله شيئاً ؟ فقال ﷺ : «خُذى من ماله ما يكفيك وبنيكِ بالمعروف» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 707) قال محقق الكتاب : ورواه البخارى ومسلم .

وعن عكرمة أن امرأةً سألت ابن عباس – رضى الله عنهما – فقالت : ما يَحِلُّ لى

---

[1] انظر: المقاصد الحسنة (ص 218) .

[1] قال محقق كتاب العيال (1/ 168) : رجاله ثقات ، ومكحول لم يثبت سماعه من أبى هريرة ، فروايته عنه مرسلة ، وشيخ المصنف مستور الحال .

من بيت زوجى ؟ فذكر الخُبزَ والتمر ، ونحو ذلك ، قالت : فالدراهم ؟ قال ابن عباس : أَتُحِبِّين أن يأخُذَ حُلِيَّكِ ؟ قالت : لا ، قال : فلا تأخذى من دراهمه . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 712) .

وقدحارب القرآن العقول الجاهلية القديمة والحديثة التى تمتنع عن الإنجاب خشية عدم الإنفاق ؛ لأن الرزق لأن من عند الله ، وليس الأب والأم والدولة والأمم التى ترزق، إنما الله هو الرزاق ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء] ، وقوله تعالى :﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام : 151].

ولم يأمر الله ـ تعالى ـ بالإنفاق الكثير بل :﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ [البقرة] ، وقوله : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق : 7] ، وقوله : ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق : 7] . وبذلك ينسجم اعتقاد المسلم بـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات] ، مع سلوكه العملى اليومى بالإنفاق على أهله وعياله ؛ لأن الله تعالى تكفل برزق الآباء والأبناء على السواء.

4 – أهداف الزواج الإسلامى :

الزواج الإسلامى ليس غاية جنسية بين الزوجين ، وإن كان هذا هدفاً ثانوياً ، تلبية لدوافع الجسد ، وإنما له أهداف سامية أهمها :

أ – تكثير عدد المسلمين ، وإدخال السرور على قلب الرسول ﷺ : فعن معقل ابن يسار قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى أصبتُ امرأةً ، ذات حسن وجمال ، وإنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فقال : «لا» ، ثم أتاه الثانية ، فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال:«تزوجوا الولود ، فإنى مكاثرٌ بكم الأمم» رواه أبو داود والنسائى .

وروى ابن ماجه عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ :

«النكاح من سنتى ،ومن لم يعمل بسنتى فليس منى ، وتزوجوا ، فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» .

وقال عمر ﷺ : «ما آتى النساءَ لشهوةٍ ، ولولا الولدُ ما آتى النساء» ، وقال أيضاً : «إنى لأُكْرِهُ نفسى على الجماع كى تَخْرُجَ منى نَسَمةٌ تُسبح اللهَ تعالى» . رواهما ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 573-571) .

ب - **إعفاف النفس ، والتقرب إلى الله ـ تعالى** : وذلك لقوله ﷺ : «وفى بضع أحدكم له صدقة» ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتى أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : «أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه وِزْر ؟» قالوا : بلى ، قال : «فكذلك ، لو وضعها فى الحلال كان له فيها أجر» رواه مسلم ، والنسائى ، وأحمد .

جـ ـ **إنشاء الجيل المسلم** : حيث ينوى عند الجماع طلب الولد الصالح ؛ أورد البخارى فى صحيحه - باب من طلب الولد للجهاد - عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : «قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة على مائة امرأة ، أو تسع وتسعين ، كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل : إن شاء الله ، فلم يقل : إن شاء الله ، فلم تحمل منهنّ إلا امرأة واحدة، فجاءت بشق رجل ، والذى نفس محمد بيده ، لو قال : إن شاء الله ، لجاهدوافى سبيل الله ، فرساناً أجمعون» .

قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح»[1]:«قوله : باب من طلب الولد للجهاد ، أى : ينوى عند المجامعة حصول الولد ليجاهد فى سبيل الله ، فيحصل له بذلك أجر ، وإن لم يقع له ذلك» .

وإن من استمرار الذرية الصالحة سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً استمرار الأجر للوالدين : عن عطاء بن أبى رباح قال : قال رسول الله ﷺ : «ما مِنْ عبدٍ مؤمن ترك ذريةٌ مؤمنةً تعبدُ الله وحدَه بعده ، إلا أجرى الله عز وجل على أبيها مِثلَ عملها ، لا يُنْقصُ ذلك من عملها شيئاً» .رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 611) قال محققه : حديث مرسل ، إسناده حسن .

فالذرية المؤمنة هى الادخار الحقيقى للإنسان فى الدنيا والآخرة : روى مسلم وأحمد وابن أبى الدنيا عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : «إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُهُ

---

[1] فتح البارى (7/ 272) .

إلا من ثلاثة : من صدقة جارية ، أو عِلْمٍ يُنتفع به ، أو وَلَدٍ صالحٍ يدعو له» .

وقد عقدت مؤتمرات دولية لتحديد النسل ؛ بحجة مشكلة الإسكان ، وإذا تأملنا فى واقع المسلمين بين أعدادهم والمساحات التى يسكنونها ، لرأينا أن نصيب الفرد المسلم كبير جداً من المساحة ، فالانفجار السكانى إنما هو فى عالم الغرب ، نتيجة الإنجاب غير الشرعى ، واللامسؤول ، أما فى الإسلام فالأمر يختلف ؛ لأن الهدف الذرية الصالحة ، والإنجاب الشرعى ، وتحمل مسؤولية الأسرة ، والعمل والتوكل على الله فى جلب الرزق من باطن الأرض وظاهرها ، فليس لتلك الدعوات أى مجال لتتسرب إلى المسلمين لا من ناحية الشرع ، ولا من ناحية العقل . ولله الحمد والمنة .

ويقول أبو الحسن الماوردى مؤكداً هذا المعنى عند الجماع : «وأن ينوى فى ذلك كله نية الولد ، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وينوى فى الولد : أن الله لعله يرزقه من يعبد الله ويوحده ، ويجرى على يديه صلاح الخلق ، وإقامة الحق ، وتأييد الصدق ، ومنفعة العباد ، وعمارة البلاد» [1] .

د – **استمرار ذرية الإنسان** : روى الطبرانى عن أبى حفصة – رضى الله عنهما – أن النبىﷺ قال : «لا يدع أحدكم طلب الولد ، فإن الرجل إذا مات وليس له ولد انقطع اسمه»[2] .

ومن الملاحظة فى العصر الحديث أن الكفار من غرب وشرق ، وأذنابهم فى بلاد المسلمين، يُروجون فكرة تحديد النسل بين المسلمين ، وفى الوقت نفسه يشجعون الكفار على الإنجاب ، وذلك لكى يقل عدد المسلمين ، ويزداد عدد الكفار .

ولهذا حضّ النبى ﷺ على الإنجاب ليكون عزاً للمسلمين ، وقوة لهم : فعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : «ما ولد فى أهل بيت غلام ، إلا أصبح فيهم عِزّ لم يكن» . رواه الطبرانى فى الأوسط[3] .

وإن الرسول ﷺ ليباشر الزواج والإنجاب عملياً ؛ ليكون له عَقِبٌ إلى يوم

---

(1) كتاب نصيحة الملوك للماوردى، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر (ص 66) .

(2) انظر : كنز العمال (16/ 281) . وإسناده حسن ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (4/ 258) .

(3) قال الهيثمى فى المجمع (8/ 155) : وفيه هاشم بن صالح ذكره ابن أبى حاتم ، ولم يجرحه ، ولم يوثقه ، وبقية رجاله وثقوا .

القيامة، تلتف الأمة المسلمة حول أولاده ، وليكون برهاناً عملياً أن الإنجاب سنة الأنبياء والمرسلين ، وليكون تأكيداً على وجوده بآثاره .

قال ابن إسحاق : فولدت (أى خديجة رضى الله عنها) لرسول الله ﷺ ولدَه كلَّهم إلا إبراهيم : القاسمَ ، وبه كان يُكنى ﷺ والطاهرَ والطيبَ ، وزينبَ ، ورُقيَّةَ ، وأُمَّ كلثومٍ ، وفاطمةَ ، عليهم السلام . قال ابن هشام : أكبرُ بنيه : القاسمُ ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته: رُقيةُ ثم زينبُ ، ثم أُمُّ كلثومٍ ، ثم فاطمة [1].

وروى ابن سعد (1/ 133) عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : كان أول من وُلد لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة القاسمُ وبه كانُ يكنى ، ثم وُلِدَ له زينبُ ، ثم رُقيَّةُ ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم ، ثم ولد له فى الإسلام عبدُ الله ، فسُمّى الطيبُ ، والطاهرُ ، وأمُّهم جميعاً خديجةُ بنتُ خُويلد .

5 – صفات المربى الناجح :

هناك صفات أساسية ، كلما اقترب منها المربى كانت له عَوْناً فى العملية التربوية، والكمال البشرى هو للرسل – عليهم الصلاة والسلام – ولكن الإنسان يسعى بكل جهده ، وبقدر المستطاع ،يراقب فيها نفسه بنفسه ، وذلك للتوصل إلى الأخلاق الطيبة ، والصفات الحميدة ؛ وخاصة أنه فى مركز القدوة التربوية ، فينظر إليه الجيل الجديد على أنه مربيه وموجهه ، وإليك أهم الصفات التى يسعى إليها المربى – وفقنى الله وإياك إليها :

أ – الحِلْمُ والأناة : أخرج مسلم عن ابن عباس – رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ لأشجّ عبد القيس : «إن فيك خَصلتين يحبهما الله : الحِلْمُ والأناة» .

وهذه قصة لطيفة ، تبين أهمية الحلم والأناة فى بناء أخلاق الجيل الجديد . قال عبد الله بن طاهر : «كنتُ عند المأمون يوماً ، فنادى الخادم : ياغلام ، فلم يُجبه أحد، ثم نادى ثانياً وصاح : يا غلام ، فدخل غلام تركى ، وهو يقول : أما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك ، تصيح : ياغلام ، ياغلام ، إلى كم ياغلام! فنكس المأمون رأسه طويلاً ، فما شككت فى أن يأمرنى بضرب عنقه ، ثم نظر إلىَّ فقال : ياعبد الله ، إن الرجل إذا حسَّن أخلاقه ، ساءت أخلاق خَدمه ؛ وإنا

---

[1] انظر : الجامع فى السيرة النبوية ، تأليف سمير زايد (1/ 206) ، ففيه تفصيلات أخرى .

لا نستطيع أن نُسِيء أخلاقنا ، لنحسِّن أخلاق خدمنا» [1].

ب – **الرفق والبعد عن العنف** : أخرج مسلم عن عائشة – رضى الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ : «إن الله رفيق ، يحب الرِّفْقَ ، ويعطى على الرِّفْق ما لا يُعطى على العُنْفِ ، وما لا يعطى على ما سواه» . وعنها أن النبى ﷺ قال : «إن الله رفيق ، يحب الرفق فى الأمر كله» متفق عليه .وعنها أيضاً أن النبى ﷺ قال : «إن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانَه ولا يُنزع من شيء إلا شانه» . رواه مسلم .

وأخرج مسلم عن جرير بن عبد الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من يُحرم الرِّفْقَ ؛ يُحْرَم الخير كله» .

وروى أحمد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال لها : «يا عائشة ، ارفقى ، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دَلَّهم على الرِّفْقِ» . وفى رواية : «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً ، أدخل عليهم الرفق» .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : كنا نصلى مع رسول الله ﷺ العشاء ، فكان يصلى ، فإذا سجدت وثبَ الحسنُ والحسينُ على ظهره ، وإذا رفعَ رأسَه أخذهما ، فوضعهما وضعاً رفيقاً ، فإذا عاد عادا ، فلما صلى جعل واحداً ها هنا وواحداً ها هنا ، فجئْتُه ، فقلتُ : يا رسول الله ، ألا أذهبُ بهما إلى أمهما ؟ قال «لا» ، فبرقت برقة فقال : «الحقا بأمكما» فما زالا يمشيان فى ضوئها حتى دخلا .رواه الحاكم فى مستدركه (3/ 167) وقال : صحيح الإسناد ؛ ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : صحيح .

وروى أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «عَلِّموا ولا تُعنِّفوا ، فإن المُعَلِّمَ خيرٌ من المُعَنِّف » رواها ابن عدى والبيهقى فى شعب الإيمان ورمز السيوطى لضعفه [2].

وإليك عزيزى القارئ : هذه القصة البديعة فى موعظتها ، لنرى تعامل السلف الصالح وحلمهم :

روى أن غلاماً لزين العابدين كان يصبّ له الماء بإبريق مصنوع من خزف ، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين ، فانكسر ، وجرحت رجله ، فقال الغلامُ على الفور : يا سيدى ، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران : 134] فقال زين العابدين : لقد كظمتُ غيظى ، ويقول : ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : 134]

---

(1) تربية الأولاد فى الإسلام للشيخ عبد الله علوان – رحمه الله – (2/ 285) .

(1) انظر : الجامع الصغير 3/ 328 .

فقال : لقد عفوتُ عنك ، ويقول :﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران]، فقال زين العابدين: أنت حرٌّ لوجه الله[1] .

جـ ـ القلب الرحيم : عن أبى سليمان مالك بن الحويرث ﷺ قال : أتينا رسول اللهﷺ ونحن شبَبَةٌ متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً ، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا ؛ فسألنا عمن تركنا من أهلنا ، فأخبرناه ، فقال : «ارجعوا إلى أهلكم ، فأقيموا فيهم ، وعلِّموهم ، وبرُّوهم ، وَصَلّوا كذا فى حين كذا، وصلوا كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة ، فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكبركم» . متفق عليه .

وروى البزار عن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال : «إن لكل شجرة ثمرة ، وثمرة القلب الولد ، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده ؛ والذى نفسى بيده ، لا يدخل الجنة إلا رحيم» . قلنا : يا رسول الله ، كلنا يرحم ، قال : «ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه ، وإنما الرحمة أن يرحم الناس» .

وعن أبى أمامة ﷺ قال : أَبْصَر ـ النبىُّ ﷺ امرأةً معها صبيتان ؛ قد حملت إحداهما وهى تقود الأخرى ، فقال رسول الله ﷺ : «والدتٌ حاملاتٌ رحيمات ، لولا ما يأتين إلى أزواجهن لدخل مُصلِّياتهن الجنة» . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 173) وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وقد أعضله شعبة عن الأعمش .

وعن أبى أمامة ﷺ أن امرأة أتت النبى ﷺ ومعها ولدان ، فأعطاها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدمنهما تمرة تمرة ، ثم إن أحد الصبيين بكى ، فشققتها ، فأعطت كل واحد منهما النصف ، فقال رسول الله ﷺ : «والدتٌ ، حاملات ، رحيمات بأولادهن ، لولا ما يصنعن بأزواجهن دخل مصلِّياتهن الجنة» . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 174) وسكت عنه .

د – أخذ أيسر الأمرين ما لم يكن إثماً : عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط ، إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شىء قط ، إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم الله تعالى» . متفق عليه .

هـ – الليونة والمرونة : وهنا يجدر بنا فهم الليونة بمعناها الواسع ، وهى : قدرة

---

(2) تربية الأولاد فى الإسلام للشيخ عبد الله علوان – رحمه الله – (2/ 285) .

فهم الآخرين بشكل متكامل ، لا بمنظار ضيق ، وليس معناها : الضعف ، والهوان، وإنما التيسير الذى أباحه الشرع . فعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:«ألا أُخبركم بمن يحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل قريب هيّن لـيّن سهل» . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن [1] .

و – الابتعادُ عن الغضب : إنّ الغضب والعصبية الجنونية من الصفات السلبية فى العملية التربوية ، بل كذلك من الناحية الاجتماعية . فإذا ملك الانسان غضبه، وكظم غيظه، كان ذلك فلاحاً له ولأولاده ، والعكس بالعكس .

وقد حَذّر منه النبى ﷺ الرجلَ الذى سأله وصية خاصة له ، فكان جوابه فى المرات الثلاث : «لا تغضب» رواه البخارى عن أبى هريرة .

كذلك اعتبر ﷺ الشجاعة هى القدرة على عدم الغضب ؛ فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «ليس الشديد بالصُّرَعَة ، إنما الشديدُ الذى يملك نفسه عند الغضب» . متفق عليه .

ومما يروى أن زين العابدين بن الحسن – رضى الله عنهما – استدعى غلاماً له ، وناداه مرتين ، فلم يُجبه ، فقال له زين العابدين : أما سمعتَ ندائى ؟ فقال : بلى ، قد سمعته ، قال : فما حملك على ترك إجابتى ؟ قال : أمنتُ منكَ ، وعرفتُ طهارةَ أخلاقِك فتكاسلتُ، فقال : الحمد لله الذى أَمِنَ منى غلامى[2].

ز – الاعتدالُ والتوسط : إن التطرف صفة ذميمة فى كل الأمور ؛ لهذا نجد أن رسول الله ﷺ يحب الاعتدال فى عمود الدين ، فما بالك فى باقى الأمور الحياتية الأخرى ، والتى أهمها العملية التربوية ؟

فعن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدرى ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى لأتاخر عن صلاة الصبح ، من أجل فلان ؛ مما يُطيل بنا ، فما رأيت النبى ﷺ غضب فى موعظة قط ، أشد مما غضب يومئذٍ . فقال : «يا أيها الناس ، إن منكم مُنفرين ، فأيكم أمّ الناس فليوجز ، فإن من ورائه الكبير ، والصغير ، وذا الحاجة» . متفق عليه .

---

(1) ورواه ابن حبان والخرائطى وأحمد والطبرانى . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (938) .

(1) تربية الأولاد (2/ 352) .

ح – **التخولُ بالموعظة الحسنة**: إن كثرة الكلام فى كثير من الأحيان لا تؤتى أكلها ، فى حين نجد أن التخول بالموعظة الحسنة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ؛ لذلك نصح الإمام أبو حنيفة ﷺ تلاميذه بقوله [1]: «لا تُحدث فقهكَ من لا يشتيه».

كما أن الصحابة أدركوا هذا من فعل النبى ﷺ ، فعن أبى وائل شقيق بن سلمة قال : كان ابن مسعود ﷺ يُذكرنا فى كل خميس مرة ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، لوددتُ أنك ذكرتنا كلَّ يوم فقال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملّكم ، وإنى أتخولكم بالموعظة ؛ كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا أى : يتعهدنا بها ؛ مخافة السآمة علينا» . متفق عليه .

6 – **بشرى سارة للوالدين فى بركة الأولاد عليهم** :

أخرج مسلم عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» .

وروى ابن أبى حاتم[2] عن أبى الدرداء ﷺ قال : «ذَكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادةَ فى العمر ، فقال : «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة فى العمر: أن يرزق الله العبد ذرية صالحة ، يدعون له ، فيلحقه دعاؤهم فى قبره» [3].

وروى البخارى فى الأدب المفرد ، عن أبى هريرة ﷺ قال : «تُرفع للميت بعد موته درجته فيقول : أىّ ربى ، أى شىء هذا ؟ فيقول له : ولدكَ استغفرَ لكَ»[4].

وروى أبو يعلى عن أنس ﷺ مرفوعاً : «المولود حتى يبلغ الحِنْث ، ما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه ، وما عمل من سيئة لم تُكتب عليه ولا على والديه»[5].

7 – **الأولاد زينة الحياة الدنيا وفتنتها** :

---

(2) مقدمة حاشية ابن عابدين .

(1) ذكره ابن كثير فى التفسير (4/ 373 و2/ 573) .

(2) رواه الحكيم . انظر : كنز العمال (16/ 281) .

(3) ورواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه ضعفاء قد وثقوا ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (10/ 210) بألفاظ متقاربة .

(4) انظر الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد للشيخ البنا الساعاتى(7/ 51) .

الأبناء هبة الله للإنسان ، تسر الفؤاد مشاهدتهم ، وتقرّ العين رؤيتهم ، وتبتهج النفس بمحادثتهم ، فهم زهرة الحياة الدنيا ، وهذا ما أكدته الآيات الكريمة :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران : 14] ،﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف] ، ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد : 20]

لهذا نجد الكفار انخدعوا بهذه الزينة ، فبدؤوا يتفاخرون بالأولاد ؛ إذ لديهم حاشية تمنعهم ، وظنوا أن الإله راض عليهم ؛ لأنه أعطاهم هذه الكثرة من الأولاد، واستَعْلوا بها على المؤمنين ، فإذا بالآيات تلاحقهم ؛ وتطاردهم ، على هذه الأفكار البالية ، والتفاخر الجاهلي ، وتقرر للمؤمنين أن هذه الكثرة لن تنفعهم ، ولن تغنى من الله شيئاً :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [آل عمران] ، ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة] ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [التوبة] ،﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون] ،﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ].

وقد جاءت الخطابات القرآنية تحذر الإنسان فتنة الأولاد ،من أن يطغى حبهم إلى درجة انتهاك الأوامر الربانية ،وأن يكونوا سبباً لمقت الله وغضبه ؛ لهذا كانت الآيات تقرر: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان] .

أما التهديد والوعيد لمن قدم حب ولده على شرع الله تعالى ، فكان بالشكل التالى :

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة] .

ولكن ما هى الوسيلة عندما يختار الابن طريقاً بعيداً عن الإيمان ، ويسلك سلوك الفجار الفساق – أعاذنا الله من هؤلاء الأبناء – إنها المفاصلة الجسدية ، والشعورية ، والنفسية : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ

وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة] .

وتستمر دعوة الوالدين لولدهما بالإيمان ، رغم أَنفَته عليهما ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف]

ويتابع الوالدان دعوة ولديهما حتى الرمق الأخير ، كما فعل سيدنا نوح- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - مع ولده ، في أشد الساعات حرجاً ساعة إنزال الله تعالى العقوبة بقومه ، ساعة الغرق :

﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود] .

وبعد أن هدأت المياه ، وغرق الكفار ، وقف سيدنا نوح يدعو الله ـ تعالى :﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود] .

وفي ذلك حكم كثيرة: منها استمرار طلب الولد الصالح من الله تعالى ، وتعليم للأب بمفاصلة ولده على أساس العقيدة ، اللهم ارزقنا أولادًا صالحين برحمتك ياأرحم الراحمين.

ومما يكفِّر فتنة الولد : الصيام ، والصلاة ، والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . كما ورد فى الحديث : أخرج الشيخان والترمذى عن حذيفة فى حديث طويل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «فتنة الرجل فى أهله ، وماله ، ونفسه ، وجاره يكفِّرها : الصيام، والصلاة ، والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر» .

رزقنا الله جميعاً الولد الصالح الذى يُعيننا على طاعة الله ، ويذكِّرنا إن نسينا ، وينصحنا إن ابتعدنا .

8 – صراع الشيطان مع الإنسان على الذرية :

ثم إن هناك صراعاً بين الإنسان والشيطان على الذرية والأولاد ، فالشيطان أقسم أن يسعى لإبعاد الذرية عن منهج الله ، ويصرفهم عن طاعته ، وهذا ما أخبرنا به سبحانه وتعالى ؛ لنكون على بينة من أمرنا ، فننتبه لذلك ، وقد خصص الله تعالى لنا فترة الطفولة البريئة ، لنكسبها جولة قبل الشيطان ، فإذا ما خسرها الوالدان فإن جولة أساسية قوية قد فاتتهما ، فهما بحاجة إلى جهد أكثر ، وعمل أكبر فى المستقبل ، لإصلاح ولدهما :﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء] .

وأخرج الإمام مسلم عن عياض بن حمار ، أن رسول الله ﷺ قال : «قال الله تعالى :إنى خلقْتُ عِبادى حُنفاء ، فجاءَت الشياطينُ فاجْتالتهم» .

وأمام ظاهرة الأبوة والأمومة ، نلاحظ صنفاً من الناس قد امتحنهم الله بفقدان هذه النعمة ، واختبرهم بحرمانها ؛ لحكمةيقتضيها سبحانه ، ولكى تبقى القلوب موجهة إليه ، تجأر إليه بالدعاء فى طلب الولد ، وخاصة الولد الصالح : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى] .

ولكن المجتمع الجاهلى كان يعالج هذه المشكلة بعملية تعويضية ، وذلك بتبنى أولاد غير أولادهم ، فيربونهم ، وينسبونهم لأنفسهم ، وقد جاءت الآياتُ بإبطال هذه الأفكار ، وإعادة الأمور إلى نصابها ، ونسبة الابن لأبيه الحقيقى :﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ [الأحزاب]

9 – صلاح الوالدين ، وأثره على الأبناء :

إن لصلاح الوالدين – وهما القدوة الحسنة للطفل الناشئ – أثراً كبيراً على نفس الطفل ، فبالإضافة إلى تقواهم لله ، واتباعهم لمنهجه ؛ مع شىء من الجهد ، والتعاون بينهما، ينشأ الطفل على الطاعة والانقياد لله ؛ وهذا ما أكدته الآيةالكريمة : ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: 34] ، ولكن قد نلاحظ خروجاً عن هذه القاعدة ؛ لحكمةٍ يعلمها الله سبحانه ، ولتبقى القلوب حذرة يقظة متنبهة ،تتضرع إليه بطلب الولد الصالح .

وقد نفع صلاح الآباء الذرية والأولاد ؛ فهذا سيدنا الخضر[1] عليه السلام يبنى جداراً متبرعاً ، فيسأله سيدنا موسى عليه السلام عن سبب عدم أخذ الأجر ، فكان جوابه: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾[2] [الكهف :82] .

---

(1) كما فى صحيح البخارى :أن اسمه الخضر .

(2) روى ابن كثير أن الجد السابع كان صالحاً ، فنفع الله به الحفيد . وقال الفخر الرازى فى تفسيره (21/ 162) معلقاً على الآية : «هذا يدل على أن صلاح الأباء يفيد العناية باحوال الأبناء» . ثم قال : «ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما إضافة إلى الله تعالى ؛ لأن المتكفل بمصالح الأبناءلرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى» .

وأكده الحديث النبوى كذلك : فعن محمد بن المنكدر قال : قال رسول اللهﷺ:«إن الله عز وجل ليحفظُ المرءَ المسلمَ من بعده فى ولده ، وولد ولده ، وفى داره، والدويرات حوله» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 538) . وقال محققه : حديث مرسل ، رجاله رجال الصحيح .

وحتى إن الملائكة لتدعو للمؤمن ووالديه وذريته:﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر] .

فإذا ما نشأت الذرية على الطاعة لله ، والدعوة لدينه ، كان اللقاء بينهم فى جنات الخلد، كما أخبر به سبحانه ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور] . ولهذا قال أحد الصالحين : «يا بنى ، إنى لأستكثر من الصلاة لأجلك» .

وإن سهلًا التسترى يتعهد ولده ، وهو فى صلبه ، فيباشر العمل الصالح ، رجاء أن يكرمه الله تعالى بالولد الصالح ، فيقول : «إنى لأعهد الميثاق ؛ الذى أخذه الله تعالى علىّ ، فى عالَم الذَّرّ ، وإنى لأرعى أولادى من هذا الوقت ، إلى أن يخرجهم الله تعالى إلى عالم الشهود والظهور»[1] .

وهذا دليل على حرص السلف الصالح على الولد الصالح ، رزقنى الله وإياك ذرية صالحة – إنه سميع مجيب .

وروى البيهقى فى كتاب الاعتقاد[2] بسنده إلى ابن عباس : أنه لما نزل ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم] أنزل الله تعالى بعد هذا : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور :21] قال : يعنى بإيمان ، فأدخل الله عز وجل الأبناء بصلاح الآباء الجنة .

وفى رواية : «أَلْحَقْنَا بهم ذريتهم» قال ابن العباس : الله ـ عز وجل ـ يرفع ذرية المؤمن

---

(1) حاشية ابن عابدين (1/ 53، ط2) .

(2) كتاب الاعتقاد للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، المتوفى سنة (458هـ) ص (74 – 75) .

معـه فى درجاتـه ؛ فى الجنـة ، وإن كـانوا دونـه فى العمـل ؛ ثـم قـرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾ [الطور:21]. يقول : وما نقصناهم .

وروى ابن شاهين [1] أن الحارثة بن النعمان ﷺ أتى النبى ﷺ وهو يُناجى رجلاً، فجلس ولم يسلم . فقال جبرائيل : وأما إنـه سـلَّم لرددنـا عليـه ؟فقـال لجبرائيـل : «وهل تعرفه ؟» فقال : نعم ، هذا من الثمانين الذين صـبروا يـوم حنـين ، رزقهـم ، ورزق أولادهم على الجنة فى الجنة .

وقال سعيد بن المسيب : إنى لأُصلى فـأذكر ولـدى ، فأزيـدُ فى صـلاتى ، وقـد روى أن الله يحفظ الصالح فى سبع من ذريته ، وعـلى هـذا يـدل قولـه تعـالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الأعـراف] قاله القرطبى [2] .

وأما الحافظ ابن الجوزى – رحمه الله – الذى لم يصنف أحد مثلما صنف ، فيقول عن نفسه : «فإنى لما عَزَمْتُ شرف النكاح ، وطلب الأولاد ، ختمـت ختمـة (أى : قرأ القرآن كله) ، وسألت الله تعالى أن يرزقنى عشرة أولاد ، فرزقنيهم»[3] .

وقال ابن عباس – رضى الله عنهما : « إن المعروف ليُجْزَى به ولد الولد»[4].

10 – الزواج والمصاهرة :

نعمة الزواج نعمة ربانية للإنسان ، وهو سُنَّة الرسـل أجمعـين ، جعلـه الله سُـنَّة لاستمرار الحياة البشرية ، بالتزاوج بين الذكر والأنثى ، وهذا الاتصال يـتجلى فيـه قَـدَرُ الله أن جمع الـزوجين ، ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ

---

(3) ذكره ابن حجر فى الإصابة (1/ 312) .

(1) انظر : حسن الأسوة ، رقم (94) .

(2) لفتة الكبد فى نصيحة الولد لابن الجوزى (ص 21) .

(3) رواه الخرائطى فى : مكارم الأخلاق انظر : المنتقى له (ص 37) .

وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحـــــل] ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد : 38] .

وقد وجه الله تعالى الإنسان إلى التفكر فى ظاهرة الزواج هـذه ، والتأمـل فيهـا، وهى آية من آياته فى الأرض ، لها عظمتها ، ولها سلطانها على النفس ، بالتوجـه إليـه سبحانه ، فى طلب العون منه ، والإيمان والتصديق بمنهجـه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم] .

وهذه المصاهرة العجيبة التى قدرها الله بين البشر ، ووجهها بعنايتـه ، ورعاهـا برعايته : يغذيها بالمودة والرحمـة والسـكَن : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان] .

11 – الدعاء عند الجماع رجاء الولد الصالح :

روى عبد الرزاق بإسناده عن ابـن عبـاس قـال : قـال رسـول الله ﷺ : «لـو أن أحدهم إذا أتى أهله قال : باسم الله ، اللهم جَنِّبْنَا الشـيطان ، وَجَنِّـب الشـيطانَ مـا رُزِقْنَا ، فيولد بينهما ولد ، فلا يصيبه الشيطان أبداً» وأخرجه الشيخان .

وفى رواية : «لـو أن أحـدهم إذا جـامع قـال : اللهـم جنبنـا الشـيطان وجنـب الشيطان ما رُزِقْنَا ، فَقُضِى بينهما ولد لم يضره الشيطان إن شاء الله» .

وروى عبد الرزاق عن الحسن قال : إذا أتى الرجل أهله فليقـل : «باسـم الله ، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ، ولا تجعل للشيطان نصيباً فيما رزقتنا ، قال : فكان يُرجـى إن حملت ، أو طلقت أن يكون ولداً صالحاً» .

قال شـيخ الإسـلام زكريـا الأنصـارى الشـافعى فى كتابـه «فـتح العـلام» ص (532) معلقاً على الحديث :

«وفيه سنّ التسمية والدعاء المذكور عند إرادة الجماع ، وأنه إذا قال ذلك وقـدِّرَ بينهما ولدٌ ، لم يضرّه الشيطان ، بل يُحفظ مِـنْ إضـلاله، وإغوائـه ، وإن طعنـه ، فـلا يُنافيه خبر «كل مولود يطعنُ الشيطانُ فى خاصرته إلا ابـن مـريم فإنـه جـاء لـيطعن

فطعن فى الحجاب»[1]، فالطعن لا يلزم منه الضرر ، بدليل أنه قد طعن كثير من الأولياء والأنبياء ، ولم يضرهما ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر] ، وكذا لا يلزم من وسوسته له ضرره ، و(لو) فيه للشرط وجوابها : لسلم من الشيطان ، بقرينة قوله : «فإنه ...» إلخ ، وجوّز بعضهم أن تكون للتمنى ، والمعنى : أنه ﷺ تمنى لهم هذا النوع من أنواع الخير يقولونه ليحصل لهم السعادة الأبدية ، وإذا ظرف لقال» .

وأما الاجتهاد فى الحصول على صبى أوبنت ، فقد أرشدت الأحاديث النبوية لكيفية حصول ذلك بإذن الله ـ تعالى ـ مع مراعاة بعض الأسباب[2] :

وروى البخارى عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام بلغَه مَقْدمُ النبىِّ ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء ... وما بال الولد ينزعُ إلى أبيه أو أمه ؟ فأجاب الرسول ﷺ : «وأما الولَدُ فإذا سَبَقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأة نَزَعَ الولدُ ، وإذا سَبَقَ ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت الولد ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسولُ الله ... الحديث» . ورواه الإمام أحمد .

وروى مسلم عن عائشة – رضى الله عنها – أن امرأةً قالت لرسول الله ﷺ : هل تغْتسلُ المرأةُ إذا احتلمت وأبصرت الماء ؟ فقال : «نعم» ، فقالت لها عائشة تَرَبتْ يداكِ وألّت ،قالت:فقال رسول الله ﷺ :«دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك، إذا علا ماؤها ماءَ الرجل أشبه الولدُ أخواله ، وإذا علا ماءُ الرجل ماءها : أشبه أعمامَه» . رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد ومالك والدارمى .

وروى مسلم عن ثوبان أن حبراً من أحبار اليهود جاء يسأل النبى ﷺ ... قال : جئتُ أسألك عن الولد ؟ قال : ماءُ الرجل أبيضُ وماء المرأة أصفرُ ، فإذا اجتمعا ، فعلا مَنِىُّ الرجل المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مَنِىُّ المرأةِ مَنِىَّ الرجل آنثا بإذن الله ، قال اليهودى : لقد صدقتَ وإنك لنبى» .

وروى النسائى عن أنس – رضي الله عنه– قال : قال رسول الله ﷺ :«ماءُ الرجل غليظٌ

---

(1) الخبر رواه البخارى ومسلم .

(1) الاجتهاد فى طلب الصبى أو البنت ، مثل الاجتهاد فى طلب الرزق ، فقد سعى كثيراً ويرزق قليلاً ، فالاجتهاد فى الطلب جائز ، والباقى على الله ـ تعالى ـ فى تحقيق كل المراد أونصفه أو ثلثه أولا ، والله أعلم.

أبيض ، وماء المرأة رقيق أصفر ، فأيهما سَبَقَ كان الشَّبَهُ» ، وفى رواية ابن ماجه: «فأيهما سَبَقَ أو علا أشبَهَهُ الولدُ» . وفى رواية أحمد : «فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نَزَعَ إليه الولد ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزع إليها» . وفى رواية لأحمد أيضاً : «إذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة ذهب بالشبه ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل ذهبت بالشبه» .

قال الإمام القرطبى فى (المفهم) 1/ 572 : «وقد بنى القاضى أبو بكر بن العربى على اختلاف هذه الأحاديث بناءً ، فقال : إن للماءين أربعة أحوال :

الأول : يخرجَ ماءُ الرجل أولًا .

والثانى : أن يخرجَ ماءُ المرأة أولًا .

والثالث : أن يخرجَ ماءُ الرجلِ أولًا، ويكون أكثر .

والرابع : أم يحرج ماءُ المرأة أولًا، ويكون أكثر .

ويتم التقسيم :

– بأن يكون ماءُ الرجل أولًا، ثم يخرج ماء المرأة بعده ، فيكون أكثر ، أو بالعكس .

– وبالعكس فإذا خرج ماء الرجل أولًا، وكان أكثر ، جاء الولد ذكرًا، بحكم السبق ، وأشبه الولد أعمامه بحكم الكثرة .

– وإن خرج ماءُ المرأة أولًا، وكان أكثر ، جاء الولد أنثى ، بحكم السبق ، وأشبه أخواله بحكم الغلبة .

– وإن خرج ماء الرجل أولًا، لكن لما خرج ماء المرأة بعده كان أكثر ، كان الولد ذكراً بحكم السبق ، وأشبه أخواله بحكم غلبة ماء المرأة .

– وإن سبق ماءُ المرأة ، لكن لما خرج ماء الرجل ، وكان أعلى من ماء المرأة ، كان الولدُ أنثى بحكم سبق ماء المرأة ، وأشبه أعمامه بحكم غلبة ماء الرجل .

وقال – أى ابن العربى :«وبانتظام هذه الأقسام ،يستتب الكلام ، ويرتفع التعارض عن هذه الأحاديث .» انتهى .

فيتضح أن سبق الماء يحدد الذكورة أو الأنوثة ، وأن كثرة الماء تحدد الشبه بالأعمام أو الأخوال .

فدلت الأحاديث على تعليم النبى ﷺ أصحابه طريقة إنجاب الصبى والبنت مع

الاعتقاد الجازم بأن ذلك يتم بإذن الله تعالى ، فالاجتهاد فى الحصول على الصبى أو البنت جائز شريطة الاعتقاد بأنه يتم بإذن الله تعالى فى كل مراحله والله أعلم .

12 – الطفل لم يك شيئًا:

بعد أن تتم عملية الزواج يتوجّه الزوجان ويطلبان من الله تعالى النسل الطيب ، وأن يمنّ عليهم بالذرية الصالحة ، وكلما تأخرت هذه النعمة ازداد الزوجان طلبًا وإلحاحًا على الله ، وهنا يتذكر الإنسان آية من كتاب الله تذكره أنه لم يك شيئًا، وأن الذى أتى به إلى هذا العالم هو الله،فحق على الإنسان أن يقدم العبودية لمن أوجده : ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ ﴾ [الإنسان] .

13 – الطفل نطفة :

وجهت الآيات الإنسان للتفكير فى أصله ، وفى المواد المركب منها ؛ ليتعرف على نعمة الله عليه ، فلا يتكبر ، ولا يتعجرف ، ولا يستكبر ، ولا يستنكف عن عبادة الله:﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ [الطارق] ، ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ﴾ [عبس] ، ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٥٩ ﴾ [الواقعة] ، ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ [الإنسان] .

14 – لمحة عن التصوير فى الأرحام ، وتطوير الجنين :

بعد أن يتم التلاحم بين الماء من صلب الرجل ومن ترائب المرأة ، تبدأ عملية تشكيل الجنين الأولى ، والله تعالى يحدد ذكرًا أم أنثى ، وتبدأ معها عملية التصوير : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦ ﴾ [آل عمران] ،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝٣٤ ﴾ [لقمان] ،﴿

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحج] ، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝١١﴾ [فاطر] ،﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾ [الزمر :6] .

وهنا تبدأ عملية الحمل ، ورعاية الله للجنين الجديد ، أما نفسية الأم الحاملة تتأثر وتعانى من آلام لم تجدها من قبل ، وهذا صورته الآية : ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا ﴾ [الأحقاف :15] . أما أقل الحمل فهى ستة أشهر ﴿ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا ﴾ [الأحقاف :15] . فالحمل والرضاع يساوى ثلاثين شهراً . وبما أن الرضاع سنتان ، فتبقى فترة الحمل ستة أشهر . وهذا ما أفتى به على- كرم الله وجهه – أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنهما .

وقد جمع هذا التطور الجنينى حديث البخارى ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال:حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق :«إن أحدكم يُجمع خَلْقُهُ فى بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقةمثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يُرْسَلُ الملك ، فَينْفُخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد».

أما كيفية توزيع خلقة الطفل ووراثته من أبيه وأمه ، فقد روى الإمام أحمد بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : مَرْ رجل يهودى برسول الله ﷺ وهو يُحدِّثُ أصحابَه ، فقالت قريشٌ : يا يهودى ، إن هذا يَزْعُمُ أنه نبىٌ ، فقال : لأسألَنَّهُ عن

شىء لا يعلمَهُ إلا نبى . قال : فجاء ، حتى جلس ؛ ثم قال : يا محمد ، مِمَّ يُخلقُ الإنسانُ ؟ قال : «يا يهوديُّ من كُلٍّ يُخلَقُ : من نُطفةِ الرجل ، ومن نُطفةِ المرأة ، فأما نُطفةُ الرجل فنطفة غليظةٌ منها العَظْمُ والعَصَبُ وأما نُطفةُ المرأةِ : فنُطفةٌ رقيقةٌ : منها اللحمُ والدم» فقام اليهوديُ فقال : هكذا كان يقولُ من قَبْلَكَ .

وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن وأم سلمة أم سُلَيم – رضى الله عنهما – قالت : يا رسول الله ، المرأة ترى زوجها فى المنام يَقَعُ عليها ، أَعَلَيْها غُسْلٌ ؟ قال : «نعم إذا رأتْ بَلَلاً» ، فقالت أم سلَمةَ : أو تَفْعَلُ ذلك ؟ فقال : «تَرِبَتْ يمينُكِ ، أنَّ يأتى شَبَهُ الخُؤُولَةِ إلا من ذلك ، أىُّ النُطفتين سبقتْ إلى الرِّحِمِ غَلَبتْ على الشَّبَه» . وروى بعضه البخارى ومسلم والترمذى .

ولا بد من التحذير من سجع الكهان والعرافين الذين تنخدع بهم كثير من النساء فى القديم والحديث ، والمؤمنة تعلم أن كل شىء بأمر الله وقدره ، ولا تأثير لسجع وتمتمات الكهان.

روى الإمام أحمد بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى ﷺأنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ فى سَفَرٍ ، فنزلُوا رُفَقَاءَ ، رُفْقَةٌ مع فلانٍ ، ورُفْقَةٌ مع فلانٍ ، قال : فنزلتُ فى رُفْقَةِ أبى بكر ﷺ فكان معنا أعرابىٌ من أهل الباديةِ ، فنَزَلنا بأهل بيت من الأعراب ، وفيهم إمرأة حاملٌ ، فقال لها الأعرابىُّ : أيَسُرُّك أن تَلِدى غلاماً ، إن أَعْطيْتنى شاةٌ وَلَدْتِ غلاماً ، فأعطتْهُ شاةً ، وسَجَعَ [1] لها أساجيعَ ، قال : فذبَحَ،الشاةَ ، فلما جلسَ القومُ يأكلون قال رجلٌ : أتدرونَ ما هذه الشاةُ ؟ فأخبرَهم، قال : فرأيتُ أبا بكرٍ مُتَبَرِّيا مُسْتَنْبلًا مُتَقَيِّئًا»[2] .

15 – العلاج النبوى للعقيم :

روى أبو حنيفة فى مسنده عن جابر بن عبد الله – رضى الله تعالى عنهما : أنه جاء رجل من الأنصار إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما رُزِقْتُ ولدًا قط ، ولا وُلِدَ لى، قال ﷺ : «فأينَ أنتَ من كثرة الاستغفار ، وكثرة الصدقة تُرْزَقُ بها» . قال : فكان الرجل يُكْثر الصدقة ، ويكثر الاستغفار ، قال جابر : فولد له تسعة ذكور .

قال العلامة ملا على القارى فى شرحه على الحديث : ولعله مقتبس من قوله تعالى

---

(1) السَّجع : الكلام المقفى غير الشعر .

(2) مُتَبَرِّياً : أى معترضاً له ، مُستَنْبلاً : أى تهيأ للشىء واستعد له ، والمراد : تهيأ للقىء ، القىء استخراج مافى الجوف عمداً .

حكايــة عــن نــوح -عليه السلام- : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح] .

وقد ورد : «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل غـمٍّ فرجًـا، ومـن كـل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب» . رواه أحمد والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما [1].

16 – عقاب من تبرأ من ولده ، أو أحد والديه :

عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قـال : رسـول الله ﷺ : «مـن انتفـى مـن ولـده ؛ ليفضحه فى الدنيا ، فضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ؛ قصـاص بقصاص» . رواه أحمـد ، والطبرانـى فى الكبـير والأوسـط ، ورجـال الطبرانـى رجـال الصحيح خلا عبد الله بن أحمد ، وهو ثقة إمام ، قاله الهيثمى فى المجمع (5/ 15) .

وعن معاذ بن أنس عن النبى ﷺ أنه قال : «إن لله تعالى عباداً لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم» ، قيـل : مَـنْ أولئـك يـا رسـول الله ؟ قـال : «متبرئ من والديه ؛ راغب عنهما ، ومتبرئ مـن ولـده» . رواه أحمـد ، والطبرانـى ، وزاد: «ولهم عذاب أليم» ، وفيه : زبان بن فائد ، ضعفه أحمد وابن معين ، وقال أبـو حاتم : صالح ، كذا قاله الهيثمى (5/ 15) .

وروى أحمد بإسناد صحيح وابن ماجه وأبو يعلى والبغوى وابن قانع وابن منده والطبرانى وسعيد بن منصور ، أن الخشخاش العنبرى قال : أتيت النبى ﷺ ، ومعى ابن لى، قال : فقال (أى : النبى ﷺ) : « ابنك هذا» قال : قلت : نعم ، قال : «لا تجنى عليه ، ولا يجنى عليك»[2].

وروى الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وأقره الذهبى ، عـن أبـى رمثـة قـال : انطلقت مع أبى نحو رسول الله ﷺ ؛ فسلم عليه أبى ، وجلسنا ساعة، فقـال رسـول الله ﷺ لأبى : «ابنك هذا ؟» قال :إى ورب الكعبة ، قال : «حقًا» قـال : أشـهد بـه، فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا من ثبت شبهى بأبى ، ومن حلف أبى على ذلك قـال : ثم قال : «أَمَا إن ابنك هذا لا يجنى عليك ، ولا تجنى عليه» ، قال : وقـرأ رسـول الله ﷺ :

---

(3) شرح مسند أبى حنيفة لعلى القارى (ص 587) .

(1) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (990).

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ إلى قولـــه تعـــالى ...هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النجم] .

وعن أبى ذر ﷺ أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ : «ليسَ مِنْ رجل ادّعى لغير أبيه ، وهو يعلمه ، إلا كفرَ ، ومن ادّعى ما ليس له فليسَ منا ، وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلًا بالكفر ، أو قال : عَدُوّ الله وليس كذلك ، إلا حار عليه» رواه أحمد والبخارى ومسلم . قال القرطبى فى شرح الحديث [1] .

«وقوله : ليس من رجل ادعى لغير أبيه ، وهو يعلمه ، إلا كفر ، أى : انتسب لغير أبيه، رغبةً عنه ، مع علمه به ، وهذا إنما يفعله أهلُ الجفاءِ والجهل والكِبْرْ ؛ لخَسّةِ منصبِ الأب؛ ودناءتهِ ، فيرى الانتسابَ إليه عارًا، ونقصًا فى حقه ، ولا شك فى أن هذا مُحَرَّم و معلوم التحريم ، فمن فعل ذلك مستحلاً فهو كافرٌ حقيقةً ، فيبقى الحديثُ على ظاهره ، وأما إن كان غيرَ مستحلّ ، فيكون الكفرُ الذى فى الحديث محمولاً على كُفران النِّعم والحقوق ، فإنه قابَلَ الإحسانَ بالإساءة ، ومن كان كذلك صدقَ عليه اسم : الكافر ، وعلى فعله : أنه كَفَرَ ، لُغةً وشرعاً ، على ما قرَّرْناهُ ، ويُحتملُ أن يقال : أطلق عليه ذلك ؛ لأنه تَشَبَّهَ بالكفار أهل الجاهلية ، أهل الكبر والأَنَفَةِ ، فإنهم كانوا يفعلون ذلك ، والله تعالى أعلم»[2].

وعن سعد بن أبى وقّاص وأبى بَكْرَةَ ، كِلاهُما قال : سَمِعَتْهُ أُذُنَاىَ ، ووعَاهُ قلبى، محمداً ﷺ يقول : «مَنِ ادّعى إلى غير أبيه ، وهو يعلمُ أنه غير أبيه ، فالجنّةُ عليه حرامٌ» . رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه .

وفى عصرنا ظهر مفسدة الأبناء المثقفين حملة الشهادات والمناصب ، بالتبرى من آبائهم بصور مختلفة ، محزنة مبكية ، تشمئز منها النفوس والعياذ بالله .

17 – المواصفات النبوية للبيت الصالح :

بيّن الرسول ﷺ فى عدد من الأحاديث صفات البيت الصالح الذى تعيش فيه الذرية الصالحة ، وبقدر ما يلتزم الوالدان بتوفير تلك الصفات ، بقدر ما يلتزم أطفالهم بذلك .

---

[1] كتاب : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 254) تحقيق مجموعة من الأساتذة ، نشر دار ابن كثير (دمشق – بيروت) .

[2] يطلب بقية شرح الحديث من المصدر السابق .

أ – إعمار البيت بذكر الله تعالى : روى الإمام مسلم عن أبى موسى الأشعرىﷺ: أن النبى ﷺ قال : «مَثَلُ البيتِ الذى يُذكَرُ الله فيه ، والبيت الذى لا يُذكرُ الله فيه: مَثَلُ الحى ّوالمَيِّت» ،

وقال ﷺ: «إن البيت الذى يُذكرُ فيه اسمُ الله ليضىء لأهل السماء ، كما تُضىء النجوم لأهل الأرض» . رواه أبو نعيم فى «المعرفة» عن سابط ، كنز العمال (1/ 424) .

ب – إعمار البيت بالرفق : قال ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيرًا أدخل عليهم الرفق» . رواه الإمام أحمد (6/ 71) ، وقال الهيثمى : ورجال أحمد رجال الصحيح (المجمع 8/ 19) ، وصححه المناوى فى فيض القدير (1/ 263) .

جـ – حرمة تعليق الصور : روى البخارى عن عائشة – رضى الله عنها – قول النبى ﷺ : «إن البيت الذى فيه صورٌ لا تدخلُهُ الملائكة» . ورواه مسلم وأحمد ومالك ، وروى النَّسائى عن أبى الهَيَّاجِ قال : قال علىٌﷺ: أَلاَ أَبْعَثُكَ على ما بَعَثنى عليه رسولُ الله ﷺ : «لا تَدَعَنَّ قَبْراً مُشْرِفَاً إلا سَوَّيْتَهُ ، ولا صورةً فى بيتٍ إلا طَمَسْتَها» . ورواه مسلم والترمذى وأبو داود وأحمد .

د – إعمار البيت بتلاوة القرآن : روى الدارمى بسند صحيح أن أبا هريرةﷺكان يقول : إن البيت ليتسعُ على أهله ، وتحضُرُه الملائكةُ ، وتهجُرُه الشياطينُ ، ويكثرُ خيرهُ أن يُقرأ فيه القرآن ، وإن البيتَ ليضيقُ على أهلهِ وتهجُرُهُ الملائكةُ وتحضُره الشياطينُ، ويَقِلّ خيرهُ أن لا يُقرأ فيه القرآن» .

وروى الدارمى بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال :« لا أُلْفينَّ أحدَكُم يضعُ إحدى رجليه على الأخرى ، يتغنَّى ، ويدع أن يقرأ سورة البقرة، فإن الشيطان يفِرُّ من البيت يُقرأ فيه سورةُ البقرة ، وإن أصفرَ [1] البيوتِ الجَوْفُ ، يَصْفَرُ من كتاب الله »، وروى مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لا تَجعلوا بيوتكم مقابرَ ، إن الشيطان ينفِرُ من البيت الذى تُقرأُ فيه سورة البقرة» . ورواه الترمذى وأبو داود وأحمد .

هـ – إعمار البيت بالنوافل : عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : جئتُ ورسولُ الله ﷺ يُصلى فى البيت ، والبابُ عليه مغلق ، فمشى حتى فَتَحَ لى ، ثم رجع إلى مكانه ، ووصفت الباب فى القبلة» . رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

---

[1])الصفر:الخالى من كل شىء أى: أكثرها خلوا.

ورواه النسائى وأبو داود وأحمد .

و – إعمار البيت بأهل الصلاح والتلقى وإبعاد أهل الأهواء والفلسقة : روى النسائى عن على – كرم الله وجهه – أنه قال : حدثنى النبى ﷺ بأربع كلمات وأنا وهو فى البيت ، فقال : «لعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى مُحْدِثَاً ، ولعن الله من غيَّرَ منار الأرض» ،وروى مسلم عن أنسﷺ أن جدته مُلَيْكَةَ دعتْ رسولَ الله ﷺ لطعامٍ صنعته ، فأكل منه ، ثم قال : «قوموا ، فأصَلِّىَ لكم» ، قال أنس بن مالك : فقمتُ إلى حصير لنا قدِ اسْوَدّ من طولِ ما لُبسَ ، فَنَضَحْتُهُ بماءٍ ، فقام عليه رسولُ الله ﷺ ، وصَفَفْتُ أنا واليتيمُ وراءَهُ ، والعجوزُ من ورائنا ، فصّلَى لنا رسولُ الله ﷺ ركعتين، ثم انصرف» . ورواه البخارى والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك والدرامى وأحمد .

فإعمار البيت بأهل الصلاح والعلماء يُضفى على البيت روحًا جديدة؛ إذ يتفاعل أطفال البيت مع الزائر الجديد ، ويأتون إليه فيقبلهم ويدعو لهم ، ويذكر الله تعالى فى بيوتهم . ويقوم فيصلى فيه ، فيشاركه أطفال البيت ، فتتأجج مشاعرهم الإيمانية ويرون أن المجتمع فيه رجال صالحون .

وروى ابن ماجه عن أنس ﷺقال : صنع بعضُ عمومتى للنبى ﷺ طعامًا ، فقال للنبى ﷺ : إنى أحب أن تأكل فى بيتى ، **وتصلى** فيه ، قال : فأتاه ، وفى البيت فَحْلٌ من هذه الفحول ، فأمَرَ بناحيةِ منه فكُنِّسَ ، ورُشَّ ، فصلى وصلَّينا معه» . **قال ابن ماجه : الفحل هو الحصير الذى قد اسودّ ، ورواته ثقات . ؟**

ز – الإكثار من قول الخير فى البيت وخاصة عند الوفاة : روى ابن ماجه عن شداد بن أوس قال:قال رسول الله ﷺ:«إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر،فإن البصر يتبع الروح،وقولوا خيرا،فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل البيت»رواه أحمد.

ح ـ الحفاظ على نعمة الطعام، والخبز فى البيت، وعدم رميهم: روى ابن ماجه.بسند ضعيف – عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : دخلَ النبىُّ ﷺ البيتَ ، فرأى كِسْرَةً ملقاةً فأخذها ، فمسحَهَا ، ثم أكلها ، وقال : «ياعائشة ، أكرمى كريمًا، فإنها ما نَفَرَتْ عن قومٍ قطُّ فعادت إليهم» .

ط – إكرام الضيف بذبح البعير أو غيره : روى ابن ماجه بسند ضعيف – عن أنس ﷺقال :قال رسول الله ﷺ : «الخير أسرع إلى البيت الذى يُغشى من الشفْرةِ إلى سِنام البعير» . وفى رواية : «الخير أسرعُ إلى البيت الذى يُؤكل فيه من الشفرة إلى

سِنام البعير» . الشفرة السكين العريض .

ى- لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو جنب أو صورة روح : روى الإمام أحمد أن النبى ﷺ آتاه جبريل فقال له : اخرج إلىَّ ، فلما حرج النبى ﷺ قال له جبريل : إن فى بيتك شيئاً لا يدخله مَلَك ما دام فيه ، قلت : ما أعلمُهُ يا جبريل ، قال : اذهب ، فانظر ، ففتحت البيت فلم أجد فيه شيئاً غير جَرْو كلب كان يلعب به الحسن ، قلتُ : ما وجدتُ إلا جَرْواً ، قال جبريل : إنها ثلاثٌ لن يَلجَ مَلَكٌ ما دام فيها أبداً واحدٌ منها: كلبٌ ، أو جنابةٌ أو صورةُ روح» . ورواه النسائى وابن ماجه والدارمى.

ولكن رخص النبى ﷺ فى الكلب المفيد للصيد أو الحرث أو الغنم ، ونهى عن غيرهم : روى الترمذى – وقال : حديث حسن – عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ قال : إنى لِمَّن يرفعُ أغصانَ الشجرةِ عن وجهِ رسولِ الله ﷺ وهو يخطُبُ ، فقال : «لولا أن الكلابَ أُمّةٌ من الأمم لأمرتُ بقَتْلها ، فاقتُلُوا منها كُلَّ بهيمٍ ، وما من أهل بيتٍ يرتبِطُون كَلبةً إلا نَقَصَ من عملهم كلَّ يوم قراطٌ ، إلا كَلْبَ صَيْدٍ ، أو كلبَ حَرْثٍ ، أو كلب غَنَمٍ» . ورواه مسلم والنسائى وأبو داود وابن ماجه وأحمد .

وأما حرمة وجود التماثيل فقد روى البخارى أن مسروقًا رأى فى دار يسار بن نُميرَ فى صُفّتِهِ تماثيل ، فقال : سمعت عبد الله (أى : ابن مسعود) ﷺ قال : سمعتُ النبى ﷺ يقولُ : «إن أشدَّ الناسِ عذابًا عند الله يوم القيامة المُصَوِّرُون» . ورواه مسلم والنسائى وأحمد .

ك – التسوك والوضوء وقيام الليل : روى الإمام أحمد بسند صحيح عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه بات عند نبى الله ﷺ ذات لَيلة ، فقام نبىُّ الله ﷺ من الليل ، فخرج ، فنظر إلى السماء ، ثم تلا هذه الآية التى فى آل عمران﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران] ، ثم رجع إلى البيت ، فتسوك وتوضأ ، ثم قام فصلى ، ثم اضطجع ، ثم قام فخرج ، فنظر إلى السماء ، ثم تلا هذه الآية ، ثم رجع فتسوك ، وتوضأ ، ثم قام فصلى». رواه ـ أيضاً ـ البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك والدارمى .

ل – إغلاق الباب وإطفاء المصابيح أثناء النوم مع التسمية : روى البخارى عن

النبى ﷺ قال : «إذا اسْتَجْنَح الليلُ أو قال : جُنْحُ الليل : فكفُّوا صبيانكم ، فإن الشيطان تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعةٌ من العشاء فخلّوهم ، وأغلِقْ بابَك واذكر اسم الله ، وأطفِئ مصباحكَ واذكر اسم الله وأوْكِ (أى غطِّ) سِقَاءك واذكر اسم الله، وخَمِّر إناءكَ واذكر اسم الله ، ولو تعرُضُ عليه شيئًا» . ورواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك وأحمد والدارمى .

وروى مسلم – كتاب الأشربة – عن أبى موسى ﷺ قال : احترق بيتٌ على أهله بالمدينة من الليل ، فلما حُدِّثَ رسولَ الله ﷺ بشأنهم قال : «إن هذه النارَ إنما عَدُوٌّ لكم ، فإذا نِمْتُمْ فأطفئوها عَنْكم» . ورواه البخارى وابن ماجه وأحمد .

وروى الإمام أحمد عن أبى ذر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن مَرَّ رُجلٌ على بابٍ لا سِتْر له ؛ غير مُغلقٍ ؛ فنظر ؛ فلا خطيئةَّ عليه ، إنما الخطيئةَ على أهل البيت» . ورواه الترمذى .

م – **التقليل من زينة البيت ما أمكن** : روى الإمام أحمد – بسند صحيح – أن رجلاً أضافَهُ علىٌّ بن أبى طالب ﷺ فَصنَع له طعامًا، فقالت فاطمةُ : لو دَعَوْنا رسول الله ﷺ ، فَدَعَوْهُ ، فجاء فوضع يده على عِضادَتَى[1] الباب ، فرأى قِرامًا[2] فى ناحيةِ البيت ، فرجع ، فقالت فاطمةُ لعلى : الحَقْهُ ، فقل له : لِمَ رجعتَ يا رسول الله؟ فقال : «إنه ليس لى أن أدخل بيتاً مُزَوَّقاً»[3] ورواه أبو داود وابن ماجه .

وفى رواية للبخارى أن النبى ﷺ أتى بيت فاطمةَ فلم يدخل عليها ، وجاء علىٌّ فذكرتْ له ذلك ، فذكرَه للنبى ﷺ قال : «إنى رأيتُ على بابها سِتْرًا موشياً»[4] فقال : «مالى وللدنيا»فأتاها على ، فذكر ذلك لها ، فقالت (أى فاطمة) :لِيَأْمُرْنى فيه بما شاءَ، قال : «ترُسِلُ به إلى فلانٍ ؛ أهل بيتٍ بهم حاجة» .

ن – **إلقاء السلام فى البيت ولو كان غير مسكون** : روى الإمام مالك أنه بلغه إذا دُخل البيتُ غيرُ المسكون يُقال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[5].

فتلك أهم الصفات النبوية للبيت المسلم ، كلما التزمت بها الأسرة المسلمة ، كانت أقرب إلى السنة النبوية، وكلما اتصفت بها كانت عوناً لنشوء الطفل نشأة

---

(1) أى : جانبى .

(2) القرام : ستر رقيق فيه ألوان ونقوش.

(3) مزوقاً : أى مزيناً .

(4) مَوْشياً : مزخرفاً منقوشاً .

(5) من (جـ ن) تم استخراجها بوساطة برنامج الحديث الشريف صخر .

إسلامية نبوية ، وكلما تساعد الأبوان على ذلك ، دل على حبهما للسنة ولأولادهم ، وكلما كانت سرعة التطبيق أكثر دل على زيادة الإيمان ، وكلما كان التصديق بما أخبره الرسول ﷺ عن البيت المسلم ، دل على صدق الحب والإخلاص لرسول الله ﷺ ، فالأمة الإسلامية لا تعرف إلا الجد والاجتهاد فى سبيل العلا ونشر الدعوة : «رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله » وأولى درجاته تربية الأجيال ، فهم رصيد المستقبل القريب ، وهم رجال الوطن ووزراؤه المقبلون ، وهم معدن الإسلام فى فتوحاته شرقاً وغرباً» . اللهم وفقنا إلى الاتصاف بذلك، وأعنا على اتباع سنة نبيكﷺ، وسَهِّل علينا إقامة دينك فى بيوتنا وحياتنا يا رب العالمين .

س – إعمار البيت بالأغذية النبوية : سيأتى معنا فى القسم الثانى – الفصل الثانى: الرعاية الصحية للطفل – موضوع الأغذية التى خصَّها النبى ﷺ بالذكر ، فتطلب هناك وأهمها التمر . روى مسلم فى كتاب الأشربة عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : «يا عائشة ، بيت لا تمر فيه جياعٌ أهلُه ، أو جاع أهله – قالها مرتين أو ثلاثاً». ورواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدرامى.

ع – ذبح الأضحية عن أهل البيت فى كل عام : روى الترمذى – وقال :حديث حسن غريب – عن مِخْنَفِ بنِ سُلَيْم قال : كنا وُقُوفاً مع النبى ﷺ بعَرَفاتٍ ، فسمعته يقول : «يا أيها الناسُ ، على كلِّ أهل بيت فى كل عام أُضحْيَةٌ وعتَيرةٌ ، هل تدرون ما العتيرة ؟ هى التى تسمونها الرَّجبية»[1].ورواه النَّسَائى وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

ف – تنوير البيت برواية العلم فيه : نشأ الإسلام فى عهده السرى الأولى فى بيت دار الأرقم بن أبى الأرقم ، يستضيف النبى ﷺ وصحبه المؤمنين ، وتابع صحابته يروون أحاديثه ﷺ فى بيوتهم وبيوت إخوانهم :

فقد روى الإمام أحمد عن عمرة بن مُرَّة قال : حدثنا رجل فى بيت أبى عُبيدة أنه سمعَ عبد الله بن عمرو يُحدِّثُ عبدَ الله بن عمرَ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : من سَمَّعَ الناس بعمَله ، سَمَعَّ الله به سامِعَ خلقْهِ ، وصَغَّرَهُ ، وحَقَّرَهُ ، قال : فَذَرفت عينا عبد الله بن عمر .

وروى الإمام أحمد بسند حسن عن أبى هريرة – ﷺ– قال : جاء نِسْوَةٌ إلى رسول الله ﷺ فَقُلْنَ : يا رسول الله ، ما نَقْدِرُ عليكَ فى مجلسكَ مِنَ الرجال ؛ فواعدْنا منكَ يومًا نأتيكَ فيه ، قال : «موعِدُكُنَّ بيتُ فلانٍ وأتاهُنّ فى ذلك اليوم ، ولذلك المَوْعِدِ، قال : فكان مما قال لهُنَّ : يعنى «ما مِنْ امرأةٍ تُقَدِّمُ ثلاثاً من الولدِ تحتَسِبُهُنّ إلا دخلتِ الجنةَ»

---

[1]) الرَّجبية : هى العتيرة وهى شاة تذبح فى رجب .

فقالت امرأةٌ منهُنَّ : أوِ اثنان ؟ قال : «أو اثنان» . ورواه مسلم .

وروى الإمام أحمد- بسند صحيح - عن أبى المليحِ يُحَدِّثُ عن أبيه أنه سمِعَ النبىَّ ﷺ فى بيتِ يقول : «إن الله عَزَّ وجَلَّ لا يَقْبَلُ صلاةً بغير طُهُورٍ ، ولا صَدَقةً من غُلُولٍ» . ورواه النَّسائى وأبو داود وابن ماجه والدرامى .

وفى العراء وفى البيوت : روى الإمام أحمد – بسند حسن – قال : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا شعبة ، حدثنا أبو إسرائيل فى بيت قَتَادةَ قال : سمعتُ جَعْدَة وهو مولى أبى إسرائيل ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ ورجلٌ يَقُصُّ عليه رُؤْيا ، وذكر سِمَنَه وعِظَمَهُ ، فقال له رسولُ الله ﷺ : «لو كان هذا فى غير هذا كان خيراً لك» .

ص : إعمار البيت بالولائم الرمضانية ، وتفطير الصائم : روى الإمام أحمد – بسند صحيح – عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : كان النبى إذا أفطر عند أهل بيتٍ قال : «أَفْطَرَ عنْدكُمُ الصائمون ، وأَكَلَ طعامكُمُ الأبرارُ ، وتَنَزَّلتْ عليكم الملائكة» . ورواه أبو داود والدرامى .

* * *

المبحث الثالث

أسس الأساليب النفسية المؤثرة في نفس الطفل

الأساس الأول: صحبة الطفل.

الأساس الثانى:إدخال السرور والفرح إلى نفس الطفل.

الأساس الثالث:زرع التنافس البنَّاء بين الأطفال،ومكافأة الفائز.

الأساس الرابع:مبدأ تشجيع الأطفال.

الأساس الخامس:المدح والثناء.

الأساس السادس:ملاعبتهم والتصابى لهم.

الأساس السابع:تنمية ثقة الطفل بنفسه.

الأساس الثامن:حسن النداء.

الأساس التاسع:الاستجابة لميولهم،وترضيتهم.

الأساس العاشر:أثر التكرار في نفس الطفل.

الأساس الحادى عشر:التدرج في الخطوات.

الأساس الثانى عشر:الترغيب والترهيب.

«إن الأرواح لتنمو بالتربية اللطيفة ، كما تنمو الأجسام بالغذاء الصحيح ، ولـنماء الجسم حد معلوم ، وغاية لا تُتَجاوَز ، إذا أَدْرَك شأوها أخـذ فى التقهقـر إلى الـوراء، أما نماء الروح فموصول بحياة الإنسان ، لا يقـف إلا إذا خمـدت أنفاسـه ، وبـارح[1] مدرسة هذا العالم الكبرى» .

الشيخ محمد الخضر حسين

– رحمه الله –

(1) أى : فَارَقَ .

أسس الأساليب النفسية المؤثرة فى نفس الطفل

الأساس النفسى الأول : صحبة الطفل :

تلعب الصحبة دورًا كبيراً فى التأثير على نفس الطفل ، وهى مرآةُ الصديق لصديقه ، وهى أشبهُ بعملية التلقيح بين الصديقين ، فيتعلمان من بعضهما البعض .

وكان ﷺ يصحب الأطفال فى كافة الميادين ، فتارة يصحب ابن عباس ، ويسيران فى الطريق ، وتارة يصحب أطفال ابن عمه جعفرًا ، وأخرى يصاحب أنساً، وهكذا يصحب النبى ﷺ الطفل معه من غير تأفف ولا استكبار ، ومن غير تعجرف ، ولا استعلاء ، فهذا حقُّ الطفل أن يصحَب الكبار ليتعلم منهم ، فتتهذب نفسه ، ويتلقح عقله ، وتتحسَّن عاداته .

وعن أنس –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ، وهو يلعبُ مع البيان، فأخذه فصرعه ، فشقّ عن قلبه ... الحديث . رواه الحاكم فى مستدركه ، وقال: صحيح الإسناد ، وأقره الذهبى .

وروى الحاكم [1] أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتنى وقثم وعبيد الله بن العباس نلعب ، إذ برسول الله ﷺ على دابة فقال : «احملوا هذا إلى» ، فجعلنى أمامه، ثم قال لقثم: «احملوا هذا إلى» فجعله وراءه ، ما استحيا من عمه العباس أن حمل قثم ، وترك عبيد الله ، ثم مسح برأسى ثلاثاً ، فلما مسح قال : «اللهم اخلفْ جعفراً فى ولده» قلت لعبد الله بن جعفر : ما فعل قثم ؟ قال : استشهد ، قلت لعبد الله : الله ورسوله كان أعلم بخبره ، قال: أجل .

وهذا الطفل الصحابى يُحدِّث كيف اصطحبه قومه إلى رسول الله ﷺ مما جعله بعد ذلك يروى الأحاديث النبوية ، ويحدث عما رآه ، وسمعه من رسول الله ﷺ ، إنه أبو جحيفة رضي الله عنه فيقول :

أتينا رسول الله ﷺ فى نفر من بنى عامر بن صعصعة بالأبطح ، فقال : «مرحبًا ، أنتم منى» ، فلما حضرت الصلاة خرج بلال ، فأذن ، وجعل أصبعيه فى أذنيه ، وجعل يستديرُ فى أذانه ، فلما أقام غَرَزَ النبى ﷺ عَنَزَةٌ ، فصلى إليها . رواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 191) بسند صحيح .

---

(1) السعادة العظمى للشيخ محمد خضر حسين – رحمه الله – (ص 90) .

وهكذا فعل الصحابة – رضوان الله عليهم – فعمر كان يصحب ابنه ، وابن عباس . والزبير يصحب طفله إلى المعركة ليتعلم فنون القتال ، فينشأ قويًّا صلباً ، ثم ركّز ﷺ على صحبة الطفل للطفل ، فكان ﷺ فى طفولته يلعب مع الأطفال ، ويعيش معهم ، فيغدو ويروح معهم ، وهكذا نشأ .

ثم يشاهد ﷺ مجموعة من الأطفال يلعبون ، فلا يفرقهم ، ولا يفسد عليهم لعبهم ، بل إنه يشجعهم على هذه الروح الجماعية ، والمتابعة فى اللعب .

فإذا لابد للطفل من صحبة الأطفال فى عمره ، والأصدقاء فى طفولته ، فإذا أحسن الوالدان اختيار الصديق الصالح لطفلهما ، وراقبا سلوكَ هذه المجموعة من الأصدقاء ، ورعوها برعايتهم ، واجتمع الآباء لمدارسة أحوال أطفالهم ، واجتمعت الأمهات فى مدارسة سلوك أطفالهم ، فإن هذا سيأتى بالخير كله ؛ لأنه كما أن الوالدين مطالبان بتأمين الطعام الحلال للطفل؛لينشأ جسمه بالحلال ، وينبت لحمه بعيداً عن السحت ، فإن الوالدين مطالبان بتأمين الصديق الصالح لطفلهما ، يحادثه، ويسامره ، ويلعب معه .

والحذر ، الحذر من أطفال السوء أن يلتقطوا طفلك فيهووا به إلى مهاوى الرذيلة، وارتكاب الجرائم ، وأنت فى غيّك لاهٍ ، وفى الدنيا منهمك ، والأم فى استمتاعها بالزيارات لصديقاتها ذاهبة عائدة ، والطفل يعيش بين براثن أطفال السوء . وما الجرائم وسجون الأحداث إذا زرتها ، أو سمعت عنها ، إلا من أطفال السوء انتشلوا طفلك فى غفلة منك .

أتريد أن تشاهد طفلك فى سجون الأحداث ، أم فى بيوت الله والمساجد ؟ ! فلتسارعْ فى البحث عن طفل صالح يصادق طفلك ، ويصاحبه فى غدوّه ورواحه . فإن لم تجد الطفل الصالح ، فسارع إلى أستاذ صالح يرشدك إلى الأطفال الصالحين ، ويضم طفلك معهم .

أَمَا آن للوالدين أن يستيقظا ؟ ! فلقد استيقظ الأعداء على سرقة طفلكم من بين أحضانكم ، وذلك بالمنظمات الكافرة ، والاتحادات الفاسدة ، والنوادى القذرة .

الأساس النفسى الثانى : إدخال السرور والفرح فى نفس الطفل :

السرور والفرح يلعب فى نفس الطفل شيئًا عجبًا ، ويؤثر فى نفسه تأثيرًا قويًّا .

فالأطفال ، وهم براعم البراءة والصفاء يحبون الفرح ، بل هم أداة الفرح للكبار ، ويحبون الابتسامة أن يشاهدوها على وجوه الكبار .

وبالتالى فإن تحريك هذا الوتر المؤثر فى نفس الطفل سيورث الانطلاق ، والحيوية فى نفسه ، كما أنه يجعله على أهبة الاستعداد لتلقى أى أمر أو ملاحظة ، أو إرشاد .

وكان النبى ﷺ يُدخل دائماً السرور والفرح إلى نفوس الأطفال ، ويتبع فى ذلك شتى الأساليب ، فمن ذلك :

- الاستقلال الجيد لهم .
- تقبيلهم ومازحتهم .
- مسح رؤوسهم .
- حملهم ، ووضعهم فى حجره الشريف .
- تقديم الأطعمة الطيبة لهم .
- الأكل معهم .

كل ذلك كان يفعله ﷺ على نحو ما سيأتى معنا فى البناء العاطفى ؛ لما للفرح من قوة فى التأثير ، ولما للسرور من براعة فى إسعاد الطفل .

قال الحسن : «ما يعلم أهل السماء ، وأهل الارض ، ما يثيب اللهُ العبدَ على الشىء ، يُفْرح به عياله ، وأهله ، وولده» . رواه ابن الدنيا فى كتاب العيال (2/ 558) .

وهذا تطبيق عملى واقعى فى إدخال الفرحة والبهجة والسرور على الأطفال ، وفى مجلس الخلفاء :

أورد ابن حجر الهيتمى المكى فى كتابه (الصواعق المحرقة) (ص 274) فقال : دخل عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط على عمر بن عبد العزيز ، وهو حديث السنّ ، وله وفرة ، فرفع عمر مجلسه ، وأقبل عليه ، فلامه قومه ، فقال : إن الثقة حدثنى ، حتى كأنى أسمعه من فِى رسول الله ﷺ : «إنما فاطمة بضعة منى يسرُّنى ما يَسرُّها» وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية ، لسرّها ما فعلتُ بابنها .

الأساس النفسى الثالث : زرع التنافس البنّاء بين الأطفال ، ومكافأة الفائز :

إنَّ التنافس يحرك فى الإنسان عامة ، فضلاً عن كون الطفل ذا مشاعر ، وطاقات

مكنونة ، لا يعرفها الإنسان إلا عندما يضع فى نفسه و منافسة فلان أو فلان؛ للفوز عليه ، ورسول الله ﷺ يثيرُ فى نفس الطفل روحَ المنافسة ؛ ليحرك هذه الطاقة الهائلة فى الإنسان ، فمن أمثلة ذلك : المنافسة الفكرية ، حينما طرح رسول الله ﷺ سؤالًا على أصحابه ، وكان من بين الحاضرين ابن عمر رضى الله عنهما وكان أصغر القوم :

أخرج البخارى عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من شجر البوادى شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها المسلم ، فحدِّثونى ما هى ؟» ، فوقع الناسُ فى شجر البوادى ، قال عبد الله : وقع فى نفسى أنها النخلة . ثم حدثنا رسول الله قال : «هى النخلة» .

وفى رواية يبرر فيها ابن عمر عدم جوابه : «فإذا أنا أصغر القوم ، فسكتّ» ، فالأسئلة تنبّه عقلَ الطفل ، وتفتح مغاليق فهمه ، وتُوقِظ حركةَ الذاكرة الجامدة ... وهذا النوع من الأسئلة يسمّى فى بلاد الشام «بالتحازير» وفى مصر «بالفوازير» .

فهذا الطفلُ ابن عمر نافس الكبار فى المعرفة والجواب ، إلا أنه التزم بالأدب لصغر سِنّه .

ومن الأمثلة كذلك : التنافس الرياضى بين الأطفال ، حيث كان ﷺ يجرى مسابقة الجرى بين الأطفال ؛ لتنمو عضلاتهم ويقوى جسمهم :

أخرج أحمد عن عبد الله بن الحارث ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يصفُّ عبد الله، وعبيد الله ، وكُثيرًا بَنى العباس رضى الله عنهم ثم يقول : «من سبق إلىّ فله كذا وكذا» . قال : فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيقبِّلهم، ويلتزمهم .

فإذاً المنافسة ، والمسابقة أسلوب بيد الوالدين والمربِّين يستخدمونه فى الأوقات المناسبة، فتنشط نفوس الأطفال ، ويرتفع منسوب همتهم ، ونشاطهم ، وتنمو مواهبهم ، ويُقدِّمون للفائز منهم الهدايا والعطايا ، كما فعل رسول الله ﷺ : «ومن سبق إلىّ فله كذا وكذا» .

فيشعر الطفل باللذة ، ونشوة السعادة ، ويسارع كل طفل أن يقدم كل طاقته ، ويبذل كل وسعه فى الوصول إلى الفوز ، ويستعد ليوم المسابقة ، فيغدو إلى البيت ، ويهيئ نفسه ، ويتدرب ، ويتعلم ، ويسأل ، وينقب عن المعرفة ، ويُرى والديه إلى أى درجة وصل ، وهكذا تتفجر الطاقة المكنونة .

وثمة ملاحظة ، وفائدة أخرى لهذا الأسلوب ؛ إذ ينمى فيه روح الجماعة ،

والابتعاد عن الفردية ، ويتدرَّب على فهم الحياة ، فتارة يربح ، وأخرى يخسر ، ومرة يعرف الجواب، وأخرى يُغلق عليه ، ومرة يصيب ، وتارة يخطىء ، وهكذا ...

الأساس النفسى الرابع : مبدأ تشجيع الطفل :

إن التشجيع الحسى ، أو المعنوى ، خير كله ، وعنصر ضرورى من عناصر التربية، لا غِنى عنه[1]، ولكن بدون إفراط .

وللتشجيع دور كبير فى نفس الطفل ، وفى تقدم حركته الإيجابية البناءة ، وفى كشف طاقاته الحيوية ، وأنواع هواياته ، كما أنه يزيد فى استمرارية العمل ، ودَفعه قُدُمًا نحو الأمام بمردود جيِّد .

وما الحديث الذى تقدم فى صف النبى ﷺ للأطفال ، وتشجيعهم على السباق ، وأنه : «من سبق إلىّ فله كذا وكذا» إلا دليل على ذلك .

وهذا عمر رضي الله عنه يخرج من مجلس رسول الله ﷺ بصحبة ابنه عبد الله، الذى قال لأبيه عمر عندما خرجا : «فلما خرجتُ مع أبى ، قلتُ : يا أبتاه ، وقع فى نفسى النخلة ، قال : ما منعك أن تقولها ؟! لو كنت قلتها كان أحب لى من كذا وكذا قال إلا أنى لم أرك ولا أبا بكر تكلَّمتُما ، فكرهتُ» . رواه البخارى .

قال ابن حجر – معلقاً على الحديث : «كأنه أشار بإيراده إلى أن تقديم الكبير ، حيث يقع التساوى ، أما لو كان عند الصغير ما ليس عند الكبير فلا يمنع من الكلام بحضرة الكبير ؛ لأن عمر تأسَّف حيث لم يتكلم ولده ، مع أنه اعتذر له بكونه بحضوره وحضور أبى بكر ، ومع ذلك تأسَّف على كونه لم يتكلم» [2].

وعلق ابن القيم على الحديث فى كتابه «الطب النبوى» (ص 398)

بقوله :وفيه : فرح الرجل بإصابة ولده ، وتوفيقه للصواب .

وفيه : أنه لايكره للولد أن يُجيب بما يعرف بحضرة أبيه ، وإن لم يعرفه الأب ، وليس فى ذلك إساءة أدب عليه» .

وهذا مثال آخر لاهتمام عمر ، وتشجيعه للأطفال أن يتكلموا فى مجلس الكبار ، وتقديم آرائهم وأفكارهم : روى ابن المبارك فى الزهد ، وابن جرير ، وابن أبى

---

(1) منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (2/ 141) .

(1) فتح البارى (13/ 153) .

حاتم، والحاكم فى المستدرك عن عمر ﷺ، قال : فيم ترون أنزلت هذه الآية : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ [البقرة : 266] فقالوا : الله أعلم ، فغضب عمر، فقال : قولوا نعلم، أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : قل يا بن أخى ولا تُحقِّرْ نفسك ، فقال ابن عباس : ضرب مثلًا لعمل ، فقال عمر : أىّ عملٍ ؟ فقال : العمل، فقال عمر: لرجل غنى يعمل بالحسنات ، ثم بعث الله إليه بشيطان ، فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها[1].

فليكن شعار الوالدين والمربين فى تشجيع الأطفال : « قل يا بنى ، ولا تحقر نفسك».

ومن التشجيع الحسن : تشجيع الأطفال على الأمور الحسنة ، ومن بينها : شراء الكتب النافعة ؛ ليصبح للطفل مكتبة علمية تنموه فهذا ابن عابدين – العالم الكبير– يُحدّث ابنه عن نشأته فيقول[2] :

«وكان السبب فى جمعى لهذه الكتب العديمة النظير : والدىّ ، فإنه كان يشترى لى كل كتاب أريده ، ويقول: اشتر ما بدا لك من الكتب ،وأنا أدفع لك الثمن ، فإنك أحييتَ ما أمتُّه أنا من سيرة سلفى . فجزاك الله تعالى خيراً يا ولدى» . وأعطاه كتبَ أسلافه الموجودة عنده من أثرهم ، الموقوفة على ذراريهم .

ومن أمثل التشجيع على الحفظ : ما حدّث به الأديب اللغوى ابن دريد صاحب كتاب (جمهرة اللغة) قال : كان أبو عثمان الأشنانداني معلمى ، وكان عمى الحسين ابن دريد يتولى تربيتى ، فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان يأكل معه ، فدخل يوماً عمى ؛ وأبو عثمان يروينى قصيدة الحارث بن حلزة ؛ التى أولها :

آذنتنـــا ببينهـــا أسمـــاء ربَّ ثاوٍ يمـــل منـــه الثـــواء

ج ج

فقال لى عمى :«إذا حفظت هذه القصيدة ، وهبتُ لك كذا وكذا» ثم دعا المعلم ؛ ليأكـل معـه ، فـدخل إليـه ، فـأكلا ، وتحـدثا بعـد الأكـل سـاعة ، فـإلى أن رجـع

(2) فتح البارى (13/ 153) .

(1) حاشية ابن عابدين (1/ 7 ط 2) .

المعلم،حفظتُ ديوانَ الحارثِ بـنِ حلـزة بـأسره ، فخـرجَ المعلـمُ ، فعرّفتـهُ ذلـك ، فاستعظمه ، وأخذ يعيده عليّ ، فوجدنى قد حفظتُـه ، فـدخلَ إلى عمـى ، فـأخبره ، فأعطانى ما كان وعدنى به»[1].

والحذر الحذر من عدم إعطاء الأطفال مكافآتهم التشجيعية التى وعدوا بها ، فإن ذلك يورث السآمة فى نفوسهم ، كما يتعلمون الكذب ، وعدم الوفاء .

فإذا وُعد الطفل بشىء فليعط له ، فإن ذلك يثير همته ، ويحرك نفسه ، ويتقـدم إلى العطاء ، ويتفاعل مع والديه أو مربيه ، ويتعلم الجدية فى الحياة .

الأساس النفسى الخامس : المدح والثناء :

لا شك أن لمدح الطفل أثرًا فعالًا فى نفسه ، فيحرِّك مشاعره ، وأحاسيسه ، فيسرع الطفل إلى تصحيح سلوكه ، وأعماله ، وترتاح نفسه ، وتزهو لهذا الثناء ، وتُتابع فى النشاط، وتستمر به ، ورسول الله ﷺ – وهو عالم النفس الحقيقى – يُنبِّه على هذا الوتر الحسَّاس فى نفس الغلام ، فإذا به تتحرك نفسه نحو الاستجابة والتطبيق :

أخرج البخارى عن ابن عمر[2] – رضى الله عنهما – قال : كان الرجل فى حياة النبى ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا ، فأقصّها على رسول الله ﷺ ، وكنت غلامًا شابًا ، وكنتُ أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذا بى ، فذهبا بى إلى النار ، فإذا هى مطويةٌ كطىِّ البئر، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناسٌ قد عَرَفْتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار ، قال : فلقينا ملك آخر ، فقال لى : لم تُرَع . فقصصتها على حفصة ، فقصَّتها حفصةُ على رسول الله ﷺ ، فقال : «نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يُصلى من الليل» ، فكان بَعْدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً . هكذا أثر مدح رسول الله ﷺ : «نعم الرجل عبد الله» فنبَّهه إلى أمر غفل عنه ، وبأسلوب رائع ، مُحبب إلى النفس : «لو كان يُصلى من الليل» .

وهكذا المدح والثناء فى مكانه المناسب ، وزمنه المناسب ، وباعتدال من غير

---

(2) الرسالة القشيرية ، باب : الشكر .

(1) ولد عبد الله بن عمر فى السنة الثانية أو الثالثة من البعثة ، وأسلم مع أبيه وهو صغير ، لم يبلغ الحلم ، ولم يجزه النبى ﷺ فى أحد ، وأجازه يوم الخندق .

مراء، ولا تبجيل ، يؤتى ثماره فى كل حين .

وسيأتى معنا كذلك قول النبى ﷺ للغلام الناشئ ، الذى تعلَّم العربية والسريانية لخدمة النبى ﷺ ، فمما قاله النبى ﷺ له –يوم الخندق : «أما إنه نِعْم الغلام» .

الأساس النفسى السادس : ملاعبة الطفل ، والتصابى له :

مصاباة الطفل وملاعبته تُنمى فى نفسه ، وتساعده على إظهار مكنوناتها ، وسيمر معنا ملاعبة النبى ﷺ للحسن والحسين ، وركوبهما على ظهره ، والمسير بهما ، كذلك واللعب مع أولاد العباس ، كل ذلك يدلُّ على أهمية ملاعبة الوالدين للطفل .

ومن شدة اهتمام النبى ﷺ بتصابى الوالدين لأطفالهم فإنه يُوجِّه نداءً عامًا لكل والدين : أن يتصابيا لطفلهما :

روى ابنُ عساكر عن أبى سفيان قال : دخلتُ على معاوية وهو مُستلقٍ على ظهره، وعلى صدره صبىٌ ، أو صبية تناغيه ، فقلت : أمط هذا عنك يا أمير المؤمنين ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «مَن كان له صبىٌّ فليصابَ له» .

وأورد البخارى فى صحيحه : «باب : من ترك صبية غيره حتى تلعب ، أو قبّلها، أو مازحها» : عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت رسول الله ﷺ مع أبى ، وعلى قميص أصفر ، فقال رسول الله ﷺ «سَنَهْ سَنَهْ» ، قال عبد الله : وهى بالحبشية: حَسَنة ، قالت : «فذهبتُ ألعبُ بخاتم النبوة ، فزجرنى أبى ، فقال رسول الله ﷺ : «دعها» ثم قال: «أبْلِى وأخْلِقى ، ثم أبْلِى وأخْلقى ، ثم أبلى وأخلِقى» ، قال عبد الله : فبقى حتى ذكر ، يعنى : من بقائها .

قال الحافظ ابن حجر – معلقاً : «وأن الممازحة بالقول والفعل مع الصغيرة إنما يُقصده به التأنيس ، والتقبيل من جملة ذلك»[1] .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ ليُدلع لسانه للحسن بن على ، فيرى الصبى حمرة لسانه ، فَيَهشّ إليه . رواه ابنُ حبان فى صحيحه ، وإسناده حسن[2] .

وهذا نموذجٌ جديدٌ من تصابى النبى ﷺ للحسن ، فيفتح فمه ، ويضع فمه فى فيه :

---

(1) فتح البارى (13/ 31) .

(1) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم (70) .

روى الحاكم عن أبى هريرة ﷺ قال : ما رأيتُ حسناً قط إلا فاضت عيناى دموعًا ، وذلك أن النبى ﷺ خرج يومًا ، فوجدنى فى المسجد ، فأخذ بيدى ، فانطلقتُ معه ، فما كلمنى حتى جئنا سوق بنى قينقاع ، فطاف فيه ، ونظر ، ثم انصرف ، وأنا معه حتى جئنا المسجد ، فجلس ، فاحتبى ، ثم قال «أين لُكَع ! ! ادع لى لُكَع» فجاء حسن يشتدُّ ، فوقع فى حجره ، ثم أدخل يده فى لحيته ، ثم جعل النبىُّ ﷺ يفتح فاه ، فيدخل فاه فى فيه ، ثم قال : «اللهم ، إنى أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه» .

وروى الترمذى وأبو داود عن أنس : أن رسول الله ﷺ قال : «يا ذا الأذنين» يعنى : يمازحه . وزاد رزين : كان يقول لى : «يا ذا الأذنين» يمازحنى [1] .

وعن أنس ﷺ قال : كان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ، ويقول: «يا زوينب يا زوينب» مرارًا . رواه الضياء بسند صحيح[2] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : كان النبى ﷺ يصلى ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فإذا أرادوا أن يمنعوهما ، أشار إليهم أن دعوهما ، فلما قضى الصلاة وضعهما فى حجره ، وقال : «من أحبنى فليحبَّ هذين» . رواه أبو يعلى بسند حسن[3] .

الأسا س النفسى السابع : تنمية ثقة الطفل بنفسه :

اتبع رسول الله ﷺ لتنمية ثقة الطفل بنفسه عددًا من الطرق وذلك لينشأ طفلًا قويًّا ، وذلك بالطرق التالية :

1 – تقوية إرادة الطفل :

وذلك بتعويده على أمرين اثنين ، وهما :

أ – تعويده حفظ الأسرار : كما فعل أنس ﷺ وعبد الله بن جعفر؛إذ عندما يتعلم الطفل كتم الأسرار ، ولا يفضحها ، فإن إرادته تنمو وتقوى ، وبالتالى تكبر ثقته بنفسه .

ب – تعويده الصيام : عندما يصمد أمام الجوع والعطش فى الصوم يشعر الطفل

---

(2) إسناده ضعيف . انظر : جامع الأصول (11/ 55 – 56) تحقيق : الأرناؤوط .

(3) انظر : صحيح الجامع رقم (5025) .

(4) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (312) .

بنشوة الظفر ، والانتصار على النفس ، وبالتالى فإنه إرادته تقوى على مواجهة الحياة، مما يزيد فى ثقته بنفسه .

2 – تنمية الثقة الاجتماعية :

عندما يقضى الطفل حاجيات المنزل ، وأوامر الوالدين ،ويجالس الكبار ، ويجتمع مع الصغار، فإن ذلك ينمى ثقته الاجتماعية بنفسه .

3 – تنمية الثقة العلمية :

وذلك بتعلمه للقرآن ، ولسُنَّة رسوله ﷺ وسيرته العظيمة ، فينشأ الطفل ، وقد حمل علمًا غزيرًا فى صغره ، فتنمو ثقته العلمية بنفسه؛لأنه يحمل حقائق العلم بعيدًا عن الخرافات ، والأساطير .

4 – تنمية الثقة الاقتصادية والتجارية :

وذلك بتعويد الطفل البيع والشراء ، والتجول فى الأسواق بصحبة والديه ، وقضاء حاجتهما : أخرج مالك عن سليمان بن يسار قال : فَنِيَ عَلَفُ حمار سعيد بن أبى وقاص ، فقال لغلامه : خُذْ من حنطة أهلك ، فابتع به شعيرًا ، ولا تأخذ إلا مثله .

ويشاهد النبى ﷺ الطفل عبد الله بن جعفر ، وهو يبيع بيع الغلمان ، فدعا له بالبركة . وهكذا تجدُ حرصَ رسول الله ﷺ على تنمية ثقة الطفل بنفسه .

الأساس النفسى الثامن : حسن النداء للطفل :

نلاحظ أن النبى ﷺ فى خطابه للأطفال كان يُنوِّع فى ذلك ؛ لإثارة انتباه الطفل ، ووضعه فى حالة استعداد لتلقى الكلام .

فتارة يخاطب الطفل باسمه فيداعبه بقوله : «يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟» وتارة يخاطبه بطفولته ، فيناديه : «يا غلام ، إنى أعلمك كلمات ... يا غلام ، سم الله تعالى، وكُلْ بيمينك» . وكثيرًا ما يناديه بنداء العاطفة فيناديه : «يا بنى ، إذا دخلت على أهلك فسلم» . «يا بنى ، إذا قدرت أن تصبح وتسمى ، وليس فى قلبك غشّ لأحد ، فافعل» .

وكان الصحابةُ – رضوان الله عليهم – ينادون الطفل المسلم الذى أدرك والده الإسلام بالنداء : «يا بن أخى» ، كما قال عمر بن الخطاب لابن عباس : «قل يابن أخى ، ولا تحقر نفسك» . أما الطفل المسلم الذى لم يدرك والده الإسلام فكانوا ينادونه:«يابنى».

كما روى البخارى فى «الأدب المفرد» عن الصعب بن حكم ، عن أبيه ، عن جده

قال : أتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل يقول : يا بن أخى ، ثم سألنى فانتسبت لـه، فعلم أن أبى لم يدرك الإسلام ، فجعل يقول : «يا بنى ، يابنى!» [1].

وروى مسلم فى صحيحه عن إسحاق بن مالـك قـال : قـال لى رسـول الله ﷺ : «يابنى!».

وروى أيضًا عن المغيرة بن شعبة قال : ما سأل رسولَ الله ﷺ أحد عـن الـدجال أكثر مما سألته عنه فقال لى : «أى بنى!» الحديث .

قال الإمام النووى – رحمه الله : «وفى هذين الحديثين جاز قول الإنسان لغير ابنـه ممن هو أصغر سنًا منه : يا بنى مُصَغَّرًا ، ويا ولدى ، ومعناه التلطف ، وأنـك عنـدى بمنزلة ولدى فى الشفقة ، وكذا يقال لـه ، ولمـن هـو فى مثـل سـن المـتكلم يـا أخـى للمعنى الذى ذكرناه ، وإذا قصد التلطف كان مستحبًّا كما فعله ﷺ » [2] .

وروى الإمام أحمد فى مسنده [3] عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما :

أن النبى ﷺ قال : «ابن أخى ، إن هذا اليوم مَنْ ملك فيه سمعه وبصره ولسانه ، غفر له، يعنى : يوم عرفة» [4]. وفى رواية البيهقى فى «شعب الإيمان» بلفـظ : «يـا بـن أخى ، إن هذا يوم ... الحديث» [5]. وفى رواية الطيالسى «مه يا غلام ! ...) [6].

وروى أحمد فى مسنده (3/ 307) حديث ابن عباس قال : كنت رديف النبى ﷺ فقال : «يا غلام – أو يا غليم – ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟» فقلـت : بـلى ، فقال : «احفظِ الله يحفظك ... الحديث» فهنا تجد النداء : «يا غليم» .

مما تقدم نجد أن حسن نداء الطفل ، تارة باسمه الصريـح ، وأخـرى بيـا غـلام ، وثالثة يا بن أخى ، ورابعة يابنى ... كـل هـذا يـوقظ نفـس الطفـل لتلقـى النـداء ،

---

(1)الأدب المفرد ، باب : قول الرجل يا بنى لمن أبوه لم يـدرك الإسـلام . ورواه ابـن أبـى شيبة فى مصنفه (9/ 82) باب : فى الرجل يقول لا بن غيره : يا بنى !

(1) شرح صحيح مسلم للإمام النووى ، باب : جواز قوله لغير ابنه يا بنـى ، واسـتحبابه للملاطفة .

(2) المسند (1/ 329) .

(3) الكنز (5/ 68) .

(4) المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(5) المصدر السابق، نفس الصفحة .

ويشعره بمحبة المخاطب له .

ومن حسن نداء الطفل مناداته بكنيته ، حيث كان ﷺ يداعب الصغير فيقول له: «يا أبا عمير ، ما فَعَلَ النُّغير ؟» ، وما رواه أبو الدرداء عن أنس رضي الله عنه قال : كنانى رسول الله ﷺ ببقلة ، كنتُ أجْتنيها وكان يُكنى : «أبا حمزة» ومعنى حمزة: بقلة[1].

فالتنويع فى نداء الطفل يشعره بأهميته بين الكبار ، مما هو أدعى لاستجابته ، وتنفيذ الأوامر الموجهة إليه ، بكل فرح وسرور .

ومن حسن النداء كذلك النداء للخادم الصغير والصغيرة ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه يُحدِّثُ عن النبى ﷺ أنه قال : «لا يَقُلْ أحدُكم ، أَطْعِمْ رَبَّكَ ، واسْقِ ربَّكَ ، وليقُلْ : سيدى ، مولاى ، ولا يقُلْ أحدكم: عبد،أمتى وليقل: فَتَاىَ ، وفتاتى ، وغلامى» . رواه البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد .

فأى رحمة وعطف وحنان ، ورقة وعذوبة من تربية المجتمع أن يقولوا لخدامهم : فتاى، وفتاتى ، وغلامى ، فيسوى بينهم وبين أولادهم فى العطف برقة النداء وعذوبته ، إنه فقط فى المنهج النبوى .

وفى رواية أخرى تعليل نبوى لطيف فى تعريف السادة أنهم عبيد الله ، قوله ﷺ : «لا يقولَنَّ أحدُكم عَبْدى ، وأمتى ، كلكم عبيد الله ، وكُلُّ نسائكم إماءُ الله ، ولكن ليقُلْ غُلامى ، وجاريتى ، وفتاىَ وفتاتى» .

إنها التربية القرآنية التى ترسخ فى نفوس المؤمنين : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:13]

الأساس النفسى التاسع : الاستجابة لميول الطفل ، وترضيته :

من الأساليب الناجحة فى كثير من المواطن – وليس كلها : الاستجابة لميول الطفل ، وترضيته حتى يرضى .. وذلك كلما كان أقرب إلى الصغر ، فالصغير لابد من ترضيته ، ولابد من تنفيذ مطالبه ، وذلك لشعوره بالحاجة التى يطلبها ، فإذا تمت الاستجابة انشرحت نفسه ، وفرح ، وانطلق بحيوية فائقة ، وإذا لم يلب طلبه ازاداد غيظًا ، وحمقًا ، وتصرف بما لايرضى ، ولا يحب .

والرسول ﷺ يقرر قاعدة نفسية عظيمة جدًّا فى حل كثير من مشاكل الطفل النفسية ، وقد استجاب الصحابة لهذه القاعدة وغدوا إلى تطبيقها :

---

(6) أدب الكاتب لابن قتيبة ، باب : أصول أسماء الناس .

روى ابن عساكر[1] عن واثلة بن الأسقع ﷺ كما فى «لجامع الكبير » أن رسول الله ﷺ خرج إلى عثمان بن مظعون ومعه صبى صغير له ، يلثمه ، فقال له : « ابنك هذا ؟ » قال : نعم ، قال : « تحبه يا عثمان ؟ » قال : إى والله يا رسول الله إنى أحبه ، قال « أفلا أزيدك حبًّا له ؟ » قال : بلى ، فداك أبى وأمى ، قال : « إنه من ترضى صبيًّا صغيراً من نسله حتى يرضى ترضاه الله يوم القيامة حتى يرضى » .

وقد حدثت مناقشة بين معاوية والأحنف بن قيس ، حيث تبين الثانى للأول أهمية ترضية الولد ، وتلبية طلبه :

« قال يزيد بن معاوية : أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس فلما وصل إليه ، قال له : يا أبا بحر ما تقول فى الولد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، فيمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولاتكن عليهم ثقلاً ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك .

فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضباً وغيظاً على يزيد ، فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتى ألف درهم ، ومئتى ثوب ، فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ، فقاسمه إياها على شطر »[2] .

وقال عدى بن حاتم ﷺ أتيت رسول الله ﷺ – وهو جالس فى المسجد فقال القوم : هذا عدى بن حاتم ، وجئت بغير أمان ولا كتاب ، فلما دفعت إليه أخذ بيدى وقد قال قبل ذلك : إنى لأرجو أن يجعل الله يده فى يدى – قال : فقام بى، فلقيته امرأة وصبى معها، فقالا إن لنا إليك حاجة ، فقام معهما حتى قضى حاجتهما... الحديث رواه الترمذى وقال: حسن غريب .

ولعل الطفل حين يصرخ يكون فى أزمة غير قادر على حلها ، فالمسارعة إليه والاستجابة لندائه ، تكون إنقاذًا له ، من خطر نفسى أو مادى ، يكاد ينزل به ، وقد يكون الأبوان – أو أحدهما – فى صلاة غير المكتوبة ، فماذا يكون التصرف عندئذ ؟:

فعن الأشجعى قال : كنا مع سفيان الثورى فمرّ ابنهُ سعيد ، فقال : ترون هذا ؟ ما جفوته قط ، وربما دعانى وأنا فى صلاة غير مكتوبة فأقطعُها له . رواه ابن أبى

---

(1) عن : البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة (2/ 135) .

(2) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى (2/ 218) .

الدنيا فى كتاب العيال (1/ 319) .

ولقد بلغ من بر سفيان الثورى بولده الوحيد أن يستجيب له من بعد ، فيجهز نفسه للسفر إليه تحقيقاً لندائه .

فعن يحيى بن يمان قال : خرجت إلى مكة ، فقال لى سعيد بن سفيان : أقرئ أبى السلام ، وقل له تقدم ، فلقينى سفيان بمكة ، فقال : ما فعل سعيد ؟ قلت: صالح ويقول لك:أقدم فتجهز للخروج وقال: إنما الأبرارَ لأنهم أبَرّوا الآباء والأبناء . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 322) .

الأساس النفسى العاشر : أثر التكرار فى نفس الطفل :

الطفل كأى كائن بشرى ينسى ، ويغفل ، وقد خَصَّه الله ـ تعالى من بين جميع الكائنات الحية بهذه الطفولة الطويلة ، وهى مرحلة غير تكليفية ، وإنما هى تتهيأ للتكلف .

والقلم الملائكى عنها مرفوع : «رفع القلم عن الثلاث ... وعن الصبى حتى يحتلم» .

فإذا أدركنا هذا ، فإنه من السهل علينا أن نؤمن بمبدأ التكرار ، أى : تكرار الأمر أكثر من مرة حتى يؤثر فى نفس الطفل ، فينصاع للأمر ، ويستجيب للنداء .

أما دليل مبدأ التكرار ، فهو من قوله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة ، وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم وهم أبناء عشر سنين » . رواه أبو داود وغيره .

فقد خصص النبى ﷺ ثلاث سنوات متواصلة لتأصيل أمر هام فى الإسلام ، وهو أمر الصلاة ، ومعلوم لدى الجميع أهمية الصلاة ؛ لذلك جاء الخطاب القرآنى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: 132] .

فلابد من الصبر فى هذه السنوات ، وتكرار طلب الصلاة من الطفل ، ونظرة حسابية ، إلى هذه المدة نجد أنه خلال ثلاث سنوات ، وفى كل صلاة يأمر الوالدان ابنهما بالصلاة ، فيصبح لدينا رقم ضخم من أوامر التكرار وهو : (5× 365) × 3 = 5475 مرة [1] .

---

(1) لقد طبقت مبدأ التكرار مع بناتى فوجدته نافعًا جدًا وخاصة بين السابعة والثامنة أول ما يتعود الطفل الصلاة ، فيظن أن الصلاة مرة واحدة فى العمر ، ثم يظن مرة واحدة

وهو رقم إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية التكرار ، وأن نفس الطفل قد لا يستجيب للأمر فى المرة الأولى ، ولا الثانية ، ولا الثالثة ، فلا بُدَّ من التكرار من غير يأس ، ولا قنوط .

فهذا الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود يدرك مبدأ التكرار مع الأطفال ، فقال فى توجيهه للآباء نحو أبنائهم : «عودوهم الخير ؛ فإن الخير عادة» .

وحتى يعتاد الطفل ، فلا بُدَّ من تكرار الملاحظة أكثر من مرة ؛ لأنه سيخطئ ، ولهذا كان أنس ـ رضي الله عنه ـ يطبق سُنَّة رسول الله ﷺ ، فيمرّ على الصبيان ، ويسلّم عليهم، ويقول : كان رسول الله ﷺ يفعله .

فعندما يرى ويسمع الطفل السلام من الكبار عليه أكثر من مرة ، يتعلّم السلام ، فما يلبث إلا أن تكون عادته .

الأساس النفسى الحادى عشر : التدرُّج فى الخطوات مع الطفل :

من الحديث السابق : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين» نستفيد مبدأ عظيمًا مؤثرًا فى نفس الطفل وهو التدرج ، وعدم دفع القضايا جملة واحدة ، وأن لكل مرحلة زمنها ، فالصلاة – وهى ركن الدين وعموده– تمرُّ فى ثلاث مراحل مع الطفل :

1 – **المرحلة الأولى** : وهى من لحظة مسيرة ووعيه إلى السابعة من عمره ، وهى مرحلة المشاهدة ، حيث يشاهد الطفل والديه يصليان ، فيسارع إلى الصلاة ، فإذا دَرَّبه والداه عليها كان له خيرًا على خير .

2 – **المرحلة الثانية** : مرحلة الأمر ، وتمتدُّ من السابعة من عمره إلى العاشرة ؛ حيث يوجه الوالدان الأوامر للطفل ، ويطلبان منه الصلاة .

3 – **المرحلة الثالثة** : مرحلة الضرب ، وتبدأ من العاشرة إلى ما بعد ، وفيه يضرب الطفل إن لم يؤدِّ الصلاة .

إن لهذا التدرج فى الخطوات أثرًا كبيرًا فى نفس الطفل واستجابته ؛ لأنه مازال غضّاً يافعاً ، فلا بد من التدرج معه ، ونقله من مرحلة إلى أخرى . وتخطيط أى قضية ، أو هدف يطلب فيه السرعة ، يمر بمراحل وخطوات يرسمها الوالدان ويتعاونان على تنفيذها .

فى اليوم ، ثم يظن أنها فى الصباح والمساء فقط ، إلى أن يدرك ويتعود خمس صلوات فى اليوم . وبالله التوفيق .

الأساس النفسى الثانى عشر : الترغيب والترهيب للطفل :

الترغيب والترهيب من الأساليب النفسية الناجحة فى إصلاح الطفل ، وهو أسلوبٌ واضح ظاهر فى التربية النبوية ، وقد استخدمه النبى ﷺ مع الأطفال فى كثير من الحالات. وفى مقدمتها : بر الوالدين ، فرغّب فى برهما ، وأرهب من عقوقهما ، وما ذاك إلا ليستجيب الطفل ، ويتأثر ، فيصلح من نفسه ، وسلوكه .

وهو أسلوب قرآنى فريد ، فما من مرة ذكرت الجنة وإلا وذكرت النار وبالعكس؛ لأن النفس البشرية تميل إلى حب الترغيب فى العمل وثمرته ، وتخاف من التحذير من فعل الخطأ ونتائجه ، وليس معنى الترهيب هو التخويف المفزع والمقلق للنفس ، وإنما تذكير الطفل بثواب الفعل وعقوبة المخالفة .

المبحث الرابع

أسلوب الترغيب فى بر الوالدين

والترهيب من عقوقهما

وصايا قرآنية .

تمهيد الطفل .

أولًا: أسس بر الوالدين فى حياتهما :

الأساس الأول :ثواب البر فى الدنيا والآخرة .

الأساس الثانى : تقديم بر الوالدين على الفروض الكفائية .

الأساس الثالث : لا طاعة للوالدين فى معصية الخالق مع بقاء الإحسان إليهما .

الأساس الرابع : أحق الناس بصحبتك والداك .

الأساس الخامس : تقديم بر الأم على الأب عند التعارض ، بعد محاولة التوفيق بينهما .

الأساس السادس : أنت ومالك لأبيك .

الأساس السابع : عتق الوالدين من أى مال استحق بذمتهما .

الأساس الثامن : الدعاء المتبادل بين الأبوين وأبنائهم .

الأساس التاسع : ألا تَسْتَسِبّ لوالديك .

الأساس العاشر : أَشْهِر الانتساب لأبيك ، واعْتَزّ به.

الأساس الحادى عشر : الحج عمن عجز منهما صحيًّا عن أدائه .

الأساس الثانى عشر : إنفاذ نذرهما .

الأساس الثالث عشر : العقوق من الكبائر ، وجزاؤه فى الدنيا والآخرة .

ثانياً : أسس البر بعد وفاة أحدهما ، أو كليهما :

الأساس الأول :إنقاذ عهدهما ، ووصيتهما .

الأساس الثانى : الدُّعاء والاستغفار لهما .

الأساس الثالث : صلة رحمهما وبرّ أصدقائهما .

الأساس الرابع : الصدقة عليهما .

الأساس الخامس : الحج عنهما .

الأساس السادس : المسارعة للعمل الصالح لإدخال السرور على الوالد المتوفى .

الأساس السابع : زيارة قبريهما .

الأساس الثامن : برّ قسمهما وألا تستسبّ لهما .

الأساس التاسع : الصوم عنها .

وصايا قرآنية

الآية الأولى :

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

[لإسراء] .

الآية الثانية :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت] .

الآية الثالثة :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان] .

قال أحد الشعراء

أَغْـرَى امـرؤٌ يومًـا غلامًـا جـاهلًا ... بنقـودِه حتـى ينـالَ بـهِ الـوَطَرْ
قـال ائتنـى بفـؤادِ أمـكَ يـا فتـى ... ولكَ الجـواهرُ والـدراهمُ والـدُّرَرْ
فَمضَى ـ وأغْـرَزَ خنجـرًا فى صـدرِها ... والقلبُ أخرجَهُ وعـادَ عـلى الأَثَـر
لكنّـه مـن فَـرْطِ سُرْعتِـه هـوى ... فَتَـدَحْرَجَ القلـبُ المُعَفَّـرُ إذْ عَثَـرْ
نـاداه قلـبُ الأمِّ وهـو مُعَفَّـرٌ ... ولدى حبيبى هل أَصابَكَ مِـنْ ضَرَرْ
فكـان هـذا الصـوتُ رغـمَ حُنُـوِّه ... غَضَبُ السماء عِلى الوليد قد انْهَمَـرْ
فـدَرَى فظيـعَ خِيانـةٍ لم يأتهـا ... وَلَـدٌ سـواه منـذُ تـاريخ البشَرْ ـ
وارتـدَّ نَحْـوَ القلـب يَغْسـلُه بـما ... فاضَتْ به عَيْنـاه مـن سَـيْل العِـبَرْ
ويقـول يـا قلـب انـتقم منـى ولا ... تغفـر فـإن جريمتـى لا تغتفـر
واسـتل خنجـره لـيطعن صـدره ... حنقًـا ويبقـى عِـبْرة لمـن اعْتَـبَرْ
ناداهُ قلـبُ الأُمِّ قِـفْ ، وَلَـدى ، ولا ... تطعـنْ فـؤادى مـرَّتين عـلى الأَثَـرْ

أسلوب الترغيب فى بر الوالدين
والترهيب من عقوقهما

تمهيد :

إن علاقة هذا الفصل بتربية الطفل و تبرز أهميته لارتباطه مباشرة بكل إنسان ، ذكر أم أنثى ؛ وذلك لما ورد من الأحاديث الشريفة التى توضح أن لبرّ الوالدين كبير الأثر فى بر الأبناء ، وبالتالى إذا أردنا من أطفالنا أن يبرونا ، فهذا يتطلب منا – سواء كنا عذاباً أم متزوجين – المسارعة إلى بر الوالدين ، كما نصح بذلك رسول الله ﷺ :

فقد روى الحاكم[1] عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : «عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، ومن أتاه أخوه متنصلًا فليقبل ذلك محقًا أو مبطلًا ، فإنْ لم يفعل لم يرد علىّ الحوض» .

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول اللهﷺ : «برّوا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعِفّوا تعِف نساؤكم» .

فإذا اتضح لنا سبب عقوق الأبناء ، وهم فى مرحلة الطفولة ، التى تتميز بقوة سيطرة الوالدين ، وعمق فطرتيهما ، فإن الطريق السليم لتقويم الطفل ، وسلوكه سلوك الأبرار ، وسيره بشكل سوى ، هو أن نُعدّل من سلوكنا ، وأن نغير من علاقتنا مع والدينا ، نحو : البر ، والطاعة ، والابتعاد عن العقوق بشتى ألوانه وصوره؛ لذلك حال الوالدين جرى إلى الأبناء بالشعور وبلا شعور وهى سنة إلهية كما أخبر النبى ﷺ : «اعمل ما شئت كما تدين تُدان» . رواه عبد الرزاق فى مصنفه .

وإذا تأمل الإنسان من حوله ، لوجد مصداق هذا القول ، ورأى بأم عينيه أن الأب العاق لوالديه سينتج ولدًا عاقًا فهى قاعدة مطردة منتظمة لهذا قلنا : إنه لا بد من تعديل سلوك الآباء مع والديهم حتى يتم تعديل سلوك الأبناء معهم .

ويبقى سؤال : كيف يكون الإنسان بارًا؟ وما هى أسس البر؟

وهل البر عند حضور الوالدين؟ أم فى غيابهما أيضًا؟ وهل يتعدى إلى ما بعد وفاتهم كذلك؟

---

(1) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : صحيح ، المستدرك (4/ 154) .

من خلال البحث ، والمتابعة فى الأحاديث النبوية ، نجد أن هناك أسسًا للبر فى حياتهما، وأسسًا للبر بعد وفاتهما ، وبذلك فتح باب البر على مصراعيه ، وامتدت فترة البر طويلًا ، وطال زمن الاستفادة وتعديل الخطأ المرتكب ، وذلك من رحمة الله بعباده ، وأى رحمة ؟ ! والعجب كل العجب رغم كل هذه التسهيلات ، وكثرة الرحمة **الإلهية** ، أن نجد العقوق بين الناس منتشرًا بألوان وأشكال متنوعة – أجارنا الله من العقوق – وهذا عين الظلم للنفس وللأبناء ، فمن لم يكن رحيمًا بنفسه بأن يكون بارًا لوالديه ، فليكن رحيمًا بأطفاله ؛ بأن يسارع لبر والديه حتى يوفِّق الله أبناءه ، وأطفاله لبره ، فينتشلهم من إثم العقوق ، وغضب الله ـ تعالى .

أولًا : أسس برّ الوالدين فى حياتهما

الأساس الأول : ثواب البر فى الدنيا والآخرة :

إن لبر الوالدين كبير الأثر فى حياة الإنسان الدنيوية والأخروية ؛ لهذا نجد الرسول ﷺ يحدد معالم هذا البر ، وأثره فى حياة الفرد المسلم ؛ الذى إذا صلح أدى ذلك إلى صلاح المجتمع .

ويبين أن هذا البر حق واجب على الإنسان ، وليس نفلاً يتبرع به ، فقد روى أبو داود عن كليب بن منفعة ، عن جده : أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، من أَبَرُّ ؟ قال: «أمَّك ، وأباك ، وأختك ، وأخاك ، ومولاك الذى يلى ذلك ، حقاً واجبًا ، ورحمًا موصولة» .

وروى الإمام أحمد عن المقدام بن معد يكرب ، عن النبى ﷺ قال : «إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بآبائكم ، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب»[1] . ورواه ابن ماجه أيضًا.

وروى ابن ماجه عن أبى أمامة – رضى الله عنه : أن رجلًا قال : يا رسول الله ، ما حق الوالدين على ولدهما ؟ قال «هما جنتك ونارك».

وروى الترمذى،عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:«رضا الرب فى رضا الوالد وسخط الوالد»[2].

وروى الإمام أحمد والنسائى عن جاهمة – مرفوعًا : «الزمها ، فإن الجنة تحت

---

(1) صحيح . انظر : صحيح الجامع رقم (1249) .

(2) ورواه ابن حبان . انظر : سلسلة الأحاديث :الصحيحة رقم: (516) ، ورواه الحاكم فى مستدركه (4/ 152) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . .

أقدامها»[1]. أى : الوالدة ، فإذًا لا بد من معرفة عظم مكانة الوالدين ، وأهمية برهما.

عن أبى الدرداء ﷺ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فحافظ على الباب ، أو اترك هذا» .رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 152) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى .

أثر بر الوالدين فى الدنيا :

زيادة العمر والرزق :

روى الإمام أحمد عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من سرّه أن يُمدَّ له فى عمره ، ويزداد فى رزقه ، فليبرّ والديه ، وليصل رحمه» .

وروى أبو يعلى والطبرانى والحاكم (وقال:صحيح ،وأقره الذهبى)[2] والأصبهانى عن معاذ بن أنس ﷺ قال : أن رسول الله ﷺ قال : «من برَّ والديه طوبى له، زاد الله فى عمره» .

وعن ثوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليُحْرَم الرِّزق بالذنب يُصيبه ولا يَرُدُّ القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر» . رواه ابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، واللفظ له ، والحاكم بتقديم وتأخير ، وقال : صحيح الإسناد .

وعن سلمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد فى العُمر إلا البر» . رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

أثر بر الوالدين فى الآخرة :

1 – التكفير لذنوب الدنيا :

روى الترمذى عن أبن عمر – رضى الله عنهما – أن رجلًا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى أصبت ذنبًا عظيمًا ، فهل لى من توبة ؟ فقال : «هل لك من أم؟» قال: لا ، قال : «هل لك من خالة؟» قال : نعم ، قال : «فبرّها» . ورواه الحاكم بألفاظ متقاربة ، وقال : صحيح الإسناد .

وروى البخارى فى الأدب المفرد، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أتاه رجل فقال : إنى خطبتُ امرأةً فأبتْ أن تنكحنى، وخطبها غيرى ، فأحبَّتْ أن تنكحه ، فغِرْتُ عليها ، فقتلتُها ؛ فهل لى من توبة؟ قال : أمُّكَ حَيَّةٌ؟ قال:

---

[3] صحيح . انظر : صحيح الجامع رقم (1924) ، ورواه البخارى فى الأدب، الطبرانى،الحاكم .

[4] فيض القدير للمناوى (6/ 95) .

لا ، قال : تُبْ إلى الله ـ عزَّ وجل ، وتقرَّب إليه ما استطعتَ ،فذهبتُ ، فسألتُ ابنَ عباس : لمَ سألْتَه عن حياة أُمِّه؟ فقال : إنى لا أعلمُ عملًا أقربَ إلى الله عز وجل من برِّ الوالدة.

2 – دخول الجنة :

روى النسائى[1] عن عائشة – رضى الله عنها – عن النبى ﷺ قال : «دخلت الجنة فسمعت قراءة فقلت : من هذا؟ فقيل : حارثة بن النعمان» فقال رسول اللهﷺ: «كذلكم البر» وكان بارًا بأمه ، وفى رواية أحمد : كان أبر الناس بأمه ، وإسناده صحيح .

وروى البخارى فى الأدب المفرد عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : ما مِن مسلم له والدان مسلمان ، يُصْبحُ إليهما مُحْتَسِباً ، إلا فتحَ الله له بابين – يعنى من الجنة– وإن كان واحدٌ فواحدٌ ، وإن أغضب أحدَهُما لم يَرْضَ اللهُ عنه حتى يرضى عنه ، قيل : وإن ظلماه قال : وإن ظلماه» .

وروى مسلم عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه : من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلم يدخل الجنة» .

قال النووى[2] رحمه الله : «رغم أنفه» كناية عن الذل ، كأن أنفه لصق بالرغم ، أى: بالتراب تحقيرًا و هوانًا .

وقد تقدَّم حديثُ النبى ﷺ للرجل: «هما جنتك ونارك» .

وروى أحمد بإسناد صحيح :«من أدرك والديه ، أو أحدهما ، ثم دخل النار بعد ذلك ، فأبعده الله وأسحقه» .

وروى أحمد، والطيالسى والحاكم بسند صحيح : «الوالد أوسط أبواب الجنة» .

وعن عروة بن مرة قال : جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالى ، وصمت شهر رمضان ، فقال النبى ﷺ : «من مات على هذا كان مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء يوم القيامة هكذا» ونصب أصبعيه «ما لم يعقّ والديه» . رواه أحمد والطبرانى بإسنادين ، ورجال أحد إسنادى الطبرانى رجال الصحيح ، كذا قاله

---

(1) ذكره ابن حجر فى الإصابة (1/ 312) .

(1) رياض الصالحين ، باب : بر الوالدين .

الهيثمى فى المجمع (8/ 147) .

وكلنا يعلم قول النبى ﷺ :«لا طاعة لبشر فى معصية الله ، إنما الطاعة فى المعروف».

الأساس الثانى : تقديم بر الوالدين على الفروض الكفائية :

إن بر الوالدين فرض على كل فرد مسلم ، فرضه الله تعالى على عباده ، فلا يوازى هذا الفرض إلا فرض مثله ، وبقوته ، أى : إن الفروض العينية على كل فرد توازى فرض بر الوالدين ، مثل صلاة الفرض ، وصيام رمضان ، والزكاة ، وما علم من الدين بالضرورة ، والجهاد فى سبيل الله فى حالة فرضه العينى (وهو النفير العام) ، ففى مثل هذه الحالات يحاول الابنُ قدر استطاعته التوفيق بينهما ، فإذا عجز عن ذلك – مع بذل قصارى جهده– يقدم فرض الله العينى على فرضية بر الوالدين؛ ولهذا قال الإمام الغزالى بعد أن ساق أحاديث بر الوالدين : «أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات»[1].

أما فى الفروض الكفائية ؛ التى إذا أقامها البعض قيامًا ، يكتفى منه المجتمع المسلم، سقط عن الباقين ، فإن فرض بر الوالدين يتقدم عليها جميعًا، فما بالك إذا تعارض فرض بر الوالدين مع المباحات والمندوبات ؛ لهذا قال الإمام الغزالى[2]: «من شغله نفله عن فرضه فهو مغرور ، ومن شغله فرضه عن نفله فهو معذور» . ولتكن كلمة الغزالى هذه قاعدة أصيلة فى حياة الإنسان ، يوازن بها الأمور ، ويجريها عند التعارض ، وسنأتى على ذلك بأمثلة :

1 – تقديم بر الوالدين على الجهاد فى سبيل الله :

روى الحاكم فى مستدركه[3]، وقال : صحيح الإسناد ، وأقره الذهبى : أن جاهمةرضي الله عنه أتى النبىﷺ ، فقال : إنى أردتُ أن أغزو ، وجئت أستشيرك ، قال : «ألك والدة؟» قال : نعم ، قال : «اذهب فالزمها ، فإن الجنة عند رجليها» .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبى ﷺ: أى العمل

---

(1) الإحياء (2/ 218) .

(2) كلمة كنت أسمعها من أحد مشايخى ، ويُردِّدها كثيراً ، وانتفعت بها كثيراً ، فجزاه الله خيراً .

(3) المستدرك (2/ 104) .

أحبُّ إلى الله تعالى ؟، قال : «الصلاة على وقتها» ، قلت : ثم أىّ؟ قال: «بر الوالدين» ، قلت : ثم أىّ؟ قال :«الجهاد فى سبيل الله» .

وقد شرح هذا الحديث أحد الأئمة الكبار ، وهو ابنُ حجر العسقلانى فقال :

«قال ابنُ التين : تقديم البر على الجهاد يحتمل وجهين :

أحدهما: التعدية إلى نفع الخير .

والثانى : أن الذى يفعله يرى أنه مكافأة عى فعلها ، فكأنه يرى أن غيره أفضل منه ، فنبَّهه على إثبات الفضيلة فيه .

قلت – أى : ابن حجر : والأول ليس بواضح ، ويحتمل أنه قدم لتوقف الجهاد عليه ؛ إذ من بر الوالدين استئذانهما فى الجهاد ؛ لثبوت النهى عن الجهاد بغير إذنهما[1].

وفى الصحيحين – واللفظ لمسلم – عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – قال : أقبل رجلٌ إلى النبى ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغى الأجر من الله ـ تعالى ، فقال : «هل لك من والديك أحدٌ حى؟» قال : نعم ، بل كلاهما ، قال : «فتبتغى الأجر من الله تعالى؟» قال : نعم ؛ قال :«فارجع إلى والديك، فأحسنْ صحبتهما» . وفى رواية لهما : جاء رجل فاستأذنه فى الجهاد ، قال : «أَحَىٌّ والداك؟» قال : نعم ، قال :«ففيهما فجاهد» .

قال الحافظ ابن حجر :«قوله : ففيهما فجاهد» أى : إن كان لك أبوان ، فأبلغ جهدك فى برهما ، والإحسان إليهما ، فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو [2].

قال الإمام القرطبى المتوفى 656هـ فى كتابه (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 275)) ضوابط عظيمة ومفيدة لواقعنا المعاصر :

وقوله (ثم الجهاد فى سبيل الله) ظاهرُ هذا الحديث[3]: أن الجهادَ أفضلُ من سائر الأعمال بعد الإيمان ، وظاهرُ حديث أبى ذرَ أن الجهاد مساوٍ للإيمان فى الفضل ،

---

(1) فتح البارى (13/ 4) .

(2) المرجع السابق (13/ 6) .

(1) الحديث : سئل رسول الله ﷺ : أىُ الأعمال أفضلُ؟ قال :«الإيمانُ بالله ورسوله» قيلَ : ثم ماذا؟ قال «الجهاد فى سبيل الله» قيل : ثم ماذا؟ قال :«حج مبرور» . رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

وظاهرُ حديث ابن مسعود يخالفهما ؛ لأنه أخّر الجهاد عن الصلاة ؛ وعن بر الوالدين، وليس هذا بتناقض ؛ لأنه إنما اختلفت أجوبتُه لاختلاف أحوال السائلين، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان يجيب كلَّ سائلٍ بالأفضل فى حقّه ، وبالمتأكد فى حقه ، فمن كان متأهِّلاً للجهاد ، وراغبًا فيه ، كان الجهاد فى حقه أفضل من الصلاة وغيرها ، وقد يكون هذا الصالح للجهاد له أبوان و يحتاجان إلى قيامه عليهما ، ولو تَرَكَهَا لضاعا ؛ فيكون برُّ الوالدين فى حقه أفضلَ من الجهاد ، كما قد استأذن رجل النبى ﷺ فى الجهاد ، فقال : «أحيٌّ والداك؟» قال : نعم ، قال : «فيهما فجاهد» وهكذا سائر الأعمال .

وقد يكون الجهادُ فى بعض الأوقات أفضل من سائر الأعمال ، وذلك فى وقت استيلاء العدو وغلبته على المسلمين ، كحال هذا الزمان [1]، فلا يخفى على من له أدنى بصيرة ، أن الجهادَ اليوم أوكدُ الوجبات ، وأفضلُ الأعمال ، لما أصابَ المسلمين من قَهْر الأعداء ، وكثرة الاستيلاء شرقًا وغربًا ، جَبَرَ الله صَدْعنا ، وجدد نصرنا».انتهى كلام القرطبى ـ رحمه الله تعالى .

ويزيد الإمام الغزالى معنى عظيمة فى محاكمة الأمور عند تعارضها مع بر الوالدين، فيقول ـ رحمه الله تعالى : «أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات ، وإن لم تجب فى الحرام المحض ، حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام ، فعليك أن تأكل معهما؛ لأن ترك الشبهة ورع ، ورضا الوالدين حتم ، وكذلك ليس لك أن تسافر فى مباح ، أو نافلة إلا بإذنهما ، والمبادرة إلى الحج الذى هو فرض الإسلام نفل ؛ لأنه على التأخير ، والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ، ولم يكن فى بلدك من يعلمك ، وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام ، فعليه بالهجرة ، ولا يتقيد بحق الوالدين»[2] .

وقال الإمام الكاسانى فى «بدائع الصنائع» (7/ 98) : « وكذا الولد لا يخرج إلا بإذن والديه ، أو أحدهما إذا كان الآخر ميتًا ؛ لأن بر الوالدين فرض عين ، فكان مقدماً على فرض الكفاية» ا.هـ .

2 – تقديم بر الوالدين على الزوجة والأصدقاء :

---

(2) هذا فى زمان الإمام القرطبى (576 – 656هـ) ، فكيف يكون الكلام فى زماننا !! . الـلهم ارحم ضعفنا ، واجبرْ كسرنا ، وحَوّل حالنا لأحسن حال .

(1) الإحياء (2/ 218) .

روى الترمذى عن على – كرم الله وجهه – قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء :

«... وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمه وبرّ صديقه وجفا أباه ... الحديث» . وقال: حديث غريب .

وفى رواية للترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ «وأطاع الرجلُ امرأتَهُ ، وعَقَّ أُمَّهُ ، وأدنى صديقه ، وأقصى أباه ..» قال الترمذى : وفى الباب عن علىٍّ ، وهذا حديث غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وروى أبو داود والترمذى عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : كانت تحتى امرأة ، وكنت أحبُّها ، وكان عمر يكرهها ، فقال لى : طلقها فأبيتُ ، فأتى عمر ﷺ النبى ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبى ﷺ : «طلقها»[1].

وروى الإمام أحمد والنسائى وصححه الحاكم عن عائشة – رضى الله عنها سألت النبى ﷺ : أى الناس أعظم حقًا على المرأة قال :«زوجها» ، قلت : فعلى الرجل؟ قال : «أمه» .

وحسبنا شاهدًا يوقظ من الغفلة أن نختم بهذا الحديث :

وروى الإمام أحمد (مختصرًا) والطبرانى (واللفظ له) عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما ـ قال : كنا عند النبى ﷺ فأتاه آت فقال : شاب يجود بنفسه ، قيل له: قل: لا إله إلا الله ، فلم يستطع ، فقال : «أكان يصلى» فقال : نعم ، فنهض رسول الله ﷺ ، ونهضنا معه ، فدخل على الشاب ، فقال له : «قل لا إله إلا الله» فقال: لا أستطيع ، قال : «لم؟» قيل : كان يعقّ والدته ، فقال ﷺ : «أحيه: والدته؟» قالوا : نعم ، فدعاها ، فقال لها : «أرأيتِ لو أجَّجتُ نارًا ضخمة ، فقيل لكِ : إن شفعت له خلينا عنه ، وإلا أحرقناه بهذه النار ، أكنتِ تشفعين له؟» قالت : يارسول الله ، إذاً أشفع ، قال : «فأشهدى الله ، وأشهدينى أنك قد رضيت عنه قالت: اللهم إنى أشهدك وأشهد رسولك أنى قد رضيت عن ابنى ، فقال له رسول الله ﷺ : «يا غلام، قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» فقالها، فقال رسول الله ﷺ : «الحمد لله الذى أنقذه من النار» .

---

(2) قال الإمام أحمد لرجل سأله نفس السؤال : ائتنى بأب مثل عمر لكى يأمر ابنه بالطلاق ، حتى يستجيب الابن له .

3 – **تقديم بر الوالدين على الحج :**

فى الصحيحين عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال رسول الله ﷺ : «لِلْعبد المملوك المُصْلح أجران» والذى نفس أبى هريرة بيده ، لولا الجهاد فى سبيل الله ، والحجُّ ، وبِرُّ أمى، لأحببت أن أموت وأنا مملوك .

هذا ، ولم يحج أبو هريرة حتى ماتت أمه ، مبالغة فى إكرام أمه ، وصحبتها . ورواه الترمذى ـ أيضًا .

4 – **تقديم بر الوالدين على زيارة الرسول ﷺ :**

وهذا نموذجٌ فى غاية الروعة والجمال ، اكتسب صاحبه شرف السبق فى كل ميدان بفضل شغله ببرّ أمه ، حتى أنه ما كان يستطيع زيارة النبى ﷺ ومشاهدته ، ولو مرة واحدة ، لاحتياج أمه إليه ، إنه أويس القرنى ـ رحمه الله تعالى – رزقنى الله وإياك مثل بره – أخرج مسلم، عن أسيد بن جابر – رحمه الله – قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم : أفيكم أويس بن عامر؟ قال : نعم ، قال : من مُرادٍ ثم من قرنٍ؟ قال : نعم قال : فكان بك بَرَصٌ ، فبرأت منه إلا موضع دِرهم؟ قال : نعم قال : لك والدةٌ؟ قال : نعم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مرادٍ ثم من قرن ، وكان به برص ، فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها برٌّ لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفر لى ، فاستغفر له ، فقال له عمر : أين تريد؟ قال : الكوفة ، قال : ألا أكتب إلى عاملها؟ قال : أكون فى غبراء الناس أحبُّ إلىّ .

قال : فلما كان من العام المقبل حجَّ رجل من أشرافهم ، فوافق عمر ، فسأله عن أويس ، قال : تركته رثَّ البيت ، قليل المتاع ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُرادٍ ، ثم من قرن ، كان به برص ، فبرأ منه ، إلا موضع درهم له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فأتى أويسًا ، فقال : استغفر لى ، قال : أنت أحدث عهداً بسفرٍ صالح ، فاستغفر لى ، قال لقيت عمر؟ فقال : فاستغفر له ، ففطن له الناس ، فانطلق على وجهه ، قال أُسَيْد: وكسوتُهُ بُردة ، فكان كلما رآه إنسان ، قال : من أين لأويس هذه البردة؟!

5 – تقديم بر الوالدين على حب الأولاد :

معنا الآن حادثة غريبة فى أمرها ، عظيمة فى بابها ، رائعة فى إخلاصها ، قمة فى معانيها وفى برّ صاحبها ، تبين كيف أن الإخلاص فى بر الوالدين ينجى صاحبه فى الظلمات الحالكة ... وفى الأزمات الصعبة ... عندما يبلغ آخر أنفاسه ، فيأتيه الفرج الربانى لقاء بر الوالدين ، جعلنى الله وإياك من البررة :

فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثةُ نفر ممن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيتُ إلى غار ، فدخلوه ، فانحدرت صخرةٌ من الجبل ، فسدّت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله ـ تعالى ـ بصالح أعمالكم ، قال رجلٌ منهم : اللهم ، إنه كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أغْبِقُ[1] قبلهم أهلًا ولا مالًا ،فنأى[2] بى طلبُ الشجر يومًا ، فلم أرحْ[3] عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهتُ أن أوقظهما ، وأن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا ، فلبثت والقدح على يدى – أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر – والصبية يتضاغون [4] عند قدمى ، فاستيقظا ، فشربا غَبوقَهما ، اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر : اللهم ، إنه كانت لى ابنةُ عمٍ كانت أحب الناس إلىّ . وفى رواية : كنتُ أحبها كأشدِّ ما يحبُّ الرجالُ النساء ، فأردتُها على نفسها ، فامتنعت منى ، حتى ألَمَّتْ بها سنة من السنين ، فجاءتنى ، فأعطيتها عشرين ومائة دينارًا على أن تخلى بينى وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرتُ عليها . وفى رواية : فلما قعدتُ بين رجليها قالت : اتقِ الله ، ولا تفضّ الخاتم إلا بحقّه ، فانصرفتُ عنها ، وهى أحبُّ الناس إلىّ، وتركتُ الذهب الذى أعطيتها ، اللهم ، إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، ففرّج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم ، إنى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجلٍ واحدٍ ترك الذى له ، وذهب ، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءنى بعد حين ،

---

(1) أى : لا أقدم على الشرب .

(2) أى : بعد .

(3)أى : أرجع.

(4) أى : يصيحون .

فقال : يا عبد الله ، أدِّ إليّ أجرى ، فقلتُ : كلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله ، لا تستهزئ بى ، فقلتُ : لا أستهزئ بك ، فأخذه كله ، فاستاقه ، فلم يترك منه شيئًا . اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنَّا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون» .

6 – تقديم بر الأم على النوافل :

أخرج الشيخان (واللفظ لمسلم) عن أبى هريرة – رضى الله عنه – يرفعه «كان جريج رجلًا عابدًا ، فاتخذ صومعة ، فكان فيها ، فأتته أمه ، وهو يصلى ، فقالت : يا جريج ، فقال: اللهم أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته ، فقالت بعد ثالث يوم من ثالث مرة : اللهم لا تمته حتى ينظر فى وجوه المومسات ، فذكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته ، وكانت امرأة بغىّ يتمثّل بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأفتننه ، فتعرضت له، فلم يلتفت لها ، فأتتْ راعيًا كان يأوى إلى صومعة ، فأمكنته من نفسها ، فوقع عليها، فحملت ، فلما ولدت ، قالت : هو من جريج ، فأتوه ، فأنزلوه من صومعته ، وهدموها ، وجعلوا يضربونه ، فقال: ما شأنكم؟ قالوا : زنيتَ بهذه البغى فولدت منك ! فلما انصرف أتى الصبى ، فطعن فى بطنه، وقال : يا غلام ! من أبوك؟ فقال فلان الراعى .

فأقبلوا على جريج يُقبِّلونه ، ويتمسَّحون به ، وقالوا : نبنى صومعتك من ذهب، قال : لا ، أعيدوها من لبن كما كانت ، ففعلوا ، وبينما كان الصبى يرضع من أمه، مرَّ رجلٌ على دابة فارهة ، وشارة حسنة ، فقالت المرأة : اللهم اجعل ابنى مثل هذا ، فترك الثدى ، وأقبل ينظر إليه ، وقال : اللهم ! لا تجعلنى مثله ، ثم أقبل على ثديه ، وجعل يرضع ، قال: فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى ارتضاعه بإصبعه السبابة فى فمه يمصها .

ومروا بجارية يضربونها ، ويقولون : زنيت ، سرقت ، وهى تقول : حسبى الله تعالى ونعم الوكيل ، فقالت أمه : اللهم ، لا تجعل ابنى مثلها ، فترك الرضاع ، ونظر إليها ، فقال: اللهم اجعلنى مثلها .

فهناك تراجعًا الحديث ، فقال : مر رجل حسن الهيئة ، فقلت : اللهم اجعل ابنى مثله ، فقلت : اللهم لا تجعلنى مثله ، ومروا بهذه الأمة يضربونها ، ويقولون : زنيت، سرقتِ ، فقلت : اللهم لاتجعل ابنى مثلها ، فقلت : اللهم اجعلنى مثلها ، فقال : إن ذلك الرجل كان جبارًا ، فقلت : اللهم لا تجعلنى مثله ، وإن هذه يقولون لها : زنيتِ ، سرقتِ ، ولم تزن، ولم تسرق ، فقلتُ : اللهم اجعلنى مثلها» .

قال الحافظ ابن حجر : «قال ابنُ بطال : سبب دعاء أم جريج على ولدها : أن الكلام فى الصلاة كان فى شرعهم مباحًا ، فلما آثر استمراره فى صلاته ، ومناجاته على إجابتها دعت عليه لتأخيره حقها .قال ابنُ حجر : والذى يظهر من ترديده فى قوله : «أمى وصلاتى» أن الكلام عنده يقطع الصلاة ، فلذلك لم يجبها .

وقد روى الحسن بن سفيان من طريق الليث عن يزيد بن حوشب ، عن أبيه ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لو كان جريج عالماً لعلم أن إجابته أمه أولى من عبادة ربه»[1].

7 – تقديم بر الوالدين على الهجرة فى سبيل الله :

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى جئت أبايعك على الهجرة ، وتركت أبواى يبكيان ، قال : «فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما». رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 152) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه، وأقره الذهبى .

8 – الثناء على الوالدين وإظهار فضلهما ، وتقوية معنوياتهما لمواجهة الشدائد :

إن الحديث مع الوالدين يقوى من الصلة بهما ، كما أنه متعة روحية نفسية ، لمن يتذوق حق الوالدين وفضلهما ، وعظيم مكانتهما .

وفى حياة الوالدين تقع لهما مشاكل اجتماعية أو مالية أو صحية أو سياسية أو عند سكرات الموت ، فإذا أثنى عليهما الابن ، وذكرهما بفضلهما ، وحسن مكانتهما ، وبالطاعات التى كانا يفعلانها ، فإن ذلك يساعد على شد أزرهما و لمواجهة الحَدَث الجديد.

فعن ابن شماسة قال : حضرنا عَمْرو بن العاص ﷺ وهو فى سياقةِ الموتِ– فبكى طويلًا ، وحوَّلَ وجهَهُ إلى الجدار ، فجعل ابنه يقول : يا أبتاه ، أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشّرك رسول الله ﷺ بكذا؟

فأقبلَ بوجهه ؛ فقال : إن أفضل ما نُعِدُّ شهادةُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، إنى قد كنتُ على ثلاثة أطباق :

– لقد رأيتُنى وما أحدٌ أشدّ بُغضاً لرسول الله ﷺ منى ، ولا أحبّ إلىَّ من أن أكون قد استمكَنْتُ منه فقتلته ، فلو متُّ على تلك الحال ، لكنتُ من أهل النار .

---

(1) فتح البارى (3/ 321) .

– فلما جعلَ الله الإسلام فى قلبى ، أتيتُ النبىَّ ﷺ فقلتُ : أُبسط يمينَك ، فلأُبايعكَ ، فبسط يمينه ، فقبضتُ يدى ، فقال : «مالك يا عَمْرُو؟!» قلتُ : أردتُ أن أشترِط . قال : «تشترطُ ماذا؟» . قلتُ : أن يُغفر لى ، قال : «أما عَلِمْتَ أن الإسلام يهدِمُ ما كان قَبْله ، وأن الهجرة تَهدِمُ ما كان قبلها ، وأن الحجَّ يهدِمُ ما كان قَبْلَهُ ؟» .

وما كان أحدٌ أحبَّ إلىَّ من رسول الله ﷺ ولا أجَلَّ فى عينى منه ، وما كنتُ أطيق أن أملأ عينى منه إجلالاً له ، ولو سئلتُ أن أصفه ما أَطَقْتُ ؛ لأنى لم أكن أملأ عينى منه ، ولو مِتُّ عى تلك الحال ، لرجوتُ أن أكونَ من أهل الجنة .

ثم وُلِّينا أشياءَ ما أدرى ما حالى فيها؟ فإذا أنا متُّ فلا تَصْحَبَنِّى نائحةٌ ، ولا نارٌ، فإذا دفنتمونى ، فشُنُّوا علىَّ الترابَ شَنّاً ، ثم أقيموا حولَ قبرى ؛ قَدْرَ ما تُنْحَرُ جَزورٌ، ويُقسمُ لحمُها حتى أستأنسَ بكم ، وأنظرَ ما أراجعُ به رُسُلَ ربى!» . رواه مسلم .

9 – خاتمة – نموذج بر الرسول ﷺ لوالديه من الرضاعة ، وبرّ ابنته فاطمة له :

روى أبو داود عن عمر بن السائب – رضى الله عنه – بلغه : أن رسول الله ﷺ كان جالسًا يومًا ، فأقبل أبوه من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه من الرضاعة ، فوضع لها شِقّ ثوبه من جانبه الآخر ، فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة ، فقام النبى ﷺ :«فأجلسه بين يديه» .

وروى أبو داود ـ أيضًا ـ عن أبى الطفيل رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يَقْسمُ لحمًا بالجِعْرانة ، وأنا يومئذ غلامٌ ، أحمل عظم الجزُور ، إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى النبى ﷺ فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت : من هى ؟ فقالوا هذه أمه التى أرضعته.

وروى الشيخان ومالك عن أمّ هانئ – رضى الله عنها – أخت على بن أبى طالب – رضى الله عنهما – قال : ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح ، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تسترهُ بثوب ، فسلمتُ عليه فقال : «من هذه؟» فقلت أنا أم هانئ بنت أبى طالب ، فقال : «مرحبًا بأم هانئ ...الحديث» .

وروى الشيخان عن أبى حازم قال : إنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جُرح رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال جرح وجه رسول الله ﷺوكسرت رباعيتهُ ، وهُشِمت

البيضة[1] على رأسه ، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم ، وكان عليٌّ يسكب عليها بالمجن[2] ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصيرة ، فأحرقته ، حتى صار رماداً ، ثم ألصقته بالجرح ، فاستمسك الدم .

الأساس الثالث : لا طاعة للوالدين فى معصية الخالق مع بقاء الإحسان إليهما :

إن الذى فرض طاعة الوالدين هو الله ـ تعالى ، فإذا أراد بعض الأبوين استغلال هذا الفرض فى غير ما أمر الله سبحانه ، فإن الله تعالى أذن للمسلم ، وطالبه بعدم الطاعة ، وفى ذلك إحسان لهما ، وتنبيه للرجوع إلى أمر الله تعالى ، فإن أصرّا على المعصية ، أو الكفر ، فيبقى الابن محسنًا لهما فى غير المعصية ... وهذا خلق إسلامى رفيع فى الإحسان إليهما ، ومصاحبتهما بمعروف رغم انحرافهما عن الشريعة ، ولكن دون أن يمسا العقيدة بأى طعن ، أو لمز ، أو غمز ، وكل ما يؤول إلى الكفر لا طاعة للوالدين فيه ، وكل أمر فيه معصية (كالحرام ، والمكروه تحريمًا) لا طاعة للوالدين فيه . مع إبلاغهما شرع الله تعالى برفق ، ولين وحكمه ، وليس بفظاظة وغلظة ، وغضب واستكبار.

وكلنا نعلم قول النبى ﷺ : «لا طاعة لبشر فى معصية الله ، إنما الطاعة فى المعروف[3] .

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : «على المرء المسلم الطاعة ، فيما أحبَّ وكره ، إلا أن يُؤمر بمعصية ، فإذا أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة» . رواه الشيخان .

فقد أوجب النبى ﷺ الطاعة لمن تجب طاعته كالوالدين ؛ والحاكم المسلم ، سواء أحب المسلم ذلك الأمر أو كرهه ، فالحب والكره شىء ، وضرورة الالتزام بالطاعة شىء آخر ، أما المعصية فلا سمع فيها ولا طاعة كائنًا من كان آمرها ؛ لأن المعصية فيها مخالفة أمر الله تعالى الذى هو صاحب الأمر والنهى على الجميع ؛ ولأن «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» . رواه أحمد والطبرانى ، ورجال أحمد رجال الصحيح قاله الهيثمى فى المجمع (5/ 226) .

---

(1) **البيضة** : الخوذة ، **والهشم** : الكسر .

(2) **المجن** : الترس .

(3) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والطيالسى . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (181) ورواه أبو يعلى فى مسنده (1/ 241) .

يقول الفخر الرازى فى التفسير : «الإنسان إن انقاد لأحد ينبغى أن ينقاد لأبويه، ومع هذا لو أمراه بالمعصية لا يجوز اتباعهما فضلاً عن غيرهما» [1] .

وفى جيل الصحابة شواهد كثيرة على ذلك :

أخرج مسلم والترمذى عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال : «أنزلت فىّ أربع آيات من القرآن ، قال : حلفت أم سعد ألا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمت أن الله وصّاك بوالديك ، فأنا أمّك ، وأنا آمرك بهذا ، قال : مكثت ثلاثًا حتى غُشى عليها من الجهد ، فقام ابنٌ لها يقال له عُمارة فسقاها ، فجعلت تدعو على سعد ، فأنزل الله عزّ وجلّ فى القرآن هذه الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت]، ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان][2].

وروى ابن جرير بسنده[3] عن ابن زياد قال : دعا رسول الله ﷺ عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول ، قال : «ألا ترى ما يقول أبوك؟» قال : وما يقول أبى؟ فداك أبى وأمى ، قال : «يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأزل» فقال: فقد صدق والله يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأزل وأما والله ، لقد قدمتَ المدينة يارسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحدٌ أبرّ بوالده منى ، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به ، فقال رسول الله ﷺ : «لا»، فلما

---

[1] انظر : تفسير الرازى (25/ 35) .

[2] قال القرطبى فى تفسير الآية (14/ 64) : «إن طاعة الأبوين لا تُراعى فى ارتكاب كبيرة ، ولا فى ترك فريضة ، وتلزم طاعتهما فى المباحات» . وقال الرازى (25/ 147) : «يعنى أن خدمتهما واجبة وطاعتهما لازمة مالم يكن فيها ترك طاعة الله ، أما إذا أفضى إليه فلا تطعهما» .

[1] ورواه محمد بن إسحاق بن يسار كما فى (مختصر ابن كثير) للصابونى .

قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبى على بابها بالسيف لأبيه قال أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؟ أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله ﷺ ؟ والله لا يؤويك ظلها ، ولا يؤويه ـ أبدًا إلا بإذن من الله ورسوله ، فقال : ياللخزرج .. ابنى يمنعنى بيتى .. ياللخزرج ! .. ابنى يمنعنى بيتى! .

فقال : والله ، لا يأويه ـ أبدًا إلا بإذن منه ، فاجتمع إليه رجالٌ فكلموه ، فقال : والله، لا يؤويه إلا بإذن من الله ورسوله ، فأتوا النبى ﷺ فأخبروه ، فقال :«اذهبوا إليه فقولوا له : خلّه ومسكنه» ، فأتوه ، فقال : أما إذا جاء أمر النبى ﷺ فنعم .

وقال الحميدى فى مسنده[1]: قال عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول لأبيه : والله لا تدخل المدينة ـ أبدًا ـ حتى تقول : رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأزل .

ويبقى الإحسان إليهما فى أمور الدنيا مستمرًا ، وصلة رحمهما دائمة .وفى الصحيحين، عن أسماء بنت أبى بكر الصديق – رضى الله عنهما – قالت : قدمَتْ علىَّ أمى وهى مشركة فى عهد ، أى : معاهدته ﷺ (مع المشركين ، وتأمينه لهم فى صلح الحديبية) فاستفتيتُ رسول الله ﷺ قلت : قدمت علىّ أمى وهى راغبة (أى : طامعة فيما عندى تسألنى شيئًا) أفأصل أمى (أى : أتصدَّق عليها مع كفرها) ؟ قال: نعم ، صلى أُمَّكِ» .

قال ابن عيينة : فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة] .

ويبقى الابن المسلم حريصاً كل الحرص على إسلام والديه ، ودعوتهم إلى الإيمان، وحثهم على التطبيق ، بكل لهفة ، ورحمة ، ولطف ، وهدوء ، وهذا مسلك الأنبياء والمرسلين فى دعوة آبائهم ، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام يقدِّم لنا نموذجاً فى طريقة الدعوة :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا

---

[1]) مختصر ابن كثير للشيخ: محمد على الصابونى (3/ 506) .

﴿ ٤٣ ﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿ ٤٤ ﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿ ٤٥ ﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿ ٤٦ ﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿ ٤٧ ﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿ ٤٨ ﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿ ٤٩ ﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿ ٥٠ ﴾ [مريم] .

وهذا أبو هريرة يقدم نموذجًا رائعًا فى الحرص على دعوة أمه : روى البخارى فى «الأدب المفرد» عن أبى كثير التميمى قال : سمعتُ أبا هريرة ﷺيقول : ما سمع بى أحد يهودى ، ولا نصرانى إلا أحبنى ، وإن أمى كنت أريدُها على الإسلام فتأبى، فقلت لها فأبت ، فأتيت النبى ﷺ فقلت : ادع الله لها ، فدعا ، فأتيتها ، وقد أغلقتْ عليها الباب ، فقالت : يا أبا هريرة ، إنى قد أسلمتُ ، فأخبرت النبى ﷺ فقلت : ادع الله لى ولأمى ، فقال : «عبدك أبو هريرة وأمه أحبّها إلى الناس» .

وهذا أبو بكر يسارعُ بعد فتح مكة ليأخذ والده إلى النبى ﷺ طمعًا فى إسلامه ، وقد كان :

عن أسماء بينت أبى بكر الصديق – رضى الله عنهما – قالت : لما كان عام الفتح، ونزل رسول الله ﷺ ذا طوى ، قال أبو قحافة لابنة له وكانت أصغر ولده : أى بنية ، أشرفى بى على أبى قبيس وقد كفَّ بصره ، فأشرفت به عليه ، فقال : أى بنية ماذا ترين؟ قالت : أرى سوادًا مجتمعًا ، وأرى رجلًا يسرى بين يدى ذلك السواد، فقال:تلك الخيل يا بنية، ثم قال ماذا ترين قالت: أرى السواد قد انتشر ، فقال : إذًا والله دفعت الخيل ، فأسرع بى إلى بيتى ، فخرجتْ سريعًا حتى إذا هبطت به إلى الأبطح ، وكان فى عنقها طوقٌ لها من ورق ، فاقتطعه إنسان من عنقها، فلما دخل رسول اللهﷺ المسجد خرج أبو بكر ﷺحتى جاء مع أبيه يقوده ، فلما رآه رسول اللهﷺ . قال : «هلا تركتِ الشيخ فى بيته حتى أجيئه !؟» فقال : يمشى هو إليك يا رسول الله ، أحق من أن تمشى إليه ، فأجلسه بين يديه ، ثم مسح رسول الله ﷺ صدره ، وقال : «أسلمْ تسلمْ» فاسلم . رواه الحاكم فى مستدركه (3/ 46) وقال:

صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبى .

ولكن كيف يتعامل الابن مع أحد والديه الفاسقين ؟ وكيف يعظمهما ؟ ! لقد درس السيد جلال الدين العَمْرى فى المسألة فى كتابه القيم (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)[1] فقال فى عنوان : الحسبَة على الوالدين :

«إن قيام الولد بفريضة الأمر بالمعروف ؛ والنهى عن المنكر ؛ تجاه والديه عمل دقيق ، ومعقد جدًّا ، فهو يقتضى كثيرًا من الحيطة والتحفظ ، فعلى الولد إذا كان أبواه يهملان المعروف ؛ ويرتكبان المنكر عن جهل أن يعظهما ويلقنهما حكم الشريعة، ولا يجوز له البتة ما وراء ذلك من الزجر والترقيع ، أو الضرب قال الله عز وجل فى القرآن الكريم : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء] .

وقد بلغ من حق الأبوين على ولدهما أنه لا يُقتص منهما إذا قتلاه : «لا يُقاد الوالد لولد» رواه الترمذى فى أبواب الديات .

وكذلك لا يجوز للولد أن يَقتصَّ من الوالد ، مثل أن يقتل أم ابنها فيسقط حق القصاص من الابن[2] .

وإن تقابل الولد وأبواه الكافران فى الحرب ، فعلى الولد أن يتجنب قتلهما ما أمكنه إلا أن يضطر إلى ذلك دفاعاً عن نفسه ، بأن يخاف أن يقتلاه إن ترك قتلهما[3].

وقالت الفقهاء : إن الولد ليس له أن يباشر إقامة الحد على أبويه ، ويقول الغزالى، بعد إيراده مثل هذه التفاصيل :

«فإذا لم يجز له إيذاؤه بعقوبة هى حق على جناية سابقة ، فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هى منع من جناية مستقبلة متوقعة بل أولى» [4] .

ونقل العلامة ابن عابدين عن «فصول العلامى» : «أن الرجل ينهى أبويه إذا رآهما يرتكبان المنكر مرة واحدة ، فإن انتهيا ؛ وإلا فيسكتُ إن ساءهما ذلك ، ويسأل

---

(1) ترجمه من الأوردية إلى العربية محمد أجمل أيوب الإصلاحى ، نشر شركة الشعاع ، الكويت .

(1) الهداية مع شرح العناية على هامش فتح القدير (8/ 260) .

(2) أحكام القرآن للجصاص (2/ 339) والبحر الرائق (5/ 78).

(3) إحياء علوم الدين (2/ 280).

الله عز وجل أن يهديها ؛ ويغفر ذنبها» [1] .

وقال بعضهم : «إنه ينبغى للولد أن يُزيل المنكر الذى يرتكبه أبواه دون أن ينال منهما ؛ نحو : أن يُريقَ الخمرَ ؛ التى يشربانها ؛ ولا يُؤذيهما» . انتهى .

إن المسلمين اليوم بحاجة شديدة إلى فقه التعامل مع الوالدين ، وخاصة الدعاة منهم . وإن العقوق المنتشر فى الأسر المسلمة المتدينة وغير المتدينة سبب فى إعاقة العمل الإسلامى، فالنصر والنجاح والتوفيق لا يتنزل على قوم عاقين لوالديهم .

الأساس الرابع : أحقّ الناس بصحبتك والداك :

كثيرًا ما يخطئ الإنسان فى اتخاذ الصاحب و الخليل ، فلا يستطيع أن يجدَ المخلص الوفى، ويركض فى طلبه ، فتتعثر قدماه ، ويبحث هنا وهناك بجدّ ونشاط ، لعله يجد المخلص الوفى ، فيلمح من بعيد صديقًا، فيصادقه حتى إذا صادقه وجده غير ذلك .

ولم يترك النبى ﷺ الإنسان وهذه حالته فى التقلب ، فدلّه إلى طريق مختصر قصير جدًّا فى الوصول إلى الصديق الوفى ... إنه الوالدان ، ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحبتى ؟ قال : «أمك» قال : ثم من ؟ قال : «أمك» قال : ثم من ؟ قال : «أمك» قال : ثم من ؟ قال: «أبوك» . وفى رواية : يا رسول الله ، من أحق بحسن صحبتى ؟ قال : «أمك ، ثم أمك ثم أمك ، ثم أباك [2] ، ثم أدناك أدناك» .

وقد يقول قائل : أنا فى غنى أن أتخذ صاحباً وصديقاً ؟ فالجواب : إذا أنت استغنيت فلا بأس ، ولكن الوالدين لا يستغنيان عن صحبتك ، ومحادثتك ، ومشاورتك ، وسماع رأيك فى كثير من القضايا التى تستجد فى حياتهما وحياة إخوتك ، ويبقى حديث رسول الله ﷺ هو الحكم الفَصْل .

الأساس الخامس : تقديم بر الأم على الأب عند التعارض بعد محاولة التوفيق بينهما :

قال الحافظ ابن حجر شارحاً للحديث السابق ما يلى :

«قال ابن بطال : مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر ، قال : وكان ذلك لصعوبة الحمل ، ثم الوضع ، ثم الرضاع ، فهذه تنفرد بها الأم ، وتشقى

---

(4) رد المحتار على الدر المختار (3/ 261) .

(1) قال النووى – رحمه الله : هكذا منصوب بفعل محذوف ، أى ثم برّ أباك .

بها ، ثم تشارك الأب فى التربية» .

وقد وقعت الإشارة إلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان] فسوى بينهما فى الوصايا ، وخص الأم بالأمور الثلاثة

وقال القرطبى : المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر ، وتقدم فى ذلك على حق الأب عند المزاحمة .

وقال عياض : وذهب الجمهورُ إلى أن الأم تفضل فى البرعلى الأب ، وقيل : يكون برهما سواء ، ونقله بعضهم عن مالك ، والصواب الأول .

قلت – أى : ابن حجر : إلى الثانى ذهب بعض الشافعية ، لكن نقل عن الحارث المحاسبى الإجماع على تفضيل الأم فى البر ، وفيه نظر .

والمنقول عن مالك ليس صريحًا فى ذلك ، فقد ذكره ابن بطال ، قال : سُئل مالك : طلبنى أبى ، فمنعتنى أمى ؟ قال : أطع أباك ، ولا تعص أمك ، قال ابنُ بطال : هذا يدلُّ على أنه يرى أن برهما سواء ، كذا قال ، وليست الدلالة على ذلك بواضحة .

قال : وسُئِل الليث يعنى عن المسألة بعينها ، فقال : أطع أمك ، فإن لها ثلثى البر، وهذا يشيرُ إلى الطريق التى لم يتكرر ذكر الأم فيه إلا مرتين .

وقد أخرج البخارى فى «الأدب المفرد» وأحمد وابن ماجه ، وصححه الحاكم بلفظه : «إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم ، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب» .

«وفى حديث أبى رمثة :انتهيت إلى رسول الله ﷺ فسمعته يقول : «أمك ، وأباك، ثم أختك ، وأخاك ، ثم أدناك أدناك»[1] . أخرجه الحاكم هكذا ، وأصله عند أصحاب السنن الثلاثة وأحمد،وابن حبان . والمراد بالدنو : القرب إلى البار ، قال عياض : تردَّد بعضُ العلماء فى الجد والأخ ، والأكثر على تقديم الجد .

«قلت : – أى : ابن حجر : وبه جزم الشافعية ، قالوا : يقدّم الجد ثم الأخ ، ثم يقدّم من أدلى بأبوين على من أدلى بواحد ، ثم تقدم القرابة من ذوى الرحم ، ويقدم

---

(1) حسن . انظر صحيح الجامع رقم (1400) وقال : أخرجه أبو يعلى فى سننه عن صعصعة المُجاشعى، والطبرانى عن أسامة بن شريك .

منهم المحارم على من ليس بمحرم ، ثم سائر العصبات ، ثم المصاهرة ، ثم الـولاء ، ثم الجار ، وأشار ابنُ بطال : إلى أن الترتيب حيث لا يمكن إيصال البر دفعة واحدة، وهو واضح» .

وجاء ما يدل على تقديم الأم فى البر مطلقًا ، وهو مـا أخرجـه أحمـد والنسـائى وصححه الحاكم من حديث عائشة : سألت النبى ﷺ : أى الناس أعظم حقًـا عـلى المرأة ؟ قال : «زوجها» ، قلت : فعلى الرجل ؟ قال :«أمه» .

ويؤيد تقديم الأم حديث عمرو بن شعيب ، عـن أبيـه ، عـن جـده : أن امـرأة قالت: يا رسول الله ، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وثديى له سقاء ، وحجرى له حواء ، وإن أباه طلقنى ، وأراد أن ينزعه منى ، فقال : «أنت أحق به مـا لم تنكحـى» وكذا أخرجه الحاكم، وأبو داود . فتوصـلت لاختصاصـها بـه وبإخصاصـه بهـا فى الأمور الثلاثة .

«ونقل المحاسبى الإجماع على أن الأم مقدمة فى البر على الأب»[1].

الأساس السادس : أنت ومالك لأبيك[2] :

روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عبد الله بـن عمـرو بـن العـاص – رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال : يا رسول الله ، إن لى مالًا وولدًا، وإن أبى يجتاح مالى ، فقال : «أنت ومالك لأبيك ، إن أولادكم من أطيب كسـبكم ، فكلوا من كسْب أولادكم»[3] .

وفى رواية أبى حنيفة كما فى مسنده عن عائشة – رضى الله عنها – قالـت : قـال رسول الله ﷺ : «إن أولادكم من كسبكم ، وهبة الله لكـم ، يهـب لمـن يشـاء إناثًـا، ويهب لمن يشاء الذكور» .

وروى البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجـه : «إن أطيـب مـا أكلـتم مـن كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم» .

وقد روى القرطبى حادثة الشيخ مع ابنه ، فقال :

روينا بالإسناد المتصل عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : جـاء رجـل إلى النبـى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أبى أخذ مالى ، فقـال النبـى ﷺ للرجـل : «فـأتنى بأبيـك»

---

(1) فتح البارى (13/ 5، 6) .

(2) انظر بتوسع : مصنف عبد الرزاق (9/ 129).

(3) صحيح . انظر صحيح الجامع رقم (1487) .

فنزل جبريل عليه السلام ، على النبى ﷺ وقال: إن الله ـ عز وجل ـ يقرئك السلام ويقول لك : إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شيء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه» فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ : «ما بال ابنك يشكوك ؟ أتريد أن تأخذ ماله ؟» فقال : سله يا رسول الله ، هل أنفقه إلا على إحدى عماته ، أو خالاته ، أو على نفسى ؟ فقال له رسول الله ﷺ : «إيه .. دعنا من هذا ، أخبرنى عن شيء قلتَهُ فى نفسك ما سمعته أذناك» .

فقال الشيخ : والله يارسول الله ، مازال الله عز وجل يزيدنا بك يقينًا ، لقد قلت فى نفسى شيئاً ما سمعته أذناى ، قال : «قل وأنا أسمعك» قال : قلت [1] :

غَذَوتُك مولودًا ومُنْتُك[2] يافعاً ... تُعلّ بما أجْنى عليك وتنْهَلُ
تخافُ الرَّدى نَفْسى عليك وإنّها ... لتَعْلَمُ أنَّ المَوْتَ وقتٌ مُؤجَّلُ
فلما بَلَغْتَ السنَّ والغاية التى ... إليها مدى ما كنتُ فيك أؤملُ
جَعَلْتَ جزائى غلظةً وفظاظةً ... كأنّكَ أنْتَ المنعم المُتَفَضِّلُ
فليتك إذا لم تَرْع حقَّ أبوَّتى ... فعلت كما الجار المُصاحب يفعلُ
فأوليتنى حق الجِوار ولم تكن ... علىَّ بمال دون مالك تَبْخَلُ

قال : فحينئذ أخذ النبى ﷺ بتلابيب ابنه ، وقال : «أنت ومالك لأبيك»[3].

وقد تقدم معنا الحديث الذى رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح قول النبى ﷺ عن رجل : «وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو فى سبيل الله».

عن محمد بن سليم قال : حدثنا (مَطَرُ الوراق) أن رسول الله ﷺ قال : «هل تعلمون أى نفقةٍ أفضل من نفقة فى سبيل الله ؟ !قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «نفقة الولد على الوالدين» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 161) قال محقق الكتاب : حديث مرسل ، إسناده مقبول .

وهكذا كانت أفضل الصدقات إنفاق الوالدين على أولادهما ، وإنفاق الولد على والديه ، فأصبح التكريم الإلهى لكلا الطرفين ، وذلك لأنه «كَما تَدين تُدان» وكما تزرع تحصد .

---

(1) نسبت هذه الأبيات فى أشعار الحماسة لأميَة بن أبى الصلت .

(2) أى : قمت بمؤنتك .

(1) تفسير القرطبى (10/ 45) (ط3) . رواه ابن ماجه عن جابر ، ورواه الطبرانى عن سمرة وابن مسعود ، والحديث صحيح . انظر : صحيح الجامع ، رقم (1486).

وكذلك فإن للوالدين الحق فى الرجوع بالهبة المقدمة لأحد أبنائهم :

روى الترمذى، عن ابن عمرو، عن النبى ﷺ أنه قال : «لا يحل لأحد أن يعطى عطية فيرجع فيها إلا الوالد لولده» . ورواه ابن ماجه والبيهقى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وأحمد.

وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى وأبو داود، عن ابن عمرو وابن عباس– رضى الله عنهم – أن النبى ﷺ قال : «ولا يحلُّ لرجل أن يعطى عطية ، أو يهب هبة ، ثم يرجع فيها إلا الوالد فيما يعطى ولده ، ومثل الذى يعطى العطية ، ثم يرجع فيها كمثل الكلب يأكل ، فإذا شبع قاء ، ثم يعود فى قيئه» .

وعن محمد بن سيرين قال : «بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان ﷺ ألف درهم ، فعمد أسامة بن زيد إلى نخلة ، فنقرها ، وأخرج جمارها ، فأطعمها أمه ، فقال له : ما حملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألفاً ؟ ! فقال: إن أمى سألتنيه ، ولا تسألنى شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها» . رواه الحاكم فى مستدركه (3/ 597) وسكت عنه ، وقال الذهبى : أمه ماتت زمن الصديق ، والحديث فيه إرسال .

الأساس السابع : عتق الوالدين من أىّ مال استحقَّ بذمتهما :

وهذه صورةٌ من صور البر العظيمة ، ففى السابق أيام الرقيق ، قد يصبحُ الابن حرًا وله مال ، والأب أو الأم رقيقين بلا مال يعتقان أنفسهما ، أما صورتها فى واقعنا الحالى ، فمثلًا حلّت بأحد الوالدين ديون كثيرة لأى سبب من الأسباب ، فماذا كان موقف رسول الله ﷺ فى هذه الحالة ؟ .

«لا يجزى ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه ، فيعتقه» . رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

وصورتها كذلك : أن يسجن أحد الوالدين لأى سبب من الأسباب ، ولا يملكان مالاً لكفالتهما ، فما على الولد إلا المسارعة لوضع ماله فى خدمة والديه ؛ لأنه كما تقدم : «أنت ومالك لأبيك» .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : «من حج عن أبويه ، أو قضى عنهما مغرمًا ، بُعِث يوم القيامة مع الأبرار» . رواه الدارقطنى (2/ 260) .

الأساس الثامن : الدعاء المتبادل بين الأبوين وأبنائهما :

الدعاء ركن أساسى فى البر ، وهو مظهرُ القلب الذى يعبر عن الحب والود ، وهو دليل البر القلبى ، فالقلب المفعم بالحب يلحّ بالدعاء ، ويجرى على اللسان مجرى النفس، وكلما ازدادت المحبة القلبية المتبادلة بين الوالدين والأبناء ، ازداد الدعاء .

فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده». رواه أبو داود والترمذى ، وقال : حديث حسن ، وليس فى رواية أبى داود : «على ولده»[1] .

وروى البخارى عن أنسﷺ قال : دخل النبى ﷺ على أمّ سليم، فأتتهُ بتمرٍ وسمنٍ قال : «أعيدوا سمنكم من سقائه ، وتمركم فى وعائه فإنى صائم» ثم قام إلى ناحية من البيت ، فصلّى غير المكتوبة ، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم : يا رسول الله ، إنَّ لى خُوَيْصة ، قال : «ما هى؟» قالت : خادمك أنس ، فما ترك خير آخرةٍ ولا دنيا إلا دعا لى به : «اللهم ارزُقْه مالاً ، وولداً ، وبارك له» فإنى من أكثر الأنصار مالًا ، وحدثتنى ابنتى أمينة أنه دُفن لصُلبى مقْدم حجّاج البصرة ؛ بضع وعشرون ومائة .

وروى البخارى فى «الأدب المفرد» عن أبى حازم أن أبا مرة أخبره : أنه ركب مع أبى هريرة ﷺ إلى أرضه بالعقيق ، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أماه ! فتقول : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، فيقول : رحمك الله كما ربيتنى صغيراً ، فتقول: يا بنى ، وأنت فجزاك الله خيرًا ، ورضى عنك كما بررتنى كبيراً . اللهم بارك لنا فى أموالنا وأولادنا .

وعن أم سلمة – رضى الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة : «ائتينى بزوجك وابنيك» فجاءت بهم ، فألقى عليهم كساءً فدكيًّا ، قال : ثم وضع يده عليهم ، ثم قال :

«اللهم إن هؤلاء آل محمد ، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وآل محمد ، إنك حميد مجيد» . قالت أمُّ سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه من يدى ، وقال : «إنك على خير» رواه أحمد (6/ 323) .

---

[1] ورواه الإمام أحمد والبخارى فى (الأدب) عن أبى هريرة ، ورواه ابن ماجه والطيالسى والطبرانى وابن عساكر وأحمد والخطيب عن عقبة بن عامر . انظر صحيح الجامع ، رقم (2031) .

وهذا لا يعنى أن أم سلمة زوجة النبى ﷺ ليست من أهل البيت[1]- كما يدعى البعض - وإنما أراد رسول الله ﷺ أن يخص ابنته فاطمة وزوجها عليًّا وابنيهما الحسن والحسين بفضل معين ، وهذا من عادة رسول الله ﷺ أن يخصّ أصحابه وأقرباءه بخاصية معينة لما يراه من تمتعه بها ، أو أن يهديه منه ﷺ تكرمًا وتفضلًا ؛ بدليل أن النبى ﷺ قال لسعيد بن تميم رضي الله عنه : أين بنوك ؟ ! قلتُ : ها هم أولاء ، قال: فائتنى بهم ، قال : فأتيتُ أهلى ؛ فألبستهم قُمصًا بيضاء ، ثم أتيته بهم ، فقال :«اللهم إنى أُعيذهم بك من الكفر ؛ والضلالة ؛ والفقر الذى يصيب بنى آدم» . رواه الطبرانى وإسناده حسن ، قاله الهيثمى فى المجمع (9/ 414) .

الأساس التاسع : ألا تَسْتسبَّ لوالديك :

من دلالات البر : أن تحافظ على اسم والديك من السب والشتم بشتى صوره ، وأشكاله ، سواء من أنفسهما ، فتفعل أعمالاً تغضبهما فيسبان ذاتهما ، فتكون أنت سبب هذا الشتم ، أو أن تسىء إلى أحد فيسبّ أحد والديك ، أو يُسىء أحد إليك، فتسبه بوالديه فيسب والديك ... وهكذا .

وباختصار إن سب الوالدين بأى صورة من الصور ، أو أى شكل من أشكاله ، ومهما كان سبب ذلك فليس من البر ، والمحافظة على اسم الوالدين من السب أكبر دليل على البر .

روى ابن السنى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ رأى رجلًا معه غلام ، فقال للغلام :«من هذا ؟» قال : أبى : «فلا تمشِ أمامه ، ولا تَسْتسِبَّ له ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه»[2].

وروى ابن أبى الدنيا مرسلًا عن أبى المخارق رضي الله عنه قال : قال النبى ﷺ : «مررت

---

[1] وكون زوجات النبى ﷺ من أهل بيته قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَ�ٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ [هود] .

[2] رواه عبد الرزاق فى مصنفه (11/ 138) موقوفاً على أبى هريرة ، وقال حبيب الرحمن الأعظمى معلقاً : «والحديث أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ، وروى عبد الرازق (11/ 137) قول طاوس: «إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه» .

ليلة أسرى بى برجل مغيب فى نور العرش ، قلت : من هذا ؟ أهذا ملك ؟ قيل : لا، قلت : من هو؟ قال : هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب من ذكر الله ، وقلبه معلق بالمساجد ، ولم يستسبّ لوالديه» .

وثبت فى الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : «لعن الله من لعن والديه» ، وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – قال : «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا : يارسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : «نعم يسُبّ أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه» .

الأساس العاشر : أشهرِ الانتساب لأبيك واعتز به :

حرص الإسلام على إشهار نسب الابن من أول يوم يولد فيه ، فأوصى بالعقيقة؛ لإشهار نسب المولود ، وكثيرًا ما يحدث فى المجتمعات العجب العجاب ، ففى المجتمع الجاهلى القديم كان يتنصل الابن من نسبه لأبيه ، وفى المجتمع الجاهلى الحديث يخجل الابنُ المثقف – وقد حصل على منصب اجتماعى مرموق يخجل هذا الأحمق أن يعترف بأبيه وقد أتى لزيارته عابرًا أو غير ذلك من ألوان التهرب من إشهار اتصال الابن بأبيه التى يجيدها أبالسة هذا الزمان ، والعياذ بالله.

والأمر خطير عندما نعلم أن إنكار النسب يعنى الكفر بعينه ، وهذا هو الدليل:

فى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص ﷺ أن النبى ﷺ قال : «من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام»[1].

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر» [2] .

وفى الصحيحين ـ أيضاً – واللفظ لمسلم – عن أبى ذرﷺ: أنه سمع رسول اللهﷺ يقول : «ليس من رجل أدعى لغير ابيه وهو يعلمُهُ إلا كفر ، ومن ادعى ما ليس له فليس منا ، وليتبوأ مقعده من النار ، ومن دعا رجلًا بالكفر ، أو قال: عدو الله ، وليس كذلك ، إلا حار عليه» .

---

(1) ورواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 59) بسند صحيح ، ورواه أحمد (1/ 969) والبيهقى (7/ 403) .

(2) بأن يصير الولد فى رتبة جليلة من غنى ، أو جاه ، أو نحو ذلك ، وأبواه من الأدنياء ، فيرغب عن الانتساب إليهما .

الأساس الحادى عشر : الحج عمن عجز منهما صحيًا عن أدائه :

عن ابن عباس رضى الله عنهما – أن امرأة من خثعم سألت رسول الله ﷺ غداة النحر ، والفضل ردفه ، فقالت : يا رسول الله ، إن فريضة الله فى الحج على عباده أدركت أبى شيخًا كبيرًا ، لا يستطيع أن يستمسك على الراحلة ، هل ترى أن أحج عنه ؟ قال : «نعم». رواه ابن خزيمة فى صحيحه بسند صحيح (4/ 342) .

وعن ابن رزين: أنه قال : يا رسول الله ، إن أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ، ولا الظغن ، قال : «حجّ عن أبيك» رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 346) وإسناده صحيح .

الأساس الثانى عشر : إنفاذ نذرهما :

عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ أدرك شيخًا كبيرًا يهادى بين ابنيه ، يتوكأ عليهما، فقال النبىُّ ﷺ : «ما شأن هذا الشيخ ؟» فقال ابناه : يا رسول الله ، كان عليه نذر، فقال النبىُّ ﷺ : «اركب أيها الشيخ ، فإن الله غنىٌّ عنك وعن نذرك». رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 347) ورواه مسلم .

الأساس الثالث عشر : العقوق[1] من الكبائر ، وجزاؤه فى الدنيا والآخرة :

فى الصحيحين عن أبى بكر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟» قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : «الإشراك بالله وعقوق الوالدين» وكان متكئًا فجلس فقال : «أَلا وقول الزور» ، فما زال يُكررها حتى قلنا : ليته سكت .

وروى النسائى عن ابن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا ينظر إليهما يوم القيامة :العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، والمنَّان بما أعطى» .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه والبخارى فى «الأدب المفرد» عن معاذ ﷺ قال : أوصانى رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال :

---

(1) أصل العَقّ : الشّقّ . وإليه يرجع عقوق الوالدين ، وهو قَطْعُهما ؛ لأن الشقّ والقَطْع واحد يقال : عقَّ ثوبَه ؛ إذا شقَّه ، عقّ والديه يعُقُّهما عَقّاً وعُقُوقاً . قال الشاعر :

إن البنين شرارهم أمثاله منْ عق والده وبَرّ الأبعدا

انظر : كتاب «العين» للخليل .

1 – «لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتلت وحُرِّقت»

2 – «ولا تَعُقَّنّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك» .

3 – «ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا ، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا ، فقد برئت منه ذمة الله» .

4 – «ولا تشربن خمراً فإنه رأس كل فاحشة» .

5 – «وإياك والمعصية فإن بالمعصية حلّ سخَط الله» .

6 – «وإياك والفرار من الزّحف ، وإن هلك الناس» .

7 – «وإذا أصاب الناس موت وأنت فيهم فاثبت» .

8 – «وأنفق على عيالك من طَوْلك» .

9 – «ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا» .

10 –«وأخِفْهم فى الله» .

وروى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال : «الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس» .

وفى الصحيحين عن المغيرة بن شعبة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «إن الله ـ تعالى ـ حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعًا وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» .

وروى الإمام أحمد عن مالك بن عمرو القشيرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من أعتق رقبةمسلمة فهى فداؤه من النار ، فإن كل عظم من عظامه محررة بعظم من عظامه ، ومن أدرك أحد والديه ، ثم لم يغفر له ، فأبعده الله عز وجل ، ومن ضم يتيمًا من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله ، وجبت به الجنة».

وروى الطبرانى فى الأوسط عن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون ، فقال : «يا معشر المسلمين ، اتقوا الله ، وصلوا أرحامكم؛ فإنه ليس من ثوابٍ أسرع من صلة الرحم ، وإياكم والبَغْى فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغى ، وإياكم وعقوق الوالدين ، فإن ريح الجنة توجد فى مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ، ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زانٍ ولا

جارٌّ إزارَه خيلاء ، إنما الكبرياء لله رب العالمين» .

ومن علامات الساعة : صورة قبيحة من العقوق ، بحيث يقتل الابن أباه ، فقد روى البخارى فى «الأدب المفرد» (1/ 203) عن أبى موسى مرفوعاً : «لا تقوم الساعة حتى يقتل الرجل جاره ،وأخاه ، وأباه» .

أما عقوبة العقوق فى الدنيا :

فقد روى الحاكم والأصبهانى عن أبى بكرة: أن رسول الله ﷺ قال : «كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين ، فإن الله يجعله لصاحبه فى الحياة الدنيا قبل الممات» .

وعن أبى بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من ذنب أجدرُ أن يُعجلَ اللهُ لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى ؛ وقطيعة الرحم» . رواه البيهقى فى كتابه (الآداب) . قال محققه : وأخرجه أحمد ، والبخارى فى الأدب المفرد وأبو داود وابن ماجه والترمذى فى سننها ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم فى المستدرك ، وقال : صحيح ، وأقره الذهبى .

ضابط العقوق :

ومدار ضابط عقوق الوالدين ، أو أحدهما ، كما قال ابن حجر الهيتمى[1] :

لو فعل معه ما يتأذى به تأذيًّا ليس بالهين عرفًا كان كبيرة ، وإن لم يكن محرماً لو فعل مع الغير .

«كأن يلقاه فيقطب فى وجهه ، أو يَقْدَمَ عليه فى ملأ ، فلا يقوم له ، ولا يعبأ به ، ونحو ذلك مما يقضى أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذٍ تأذياً عظيماً» .

ثانيا : أساسيات البر بعد وفاة أحدهما ، أو كليهما

يشبُّ بعضُ الناس وقد فقد أحد والديه فى الصغر ، فيجب أن يقدّم شيئاً لهما إكرامًا وتعظيمًا . أو قد يموت أحدهما فى حياته ، فيجب أن يتابع البر ، فما هى أركان هذا البر بعد وفاة أحدهما ، أو كليهما ؟

من خلال التأمل فى الأحاديث الشريفة نجد سبعة أركان ، وهى :

---

(1) الزواجر (2/ 73) .

الأساس الأول: إنفاذ عهدهما ووصيتهما:

روى أبو داود والنسائى عن الشريد بن سويد الثقفى ﷺ قال : إن أمه أوصته أن يعتق عنها رقبةً مؤمنة ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أمى أوصت أن أعتق عنها رقبة مؤمنة ، وعندى جارية سوداء نوبية أفأعتقها ؟ فقال رسول الله ﷺ : «ادع بها» فدعوتها ، فجاءت ، فقال لها النبى ﷺ : «من ربُّكِ؟» قالت : الله، قال: «فمن أنا ؟» قالت : رسول الله ، قال : «اعتقها فإنها مؤمنة» .

وروى أبو داود عن مالك بن ربيعة الساعدى ﷺ قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ! هل بقى من بر أبوى شىء أبرّهما بعد موتهما ؟ فقال : «نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما»[1].

فهذا حديث جامع لأغلب الأركان .

وقد يجد الابنُ صعوبات فى تنفيذ الوصية ، ولكن صدق البر ، واليقين بالله تعالى وأن ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [النحل :96] مما يساعده للمسارعة إلى التنفيذ ، وهاك نموذجًا: أخرج البخارى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال:

لما وقف الزبير يوم الجمل دعانى ، فقمتُ إلى جنبه ، فقال : يا بنى ، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وإنى لا أرانى إلا سأقتل مظلوماً ، وإن من كبير همِّى لِدَيْنى أفترى ديننا يبقى من مالنا شيئًا ؟ ثم قال : يا بنى ، بعْ مالنا ، واقضِ دينى ، وأوصى بالثلث ، وثلثه لبنيه ، يعنى : بنى عبد الله ، قال : فإن فضل شىء من مالنا بعد قضاء الدين فثلثه لولدِك ، قال عبد الله بن الزبير :

فجعل يوصينى بدينه ويقول : يا بنى ، إن عجزت عن شىء منه فاستعن بمولاى ، قال : فوالله مادريت ما أراد حتى قلت : يا أبت ، من مولاك ؟ قال : الله ، فوالله ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت : يا مولى الزبير ، اقض عنه دينه، قال : فقتل الزبير ولم يَدَع ديناراً أو درهمًا إلا أرضين منها الغابة ، وإحدى عشرة دارًا

---

(1) ورواه الحاكم فى المستدرك (4/ 155) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : صحيح .

بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، ودارًا بالكوفة ، وداراً بمصر ، قاله : وإنما كان دينه الذى كان عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال، فيستودعه وإياه ، فيقول الزبير : لا ، ولكن هو سلف ، فإنى أخشى عليه الضيعة ، وما ولى إمارة قط ، ولا جبايةً ، ولا خراجاً ، ولا شيئاً إلا أن يكون فى غَزْوٍ مع رسول الله ﷺ أو مع أبى بكر وعمر وعثمان ، وقال عبد الله بن الزبير: فحسبت ما كان عليه من الدين ، فوجدتهُ ألفى ألفٍ ومائتى ألف، قال : فلقى حكيمُ بن حزام عبد الله بن الزبير فقال : يا بن أخى كم على أخى من الدين؟

قال : فكتمته وقلت : مائة ألف ، فقال حكيم : والله ، ما أدرى أموالكم تسعُ هذه ، قال : فقال عبد الله : أرأيتك إن كانت ألفى ألفٍ ؟ قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزته عن شىء عنه فاستعينوا بى ، وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف ، فباعها عبد الله بألف ألفٍ وستمائة ألف ، ثم قام فقال : من كان له على الزبير شىء فليوافنا بالغابة .

فأتاه عبد الله بن جعفر ، وكان له على الزبير أربعمائة ألف ، فقال لعبد الله : إن شئتم تركتُها لكم ، قال عبد الله : لا ، قال : فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخّرون إن أخرتم ، فقال عبد الله : لا ، قال : فاقطعوا لى قطعة ، فقال عبد الله : لك من ها هنا إلى ها هنا، قال : فباع عبد الله منها ، فقضى دينه ، وأوفاه ، وبقى منها أربعة أسهم ونصف، قال : فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان ، والمنذر بن الزبير ، وابن زَمْعة ، قال : فقال له معاوية : كم قُوِّمت الغابة ؟ قال : كل سهم بمائة ألف قال : كم بقى منها ؟ قال : أربعة أسهم ونصف ، فقال المنذر بن الزبير : قد أخذت منها سهما بمائة ألف ، وقال عمرو بن عثمان : قد أخذت سهماً بمائة ألف ، وقال ابن زمعة : قد أخذت سهماً بمائة ألف ، فقال معاوية : كم بقى؟ قال : سهم ونصف، قال : قد أخذته بخمسين ومائة ألف .

قال : وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألفٍ قال : فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه ، قال بنو الزبير : اقسم بيننا ميراثنا ، قال : لا ، والله ، لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين ، ألا مَنْ كان له على الزبير دينٌ فليأتنا فلنقضه.

قال : فجعل كلَّ سنة ينادى فى الموسم ، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم ، ودفع الثلث ، قال : وكان للزبير أربعُ نسوة ، فأصاب كل امرأةٍ ألف ألفٍ ومائتا ألف ،

قال : فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف» .

وهذا من عظيم البر الذى يقدمه الابن لوالديه ، مع اليقين ، والثقة بالله تعالى فى تيسير أمر البر ، وتنفيذ عهدهما ، فجعلنى الله وإياك من البررة .

وهذا نموذج ثانٍ فى إنفاذ الابن وصية والده ، ولو على حساب رغباته وشهواته ، إنها وصية رعاية الأخوات بعد وفاة الوالد ، وحسن تربيتهن :

روى البخارى عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : لما حضر أُحدٌ (أى حضر واقترب موعد غزوة أحد) دعانى أبى من الليل ، فقال : ما أُرانى إلا مقتولًا فى أول من يقتل من أصحاب النبى ﷺ وإنى لا أترك بعدى ؛ أعزّ على منك ، غير نفس رسول اللهﷺ وإن علىّ ديناً فاقضِ ، **واستوص بأخواتك خيراً** ، فأصبحنا ، فكان أول قتيل، ودفنه مع آخر فى قبر» . قال ملا على القارى فى شرح المشكاة (11/ 722) : كان له تسع أخوات، ودفن والده مع عمرو بن الجموح ، وكان صديق والد جابر ، وزوج أخته .

فماذا عن جابر بوصية والده بأخواته التسع :

أخرج الخمسة عن جابر فى حديث طويل : أنه قال لرسول الله ﷺ حين سأله: «هل تزوجتَ بكرًا أم ثيبًا؟» قال : بل ثيباً ، قال : «هلا بكراً تُلاعبها وتُلاعبك؟» فقلت : يارسول الله ﷺ ، تُوفى والدى ، ولى أخوات صغار . فكرهتُ أن أتزوج مثلهن ، فلا تؤدبهن ؛ ولا تقوم عليهن ، فتزوجت ثيباً ؛ لتقومَ عليهن وتؤدبهنّ .

ذلك الوفاء الصادق ، وتلك النية الصادقة الطاهرة ، تهدى الإنسان لأحسن الأفكار والآراء ، ولو تنازل هو عن شىء من رغباته إلا أنه أنقذ أخواته ، فكان الهدف نبيلًا والغاية نبيلة .

الأساس الثانى :الدعاء ، والاستغفار لهما :

روى البخارى فى «الأدب المفرد» عن محمد بن سيرين قال : كنا عند أبى هريرةﷺ فقال : اللهم اغفر لأبى هريرة ، ولأمه ، ولمن استغفر لهما . قال محمد : فنحن نستغفر لهما حتى ندخل فى دعوة أبى هريرة ﷺ .

وقد تقدم الحديث : «الصلاة عليهما والاستغفار لهما» والصلاة هنا : الدعاء لهما. وفى الحديث : «وولد صالح يدعو له» .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة

للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يا رب ، أنى لى هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لـك» رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ، ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بـن بهدلـة ، وقد وثق ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (10/ 210) .

الأساس الثالث : صلة رحمهما ،وبرّ أصدقائهما :

روى مسلم[1] عن ابن عمر – رضى الله عنهما : أنه كان إذا خرج إلى مكة كان لـه حمارٌ يتروّح عليه إذا ملَّ ركوب الراحلة ، وعمامة يشدُّ بها رأسه ، فبينما هو يوماً عـلى ذلك الحمار؛ إذ مرّ به أعرابىٌّ فقال : ألست ابن فلان ؟ ! قال : بلى ، فأعطـاه الحـمار، فقال : اركب هذا ، وخُذ العمامة ، وقال : اشدْد بها رأسك ، فقال له بعضُ أصحابه: غفر الله لك ، أعطيت هذا الأعرابى حماراً كنت تروّح عليـه وعمامـة كنـت تشـدبها رأسك فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :«إن من أبر البر صلة الرجل أهل وُدِّ أبيه بعد أن يولّى» وإن أباه كان ودًا لعمر .

وقد تقدم الحديث : «وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما» .

وروى ابن حبان فى صحيحه عن أبى بُرْدة قال : قدمت المدينة ، فأتانى عبد الله بن عمر فقال : أتدرى لم أتيتك ؟ قـال : قلـت : لا، قـال : سـمعت رسـول الله ﷺ يقول : «من أحبَّ أن يصل أباه فى قبره فليصلْ إخوان أبيه بعدهُ» وإنه كان بـين أبـى عمر وبين أبيك إخاء وودّ ، فأحببْتُ أن أصِلَ ذاك[2].

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – أنّ رسول الله ﷺ قال : «احفظْ ودّ أبيـك لا تقطعه ،فيطفئ الله نورك» . رواه الطبرانى فى الأوسط ، وإسناده حسـن ، كـذا قـال الهيثمى فى المجمع (8/ 147) .

الأساس الرابع : الصدقة عليهما :

روى الشيخان والنسائى وأبو داود عن عبد الله بن عباس – رضى الله عـنهما – أن رجلاً قال للنبى ﷺ إن أمى توفيت ، أينفعها إن تصدقتُ عنها ؟ قـال: «نعـم» ، قال : فإن لى مخرفًا فأنا أشهدك أنى تصدّقت به عنها .

---

(1) ورواه أحمد والبخارى فى (الأدب المفرد) وأبو داود والترمذى . انظر : صحيح الجـامع رقـم (1525).

(1) ورواه أبو يعلى . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1432) .

وأخرج الجماعة إلا الترمذى عن عائشة – رضى الله عنها – أن رجلًا قال لرسول الله ﷺ : إن أمى افتلتت نفسها ، وأظنها لو تكلمت تصدقت ، لها أجر إن تصدقت عنها ؟ فقال : «نعم» . ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 124) .

وروى الطبرانى فى الأوسط: أن رسول الله ﷺ قال : «ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين ، فيكون لوالديه أجرها ، ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شىء» .

وروى مالك والنسائى، عن سعيد بن عمرو بن شرحبيل بن سعد بن عبادة، عن أبيه، عن جده ، قال : خرج سعدُ بن عبادة مع النبى ﷺ فى بعض مغازيه ، وحضرت أمه الوفاة فى المدينة ، فقيل لها : أوصى ، فقالت : فيم أوصى ؟ المالُ مالُ سعد ، فتوفيت قبل أن يقدم سعد ، فلما قدم سعد ذكر ذلك له ، فقال : يارسول الله، هل ينفعها أن أتصدَّق عنها ؟ فقال النبى ﷺ: «نعم» فقال سعد : حائط [1] كذا وكذا صدقة عنها ، الحائط سمّاه . وعن أبى هريرة ﷺ أن رجلًا قال للنبى ﷺ : إن أبى مات ، وترك مالًا، ولم يوص ، فهل يكفّر عنه إن تصدقت عنه ؟ فقال : «نعم» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 123) بسند صحيح .

الماء أفضل الصدقة عليها :

روى أبو داود والنسائى عن سعد بن عبادة ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، إن أمى ماتت ، فأى الصدقة أفضل ؟ قال : «الماء» فحفر بئراً ، وقال : هذه لأم سعد.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : «من حفر ماءً لم يشرب منه كبد حرّى من جن ولا إنس ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة ، ومن بنى مسجداً كَمفْحَص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً فى الجنة» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (2/ 269) قال المحقق مصطفى الأعظمى : إسناده صحيح ، ورواه ابن ماجه .

الأساس الخامس :الحج عنهما :

عن أبى رزين ﷺ أنه قال : يا رسول الله ، أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن ، قال : «حُجَّ عن أبيك ، واعتمر» رواه الحاكم فى مستدركه (1/ 481) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وعن أنس ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال : إن أبى مات ، ولم يحج

---

[1] الحائط : أى البستان .

حجة الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ: «أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت تقضيه عنه؟» قال : نعم . قال : «فإنه دين عليه فاقضه» رواه البزار ، والطبرانى فى الأوسط والكبير ، وإسناده حسن ، قاله الهيثمى فى المجمع : (3/ 282) .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – يقول : قال فلان الجهنى : يا رسول الله ، إن أبى مات ، وهو شيخ كبير لم يحج ، أو لا يستطيع الحج ، قال : «حج عن أبيك» رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 343) وإسناده صحيح .

وعن زيد بن أرقم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا حج الرجل عن والديه تقبل الله منه ومنهما ، واستبشرت أرواحهما فى السماء ، وكتب عند الله باراً» . رواه الدارقطنى (2/ 261) وقال العزيزى فى شرح الجامع الصغير : هذا حديث صحيح.

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : أتى رسولَ الله ﷺ رجل فقال له: إن أبى مات ، وعليه حج الإسلام ، فأحجّ عنه ؟ قال : «أرأيت لو أن أباك ترك ديناً عليه أقضيته عنه ؟» قال : نعم ، قال : «احججْ عن أبيك». رواه الدارقطنى (2/ 260) .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من حجَّ عن أبيه وأمه فقد قضى عنه حجَّته ، وكان له فضل عشر حجج» . رواه الدراقطنى (2/ 260) .

الأساس السادس : المسارعة للعمل الصالح لإدخال السرور عليهما :

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – عند آية : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة :105] قال : وقد ورد أن أعمال الأحياء تُعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر فى البرزخ ، ثم أورد حديث أبى داود الطيالسى بإسناده عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إنّ أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم ، فإن كان خيرًا استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك» .

ثم أورد حديث الإمام أحمد بإسناده عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال: «إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فإن كان خيراً استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تُمتهم حتى تهديهم كما هديتنا» .

وروى الإمام ابن المبارك بإسناده عن أبى الدرداء أنه كان يقول : إن أعمالكم

تُعرض على أمواتكم فيسرون ويسؤون ، ثم يقول : اللهم إنى أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند خالى عبد الله بن رواحة .

وعن النبى ﷺ :أنه قال : «تُعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس على الله ـ تعالى، وتُعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم ، وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا ، فاتقوا الله ، ولا تؤذوا موتاكم» [1] .

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علمًا علّمه ونشره ، أو ولداً صالحاً تركه ، أو مسجدًا بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً كراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته» .

رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 121) بسند حسن لغيره لشواهده ، وقد تقدم معنا فى الحديث الصحيح : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم وابن خزيمة فى صحيحه ، ورواه أحمد (2/ 372) . ورزقنى الله وإياك هذه الخصال الثلاث ، ووفقنى الله وإياك لطاعته ، ومرضاته .

الأساس السابع : زيارة قبريهما :

روى مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال : زار النبىُّ ﷺ قبر أمه ، فبكى ، وأبكى من حوله ، فقال : «استأذنتُ ربى فى أن استغفر لها فلم يأذنْ لى ، واستأذنته فى أن أزورَ قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكِّرُ الموت» .

وعن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ، فقد أُذن لمحمد فى زيارة قبر أمه ، فزوروها ، فإنها تُذكِّر الآخرة» . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

وفى رواية الحاكم فى مستدركه (1/ 375) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبى : زار النبى ﷺ قبر أمه فى ألف مقنع ، فلم ير باكيًا أكثر من يومئذ .

---

[1] وأورده فى الجامع الصغير ، وقال : رواه الحكيم الترمذى عن والد عبد العزيز ، رامزاً إلى حسنه ، هكذا قاله الشيخ عبد الله سراج فى كتابه (الإيمان بعوالم الآخرة) (ص: 96) .

الأساس الثامن : برّ قسمهما ، وألا تستسبّ لهما :

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من برَّ قسمهما ، وقضى دينهما ، ولم يستسب لهما كُتِب بارًا وإن كان عاقاً فى حياته . ومن لم يبر قسمهما ، ويقضى دينهما ، واستسبّ لهما كُتِب عاقاً وإن كان باراً فى حياته» رواه الطبرانى فى الأوسط ، وسكت الهيثمى فى المجمع (8/ 147) عن سنده .

الأساس التاسع : الصوم عنهما :

عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : أتت امرأةٌ إلى النبى ﷺ فقالت : إن أمى توفيت وعليها صوم شهرين ، فقال : «صومى عنها» فقالت : إن عليها حجةً قال : «فحجِّى عنها» قالت : فإنى تصدقت عليها بجارية ، فقال : «قد آجرك الله ، وردَّها عليك الميراث» رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 347) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى.

* * *

المبحث الخامس

أسلوب تأديب الطفل

تمهيد :

أسس تأديب الطفل :

الأساس الأول :التأديب ضرورة تربوية .

الأساس الثانى : تصحيح خطأ الطفل فكريًّا ثم عمليًّا .

-تصحيح الخطأ الفكرى .

- تصحيح الخطأ بالتعليم العملى .

الأساس الثالث : التدرج فى تأديب الطفل .

المرحلة الأولى : رؤية الأطفال السوط .

المرحلة الثانية : شد الأذن .

المرحلة الثالثة : الضرب وقواعده .

القاعدة الأولى : ابتداء الضرب من سن العاشرة .

القاعدة الثانية : أقصى الضربات للتأديب ثلاثة،وللقصاص عشرة.

القاعدة الثالثة : الالتزام بمواصفات أداة الضرب وطريقته ومكانه.

القاعدة الرابعة : لا ضرب مع الغضب.

القاعدة الخامسة : ارفع يدك عن الضرب إذا ذكر الطفل الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ : «ما أعطى أهل بيت الرفق إلا نفعهم ولا منعوه إلا ضرهم» رواه الطبرانى بإسناد صحيح .

«ضَرْبُ الوالدِ لولده ؛ كالسماد للزرع»

لقمان يعظ ابنه[1]

«اللهم إنى أعوذ بك : من شر زمان ؛ تَمَرَّدَ فيه صغيرهم ، وتآمر فيه كبيرهم ، وتقرب فيه آجالهم»

هرم بن حيان[2] – رحمه الله –

«فالصبى إذا أهمل فى ابتداء نشوئه،خرج فى الأغلب ردىء الأخلاق ، كذابًا ، حسودًا، سروقًا ، نمامًا ، ذا فضول ، وضحك ، وكياد ، ومجانة ، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب»

الإمام الغزالى – رحمه الله تعالى .

---

(١) كتاب العيال لابن أبى الدنيا (1/ 510).

(٢)حلية الأولياء (2/ 120).

أسلوب تأديب الطفل[1]

تمهيد :

تقدم معنا فى الباب السابق الأساليب التربوية النبوية ، سواء منها الفكرية أو النفسية ، فإذا لم تُجْدِ أي وسيلة مع الطفل ، فهذا يعنى : أن الطفل بحاجة إلى علاج بالتأديب؛لكى يحس بأن الأمر جدّ لا هزل فيه ، فيذوق ألم التأديب ، فيعرف قيمة الحنان والعاطفة التى تدفقت عليه من والديه قبل التأديب ، ويشعر بضرورة الانقياد والطاعة ، وحسن الخلق والسيرة .

ولكن ما هى أسس التأديب : وكيف يؤدِب الأب ابنه ، فيحقق حديث النبىﷺ : «لأن يُؤدِّب الأب ابنه خير له من أن يتصدَّق بصاع» . رواه الترمذى .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن جابر بن عبد الله – لما استشهد والده وأراد الزواج– فسأله رسول الله ﷺ : «فما تزوجت بكراً أم ثيباً؟» (أى جابر) : ثيِّبًا ، أُصيب عبدُ الله ، وتركَ جوارىَ صغارًا ، فتزوجت ثيبًا ، تُعلمُهُنَّ : وتُؤدِّبُهن» . ورواه النسائى وأبو داود وأحمد .

فاختيار الزوجة المؤدبة : والتى تستطيع أن تقوم بدور التأديب يكون اختيارًا موفقًا ، كما أن الرجل الذى يقوم بدور تأديب ولده يكون قد حقق إنجازاً تربويًّا كبيرًا.

وقد أقر الرسول ﷺ جابرًا على نظرته التربوية التأديبية ، ففى رواية أخرى للبخارى قال جابر للرسول ﷺ: يا رسول الله ، تُوفى والدى أو استشهد ، ولى أخواتٌ صغارٌ ، فكرهتُ أن أتزوج مِثلَهُن ، فلا تُؤدِّبُهُن . ولا تقوم عليهن ، فتزوجتُ ثيباً ؛ لتقوم عليهن ، وتؤدبُهن .

وروى البخارى تفسير مجاهد لقوله تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ ﴾ [التحريم:6] أى : «أوصوا أنفسَكم وأهليكم بتقوى الله ؛ وأدِّبوهم» .

ويظهر دور تأديب الأم لأولادها فى المجتمع ، كما تظهر ثمرة جهدها عندما ينخرط أبناؤها بين الناس ، فتظهر الفوارق بين الأولاد وبين الرجال :

روى مسلم عن عبد الله بن محمد أبى عتيق بن عبد الرحمن بن أبى بكر قال :

---

(1) التأديب : التهذيب والمجازاة: المعجم الوسيط (1/ 10) .

تحدثت أنا والقاسم عند عائشة – رضى الله عنها – حديثًا ، وكان القاسم رجلا لحَّانةً، وكان لأم ولد ، فقالت له عائشة : مالَكَ لا تَتَحدَّثُ كما يتحدَّثُ ابنُ أخى هذا، أمَا إنى قد علمتُ من أين أُتيتَ ؟ هذا أَدَّبَتْهُ أُمُهُ ، وأنتَ أدَّبَتْكَ أُمُّكُ ، قال : فغضِبَ القاسم . ورواه أبو داود وأحمد .

وروى أبو داود عن أبى سعيد الخدرىﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من عال ثلاث بناتٍ فأدَّبهنَّ وزوَّجهُنَّ ، وأحسن إليهنّ فله الجنة» .

ولا بُدَّ قبل الشروع فى هذا أن نعرف المفهوم الفقهى للتأديب ، حيث يقول الكاسانى فى «بدائع الصانع»(6317) :

«إن الصبى يعزر تأديبا لا عقوبة ؛ لأنه من أهل التأديب . ألا ترى إلى ما روى عنه ﷺ :أنه قال : «مروا صبيانكم بالصلاة ! إذا بلغوا سبعاً ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا» .

وذلك بطريق التأديب ، والتهذيب ، لا بطريق العقوبة ؛ لأنها تستدعى الجناية ، وفعل الصبى لا يوصف بكونه جناية بخلاف المجنون ، والصبى الذى لا يعقل ؛ لأنهما ليسا من أهل العقوبة ، ولا من أهل التأديب» .

الأساس التأديبى الأول : التأديب ضرورة تربوية :

إن التأديب ليس عملًا انتقاميًا من الطفل ، وإنما هدفه تربوى ، ووسيلته تربوية.

وقد قرر ابنُ الجزار القيروانى ضرورة تأديب الطفل فى الصغر فقال :«الصغير أسلس قيادة ، وأحسن مؤاتاة وقبولًا ؛ فإن قال لنا قائل : قد نجد من الصبيان من يقبل الأدب قبولاً سهلاً ، ونجد منهم من لا يقبل ذلك ، وكذلك نجد من الصبيان من لا يستحى ، ونجد منهم من هو كثير الحياء ، ونجد منهم من يُعنى بما يُعلّمه ، ويتعلمه بحرص ، واجتهاد ، ونجد من هو يملّ التعليم ويبغضه ، وقد نجد أيضًا فى ذوى العناية منهم ، وذوى العلم من إذا مُدح تعلّم علمًا كثيرًا ، ومنهم من يتعلم إذا عاتبته ، أو عاتبه المعلم ، ووبّخه ، ومنهم من لا يتعلم إلا للفَرق من الضَّرْب ، وكذلك نجد اختلافًا كثيرًا ، ومطرّدًا فى الذين يملّون التعلّم ، ويبغونه .

وقد نرى من الصبيان مُحبًّا للكذب ، ونرى منهم مُحبًّا للصدق ، ويُرى منهم اختلاف فى الأخلاق ، ومضادّة كثيرة بالطبع ، فما معنى قولك : ويحبّذ فى أن يؤخذ

الأطفال بالأدب منذ الصغر ، وأنت منهم مثل هـذا بـالطبع مـن غـير تعلـيم ، ولا تأديب ، أَفَتَرى الأدب ينقل الطبع المذموم إلى الطبع المحمود ؟

فتقول لقائل هذه المقالة : أما مـا ذكـرت مـن طبـائع الصـبيان ، واخـتلافهم ، وقولك : أفـترى الأدب ينقـل الطبـع المـذموم إلى الطبـع المحمـود ؟ فلعمـرى إنـه لكذلك ، وإنما أوتى صاحب الطبع المذموم من قبل الإهمـال فى الصـبا ، وتركـه مـا يعتاد مما تميل إليه طبيعته فيما هى مذمومة ، أو يعتـاد أشـياء مذمومـة أيضـاً ؛ لعلهـا ليست فى غريزته ، فإن أخذ فى الأدب بعـد غلبـة تلـك الأشـياء عَسُرَ انتقالـه ، ولم يستطع مفارقة ما اعتاده فى الصبا ، وقد قال أحد الفلاسفة : «إن أكثر الناس إنما أُتُوا فى سوء مذاهبهم من عادات الصـبا إذا لم يتقـدمهم تأديـب ، وإصـلاح أخلاقهـم ، وحُسْن سياستهم» .

فلذلك أُمِرْنا نحن أن نُؤدِّب الصبيان ، وهم صغار ؛ لأنهـم لـيس لهـم عزيمـة تصرفهم لما يأمر به فى المذاهب الجميلة ، والأفعال الحميدة ، والطرائـق المـثلى ؛ إذ لم تبلغ عليهم بعد عادة رديئة تمنعهم من اتباع ما يُراد بهم من ذلـك ، فمـن عَـوّد ابنـه الأدب ، والأفعال الحميدة ، والمذاهب الجميلة فى الصغر حازَ بذلك الفضيلة ، ونال المحبّة والكرامة ، وبلغ غاية السعادة ، ومن ترك فعل ذلك ، وتخلّى عن العناية به أدّاه ذلك إلى عظيم النقص والخساسة ، ولعلّه يَعْـرِف فضـيلة ذلـك فى وقـت لا يُمكنـه تلافيه ، واستدراك ما فاته منه ، فتحصل له الندامة التى هى ثمرة الخطأ ، وذلك أنـاّ قد نرى من الناس مَنْ يعلم أنّ مذاهبة رديئـة ، ولا يخفـى عليـه الطريـق المحمـود ، ويعسر عليه النزوع إليه لتقدّم العادة المعتادة فيهم .

وإن حملوا أنفسهم على بعـض تلـك الحـالات تصـنّعاً ، وحيـاء مـن النـاس فى الظاهر لم يعدموا إذا خَلَوْا أن يرجعوا إلى المذاهب المتمكنّة فى غرائزهم ، وإنما أصـل العادة أن الإنسان إلى العادة أميل ، وعليها أحرص ، وبها أشدّ تمسُّكاً ، فليس إذاً من الأسباب الذميمة شىء أقوى سببًا إذا كان فى طبيعته من مثـل ذلـك الشـىء الـذى تعوّده ، فإن لم يُعن فى ذلك الطبع ، فإن العادة وحدها تبلغ فى ذلك إذا استحكمت ، وتمكنت مبلغًا قويًّا ، وكذلك فعل العادة فى الأشياء المحسوسة الفاضلة ، فإن رأيت صبيًّا فى طبيعة جيّدة ، وعادة صالحة ، فإنه لا تفارقه الخصـال المحمـودة الشـريفة ؛ لأنه طُبع عليها من جهتين قويتين ، كما أن ذلك لا تفارقه الخصال المذمومة الدنيئة ؛ لأنه طُبع عليها من هاتين الجهتين ، أعنى العادة والطبيعـة ، مـع أن بعـض الحكـماء قال: «العادة طبيعة ثانية» فلموقع العادة هـذا الموقـع وجـب أن يـؤدب الأطفـال ،

ويعوّدوا بالأشياء الجميلة ، وتربيتهم تربيـة فاضـلة ليكونـوا – إن قبلـتْ طبـائعهم منفعة التأديب والتعاهد – أخيارًا فضلاء ، فإن أمكن أن يكون من الصـبيان مـن لا يقبل ذلك لم يلزمنا نحن التوانى ، وإغفال ما يجب حين يمكن فيه تأديبهم ، فنرجـع على أنفسنا باللوم ، فنقول :

«إنا قد أخطأنا إذ لم نعاتبهم فى حين يُمكن فيه تأديبهم وقبولهم ، وقد علمنـا أن صغير الخطأ فى أوائل الأشياء وأصولها ليس بيسير الضرر فى العاقبـة ، كـذلك فـإن العاقبة فى الصواب ، كأنّ الأشـياء لتُنْبِـىء عـن الأصـول ، فقـد بينّـا بيانًـا شـافيًا ، وأوضحنا إيضاحاً كافيًا، وتبيّن لمن فيهم عنا قولنا : إن الصواب أن يؤدب الصـبى ، فإن كانت طبيعته طبيعة من ليس بأديب ولا لبيـب ، فهـذا بـيّن للمعـترض طريـق الصواب ، فأما إن كان الصبى طبيعته جيدة ، أعنى أن يكون مطبوعًـا عـلى الحيـاء ، وحب الكرامة ، والألفة ، محبًا للصدق، فإن تأديبه يكون سـهلًا ، وذلـك أن المـدح والذم يبلغان منه عند الإحسان أو الإساءة مالا تبلغه العقوبة من غـيره ، فـإن كـان الصبى قليل الحياء ، مستخفًا للكرامة ، قليل الألفة ، محبّاً للكذب ، عَسُر تأديباً ، ولا بدّ لمن كان كذلك من إرهاب وتخويف عند الإساءة ، ثم يُحقق ذلـك بالضرـب إذا لم ينجح التخويف ، وينبغى أن يُتفقّد الصبى فى كلامه وقعوده بين الناس ، وحركتـه ، ونومه ، وقيامه ، ومطعمه ، ومشربه ، ويُلْزَم فى جميع ذلك ما ألزمه العقلاء أنفسهم ، حتى صاروا وأمثالهم طبيعة من طبائعهم»[1]. فـإذا تقـرر معنـا أن التأديـب ضرورة تربوية تهذيبيـة تقويميـة للطفـل، فهـذا يعنـى ضرورة يقظـة الوالـدين والمـربين فى تعاملهم مع الطفل ، وفهم طبيعته ، واختيار نوع العقوبة ، وطريقتها .

الأساس التأديبى الثانى : تصحيح خطأ الطفل فكرياً ثم عملياً :

مما لاشك فيه أن استئصال الخطـأ مـن جـذوره وأصـوله يعـد نجاحـاً بـاهراً ، ونصراً كبيراً فى العملية التربوية ، وإذا تأملنا طبيعة أى خطأ وجدنا أن أصوله تعتمد على ثلاثـة أشـياء ، فإمـا أن يكـون سـببه فكريًّـا ، أى : أن الطفـل لا يملـك فكـرة صحيحة عن الشىء ، فتصرَّف من عنده فأخطأ ، وإما أن يكون السبب عمليًّا ، أى: أن الطفل لا يستطيع أن يتقن عملاً ما ، ولم تدرب أصابعه على العمل فأخطأ ، وإمـا

---

(1) سياسة الصبيان وتدبيرهم (ص134) تحقيق د . محمد الحبيب السهيلة ، طبع الدار التونسية بتونس ، وهو موجود فى مكتبة الدار الوطنية بحلب الشهباء ـ حفظها الله ـ تعالى ، وسائر بلاد المسلمين .

أن يكون السبب ذات الطفل ، وتعمده الخطأ ، أو ذوى الطبائع العنيدة ؛ لذلك يصر على الخطأ ؛ لهذا فإن تحديد أصل الخطأ يسهل كثيرًا فى تلافيه .

أولاً : التصحيح الفكرى لخطأ الطفل :

إن الطفل كأى كائن حى يجهل أكثر مما يعلم ، فإذا علم فعل الصواب سار سيرًا محموداً ، وحيث إن الإنسان عدو ما يجهل ؛ لذلك تكون مرحلة تعليمه الصحيح من السقيم أولى الخطوات فى تقويمه ، وإن النبى ﷺ كان يُصحِّح البُنى الفكرية للطفل إذا أخطأ ، وكان يتبع فى ذلك شتى الأساليب المحببة التى تمتاز بالرفق واللين، وذلك لتصحيح فكر الطفل ، وإليك بيان ذلك :

روى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبى عقبة – رحمه الله – عن أبيه ، وكان مولى من أهل فارس ، قال : شهدتُ مع النبى ﷺ أحدًا ، فضربتُ رجلًا من المشركين ، فقلت : خذها وأنا الغلام الفارسى ، فالتفت إلىَّ رسول الله ﷺ فقال : «هلا قلت : وأنا الغلام الأنصارى ؟ ابن أخت القوم منهم» .

فما أروع هذا التعليم فى وسط المعركة ؟ ! ثم ماذا ؟ التعليم بوضع قاعدة له يسير عليها فى حياته : «ابن أخت القوم منهم» وكيف كان العلاج ؟ إنه اللطف ، والرفق، ولين الجناح : «هلا قلت» يا لروعة التواضع فى التعليم ! .. الرسول ﷺ يقول لغلام بهذه الصيغة : «هلا» . فصلى الله عليك يا سيدى ، ومرشدى ، ومعلمى، وقدوتى .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ قال : أخذ الحسن بن على رضى الله عنهما تمرةً من تمر الصدقة ، فجعلها فى فيه ، فقال رسول الله ﷺ «كِخْ .. كِخْ .. أرْمِ بها ، أما علمتَ أنّا لا نأكل الصدقة ؟ !» .

قال النووى – رحمه الله[1] : وقوله : «كِخْ ، كِخْ» يقال: بإسكان الخاء ، ويقال: بكسرها مع التنوين ، وهى كلمةُ زجر الصبى عن المستقذرات ، وكان الحسن ﷺ صبيًا .

ففى هذا الحديث زيادة لطيفة ، وهى طريقة الزجر بهذه الكلمة : «كِخْ .. كِخْ» ، ثم ما لبث رسول الله ﷺ أن علَّل لهذا الطفل سبب عدم الأكل ، وعدم حله له ؛ لتكون له قاعدة فكرية عامة فى حياته كلها : «أما علمت أنّا لا تحل لنا الصدقة»

---

(1) فى رياض الصالحين .

وذلك بصيغة رائعة: «أما علمت ؟ !» وذلك ليكون وقعها على نفسه أقوى تأثيرًا .

وهذا حديث ثالث يخاطب فيه الغلام بلغة رقيقة عذبة ، وبلفظ : «رويدك» ؟ أخرج الشيخان عن أنس ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وغلام أسودُ ، يقال له : أنجشة يحدو[1]، فقال له رسول الله ﷺ : «ويحك يا أنجشة ! رويدك سوقَك بالقوارير ، قال أبو قلابة : يعنى النساء» . وهذا تصحيح رابع فى موقف عرفة قول النبى ﷺ لابن عباس : «مه يا غلام ، فإن هذا يوم من حفظ فيه بصره غُفِر له ، يعنى : يوم عرفة» رواه الطيالسى . وهذا تصحيحٌ مع مناداة الاسم :

روى الترمذى عن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت : رأى رسول الله ﷺ غلاماً لنا و يقال له : افلح ، إذا سجد نفخ ، فقال : «يا أفلح ترِّب وجهك» .

اقتداء الصحابة فى تصحيح الأفكار للطفل :

عن أبى حكم الغِفَارى قال : حدثتنى جَدّتى عن عمٍّ أبى رافع بن عمرو قال : كنتُ وأنا غلام أرمى بنخل الأنصار ، فقيل للنبى ﷺ إن هَا هُنا غُلامًا يرمى نخلنا ، أو يرمى النخل ، فأتى بىَ النبىّ ﷺ فقال : «يا غلام ، لم ترمِ النخلَ ؟» فقلتُ : آكلُ . فقال : «لا تَرْمِ النخلَ ، وكلْ مما سقطَ فى أسفلِها» قال : ثم مسح رأسى ، وقال : «اللهم أشبع بطنه» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 416) قال محققه : قال الترمذى : حديث حسن غريب صحيح ، وقال : أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد والبيهقى فى السنن الكبرى .

فنرى فى التصحيح الفكرى للطفل ، طريقة تعرّفه للوصول إلى غرضه ، فهو يريد أن يأكل من التمر ، فدله الرسول ﷺ على طريقة شرعية صحيحة ، وهى أن يأكل مما سقط من الشجرة على الأرض ، بدلًا من ضرب الأشجار ، وإسقاط التمر من على الشجرة بغير إذن صاحبها ، ثم أتبع النبى ﷺ ذلك التعليم بالمسح على رأسه ، والدعاء له ، فهذا أسلوب فريد و خرج من مشكاة النبوة .

ونرى فى هذا الإسناد لطائف : وهى تحديث الجدّة عن العم للبسط ، فهذا دليل ما أكدناه فى السابق ، من تفاعل الأسرة المسلمة كلها ، ومشاركتها فى تربية الأحفاد والأسباط ، وابن الأخ وابن الأخت ، وهذا طريق حفظ العلم ، فالراوى أحد الأحفاد للجدة ، فروى الحديث عنها ، فكان الخير كل الخير للمشتركين فى التحديث عن رسول الله ﷺ .

---

[2]) يحدو : أى ينشد الأشعار ؛ ليسير الجمل بسرعة ومتعة ، فلا يشعر بالتعب .

وهذا أنس يُصحِّح لابنته فكرتها :

أخرج البخارى والنسائى عن ثابت البنانى – رحمه الله – قال : كنت عند أنس وعنده بنتٌ له ، فقال أنس : جاءت امرأةٌ إلى النبى ﷺ تعرض عليه نَفْسَها ، فقالت: يا رسول الله، ألك بى حاجة ؟ فقالت بنت أنس : ما أقلَّ حياءها ! واسوأتاه ! واسوأتاه! فقال أنس : هى خيرٌ منكِ ، رغبت فى النبى ﷺ فعرضتْ نفسَها عليه .

وهذا تطبيق عملى من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للحديث السابق :

فعن سِنان بن سلمة أنه حدّث بالبحرين فقال : كنتُ فى غلمة بالمدينة ، نلتقط البَلَحَ ، فأبْصرَنا عمرُ ، وسعى الغلمان (أى هربوا) وقمتُ (أى وقفت ولم أهرب) فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما هو ما ألقتِ الريحُ ، قال : أرنى أنظرُ ، فلما أريتُهُ ، قال : انطلق .

قال : قلتُ : يا أمير المؤمنين ، وَلِّ هؤلاء الغلمان ، إنك لو تواريتَ انتزعوا ما معى ، قال : فمشى معى ؛ حتى بلغتُ مأمنى . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 418) .

فهاهنا نرى اهتمام خليفة المسلمين بالأطفال ، وتحرّيه معهم ، وحرصه على معرفة الحقيقة ، واستجوابه للطفل بلين وحكمة ، ونرى فقه الغلام ، مما دل على أن الآباء بلّغوا أبناءهم حكم رسول الله ﷺ فى جواز التقاط البلح الساقط من الشجر على الأرض .

ثم جرأة الطفل فى طلب المعونة من أمير المؤمنين للوصول إلى بيته بأمان ، حتى يتخلص من إيذاء رفقائه وأصحابه .

وهذا ابن عمر يصحح للأطفال خطأهم ، فيبلغهم حديث رسول الله ﷺ :

ففى الصحيحين عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً ، وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرَّقوا ، فقال ابنُ عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، وإن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه روح غرضًا .

وهذا صحابىٌّ آخر ينتبه لصلاة طفله ، ويُصحِّحها له :

روى الترمذى عن عبد الله بن مغفل – رحمه الله – قال : سمعنى أبى ، وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : أى بنى ، محدث . إياك والحدث ! قال : ولم أرَ أحدًا

من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه الحدثُ فى الإسلام ، يعنى : منه ، قال : وقد صليت مع النبى ﷺ ومع أبى بكر ومع عمر ومع عثمان ، فلم أسمع أحداً منهم يقولها إذا أنت صليت ، فقل : (الحمد لله رب العالمين) .

وقد تقدم فى أدب الطعام كيف صحَّح النبى ﷺ طريقة طعام الغلام بالتوجيه الفكرى، وهكذا وجدنا أن التصحيح الفكرى ، وتعليم الطفل ، والحوار معه ، والشرح له ، وتعليل الأمور له ، ركن قوى فى تقليل الخطأ ، وتصحيح مسار الطفل.

ثانياً : التصحيح العملى فى الواقع الميدانى لخطأ الطفل :

كثيراً ما يُطلب من الطفل القيام بأعمال لم يسبق له عملها ، أو شاهد من عملها؛ لذلك يبقى فى جهل ، فإذا طلب منه العمل وقع فى أخطاء تحتاج إلى تصحيح ، فإذا عُوقِب على خطئه هذا كان ظلماً ، وحيفاً .

وإن رسول الله ﷺ عندما يتعرض لمثل هذه المشاهد لا يلبث أن يفهمَ الطفل بالطريقة العملية فيشمِّر عن يديه ، ويُرى الطفل كيف يحسن العمل ، وفى هذا تعليم للوالدين ، والمربين ، وأى تعليم .

روى أبو داود عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ مَرَّ بغلام يسلخ شاة وما يُحسن ، فقال له رسول الله ﷺ : «تنحّ حتى أريك» فأدخل يديه بين الجلد واللحم ، فدخَسَ بها ، حتى دخلت إلى الإبط ، ثم مضى ، فصلى للناس ، ولم يتوضأ.

فليكن شعار المربين والوالدين فى تعاملهم مع أطفالهم :

«تَنَحَّ حتى أُرِيَكَ» .

فإنه أدعى للعلم الصحيح ، والعمل البناء الموجه ، والطريقة السليمة فى العملية التربوية .

وسار الصحابة – رضوان الله عليهم – بعد ذلك ، يعلمون الكبار والصغار ، والرجال والنساء بالتدريب العملى الواقعى ، والمشاهدة الحسية .

روى الإمام أحمد وابن أبى شيبة عن أبى مالك الأشعرى ﷺ أنه قال : يا معشر الأشعريين ، اجتمعوا واجمعوا نساءكم ، وأبناءكم ، حتى أُريكم صلاة رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا ، وجمعوا أبناءهم ، ونساءهم ، ثم توضأ ، وأراهم كيف

يتوضأ ، ثم تقدم ، فصفَّ الرجالَ ، ثـم أتـى الصـف ، وصـفَّ الولـدان خلفهـم ، وصف النساء خلف الصبيان» .

وهكذا تنطبع الصورة الصـحيحة فى ذهـن الطفـل بتعريفـه عمليًّـا الأحكـام ، وخاصة مما هو أصله عمل حسى ، مثل الصلاة والحج والعمرة والصوم ، وغيرها .

الأساس الثالث : التدريج فى تأديب الطفل :

فإذا لم يصلح الطفل التصحيح الفكرى والعملى ، وأصرّ على ارتكـاب الخطـأ ، كان التأديب حقًا لازمًا عليه ، ويتَّبَعُ معه العقوبات بالخطوات التالية :

المرحلة الأولى : رؤية الأطفال للسوط ، والخوف منه :

كثير من الأطفال يردعهم رؤية السوط ، وأداة العقوبة ، فبمجرد إظهارها لهـم يسارعون إلى التصحيح ، ويتسابقون إلى الالتزام ، وتتقوّم أخلاقهم ، وسلوكهم .

فقد روى البخارى فى «الأدب المفرد» عن ابـن عبـاس – رضى الله عـنهما – أن النبى ﷺ أمر بتعليق السوط فى البيت[1].

وروى عبد الرزاق والطبرانى عن ابن عباس – مرفوعاً : «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ، فإنه آداب لهم»[2]. وفى رواية الطبرانى : «فإنه لهم أدب» .

وقد أوصى النبى ﷺ معاذ بن جبل ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمـد ، وابـن ماجـه، والبخارى فى «الأدب المفرد» : «ولا ترفع عنهم عصاك أدباً» .

وروى ابن عمر مرفوعًا : «علقوا السوط حيث يراه أهـل البيـت» أخرجـه الضياء[3] .

فلا بُدّ من وجود السوط أو العصا فى البيـت ؛ ليخـاف الطفـل مـن أن يتعمـد الخطأ، والمعاندة .

المرحلة الثانية : شدّ الأذن :

وهى أولُ عقوبةٍ جسدية للطفل ... إذ بهذه المرحلة يتعـرف عـلى ألم المخالفـة ، وعذاب الفعل الشنيع الذى ارتكبه ، واستحق عليه شدّ أذنه ، فقد أورد النـووى فى «الأذكار» فقال: روينا فى كتاب ابن السنى عن عبد الله بن بُسْرْ المازنى الصحابى ﷺ

---

(1) الأدب المفرد (2/ 656) ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 494) .

(2) حسن . انظر : صحيح الجامع ، رقم (4022) .

(1) صحيح . انظر صحيح الجامع ، رقم (4021) .

قال : بعثتنى أمى إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب ، فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه ، فلما جئت أخذ بأذنى وقال : «يا غُدر !» .

المرحلة الثالثة : الضرب وقواعده :

وإذا لم يُجْدِ مشاهدة العصا ، ولم يُجْدِ شد الأذن مع الطفل ، وما زال مصرًا على المشاكسة ، والعناد ، كانت المرحلة الثالثة هذه كفيلة بكسر هذا العناد ، ولكن هل الضرب يمشى هكذا بلا ضوابط ، وحسبما تهوى أنفس الوالدين والمربين ؟ أم له قواعد تتبع لكى يسير فى مساره الصحيح القويم فما هى هذه القواعد ؟

القاعدة الأولى : ابتداء الضرب من سن العاشرة :

انطلاقاً من الحديث الذى رواه أبو داود بإسناد حسن : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر» ، فإن ابتداء الضرب يكون فى سن العاشرة ؛ وذلك لأنه التقصير فى عمود الدين ، وركنه الأساسى ، والذى يحاسب فيه المرء يوم القيامة أولًا بعد العقيدة ، فإن النبى ﷺ لم يأذن بضرب الطفل على التقصير قبل سن العاشرة ، فمن الأولى فى باقى الأمور الحياتية ، والسلوكية ، والتربوية التى لا تساوى مكانة الصلاة أهمية ومنزلة عند الله تعالى .

أما ما قبل العاشرة فتتبع المراحل السابقة بكل دقة ، وأناة ، وصبر ، وحلم على الطفل ، وفى هذه لفتة نبوية رائعة فى تقرير سنِّ الضرب .

قال إسماعيل بن سعيد : سألتُ أحمد عما يجوز فيه ضرب الصبى على الصلاة ، قال : إذا بلغ عشرًا ، وقال : إن أبا عبد الله قال : اليتيمُ يُؤدّب ، ويُضرب ضربًا خفيفًا .

وقال الأثرم : سُئِل أبو عبد الله عن ضرب المعلم الصبيان ، فقال : على قدر ذنوبهم ، ويتوقّى بجهده الضرب ، وإن كان صغيراً لا يعقل فلا يضربه[1].

لهذا فإن الوالدين والمربين مدعوون إلى استخدام الفكر والروية فى معالجة تصرفات الطفل ، وإذا علمنا أن الطفل مازال فى مرحلة نموه الجسمى والعقلى ، فإن كثرة الضرب قد تؤذى أحد أعضائه .. وأحيانًا تؤدى إلى إيذاء نفسى وفكرى ، أى يمكن القول: إن الضرب للتأديب ، كالملح للطعام ، فكما أن الملح يوضع بشكل قليل ، فيغير من طعم الطعام ، ويحسنه ... فكذلك الضرب القليل المفيد المثمر هو المطلوب فى العملية التربوية ؛ لأن الهدف كما ذكرنا أن الضرب ضرورة تربوية ، وليست انتقامية ، أو لتفريغ شحنة غضب الوالدين ، أو المربِّيين .

---

(1) عن (الآداب الشرعية والمنح المرعية) لمحمد بن مفلح المقدسى الحنبلى (1/ 506) .

ولا ننسى أن كثرة الضرب ، واستخدامه تقلل من هيبته ، وتفقده مفعوله ، بالإضافة لما يولده من آثار سلبية فى النمو النفسى ، والفكرى للطفل .

وإذا علمنا رواية الدار قطنى (1/ 231) عن أنس ﷺقال : قال رسول الله ﷺ: «مروهم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لثلاث عشرة» فإن هذا يعنى أن فترة عدم الضرب قد تمتد إلى الثلاث عشرة سنة من عمر الطفل ؛ مما يؤكد ضرورة التروى ، والهدوء فى عملية الضرب ، والتقليل منه ما أمكن .

القاعدة الثانية : أقصى الضربات للتأديب ثلاثة ، وللقصاص عشرة :

إن أقصى عدد الضربات لا يتجاوز فى أى حال من الأحوال فى العملية التربوية عن عشر ضربات ، وذلك لما أخرج البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال: كان النبى ﷺ يقول : «لا يُجلد فوق عشر جَلدات إلا فى حدٍّ من حدود» .

وفى مصنف عبد الرزاق (7/ 413) : «لا عقوبة فوق عشرة أسواط ، إلا أن يكون فى حد من حدود الله» .

وقد عنون البخارى للحديث «التعزير والأدب» ، فقال الحافظ ابن حجر معلقًا، وشارحًا : «والمراد بالأدب فى الترجمة والتأديب ، وعطفه على التعزير ؛ لأن التعزير يكون بسبب المعصية ، والتأديب أعمّ ، ومنه تأديب الولد ، وتأديب المعلم»[1] .

فإذا حدّد الحديث عدم جواز زيادة الضرب على عشر ، إلا فى ثبوت حدٍّ من حدود الله ـ تعالى . ولما كان الطفل لم يدخل فى سن الاحتلام والتكليف ، فإن معاصيه يعزّر فيها ويؤدَّب ، والله أعلم . ورأى القاضى شريح ألا يضرب الصبى على القرآن إلا ثلاثًا ، كما غطَّ جبريل عليه السلام محمدًا ﷺ ثلاثًا[2].

وكان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يكتب إلى الأمصار : لا يَقْرِنُ المعلمُ فوق ثلاث ، فإنها مخافة للغلام[3].

وعن الضحاك قال : ما ضربَ المعلمُ غُلاماً فوق ثلاث فهو قصاص[4] .

ولا بد من العدل فى الضرب بين الصبيان ، فعن الحسن قال : إذا لم يعدل المعلمُ بين الصبيان كُتب من الظلمة[5].

---

(1) فتح البارى (15/ 191) .

(2) الروض الأنف (1/ 272) والغطّ بمعنى : الخنق والضمّ .

(3 ـ 5) ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 531) .

فاتضح لدينا أن تأديب الطفل يكون بثلاث ضربات وأقل ، والقصاص أكثر من الثلاث إلى العشر . وما فوق العشر ففى الحدود .

وهنا فلا بد من وقفة فى أن نستعرض تصرفات بعض الحمقى فى عملية الضرب ، واستخدامهم له بكثرة بلا رحمة ، أو شفقة ، فلنستمع إلى فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ، وهو يروى لنا مشاهدته ، فقال ـ رحمه الله تعالى :

«ذهبت إلى الجامع الأزهر لأذان العصر ، وانتدبت للتحية مكانًا بين مجمعين لتعليم القرآن ، فانشق صدرى أسفًا لأحد المعلمين ؛ إذ كان لا يضع العصا من يده، ولا يفتر أن يقرع بها جنوب الأطفال ، وظهورهم بما ملكت يده من القوة ، وربما قفز الصبى آبقاً من وجع الضرب ، الذى لا يستطيع له صبرًا ، فيثب فى أثره بخطوات سريعة ، ويجلده بالمقرعة جلدًا قاسيًا ، حتى قلت لأزهرى كان بجنبى : من جلس إزاء هذه المزعجات فقد ظلم نفسه ، وذكرت أنى كنت ألقيت خطبة فى أدب تعليم الصبيان ببلد بنزرت لما كنت قاضيًا بها ، وأدرجت فيها ما قرره صاحب «المدخل» من الرفق بالصبى ، وعدم زيادة المعلم إن اضطر إلى ضربه على ثلاثة أسواط ، وتحذيره من اتخاذ آلة الضرب مثل عصا اللوز اليابس ، والفلقة ، ولما خطبت فى هذه الآداب أرسل لى بعض المعلمين كتاباً على طريق البريد يعترض فيه على نشر هذه الآداب ، ويقول : إن هذا مما ينبه قلوب التلامذة للجسارة علينا»[1].

فجهل المربى والوالدين بكيفية الضرب ومواصفات أداته ، ومكان الضرب ، وطريقة الضرب يجعل منه وسيلة للتشفى ، والانتقام ، لا للتربية ، والتقويم ، والبناء ؛ لهذا نحن بحاجة إلى هذه المواصفات .

القاعدة الثالثة : الالتزام بمواصفات أداة الضرب وطريقته ومكانه :

إن الالتزام بمواصفات أداة الضرب ، ومكانه ، وطريقته ، يجعل منه ضابطًا لحماقة بعض الوالدين والمربين ، ويضعهم فى مواجهة الحقيقة مع أنفسهم عندما لا يلتزمون بها ، فإن هذا يعنى منهم الانتقام لا التربية ، والغضب لا الرحمة والتأنى ، وسنتعرف إلى هذه المواصفات من خلال معرفة مواصفات إقامة حد من حدود الله،وبالتالى فإن عملية التأديب والتربية تكون أخفّ بكثير من مواصفات إقامة الحد

---

(1) كتاب الرحلات (ص:51) تأليف الشيخ محمد الخضرى حسين ، جمع وتحقيق : على الرضا التونسى، ط: دار التعاونية .

الشرعى .

ويمكن القول – وهذا ما ستراه : إن كثيرًا من الآباء والمربين يقومون بضرب الأطفال بشكل أعنف ، وأقسى من إقامة حد من حدود الله ؛ لهذا وجبت علينا المعرفة والبيان ، لنرى أين نحن من تربية الإسلام .

أولاً : مواصفات أداة الضرب [السوط أو العصا] :

يقول أبو الأعلى المودودى فى «نوعية السوط فى حدِّ الزنا»[1] :

«أول إشارة عن كيفية ضرب السوط تتضمنها حكمة (فاجلدوا) من آية القرآن نفسه ، فإن الجَلد مأخوذ من الجِلدْ ، وهو ظاهرُ البشرة من جسد الإنسان ، ومن ثم قد اتفق أصحاب المعاجم ، وعلماء التفسير على أن الضرب بالسوط ينبغى أن يصيب الجلد فقط ، ولا يعدوه إلى اللحم ، فكلّ ضرب يقطع اللحم ، أو ينزع الجلد، ويجرح اللحم مخالفة لحكم القرآن .

ويجب ألا يكون كل سوط أو عصا يستعمل للضرب شديدًا جدًا ، ولا رقيقاً ليناً جداً، بل يكون بين اللين والشدة والغلظة والدقة ، فقد روى مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم : أن رجلًا اعترف بنفسه بالزنا على عهد رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ بسوط ، فأتى بسوط مكسور فقال : «فوق ذلك» ، فأتى بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال : «بين هذين» ، فأتى بسوط قد لان ، ورُكب به فأمره به فجلد»[2].

وروى أبو عثمان النهدى عن عمر أنه أُتى بسوط فيه شدة ، فقال : أريد ألين من هذا ، فأتى بسوط فيه لين ، فقال : أريد أشدّ من هذا ، فأتى بسوط بين السوطين فقال : اضرب[3]، وكذلك لا يجوز أن يستعمل فى الضرب سوط فيه العقد ، أو له فرعان ، أو ثلاثة فروع» .

وقد لخص الشيخ الفقيه شمس الدين الإنبانى مواصفات أداة تأديب الأطفال، فقال: «ويجب فى السوط :

1 – أن يكون معتدل الحجم ، فيكون بين القضيب والعصا .

2 – وأن يكون معتدل الرطوبة ، فلا يكون رطبًا يشق الجلد لثقله ، ولا شديد

---

(1) تفسير سورة النور للمودودى (ص 73) .

(2) ورواه عبد الرزاق فى المصنف (7/ 369) .

(1) أحكام القرآن للجصاص (3/ 322) ومصنف عبد الرزاق (7/ 369) وفيه زيادة «وأعط كلًا حقه» وأخرجه البيهقى (8/ 328) .

اليبوسة فلا يؤلم لخفته .

3 – ولا يتعين لذلك نوع ، بل يجوز بسوط (وهو سيور) ، وبعود ، وخشبة ، ونعل ، وطرف ثوب بعد فتله حتى يشتد»[1].

ثانيًا : مواصفات طريقة الضرب :

«وكذلك يجب أن يكون الضرب بين الضربين ، وقد كان عمر يقول للضارب : «لا ترفع إبطك»[2] أى : لا تضرب بكل قوة يدك ، والفقهاء متفقون على أن الضرب لا ينبغى أن يكون مبرحًا ، أى : موجعًا[3] .

ولخص الشيخ الفقيه «شمس الدين الإنبانى» طريقة ضرب تأديب الطفل فى كتابه : «رسالة رياضة الصبيان» فقال فى كيفية ضرب الصبى :

«1 – أن يكون مفرقا لا مجموعًا فى محل واحد .

2 – أن يكون بين الضربتين زمن يخف به ألم الأول .

3 – ألا يرفع الضارب ذراعه لينقل السوط لأعضده حتى يرى بياض إبطه ، فلا يرفعه لئلا يعظم ألمه»[4] .

فأنت تلاحظ أن هذه الضوابط لكى يؤتى الضرب ثمراته التربوية فى التأديب والتهذيب ، فيتقدم الطفل نحو الأحسن لا الأسوأ ، ونحو الأعلى لا الأسفل ، ونحو الكمال لا النقصان ، ونحو القمة الأخلاقية والسلوكية لا الحضيض .

ثالثاً : مواصفات مكان الضرب :

«ولا ينبغى أن يكون فى موضع واحد من الجسد ، بل ينبغى أن يفرق على الجسد كله ، حيث يأخذ كل عضو من أعضائه حقه إلا الوجه والفرج – والرأس أيضاً عند الحنيفة – فإنها لا يجوز ضربها . عن على ﷺ أنه أتى برجل سكران ، أو فى حدٍّ ، فقال : اضرب وأعط كل عضو حقه ، واتق الوجه والمذاكير»[5].

وعن النبى ﷺ أنه قال : «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه» . رواه أبو داود [6].

---

(2) التربية فى الإسلام (ص 135) .

(3) تفسير سورة النور لأبى الأعلى المودودى .

(4) التربية فى الإسلام ص (135) .

(1) أحكام القرآن للجصاص (3/ 322) وأحكام القرآن لابن العربى (2/ 84) .

(2) أحكام القرآن للجصاص (3/ 322) .

(3) المصدر السابق .

ويفضّل ابن سحنون الضرب على الرجلين كما نقل القابسى عنه فى رسالته : «أحوال المتعلمين ، وأحكام المعلمين والمتعلمين» فيقول :

«وليتجنب أن يضرب : رأس الصبى أو وجهه ، فإن سحنونًا قال فيه : لا يجوز له أن يضربه ، وضرر الضرب فيهما بيّن قد يوهن الدماغ ، أو تطرف العين ، أو يؤثر أثراً قبيحاً ، فليجتنبا ، فالضرب فى الرجلين آمن ، وأحمل للألم فى سلامة»[1].

ويضيف «شمس الدين الإنبابى» فيقول : «وأن يكون فى غير وجه ومقتل» .

وعن على بن أبى جملة قال : كان سليمان بن سعد يُؤدّب الوليدَ وسليمان (أى : ابنا عبد الملك) فقال له عبد الملك (خليفة المسلمين) : يا سليمان ، لا تضرب وجوهَ بَنِيَّ . وكان فى خُلُقِ سليمانَ شِدَّة[2].

وعن مروان بن شجاع قال : كان إبراهيمُ بنُ أبى عَبْلةَ يُؤدبُ ولدَ الوليد بن عبد الملك، فخرج عليه الوليدُ يومًا ، وقد حملَ جاريةً على ظهر غلام ، وهو يضربها ، فقال له : مَهْ يا إبراهيم ، فإن الجوارى (أى البنات) لا يُضربْنَ على أعجازهِنَّ ، ولكن عليكَ بالقدم والكَفِّ[3] .

ومن خلال ما تقدم نجد أفضل مكان للتأثير : اليدين والرجلين .

القاعدة الرابعة : لا ضرب مع الغضب :

أوصى النبى ﷺ المسلمَ بعدم الغضب ، والابتعاد عنه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً ، وذلك عندما سأله رجل : أوصنى ، فقال : «لا تغضب»[4] وأعادها عليه ثلاثاً .

وإن علامة الغضب بذاءة اللسان فى السب ، والشتم ، وتقبيح الطفل ؛ ولهذا أوصى القابسى فى رسالته[5] بالابتعاد عن ذلك ، فقال عندما يكثر خطأ الطفل :« ولم يغنِ فيه العزل ، والتقريع بالكلام الذى فيه القواعد من غير شتم ، ولا سب لعرضٍ، كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقًا ، فيقول : يا مسخ ! يا قرد !

فاستغفر الله منها ، ولتنته عن معاودتها ، وإنما تجرى الألفاظ القبيحة من لسان تمكن الغضب من نفسه ، وليس هذا مكان الغضب ، وقد نهى الرسولُ ﷺ أن

---

(4) التربية فى الإسلام (ص270).

(5) كتاب العيال لابن أبى الدنيا (1/ 526).

(1) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ . وفيه رواية أحمد بسند صحيح «اجتنب الغضب ».

(2) التربية فى الإسلام (ص270).

يقضى القاضى وهو غضبان[1] ، وأمر عمر بن عبد العزيز – رحمة الله عليه – بضرب إنسان ، فلما أقيم للضرب قال : اتركوه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : وجدت فى نفسى عليه غضباً ، فكرهت أن أضربه وأنا غضبان ، قال أبو الحسن : كذا ينبغى لمعلم الأطفال أن يراعى منهم ، حتى يخلص أدبهم لمنافعهم ، وليس لمعلمهم فى ذلك شفاء من غضبه ، ولا شىء يريح قلبه من غيظه ، فإن ذلك إن أصابه ، فإنما ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه ، وهذا ليس من العدل»[2].

القاعدة الخامسة : ارفع يدك عن الضرب إذا ذكر الطفل الله تعالى :

وأنت تضرب طفلك وتؤدبه ، وهو يتألم ، فإذا استجار بالله تعالى فيدعوك رسول الله ﷺ أن تقف عن الضرب ، وترفع يديك ، وتترك الطفل . وفى هذا لفتة رائعة ؛ فإن هذا الطفل وصل إلى قناعة بخطئه ، وسيصلحه ، أو وصل إلى مرحلة الألم التى لم يعد يتحمّلها، أو وصل إلى مرحلة الانهيار النفسى ، أو الخوف الشديد .

وإن الاستمرار فى الضرب وحالة الطفل هذه تُعَدُّ جريمة فى حق تربية الطفل ، وهو دليلٌ على حب الانتقام والتشفى من هذا الطفل المسكين ؛ الذى وقع فى الظلم، وأحضان الوالد الظالم .

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : «إذا ضرب أحدُكم خادمَه فذكر الله ، فارفعوا أيديكم» .

وقد يقول قائل : إن الطفل إذا علم بهذا قد يتخذها وسيلة فى التهرب من العقوبة ، والمعاودة على الخطأ ، أو يتخذها حيلة للتخلص من الضرب ، ويعاود إلى فعله !

فالجواب على ذلك : الاقتداء بحديث رسول الله ﷺ ؛ لما فيه من تعظيم الله تعالى فى نفس الطفل ، وهو كذلك علاج للضارب من أن حالته الغضبية كبيرة جداً؛ مما استدعى من الطفل ذكر الله تعالى ، والاستغاثة به .

ولن نتكلم مع ضعاف الإيمان الذين إذا سمعوا مثل هذه الاستغاثات ، ازدادوا حمقًا ، وتعسفًا ، وعقوبة ، وضربًا . فهؤلاء بحاجة أن يذكروا ذنوبهم ، وتقصيرهم مع ربهم ، وحلم الله تعالى عليهم ، مع قدرته عليهم فى كل آن .

---

(3) حديث : «لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان» رواه الجماعة عن أبى بكر ﷺ.
ولفظ البخارى : «لا يقضى القاضى وهو غضبان» ورواه مسلم .

(1) التربية فى الإسلام (ص 270) .

اللهم وفقنا لتأديب أولادنا على النحو الذى ترضاه .

وبعد أن انتهينا من قسم التهيئة والإعداد لكل من المربين والوالدين ، نبدأ بالتعرف إلى كيفية بناء شخصية الطفل الإسلامية ، على ضوء الأحاديث النبوية بذلك .

* * *

القسم الثاني

بناء شخصية الطفل الإسلامية

تمهيد

الفصل الأول : تهيئة الطفل من الولادة إلى الحولين .

الفصل الثاني: الرعاية الصحية للطفل.

الفصل الثالث : بناء عقلية الطفل الإسلامية .

1 ـ **المبحث الأول** : البناء العَقَدى للطفل .

2 ـ **المبحث الثاني** : رواية أخبار طفولة الرسول ﷺ للطفل .

3 ـ **المبحث الثالث** : البناء العلمي للطفل .

الفصل الرابع : بناء نفسية الطفل الإسلامية

1 ـ **المبحث الأول** : البناء العبادى .

2 ـ **المبحث الثاني** : البناء العاطفي والنفسي .

3 ـ **المبحث الثالث** : تهذيب الدافع الجنسي .

الفصل الخامس : بناء سلوك الطفل الإسلامي

1 ـ **المبحث الأول** : البناء الأخلاقي للطفل .

2 ـ **المبحث الثاني** :البناء الجسمي للطفل .

3 ـ **المبحث الثالث** : البناء الاجتماعى للطفل .

قال عمر بن الخطاب ﷺ : «الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم» .

قال محمد بن أيوب : ارتحلتُ إلى يحيى بن هشام الغساني من أجله (أي من أجل سماع تلك العبارة) .

(المقاصد الحسنة للسخاوى، حرف النون) .

تمهيد

الشخصية المتزنة ذات أثر فعال في حياة الأفراد والجماعات، ولا تتكامل إلا عندما تكون قد وُجِّهت من كل جوانبها، وربيت من كافة أقطارها، وهُذبت من كل أطرافها .

وإذا تأملنا حركة التاريخ، وجدنا أهمية بناء وتكوين الشخصية القوية، فلا تغيير للواقع الفاسد المنحرف عن منهج الله من غير قوة، ولا قوة من غير بناء، ولا بناء من غير إعداد، وتكوين، وتربية .

وإنَّ أخصب مجالٍ للبناء التربوي مرحلة الطفولة، التي هي أطول فترة من بين الكائنات الحية، وتتميز الطفولة البشرية كذلك بالمرونة، والصفاء، والفطرية، وهي تمتد زمناً طويلاً، يستطيع المربى خلال هذه الفترة الطويلة أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وأن يوجهه حسبما يرسم له من خطة، ويتعرف إلى إمكاناته، ويتنبأ بمستقبله بقدر المستطاع، وكلما تدعم بناء الطفولة بالرعاية، والإشراف، والتوجيه، كلما كانت أثبت، وأرسخ أمام الهزات المستقبلية ، التي ستعترض الطفل في مستقبل شبابه .

لذلك فإن عمل الوالد الفعّال يبدأ من هذا الفصل، الذي تم التوسع في شرحه، وضرب الأمثلة النموذجية لكل فكرة؛ لتكون ذخراً للمربين، وتغذية للأطفال . وقد تم الابتعاد ـ في العرض ـ عن الفلسفة، وحشو الكلام بقدر المستطاع؛ لتكون النماذج الحية خير وسيلة للعبرة والقدوة، كما أن تقديمها للطفل، وحسن عرضها عليه، يعطى النتائج الطيبة ـ إن شاء الله .

ولهذا قال ابن سينا في كتابه «السياسة» باب : سياسة الرجل ولده ـ فترة بداية التربية ـ على حدّ تعبيره :

«فإذا فطم يبدأ بتأديبه، ورياضة أخلاقه، قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة» .

وبالتالي فإن فكرة استصغار الطفل، وإهمال توجيهه، تعتبر باطلة، وإنما من بداية الفطام يبدأ التوجيه والإرشاد، والأمر والنهى ، والترغيب والترهيب، والتحبيب والتقبيح، وهكذا .

تتألف شخصية الإنسان من عقليته ونفسيته، ينتج عنهما سلوك، فإذا بُنيت

العقلية والنفسية على قاعدة واحدة، شكلت سلوكاً متوافقاً مع عقليته ونفسيته، وأدى ذلك لتوازن تلك الشخصية وتأثيرها في الآخرين . وإذا اضطربت القاعدة، اضطرب السلوك واهتزت الشخصية .

وتشكيل العقلية يتم بتشكيل القاعدة، أي : المعلومات المسبقة التي سيحكم بها العقل على الأفكار الأخرى وربطها بالواقع . وهى في الإسلام تمثل العقيدة الإسلامية، فالاعتقاد بالعقيدة تجعل الشخص مسلماً، وجعلها محوراً وقاعدة للتحكم وفق العقيدة الإسلامية في ربطه للمعلومات بالواقع وبالعكس (أى ربط الواقع بالمعلومات) تشكل عقلية إسلامية .

أما تشكيل النفسية الإسلامية فهي بتوجيه الميول ودوافع الغرائز وفق العقيدة الإسلامية ، فتشكل له مفهوماً نفسياً وهو المعبر عنه في الحديث النبوي بالهوى : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به» .

فإذا تم تشكيل العقلية النفسية ببناء العقيدة وجعلها حاكماً على العقل والهوى، تشكلت الشخصية الإسلامية المؤثرة فى الآخرين؛ لأنه ينتج عنه سلوك متوازن متحد الاتجاه وفق المبادئ الإسلامية . حتى لو أخلّ صاحبه بالسلوك أحياناً لضعف هوى، أو طمع شهوة، أو لضعف في العبادة، فإن التوبة ترده إلى وضعه الطبيعي ، وتُقَوِّمُ سلوكه من جديد ، فبناء عقلية الطفل ونفسيته وسلوكه يجعل منه شخصية مؤثرة في واقعه الطفولى ، وفى مستقبله المشرق . وهذا أحد أسباب قوة الإسلام في تكوين الأفراد والجماعات؛ لشموليته كافة نواحي الحياة . وبالتالي عالج تكوين العقلية والنفسية والسلوك الإنساني، ولم ينظر له على أنه مَلك لا يخطئ، أو معصوماً عن الخطأ، وإنما : «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»، «لو لم تذنبوا فتستغفروا ربكم لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم» .

ولهذا يكون عناصر بناء شخصيته الطفل الإسلامية ببناء عقليته ونفسيته وسلوكه .

وتبدأ شخصية الطفل تتحقق منذ الصراخ الأول أثناء الولادة ليعبر عن وجوده حياً في هذا المجتمع، ولينادى بأعلى صوته : ها أنا ذا قد جئت إليكم .

بل إن الإسلام حفظ حق وجود الطفل وهو جنين، فلا يجوز إسقاط الجنين قبل نفخ الروح، وتتأكد حرمة إسقاطه بعد نفخ الروح فيه ـ أى بعد أربعة أشهر ـ ومن هنا تبرز أهمية هذا الجنين الذي سيولد لاحقاً بأن له حقوقاً على والديه والمجتمع

والدولة .

❊ ❊ ❊

الفصل الأول

تهيئة الطفل من الولادة إلى الحولين

تمهيد : أدعية عسر الولادة :

أولاً : عمل اليوم الأول من الولادة :

زكاة الفطر، والإرث ـ البشارة ـ الأذان والإقامة ـ الدعاء ـ التحنيك ـ تحضير سرير المهد .

ثانياً : عمل اليوم السابع من الولادة :

التسمية ـ حلق الشعر ـ العقيقة ـ الختان ـ عمل يوم الأربعين للنفساء .

ثالثاً : عمل اليوم الأربعين للنفساء .

رابعاً : الرضاعة إلى الحولين .

خامساً : حكم بول الرضيع ، وكيفية تطهيره .

سادسا : جواز اصطحاب الأم لرضيعها إلى المسجد .

سابعا : كراهية اصطحاب الطفل إلى المسجد في مرحلة عدم تعوّده ضبط التَّبوُّل والتّبَرّز .

ثامناً : حق الحضانة للأم .

تاسعاً : حق الولاية للأب .

عاشراً : بكاء الطفل وأسبابه وعلاجه .

حادى عشر : تنقيز (ترقيص) ومداعبته بالأناشيد .

روى الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقــول: «من ربى صغيراً حتى يقول : لا إله إلا الله لم يحاسبه الله» [1].

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : «إن للمرأة فى حملها إلى وَضْـعِها إلى فصالها من الأجر كالْمُتَشَحِّطِ فى سبيل الله ، فـإن هَلَكَـتْ فـيما بـين ذلـكَ فَلَهَـا أَجـرُ شهيد» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «العيال» وقال محققه : إسناده حسن .

* * *

«للحامل من الأجر أجر العابدِ الصائمِ الْمُخْبِتِ المجاهدِ ، فإذا ضَرَبهـا الطَّلْـقُ ؛ فلا يَدرى أحدٌ من الخَلائقِ مَا لَهَا من الأجـرِ، وإن أَرْضَعــتْ فلهـا بكـلِّ رضـعةٍ أو مَصَّةٍ أو مَجَّةٍ : عِتْقُ رَقَبَةٍ ، وصيام سَنَةٍ» . الصحابي الجليل المبشر بالجنة : عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه [2].

١() قال الهيثمي في مجمع الزوائد (8 / 159) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيـه سليمان بن داود الشاذكوني، وهو ضعيف .

٢() انظر كشف الغمة عن جميـع الأمـة للإمـام عبـد الوهـاب الشـعراني ـ رحمـه الله (2 / 107) .

تهيئة الطفل من الولادة إلى الحولين

تمهيد : أدعية عسر الولادة :

إن الطلق له آلامه، ومتاعبه الجسدية، والنفسية، وإن لحظة خروج المولود من اللحظات الحرجة لكلا الزوجين، وقد صورت الآية حالة مريم وهي في هذه اللحظات [1] :

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ [مريم] .

ومما يستحب ذكره أثناء الطلق ما علمه الرسول ﷺ أن يقال أثناء طلق ابنته فاطمة، فقد روى ابن السني بإسناد ضعيف : أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ لما دنا ولادها، أمر الرسول ﷺ أم سلمة، وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرآ عندها آية الكرسى، و : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف] و : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ

---

[1] قال محمد بن إسحاق : فلما حملت به، وملأت قلتها، ورجعت، استمسك عنها الدم، وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب، والتوحم، وتغير اللون حتى فطر لسانها . مختصر ابن كثير (2/ 448) .

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس] ويعوذاها بالمعوذتين[1] .

ومما رواه ابن السني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : «إذا عسر على المرأة ولدها أخذ إناء لطيفًا يكتب فيه : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف] إلى آخر الآية، و : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات]، و : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف] ثم يغسل ويسقى المرأة منه وينضح على بطنها وفرجها»[2] .

وقد سار السلف الصالح على ذلك فقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى كتابه «الطب النبوى»[3] كتاب لعسر الولادة : قال الخلال : حدثني عبد الله بن أحمد، قال : رأيت أبى يكتب للمرأة إذا عسر عليها ولادتها فى جام أبيض ، أو شيء نظيف، يكتب حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ ﴾[الأحقاف:35]، و : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات] .

قال الخلال : أنبأنا أبو بكر المروزى : أن أبا عبد الله[4] جاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله، تكتب لامرأة قد عسر عليها ولدها مند يومين؟ فقال : قل له يجىء بجام واسع وزعفران، ورأيته يكتب لغير واحد، ويذكر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ـ قال : مر عيسى ـ صلى الله على نبينا وعليه وسلم على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها، فقالت : يا كلمة الله، ادع الله لى أن يخلصني مما أنا فيه، فقال : يا

---

(2) ذكره ابن تيمية فى كتاب (الكلم الطيب) تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ص (87)، وقال : رواه ابن السنى فى (عمل اليوم والليل) رقم (526) وإسناده ضعيف .

٢() عمل اليوم والليلة، باب : ما تعوذ به المرأة التى تطلق، رقم (624).

(2) (ص 358) تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط وهو الجزء الرابع من زاد المعاد .

(3) أى أحمد بن حنبل إمام أهل السنة .

خالق النفس من النفس، ويا مخلص النفس من النفس، ويا مخرج النفس من النفس خلصها، قال : فرمت بولدها، فإذا هي قائمة تشمه، قال : فإذا عسر على المرأة ولدها، فاكتبه لها .

قال ابن القيم : وكل ما تقدم من الرقى، فإن كتابته نافعة، ورخص جماعة من السلف فى كتابة بعض القرآن وشربه، وجعل ذلك من الشفاء الذى جعل الله فيه . ثم قال : كتاب آخر لذلك يكتب فى إناء نظيف : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ ﴾ [الانشقاق] وتشرب منه الحامل، ويرش على بطنها . انتهى كلام ابن القيم رحمه الله [1]، ثم ذكر ابن القيم عددًا من الآيات لعدد من الأمراض تطلب هناك لمن يريد .

والمرأة فى هذه الساعات الشديدة العصيبة بحاجة إلى التوجه بالدعاء إلى الله تعالى، وبقدر تضرعها إليه بصدق، وإخلاص، وتجديد التوبة النصوح، فسرعان ما ييسر الله تعالى عليها ولادتها، ويهيئ لها أسباب تحمل آلام المخاض، ومشاقه .

قال الشيخ ابن ظفر المكى [2] : «بلغنى أن أبا السرى منصور بن عمار ﷺ أصاب أمه وجع الولادة، وعندها قابلتها، وهو صبى بين يديها، فقالت له : يا منصور، بادر إلى أبيك فادعه، فقال لها : أتستعينين فى حال الشدة بمخلوق لا يضر ولا ينفع، وأكون أنا رسولك إليه، قالت : الساعة أموت، قال لها : قولى : يا الله أغثنى، فقالت ذلك، فاندلق جنينها من ساعته» .

وإن رعاية الله مستمرة للإنسان، ورحمته لا تنفك لحظة، وتيسيره لعباده من اللحظة الأولى، وهذا أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ﴾ [عبس]، فيخرج الطفل من بطن أمه، وينتهى دوام الحياة الجنينية لتبدأ الحياة الطفلية، وهنا تبدأ حقوقه على وليه بما يلى :

أولاً : عمل اليوم الأول من الولادة :

1 – إخراج زكاة الفطر :

وسنتكلم عنها فى الفصل الرابع ـ إن شاء الله .

---

(1) سمعت من بعض المشايخ والعلماء : خذ من القرآن ما شئت لما شئت .

(2) كتاب (أنباء نجباء الأبناء) لابن ظفر المكى، المتوفى سنة (565هـ)، (ص 163) .

2 – استحقاق الميراث :

عن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «إذا استهل المولود ورث» رواه أبو داود [1].

وعن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله، والمسور بن مخرمة قالا: قضى رسول الله ﷺ : «لا يرث الصبي حتى يستهل صارخًا، واستهلاله أن يصيح ، أو يعطس، أو يبكى» [2] ذكره أحمد بن حنبل في رواية ابنه عبد الله، وصححه ابن حبان .

قال في «شرح السنة» : لو مات إنسان، ووارثه حمل، يوقف له الميراث، فإن خرج حيًا كان له، وإن خرج ميتًا فلا يورث، بل لسائر ورثة الأول، فإن خرج حيًا، ثم مات يورث منه ، سواء استهل أو لم يستهل ، بعد أن وجدت فيه أمارة الحياة : من عطاس، أو تنفس، أو حركة دالة على الحياة [3].

3 ـ البشارة والتهنئة بالمولود الجديد :

المجتمع الإسلامي بصفته التكافلية الاجتماعية، لا يدع مناسبة فرح، أو حزن إلا أن يشارك أعضاء المجتمع الإسلامي بها، ليصبح البنيان مرصوصًا بشكل قوى .

والطفل الوليد الجديد، المنضم إلى هذا المجتمع الجديد عليه، يرحب به أعضاؤه، ويسارعون لزف البشرى لوالديه، متمثلين بشارة الملائكة لرسل الله الكرام، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران] ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [مريم] .

وإن المسارعة في التهنئة، وزف البشرى، تزيد من دخول السرور على قلبي الوالدين، مما يجعل المجتمع الإسلامي قوى الارتباط، فيهنئ الضيف الوالدين بتهنئة الحسن البصري اللطيفة : «بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب،

---

(1) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (153) .

(2) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (152) .

(3) المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ لابن تيمية، تحقيق : محمد حامد الفقى (2/ 467) .

ورزقت بره، وبلغ أشده» . كما ذكر ذلك ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى «تحفة المولود» .

وأما التابعي الجليل أيوب السختيانى ـ رحمه الله ـ فكان إذا هنأ رجلاً بمولود قال : «جعله الله تعالى مباركًا عليك، وعلى أمة محمد ﷺ» [1] .

4 ـ الأذان فى أذنه اليمنى، والإقامة فى أذنه اليسرى :

روى الإمام أحمد، والترمذى، أن رسول الله ﷺ : أذن في أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة ـ أي : بأذانها .

وأما دليل الإقامة في أذن المولود : فقد روى الإمام أحمد عن أبى رافع ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ أذن فى أذنى الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة .

فالأذان في أذني الحسن يكون بالأذان والإقامة؛ لأن الإقامة تشبه الأذان . وهى تسمى أذانًا أيضًا، وهذا ما فعله المجتهد خامس خلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فقد روى عنه أنه كان يؤذن في أذن المولود في أذنه اليمنى، ويقيم في اليسرى [2] .

وأما الروايات التي ذكرت أنه ﷺ أذن في أذن الحسن، فيمكن حملها على جنس الأذن، وجنس الأذان، أو يمكن أنه ﷺ أذن مرة واحدة تارة، وأذن مرتين في تارة أخرى .

وعلى ظاهر الحديث يكون الأذان مرتين، الأولى في الأذن اليمنى، والثانية فى الأذن اليسرى ـ والله أعلم .

والسر في ذلك ، وحكمته ، كما قال الدهلوى ـ رحمه الله :

1 ـ الأذان من شعائر الإسلام .

2 ـ إعلام الدين المحمدي .

3 ـ ثم لابد من تخصيص المولود بذلك الأذان، بأن يصوت في أذنه .

4 ـ علمت أن من خاصية الأذان : أن يفر منه الشيطان، والشيطان يؤذى الولد في أول نشأته، حتى ورد في الحديث أن استهلاله لذلك[3] . أخرج الشيخان عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من بني آدم مولود، إلا نخسه الشيطان، حين يولد، فيستهل صارخًا من نخسه إياه، إلا مريم وابنها»، ثم يقول أبو هريرة :

---

(1) (حلية الأولياء) لأبى نعيم الأصفهانى ـ رحمه الله (3 / 8) .

(2) انظر : هامش تحقيق كتاب العيال (1/ 194) .

(1) كتاب : حجة الله البالغة للدهلوى .

اقـرؤوا إن شـئتم : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمـران] . وفى مسـند ابـن رزيـن : أنـه ﷺ قـرأ فى أذن مولـود سـورة الإخلاص [1] . ويكشف ابن القيم عن أسرار أخرى للتأذين، فيقول ـ رحمه الله :

5 ـ أن يكون أول ما يقـرع سـمع الإنسـان، كلماتـه المتضـمنة لكبريـاء الـرب، وعظمته، والشهادة التى أول ما يدخل بها فى الإسـلام، فكـان ذلـك كـالتلقين لـه، شعار الإسلام عند دخوله الدنيا، كما يلقن التوحيد عند خروجه منها .

6 ـ وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه، وتأثره به، وإن لم يشعر، مع ما فى ذلك من فائدة أخرى، وهى :

7 ـ هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده، حتى يولـد، فيقارنـه للمحنة التي قدرها الله، وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه، ويغيظـه، أول أوقـات تعلقه به .

8 ـ وفيه معنى آخر وهـو : أن تكـون دعوتـه إلى الله، وإلى دينـه الإسـلام، وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر عليهـا سـابقة عـلى تغيير الشيطان لها، ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم [2] . وسواء كان المولـود ذكـرًا أو أنثى، فهو هبة الله، ونعمته على عباده : روى الطبرانى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا ولدت الجارية، بعث الله عز وجل إليهـا ملكـا يزف البركة زفًا، يقول : ضعيفة خرجت مـن ضـعيفة، القـيم عليهـا معـان إلى يـوم القيامة، وإذا ولد الغلام، بعث الله إليه ملكًا من السماء، فقبَّل بين عينيه، وقـال : الله يقرئك السلام» .

5 – الدعاء وشكر الله تعالى على النعمة الجديدة :

روى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قـال : قـال رسول الله ﷺ : «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل، أو قـال : أو ولـد، فيقـول : مـا شاء الله، لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت» .

---

(2) شرح مغنى المنهاج للإمام الشربينى ـ رحمه الله (4 / 296) .

(1) أحكام المولود لابن القيم .

6 ـ **تحنيك المولود**[1] :

فى الصحيحين عن أبى موسى ﷺ قال : ولد لى غلام، فأتيت به النبى ﷺ فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة، وزاد البخارى : ودعا له بالبركة ودفعه إلىّ . وفى الصحيحين عن هشام بن عروة عن أسماء ـ رضى الله عنها ـ أنها حملت بعبد الله ابن الزبير بمكة، (قالت) : فخرجتُ وأنا متمّ[2]، فأتيتُ المدينة، فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ فوضعته فى حجره، فدعا بتمرة، فمضغها، ثم تفل فيه، فكان أول شىء دخل جوفه ريق الرسول ﷺ . قالت : ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له، وبرَّك عليه، وكان أول مولود ولد فى الإسلام للمهاجرين فى المدينة، قالت : ففرحوا به فرحًا شديدًا، وذلك أنهم قيل لهم : إن اليهود قد سحرتكم، فلا يولد لكم .

روى البخارى فى صحيحه عن أنس ﷺ قال : غَدَوتُ إلى رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبى طلحة ليحنكه .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى موسى ﷺ قال : ولد لى غلامٌ، فأتيتُ النبىَّ ﷺ فسمّاه إبراهيم، فحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إلىَّ .

وروى مسلم فى صحيحه ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم، ويحنكهم، فأتى بصبى، فبال عليه، فدعا بماء، فأتبعه بوله .

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ معلقًا : قوله : «فيبرك عليهم» : أى يدعو لهم، ويمسح عليهم، وأصل البركة : ثبوت الخير، وكثرته، وقولها : «فيحنكهم» : قال أهل اللغة : التحنيك : أن يمضغ التمر، أو نحوه، ثم يدلك به حنك الصغير، وفيه لغتان مشهورتان : حنكته بالتخفيف والتشديد، والرواية هنا : فيحنكهم بالتشديد، وهى أشهر اللغتين، وقولها : « بصبى يرضع» هو بفتح الياء، أى : رضيع ، وهو الذى لم يفطم .

---

(2) يقول الدكتور فاروق مساهل ـ مجلة الأمة القطرية عدد (50) ـ فى مقالته : تحت عنوان : اهتمام الإسلام بتغذية الطفل ، معلقًا على حديث التحنيك ما نصه : والتحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية طبية، مكثت البشرية أربعة عشر قرنًا من الزمان لكى تعرف الهدف والحكمة من ورائها، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار (وخاصة حديثى الولادة والرضع) معرضون للموت لو حدث لهم أحد أمرين :

1 – إذا نقصت كمية السكر فى الدم (بالجوع) .

2 – إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم .

(3) أنا متم : أى : دنا ولادها .

أما أحكام الباب :

ـ ففيه استحباب تحنيك المولود .

ـ وفيه التبرك بأهل الصلاح والفضل .

ـ وفيه استحباب حمل الأطفال إلى أهل الفضل للتبرك بهم، وسواء فى هذا الاستحباب المولود فى حال ولادته وبعدها .

ـ وفيه الندب إلى حسن المعاشرة، واللين، والتواضع، والرفق بالصغار وغيرهم»[1].

كيفية تحنيك النبى ﷺ للمولود :

عن أنس ﷺ قال : لما ولدت أم سليم غلامًا، أرسلت به معى، إلى النبى ﷺ، وحملت تمرًا، فأتيت به رسول الله ﷺ، وعليه عباءة، وهو يهنأ بعيرًا له، فقال رسول الله ﷺ : «هل معك تمر؟»، قال : قلت : نعم، فأخذ التمرات، فألقاهن فى فيه، فلاكهنّ، ثم جمع لعابه، ثم فغر فاه، فأوجره إياه، فجعل الصبى يتلمظ، فقال رسول الله ﷺ : «حب الأنصار التمر»، فحنكه، وسماه عبد الله، فما كان فى الأنصار شاب أفضل منه . رواه أحمد فى مسنده (3 / 188) . وكذا رواه مسلم والبخارى .

7 – تحضير وتجهيز سرير المهد :

ذكر الله تعالى سرير المهد فى معرض الحديث عن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فقال : ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [آل عمران : 46] .

قال أبو حيان فى التفسير : «المهدُ» : مقر الصبى فى رضاعه، وأصله مصدر، سُمى به يقال : مَهَدَت لنفسى ـ بتخفيف الهاء وتشديدها ـ أى وطأت .

وفى لسان العرب مادة مهدة : مَهدُ الصبى : موضعه الذى يتهيأ له، ويُوطأ لينام فيه.

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير(1/ 390): والمهدُ : مضجع الصبى فى رضاعه، وهو مأخوذ من التمهيد، وهو التوطأة .

وقال السيوطى فى الدر المنثور : أخرج ابن جرير وابن المنذر من طريق ابن جريج قال : بلغنى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : (المهدُ) : مضجع الصبى

---

[1] شرح صحيح مسلم، باب : حكم بول الرضيع، وكيفية غسله .

فى رضاعه .

وقال ابن عاشور فى تفسيره التحرير والتنوير : (والمهدُ) : شبه الصندوق من خشب لا غطاء له، يُمهد به، مضجع للصبى مدة رضاعه، يُوضع فيه لحفظه من السقوط» .

فدلت هذه الآراء على أمور هامة منها :

1 ـ أن الطفل الرضيع له مكان خاص ينام فيه منفصلاً عن أمه .

2 ـ لا يسمح للأم أن تنام مع رضيعها خشية أن تضغط عليه أو تضر به أو تُميته من حيث لا تشعر وهى نائمة .

3 ـ أن سرير الطفل يمهد تمهيدًا جيدًا بحيث يريح أعضاءه .

4 ـ أن السرير المنفصل يساعد الأم على هز الطفل لكى ينام .

5 ـ أن السرير لابد له من جوانب تحيطه، لكى يبقى الطفل محفوظًا فيه من السقوط على الأرض أثناء هزه أو أثناء قيامه بالحركة . والله أعلم .

ثانيًا : عمل اليوم السابع :

1 – تسمية الطفل وتكنية والديه به ذكرًا أو أنثى : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : 36] .

«فإذا ولد المولود فإن من أول الإكرام له، والبرّ به، أن يحلّيه باسم حسن، وكنية لطيفة ، شريفة ، فإن للاسم الحسن موقعًا فى النفوس مع أول سماعه، وكذلك أمر الله عباده ، وأوجب عليهم أن يدعوه بالأسماء الحسنى، فقال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف] .

وأمر أن يصفوه بالصفات العُلا فقال : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء : 110] .

واختار النبى ﷺ أسماء أولاده اختيارًا، وآثرها إيثارًا، ونحل محمد ابن الحنفية

اسمه بعد ذلك، تشريفًا له، وإجلالاً، وإكرامًا، وإفضالاً [1]، وذلك لما روى أبو يعلى فى مسنده (1/ 259) بسند صحيح عن محمد ابن الحنفية، عن على ـ رضى الله عنهما : أنه استأذن رسول الله ﷺ فى إن وُلد له بعده ولد، أن يسميه باسمه، ويكنيه بكنيته . قال : فكانت رخصة من رسول الله ﷺ . قال : وكان اسمه محمد، وكنيته أبو القاسم . قال المحقق حسين أسد : ورواه أبو داود، والترمذى، وابن سعد فى الطبقات، والحاكم فى المستدرك، وصححه، ووافقه الذهبى .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى موسى ﷺ قال : وُلد لى غلامٌ ، فأتيتُ به النبى ﷺ فسمَّاه إبراهيم، وحنَّكه بتمرة، ودعا له بالبركة ، ودفعه إلىَّ .

قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى : سمعتُ أهلَ المدينة يقولون : ما مِنْ أهل بيت فيهم اسم محمد ﷺ إلا رزقوا رزق الخير .

قال ابن رشد معلقًا : يُحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بالتجربة، أو عندهم فى ذلك أثر [2] .

وذكر القاضى عياض ـ رحمه الله ـ فى كتابه النفيس الرائع «الشفا فى تعريف حقوق المصطفى» الباب الثالث :

قال مالك ـ رحمه الله : «سمعت أهل مكة يقولون : ما مِنْ بيت فيه اسم محمدﷺ إلا نما، ورُزِقَ جيرانهم» .

وعنه ﷺ : «ما ضَرَّ أحدُكم أن يكون فى بيته محمد، ومحمدان، وثلاثة» . رواه ابن سعد من حديث عثمان العمرى مرفوعًا .

وروى أبو داود، والنسائى عن أبى وهب الجشمى قال : قال رسول اللهﷺ : «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالى : عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها : حارث، وهمام، وأقبحها : حرب ومرّة» [3] .

وروى أبو داود عن أبى الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم» وأخرجه ابن حبان فى

---

(1) مغنى المحتاج (4/ 295) .

(2) نصيحة الملوك لأبى الحسن الماوردى (ص 166) .

(1) فى سنده مجهول، لكن يشهد لبعض أحاديث صحيحة، انظر : جامع الأصول (1 / 357)، ت : الأرناؤوط .

صحيحه، ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعًا .

وروى مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى : عبد الله، وعبد الرحمن» .

وروى الطبرانى عن أبى بسرة مرفوعًا : «خيرُ أسمائكم : عبد الله، وعبد الرحمن، والحارث» [1] .

وغدا الصحابة يطبقون هذا الحديث ، حتى ذكر ابن الصلاح أن من يسمى «عبد الله» من الصحابة نحو (220) نفسًا، وقال العراقى : يجتمع من المجموع نحو (300) رجل [2] .

ومن لطيف ما صنعه النبى ﷺ أنه سمى ابن عباس بعبد الله يوم ولد . فعن ابن عباس قال : حدثتنى أم الفضل بنت الحارث قالت : بينما أنا مارة والنبى ﷺ فى الحجر، فقال : «يا أم الفضل» ، قلت : لبيك يا رسول الله، قال : «إنك حامل بغلام» ، قلت : كيف ، وقد تحالفت قريش لا يولدون النساء؟ قال : «هو ما أقول لك ، فإذا وضعتيه، فأتنى به» . فلما وضعته ، أتيت النبى ﷺ، فسماه (عبد الله) ثم قال : «اذهبى به، فلتجدنه كيسًا»، قالت : فأتيت العباس، فأخبرته، فتبسم ثم أتى النبى ﷺ وكان رجلاً جميلاً، مديد القامة، فلما رآه النبى ﷺ قام إليه، فقبَّل ما بين عينيه، وأقعده عن يمينه، ثم قال : «هذا عمى، فمن شاء فليباه بعمه» . قال العباس : بعض القول يا رسول الله!، قال : «ولم لا أقول، وأنت عمى ، وبقية آبائى ؟! والعم والد» [3] .

وروى الترمذى وقال : حديث حسن غريب عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ رأى فى بيت الزُّبير مِصباحًا، فقال : يا عائشة، ما أرى أسماء إلا قد نُفِسَتْ فلا تُسَمُّوهُ حتى أُسَمِّيَهُ . فسماهُ عبد الله ، وحَنَّكَهُ بتمرة بيده .

وروى البخارى أنَّ أول مولود وُلِدَ فى الإسلام عبد الله بن الزُّبير، أتوا به النبىﷺ فأخذ النبى ﷺ تَمرة فلاكها ، ثم أدخلها فى فيه،فأول ما دخل بطنه ريق

---

(2) صحيح : انظر : صحيح الجامع رقم (3269) .

(3) عن : (المنهل اللطيف فى أصول الحديث للشيخ محمد بن علوى المالكى الحسنى (ص 194) .

(1) عن المنهل اللطيف فى أصول الحديث للشيخ محمد بن علوى المالكى الحسنى (230).

النبىﷺ . وفى رواية لمسلم : جئنا بعبد الله بن الزبير إلى النبى ﷺ يُحنِّكُهُ فطلبنا تمرة، فعزَّ علينا طلبها .

وروى مسلم وأبو داود عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال : «ولد لى الليلة غلام، فسميته باسم أبى إبراهيم» .

وأخرج مسلم فى صحيحه عن جابر ﷺ قال : ولد لرجل منا غلام، فسمّاه القاسم، فقلنا : لا نكنيك أبا القاسم، ولا نُنْعِمُكَ عينًا، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له، فقال : «سمِّ ابنك عبد الرحمن» .

وأخرج أيضًا قال : وُلد لرجل منا غلام فسماه محمدًا، فقال له قومه : لا ندعك تسمى باسم رسول الله ﷺ . فانطلق بابنه، حامله على ظهره، فأتى به النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، وُلد لى غلام، فسميته محمدًا، فقال لى قومى : لا ندعك تُسمى باسم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «تسمّوا باسمى، ولا تكتنوا بكنيتى، فإنما أنا قاسم، أقسم بينكم» .

ويقرر النبى ﷺ أن الأمم المؤمنة السابقة، كانت تسمى أبناءها بأسماء أنبيائها، وصالحيها : أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال : لما قدمت نجران سألونى فقالوا : إنكم تقرؤون : ﴿ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ ﴾ [مريم : 28] . وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ، سألته عن ذلك فقال : «إنهم كانوا يُسمون بأنبيائهم، والصالحين قبلهم» ورواه أحمد، والترمذى ، والنسائى، وعبد بن حميد، وابن أبى شيبة، وغيرهم [1] .

وفى تفسير القرطبى : قال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر : 23] إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى أهل التوحيد من النار ، وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبىّ ، حتى إذا لم يبق فيها من وافق اسمه اسم نبى، قال الله تعالى : أنتم المسلمون، وأنا السلام، أنتم المؤمنون، أنا المؤمن، فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين .

وفى كتاب «الخصائص» لابن سبع عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : أنه إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : ألا ليقم من اسمه محمد ﷺ فليدخل الجنة، كرامة لنبيه ﷺ .

وفى مسند الحارث بن أبى سلمة : أنَّ النبى ﷺ قال : «من كان له ثلاثةٌ من

---

(1) انظر : حسن الأسوة (ص 135) .

الولد، ولم يُسم أحدُهم بمحمد فقد جَهِلَ»[1] .

وقد اختار الصحابى الجليل الزبير بن العوام أسماء شهداء الصحابة لأبنائه، رجاء أن يسلكوا سلوكهم، فينالوا درجة الشهادة فى سبيل الله :

يقول الزبير ﷺ : «إن طلحة بن عبيد الله التميمى يسمى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أن لا نبى بعد محمد ﷺ، وإنى أسمّى بنىّ بأسماء الشهداء ؛ لعلهم أن يستشهدوا » .

وعلى هذه القاعدة، وذلك المذهب جاءت أسماء بأبنائه، فسمى «عبد الله» بعبد الله بن جحش شهيد غزوة أحد، و«المنذر» بالمنذر بن عمرو الأنصارى من بنى ساعدة، و«عروة» بعروة بن مسعود الثقفى، و«حمزة» بحمزة بن عبد المطلب شهيد أحد، و«جعفرًا» بجعفر بن أبى طالب شهيد غزوة مؤتة، و«مصعبًا» بمصعب بن عمير حامل اللواء وشهيد أحد، و«عبيدة» بعبيدة بن الحارث شهيد غزوة بدر، و«خالدًا» بخالد بن سعيد شهيد مرج الصفر، و«عمر» بعمر بن سعيد أخى خالد، قتل يوم اليرموك[2] .

وبعد تسمية المولود الأول فإن أبويه يُكْنيان باسمه :

روى أبو داود، والنسائى عن أبى شريح : أنه كان يسمى أبا الحكم، فقال له النبى ﷺ : «إن الله هو الحكم، وإليه الحُكم» . فقال : إن قومى إذا اختلفوا فى شىء أتونى، فحكمت بينهم، فرضى كلا الفريقين، فقال : ما أحسن هذا ! فما لك من الولد ؟» فقلت : شريح، ومسلم، وعبد الله، قال : «فمن أكبرهم ؟» قلت : شريح، قال : «أنت أبو شريح»[3] . ورواه الحاكم، وزاد : «فدعا له ولولده» .

قال فى «شرح السنة» : الحَكَم : هو الحاكم الذى إذا حكم، لا يرد حكمه، وهذه الصفة ؛ لا تليقُ بغير الله تعالى، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ ﴾ [الرعد : 14] .

«وفيه : أن يكنى الرجل بأكبر بنيه، فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته، وكذلك

---

(2) انظر : شرح مغنى المحتاج للشربينى ـ رحمه الله ـ (4/ 495) .

(1) انظر : تربية النشء فى ظل الإسلام (ص 124) للدكتور محمود محمد عمارة .

(2) إسناده صحيح : انظر : جامع الأصول (1/ 373) ت : الأرناؤوط .

المرأة، تكنى بأكبر بنيها، فإن لم يكن لها ابن فبأكبر بناتها»[1] .

ومن ثم تكنية المولود لما كان النبى ﷺ ينادى الطفل الصغير بكنيته، وليس باسمه، فيمازحه بقوله : «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟» والحديث رواه مسلم .

وإن الشيطان ليوحى بالأسماء القبيحة والأسماء غير الشرعية؛لذا السعيد والسعيدة من ابتعد عن ذلك :

روى الترمذى عن سمرة بن جندب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لما حملت حواء ـ عليها السلام ـ طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد فقال : سمِّيه عبد الحارث فإنه يعيش فسمَّته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره» .

ومن الأسماء المكروه التسمية بها :

ما رواه مسلم واللفظ له، والترمذى، وأبو داود : «لا تُسمين غلامك يسارًا، ولا رباحًا، ولا نجيحًا، ولا أفلح» .

وما رواه الترمذى عن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لأنهينَّ أن يسمى رافع، وبركة، ويسار»[2] .

وإنك لتلحظ اهتمام النبى ﷺ أنه كان يغير الأسماء القبيحة :

أخرج الترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ كان يغير الاسم القبيح[3] .

فمن ذلك أنه غير اسم برَّة إلى زينب :

روى مسلم وأبو داود عن محمد بن عمرو بن عطاء ـ رحمه الله تعالى ـ قال : سميت ابنتى برَّة، فقالت لى زينب بنت أبى سلمة : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم؛ وسُمّيتُ برَّة، فقال رسول الله ﷺ : «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا : بم نُسميها ؟ قال : سموها زينب» .

---

(3) شرح السنة (6/ 394) ، والحديث رواه أبو داود والنسائى والبخارى فى الأدب المفرد والحاكم ، كذا قاله محقق شرح السنة ، طبع دار الكتب العلمية .

(1) إسناده قوى . انظر : جامع الأصول (1/ 371) ت : الأرناؤوط .

(2) إسناده صحيح ، المصدر السابق . وانظر : صحيح الجامع رقم (4994) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (207) .

وغيّر اسم عاصية إلى جميلة :

أخرج مسلم وأبو داود عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية، وسماها جميلة .

وغير اسم بغيض إلى حبيب :

عندما وفد بغيض بن حبيب بن مروان على النبى ﷺ فسماه حبيبًا[1] .

وغير اسم أَصْرم إلى زُرْعة :

أخرج أبو داود عن بشير بن ميمون ﷺ عن عمه أسامة بن أخدرى : أن رجلاً كان اسمه : أصرم، وكان فى نفر أتوا النبى ﷺ، فقال له : «ما اسمك؟» قال : أصرم، قال : «بل أنتَ زُرْعة» .

وذكر النووى ـ رحمه الله ـ فى كتابه «الأذكار» : «أن السنة تسميته يوم السابع؛ أو يوم الولادة، واستدل لكل منهما بأخبار صحيحة .

وحمل الإمام البخارى ـ رحمه الله ـ أخبار يوم الولادة على من لم يرد العَقّ، وأخبار يوم السابع على من أراده . قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ شارحه : وهو جمع لطيف لم أره لغيره، قال الشربينى : ولو مات قبل التسمية استحب تسميته ، بل يُسن تسمية السقط ، فإن لم يعلم أذكر هو أم أنثى سُمى اسماً يصلح لهما : كخارجة وطلحة وهند» انتهى [2] .

كيف تختار اسمًا حسنًا للطفل؟

هناك ثلاثة خيارات يقدمها الإمام الماوردى :

1 ـ منها أن يكون الاسم مأخوذًا من أسماء أهل الدين، من الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، ينوى بذلك التقرب إلى الله ـ جلَّ اسمه ـ بمحبتهم، وإحياء أسمائهم، والاقتداء بالله ـ جل اسمه ـ فى اختيار تلك الأسماء لأوليائه، وما جاء به الدين، كما قد روينا عنه أن أحب الأسماء إلى الله : عبد الله وأمثاله .

قال الشيخ الدهلوى[3] ـ رحمه الله : «اعلم أن أعظم المقاصد الشرعية، أن يدخل ذكر الله فى تضاعيف ارتفاقاتهم الضرورية؛ ليكون كل ذلك ألسنة تدعو إلى الحق، وفى تسمية المولود بذلك إشعار بالتوحيد، وأيضًا فكان العرب وغيرهم يسمون

---

(1) ذكره ابن حجر ـ رحمه الله ـ فى الإصابة (1/ 166) فى حرف الباء .

(2) مغنى المحتاج (4/ 294) .

(1) فى كتابه : (حجة الله البالغة) .

الأولاد بمن يعبدونه، ولما بعث النبى ﷺ مقيمًا لمراسم التوحيد، وجب أن يسن فى التسمية أيضًا مثل ذلك، وإنما كان الاسمان [1] أحب من سائر ما يضاف فيه العبد إلى اسم من أسماء الله تعالى؛ لأنهما أشهر الأسماء، ولا يطلقان على غيره، بخلاف غيرهما، وأنت تستطيع أن تعلم من هذا سرّ استحباب تسمية المولود بمحمد؛ وأحمد، فإن طوائف الناس أولعوا بتسمية أولادهم بأسماء أسلافهم المعظمين عندهم، وكاد يكون ذلك تنويهًا بالدين، وبمنزلة الإقرار بأنه من أهله .

2 ـ ومنها أن يكون الاسم قليل الحروف؛ خفيفًا على الألسن، سهلاً فى اللفظ، سريع التمكن من السمع .

3 ـ ومنها أن يكون حسنًا فى المعنى، ملائمًا لحال المسمى، جاريًا فى أسماء أهل طبقته، وملته؛ وأهل مرتبته [2] .

وقد ذكر ابن قُتيبة فى كتابه الشهير «أدب الكاتب» باب : أصول أسماء الناس، فأرجعها إلى خمس، وهى : المسمّون بأسماء النبات، والطير، والسباع، والهوام ، وبالصفات وغيرها، وذكر الأسماء ومعانيها .

وقد جرت عادة حسنة فى عصرنا الحاضر؛ باستخراج الأسماء من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة . نحو : ضحى ـ تسنيم ـ هبة ـ تقى ـ عفاف ـ غنى ـ وغير ذلك وهى سُنّة حسنة، إن شاء الله .

2 – حلق شعر الطفل :

روى الإمام مالك : أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وزنت شعر حسن، وحسين، وأم كلثوم، فتصدقت بزنة ذلك فضة .

وذكر ابن إسحاق : أنَّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة حينما ولدت الحسن : «يا فاطمة، احلقى رأسه، وتصدقى بزنة شعره فضة» فوزنته، فكان وزنه درهمًا، أو بعض درهم .

قال الشيخ الدهلوى ـ رحمه الله ـ معلقًا على الحديث : السبب فى التصدق بالفضة : «أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية، كان ذلك نعمة؛ يجب شكرها، وأحسن ما يقع به الشكر ما يُؤذن [3] أنه عوضه، فلما كان شعر الجنين بقية النشأة الجنينية، وإزالته أمارة للاستقلال بالنشأة الطفلية، وجب أن يؤمر بوزن الشعر فضة، وأما تخصيص الفضة؛ فلأن الذهب أغلى، ولا يجده إلا غنى،

---

(2) أى : عبد الله، وعبد الرحمن .

(3) نصيحة الملوك (ص 166) .

(1) أى : يشعر .

وسائر المتاع ليس له بال بزنة شعر المولود» .

3 – **استحباب وليمة العقيقة** [1] :

روى الإمام أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى والحاكم وابن حبان فى صحيحه عن أم كرز الكعبية : أنها سألت رسول الله ﷺ عن العقيقة؟ فقال ﷺ : «عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة، لا يضركم أذكرانًا كُنّ أم إناثًا» .

وروى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : «كل غلام رهينة [2] بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه، ويحلق رأسه» .

وروى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد مرفوعًا : «العقيقة حق، عن الغلام شاتان متكافئتان، وعن الجارية شاة» [3] .

وروى الطبرانى عن ابن عباس مرفوعًا : «عن الغلام عقيقتان، وعن الجارية عقيقة» [4] .

وروى الطبرانى والضياء عن بريدة مرفوعًا : «العقيقة تُذبح لسبع، أو لأربع

---

(2) جاء فى (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدى (ص 62) قال : «العرب تقول : عقَّ الرجل عن ابنه، يعقُّ؛ إذا حلق عقيقته، وذبح عنه شاة، وتسمى الشاة التى تُذبح لذلك : عقيقة والعقّة : العقيقة وتجمع عقيقًا، والعقيقة : الشعر الذى يُولد الولد به ، وتسمى الشاة التى تذبح لذلك عقيقة، يقع اسم الذَّبح على الطعام، ويقال : أعقّت الحاملُ إذا نبتت العقيقة على ولدها فى بطنها، فهى مُعقّ وعقوق» .

(3) أى : كالشىء المرهون لا يتم الانتفاع والاستمتاع به دون فكه، ويحتمل أنه أراد بذلك أن سلامة المولود ونشأته على النعت المحبوب رهينة بالعقيقة، وهذا هو المعنى كما قال الدهلوى .

والحديث صحيح ، انظر : صحيح الجامع (4184) وقال : رواه الترمذى ، والحاكم .

وقال الخطابى : وأجود ما قيل فيه ما ذهب إليه أحمد بن حنبل : أنه إذا لم يعق عنه لم يشفع فى والديه يوم القيامة ، ونقله الحليمى عن جماعة متقدمة على أحمد» . انظر : شرح المحتاج للشربينى (4/ 293) .

(1) صحيح : انظر : صحيح الجامع رقم (4106 – 4107) .

(2) صحيح : انظر : صحيح الجامع رقم (4132) .

عشرة، أو لإحدى وعشرين»[1].

وكان أنس ﷺ يعق عن بنيه الجزور[2].

وعن عون العقيلى قال: «أول مولود ولد بالبصرة عبد الرحمن بن أبى بَكرة، فنحر أبوه جَزُورًا، ودعا الناس وأطعمهم»[3]. رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 211).

ومن شدة اهتمام السلف الصالح بأمر العقيقة، أن الذى لا يجد مالاً؛ لكى يعق عن ولده، عق بعصفور؛ فقد روى مالك فى الموطأ[4] بسنده عن محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمى أنه قال: «سمعت أبى يستحب العقيقة ولو بعصفور».

قال الإمام مالك بعدها: الأمر عندنا فى العقيقة: أن من عق فإنما يعقُّ عن ولده بشاة، شاة للذكور والإناث، وليست العقيقة بواجبة، ولكنها يستحب العمل بها، وهى من الأمر الذى لم يزل عليه الناس عندنا، فمن عقّ عن ولده فإنما هى بمنزلة النُّسُك، والضحايا، لا يجوز فيها: عوراء، ولا عجفاء، ولا مكسورة، ولا مريضة ولا يباع من لحمها شىء، ولا جلدها، ولا يُكسر عظامها، ويأكل أهلها من لحمها، ويتصدَّقون منها، ولا يُمسُّ الصبى بشىء من دمها»[5].

قال الشيخ الدهلوى ـ رحمه الله: «يستحب لمن وجد الشاتين، أن ينسك بهما عن الغلام، وذلك لما عندهم أن الذكران أنفع لهم من الإناث، فتناسب زيادة الشكر، وزيادة التنويه».

وأما سبب الأمر بالعقيقة فهو: أن العرب كانوا يعقّون عن أولادهم، وكانت العقيقة أمرًا لازمًا عندهم، وسُنَّة مؤكدة، وكان فيها مصالح كثيرة، راجعة إليه المصلحة الملية، والمدنية، والنفسية، فأبقاها الرسول ﷺ وعمل بها ورغّب الناس فيها».

إلا أن رسول الله ﷺ غيّر فى تقاليدها:

فعن بريدة ﷺ قال: «كنا فى الجاهلية إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة، ولطخنا

---

(3) رواه الطبرانى فى الكبير، ورجاله رجال الصحيح، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (4/ 59).

(4) أى: يذبح.

(5) شرح المحتاج (4/ 293).

(6) الموطأ، كتاب العقيقة.

(7) الموطأ، وكتاب العقيقة.

رأسه بدمها، فلما كان الإسلام كنا إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة، وحلقنا رأسه،ولطخنا رأسه بزعفران» . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 238) وقال : صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبى .

وقال الشربينى ـ رحمه الله : «ويكره لطخ رأس المولود بدمها؛ لأنه من فعل الجاهلية، وإنما لم يحرم للخبر الصحيح كما فى (المجموع) أنه ﷺ قال : «مع الغلام عقيقة، فأهرقوا عليه دمًا ، وأميطوا عنه الأذى » ، بل قال الحسن وقتادة : إنه يستحب ذلك، ثم يغسل؛ لهذا الخبر، ويسن لطخ رأسه بالزعفران والخلوق، كما صححه فى (المجموع) . انتهى شرح المحتاج (4/ 294) .

مصالح الأمر بالعقيقة وحِكَمُها [1] :

1 ـ التلطف بإشاعة نسب الولد : إذ لا بد من إشاعته؛ لئلا يقال فيه ما لا يحبه، ولا يحسن أن يدور فى السكك، فينادى أنه ولد لى ولد، فتعين التلطف بمثل ذلك .

2 ـ ومنها : اتباع داعية السخاوة، وعصيان داعية الشح .

3 – ومنها : أن النصارى كان إذا ولد لهم ولد صبغوه بماء أصفر، يسمونه المعمودية ، وكانوا يقولون : يصير الولد به نصرانيًا ، وفى مشاكلة هذا الاسم، نزل قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾ [البقرة : 138] . فاستحب أن يكون للحنيفيين فعل بإزاء فعلهم بذلك، يُشعر يكون الولد حنيفيًا، تابعًا لملة إبراهيم؛ وإسماعيل ـ عليهما السلام، وأشهر الأفعال المختصة بهما، المتوارثة فى ذريتهما، ما وقع منه عليه السلام من الإجماع على ذبح ولده، ثم نعمة الله عليه، أن فداه بذبح عظيم، وأشهر شرائعهما الحج الذى فيه الحلق والذبح، فيكون التشبه بهما فى هذا ، تنويهًا بالملة الحنيفية، ونداء أن الولد قد فُعل به ما يكون من أعمال هذه الملة .

4 ـ ومنها : أن هذا الفعل فى بدء ولادته، يخيل إليه أنه بذل ولده فى سبيل الله ، كما فعل إبراهيم عليه السلام وفى ذلك تحريك سلسلة الإحسان، والانقياد .

5 ـ أنها قربان يُقرَّبُ به عن المولود : فى أول أوقات خروجه إلى الدنيا، والمولود ينتفع بذلك غاية الانتفاع، كما ينتفع بالدعاء له، وإحضاره مواضع المناسك، والإحرام عنه، وغير ذلك .

---

[1] من (1) إلى (4) من كتاب (حجة الله البالغة) للدهلوى ـ رحمه الله ـ ومن (5 – 6) من (أحكام المولود) لابن القيم ـ رحمه الله .

6 ـ أنها تفكّ ارتهان المولود : فإنه مرتهن بعقيقته، قال الإمام أحمد : مرتهن عن الشفاعة لوالديه وقال عطاء بن أبى رباح : مرتهن بعقيقته قال : يحرم شفاعة ولد.

وجعل الله النسيكة عن الولد؛ سببًا لفك رهانه من الشيطان، الذى يعلق به، من حين خروجه إلى الدنيا، وطَعْنه فى خاصرته، فكانت العقيقة فداء، وتخليصًا له من حبس الشيطان له، وسجنه فى أسره، ومنعه له، من سعيه فى مصارع آخرته التى إليها معاده، فكأنه محبوس لذبح الشيطان له بالسكين التى أعدها لأتباعه وأوليائه، وأقسم لربه أنه ليستأصلن ذرية آدم إلا قليلاً منهم، فهو بالمرصاد للمولود من حين يخرج إلى الدنيا، فحين يخرج يبتدره عدوه، ويضمه إليه، ويحرص على أن يجعله فى قبضته، وتحت أسره، ومن جملة أوليائه وحزبه، فهو أحرص شىء على هذا وأكثر المولودين من أقطاعه وجنده ، كما قال تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الإسراء : 64] .وقال: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ [سبأ: 20] فكان المولود بصدد هذا الارتهان، فشرع الله سبحانه للوالدين أن يفكاه بذبح يكون فداه، فإذا لم يذبح عنه بقى مُرْتهنًا به» .

ويبقى السؤال : ما هى الحكمة فى تخصيص اليوم السابع؟

فيجيب الشيخ الدهلوى ـ رحمه الله :

وأما تخصيص اليوم السابع فلأنه :

«لا بد من فصل بين الولادة والعقيقة، فإن أهله مشغولون بإصلاح الوالدة، والولد فى أول الأمر، فلا يكلفون حينئذ بما يضاعف شغلهم، وأيضًا فرب إنسان لا يجد شاة إلا بسعى، ولو كانت فى أول يوم؛ لضاق الأمر عليهم، والسبعة الأيام مدة صالحة للفصل المعتد به غير الكثير .

وأما إماطة الأذى فللتشبه بالحاج، وقد ذكرنا .

وأما التسمية فلأن الطفل قبل ذلك لا يحتاج أن يسمى»[1] .

«ولا تجوز العقيقة من مال المولود؛ لأن العقيقة تبرع، فإن فعل ذلك الولى ضمن، كما نقله النووى فى المجموع»[2] .

---

(1) حجة الله البالغة (2/ 144) .

(2) شرح المحتاج (4/ 293) .

4 – ختان الطفل[1] :

تعريفه : لغة : قطع القلفة، أى : الجلدة التى على رأس الذَّكر .

وأما اصطلاحًا : هو الحرف المستدير على أسفل الحشفة، أى : موضع القطع من الذَّكَر، وهو الذى تترتب عليه الأحكام الشرعية، كما روى الإمام أحمد والترمذى والنسائى عن النبى ﷺ : «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل»[2] .

ما ورد فى الحض على الختان :

روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ : «من الفطرة : المضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، والاستحداد[3]، والاختتان» .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :«الفطرة خمس : الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط» .

وروى أحمد عن شداد بن أوس ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : «الختان سنة للرجال، مكرمة للنساء»[4] .

وهكذا نجد اهتمام الإسلام وحرصه على ختن الصبى[5] والبنت . وذلك يبدأ بعد اليوم السابع، وذلك لما رواه البيهقى عن جابر ﷺ أنه قال : «عقّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين، وختنهما لسبعة أيام» .

وقال ابن جزىّ : «ويكره الختان يوم الولادة، ويوم السابع، لأنه من فعل اليهود» .

---

(3) انظر : البخارى ، كتاب (77) باب (63) وكتاب (79) باب (51) ومسلماً، كتاب (2ح49، 50) وأبا داود كتاب (32) باب (16) والترمذى كتاب (41) باب (14) والنسائى كتاب (8) باب (1، 75) ومسند أحمد (2/ 229 – 239 – 283 – 140 – 489 ، 4/ 264) .

(1) صحيح : انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1261) .

(2) الاستحداد : حلق الشعر الذى يخرج حول الفرج .

(3) قال ابن جزىّ : سنة مؤكدة عند مالك وأبى حنيفة، وقال الشافعى : فرض .

انظر : القوانين الفقهية لابن جزى .

(4) قال ابن جزى : يختن الرجال الصبيان ، ويخفض النساء الجوارى .

وأول من اختتن هو سيدنا إبراهيم عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة؛ وذلك ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه: «أن إبراهيم عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة»، وفى رواية : «أنه أول من أضاف الضيف وأول من لبس السراويل، وأول من اختتن» .

واستمر الختان بعده فى الرسل وأتباعهم،حتى بعثة الرسول ﷺ، وإن الختان هو سنة الأنبياء والمرسلين تقتدى بهم البشرية لتحظى بالاتباع السليم .

فقد روى الترمذى والإمام أحمد عن أبى أيوب قال : قال رسول الله ﷺ : «أربع من سنن المرسلين : الختان، والتعطر، والسواك، والنكاح» .

وروى البخارى عن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس ـ رضى الله عنهما : مثل من أنت، حين قُبض رسول الله ﷺ؟ قال : «أنا يومئذ مختون، وكانوا لا يختنون الرجل حتى يُدرك» .

وفى رواية الحاكم فى مستدركه (3/ 534) : «توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة وقد ختنت» .

ويستحب الدعوة لطعام الختان، وهو «الإعذار» ولا يفعل ذلك فى خفاض النساء للستر[1] .

«ومن آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين فى أمر الختان : ما أورده ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 776) باب الختان ، نقتطف منه بعض الآثار :

عن نافع قال : كان ابن عمر يُطعم على الختان .

وعن سعيد بن عبد العزيز : أن مكحولاً قال لنافع : كان ابن عمر يُجيب دعوة صاحب الختان إلى طعامه؟ قال : نعم .

وعن القاسم قال : أرسلتْ إلىّ عائشة ـ رضى الله عنها ـ بمائة درهم، فقالت : أطعم بها على ختان ابنك .

وعن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه ختن بنيه، فأرسلنى، فجئتُهُ بِلعَّابين فلعبوا، وأعطاهم أربعة دراهم .

وعن عياض بن محمد الرقىّ قال : سألت عبد الله بن يزيد : هل رأيت واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؟ قال : نعم، كان فى ختان ابنه حين صنع طعامًا، ودعا الناس إليه، وكان

---

[1] انظر : القوانين الفقهية لابن جزى (ص 214) .

مؤتزرًا بسبتة غليظة، مع صراحيَّتان، فيهما طلاء على الثلث، يسقيه الناس، ويقول : اشربوا بارك الله فيكم .

وقد درج السلف والخلف على إشهار هذه السنة المباركة والاحتفاء بها، وكانوا يتوسعون فى ذلك حتى يضربوا على الدفوف، فعن محمد بن سيرين قال : إن عمر رضي الله عنه كان إذا سمع صوت دُفّ أنكر ، فقالوا : عرس، أو ختان، سكت[1] .

ومن شدة حرص الإسلام على الختان أنه إذا أسلم رجل، ولم يكن مختونًا، وجب عليه الختان، بالإضافة إلى الغسل، وذلك لما رواه أحمد وأبو داود عن عثيم ابن كليب، عن أبيه، عن جده، أنه جاء إلى النبى ﷺ فقال : قد أسلمت قال : «ألق[2] عنك شعر الكفر، واختتن» .

وروى حرب فى مسائله عن الزهرى أن رسول الله ﷺ قال : «من أسلم فليختتن، وإن كان كبيرًا» .

ومن شدة الاهتمام كذلك أنه لا تُقبل صلاة للأقلف ـ غير المختون ـ فقد روى وكيع عن سالم، عن عمرو بن هرم، عن جابر، عن يزيد، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : «الأقلف لا تُقبل له صلاة ، ولا تؤكل ذبيحته» .

ومن شدة الاهتمام كذلك ما قاله ابن قتيبة[3] فى قوله تعالى : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةً ﴾ [البقرة : 138] يريد : الختان، فسماه صبغة؛ لأن النصارى كانوا يَصْبُغُون أولادهم فى ماء، ويقولون : هذا طهرة لهم، كالختان للحُنفاء، فقال الله تعالى : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ ﴾ أى : الزموا صبغة الله، لا صبغة النصارى أولادهم، وأراد بها ملة إبراهيم عليه السلام .

ومن اللطائف الفقهية فى أمر الختان ما ذكره الخطابى : «أما الختان ـ وإن كان مذكورًا فى جملة السنن ـ فإنه عند كثير من العلماء على الوجوب، وذلك أنه شعار الدين، وبه يعرف المسلم من الكافر، إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين،

---

(1) انظر : كتاب العيال (2/ 785) تعليقة د . نجم خلف محقق الكتاب، وعزا الأثر إلى كتاب (مناقب عمر) لابن الجوزى (ص 179) .

(2) أى : احلق شعر رأسك .

(3) تأويل مشكل القرآن (ص 149) .

صُلى عليه، ودفن فى مقابر المسلمين»[1] .

وفى الآونة الأخيرة عقدت مؤتمرات عالمية للنساء، تطاولت فيه على أحكام ختن النساء عند المسلمين، وهذا التطاول نابع من جهلهن بأحكام الشرع، ومن جهل بعض المسلمين بأحكام ختان البنت وطريقته . ولهذا وجب توضيح الأمر للجميع .

إن ختان البنت يتدرج حكمه من الاستحباب إلى الوجوب، حسب الآراء الفقهية، وذلك حسب البلاد الحارة أم الباردة، أو حسب ظهور حجم القطعة التى ستقطع؛ حيث يكون ختان الأنثى بقطع ما يطلق عليه الاسم من الجلدة التى كعرف الديك، فوق مخرج البول، والسنة فيه ألا تقطع كلها بل جُزْء منها[2] : وذلك لحديث أم عطية ـ رضى الله عنها ـ أن امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبى ﷺ : «لا تنهكى؛ فإن ذلك أحظى للمرأة، وأحب إلى البعل» رواه أبو داود[3] .

فقد أظهر النبى ﷺ علة ختان البنت وكيفية مقداره فقوله ﷺ : «لا تنهكى» يدعوها لعدم الأخذ الكامل وإنما شيئًا قليلاً، وهذا الشىء القليل لمن كان فى جوّ المدينة المنورة الحارة، فلو كان فى المناطق الباردة فقد لا تحتاج إلى الأخذ والقطع، ولا يجوز فى أى حال من الأحوال الأخذ الكثير الذى يُذهب بالبنت بحيث لا تعود تحس بالجنس .

فالموضوع نسبى حسب البلاد وحسب حجم القطعة اللحمية، وأن الهدف منه (أحظى للمرأة، وأحب للبعل) وليس أمرًا آخرًا ـ والله أعلم .

ثالثًا : عمل يوم الأربعين للنفساء :

وتطهر النفساء بعد مرور أربعين يومًا من ولادتها، فتغتسل وتتطيب، وكانت نساء الصحابة يساعدن النفساء على التطيب والادهان بالوَرْس :

روى أحمد وأبو داود والترمذى والدارقطنى والحاكم والبيهقى[4] عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ زوج النبى ﷺ ـ قالت : كانت النُّفَسَاءُ تقْعد بعد نفاسها أربعين يومًا، وكانت إحدانا تطلى الورس على وجهها من الكلف» .

---

(1) انظر : تربية الأولاد فى الإسلام .

(2) المجموع للنووى (1/ 302)، والبناية على الهداية (1/ 273) .

(3) انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية (19/ 28) .

(1) انظر : زاد المعاد (4/ 402 ـ 403) مع هامش التحقيق .

قال أبو حنيفة اللغوى : الورس يُزرع زرعًا، وليس ببر ، ولستُ أعرفه بغير أرض العرب، ولا من أرض العرب بغير بلاد اليمن . وقال ابن القيم ـ رحمه الله : وقوته فى الحرارة واليبوسة فى أول الدرجة الثانية، وأجوده الأحمر، اللين فى اليد، القليل النخالة، ينفع من الكلف؛ والحكة، والبثور الكائنة فى سطح البدن إذا طُلى به، وله قوة قابضة صابغةٌ، وإذا شُرُب نفع من الوَضح، ومقدارُ الشربة منه وزنُ الدرهم».

رابعًا : الرضاعة إلى الحولين والفطام[1] :

إن الإسلام حين ربط الرجل والمرأة برباط الزوجية، وجمعهما فى مستقر واحد هو الأسرة، حمّل كلا منهما المسؤولية؛ لتكوين اللبنة الصالحة، فى بناء المجتمع الصالح، وجعل لكل من الزوجين واجبات وحقوقًا، فعلى الزوج الإنفاق، وعلى الزوجة الإرضاع، إرضاع طفلها المولود، الذى هو بحاجة إلى أن تتلمس يداه صدر أمه؛ ليجد المتعة النفسية، والراحة العاطفية، ويتغذى لبن أمه مع الحنان الدافق، ويمصّ حليب أمه من ثدييها، اللذين هيأهما الخالق جل وعلا لذلك، وهيأ المعمل الذى يولد الحليب فى صدر الأم؛ فقيرة كانت أو غنية، وذلك للحفاظ على نشأة الطفل الصغير؛ والمولود الجديد؛ فى هذا العالم الغريب .

وإن رسول الله ﷺ قد رضع رضاعة طبيعية من مرضعاته، كما أنه ﷺ كان يسترضع لأولاده، وكانت زوجته خديجة ـ رضى الله عنها ـ تُعِدُّ ذلك قبل ولادها، كما ذكره ابن سعد (1/ 133) عن ابن إسحاق .

وفى تاريخ دمشق لابن عساكر ق1/ 105 : كانت خديجة ـ رضى الله عنها ـ إذا ولدت ولدًا دفعتُه إلى من يُرضعه، فلما ولدت فاطمة لم يرضعها أحدٌ غيرها [2] .

لقد كانت عادة العرب الإرضاع، بل إنها عادة الإنسانية جميعًا من قبل، فأخبر القرآن عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾ [القصص : 12] ونشأ رسول الله ﷺ على الإرضاع، فأرضعته حليمة السعدية، فأصبحت بذلك أمه من الرضاع، وجعل الله تعالى لهذا الإرضاع أحكامًا شرعية، فمنها : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ

---

(2) يكفى أن تعلم أنه يوجد فى الكتب التسعة (381) واحد وثمانون وثلاثمائة حديث عن الرضاعة، لما لها من أهمية ، فذكرت أهم أبوابها ، وبالله التوفيق .

(1) انظر : الجامع فى السيرة النبوية (1/ 207) .

وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء : 23] . وقولهﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» رواه مسلم .

ولم يعرف الحليب والإرضاع الاصطناعيان إلا فى هذا العصر، الذى ما لبث أن عاد ينادى، وبصراخ شديد للعودة إلى الإرضاع الطبيعى . والمسلم الملتزم بالشرع الإسلامى لم يكن فى حاجة إلى التنقل من الإرضاع الطبيعى إلى الاصطناعى، ثم الطبيعى، فهو يستقى من منهج الله تعالى، ويسير عليه، حتى جاء الخطاب القرآنى إلى الأم يدعوها بالاهتمام برضاعة طفلها من صدرها، فى أحلك الظروف الصعاب على الرغم من سوء العلاقة مع زوجها، وحتى بعد طلاقها من زوجها . إنه الاهتمام بالطفل، والتشريع الربانى للطفل، والعدل الإلهى فى حق هذا الطفل : ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ [البقرة : 233] .

ذكر البخارى ـ كتاب النفقات ـ عن الزهرى قال : نهى الله أن تُضارَّ والدةٌ بولدها، وذلك أن تقول الوالدةُ : لستُ مُرضعته، وهى أمثل له غذاء، وأشفق عليه، وأرفق به من غيرها، فليس لها أن تأبى بعد أن يعطيها من نفسه، ما جعل الله عليه، وليس للمولود له أن يُضار بولده، والدته فيمنعها أن ترضعه ضرارًا لها إلى غيرها، فلا جناح أن يسترضعا، عن طيب نفس الوالد والوالدة» . انتهى .

وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ۝٦﴾ [الطلاق : 6] .

«إن على الوالدة المطلقة واجبًا تجاه طفلها الرضيع، واجبًا يفرضه الله عليها، ولا يتركها فيه لفطرتها، التى قد تفسدها الخلافات الزوجية، فيقع الغرم على هذا الصغير . إذًا يكفله الله ويفرض له فى عنق أمه الإرضاع ، وتأخذ من أبيه الأجر، فالله أولى بالناس من أنفسهم، وأبرّ منهم، وأرحم من والديهم، والله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين؛ لأنه ـ سبحانه ـ يعلم أن هذه الفترة هى المثلى من جميع الوجوه : الصحية، والنفسية للطفل.

(لمن أراد أن يتم الرضاعة) : وتثبت البحوث الصحية والنفسية اليوم أن فترة عامين ضرورية؛ لينمو الطفل نموًا سليمًا، من الوجهتين الصحية والنفسية، ولكن

نعمة الله على الجماعة المسلمة لا تتركهم، حتى يعلموا هذا من تجاربهم ، فالرصيد الإنسانى من ذخيرة الطفولة؛ لم يكن ليترك يأكله الجهل، كل هذا الأمد الطويل، والله رحيم بعباده، وبخاصة بهؤلاء الصغار الضعاف، المحتاجين للعطف والرعاية[1] .

ولم يكتف الإسلام أن يحافظ على رضاعة الطفل بعد طلاق أبويه، بل تعدى ذلك بأن أخّر إقامة الحد على أمه الزانية، وذلك حتى تنتهى رضاعته من ثدى أمه، إنها الرحمة بالطفل، والحرص عليه، أن ينشأ قوى الجسم، صحيحًا غير سقيم :

روى الإمام أحمد فى مسنده (5/ 348) قصة المرأة الغامدية التى زنت، فقال لها النبى ﷺ : «ارجعى حتى تلدى»، فلما ولدت جاءت بالصبى تحمله، فقالت : يا نبى الله، هذا قد ولدت، قال : «فاذهبى، فأرضعيه حتى تفطميه»، فلما فطمته جاءت بالصبى، فى يده كسرة خبز، قالت : يا نبى الله، هذا قد فطمته، فأمر النبى ﷺ بالصبى فدفع إلى رجل من المسلمين، وأمر بها، فحفر لها حفرة .. وذكر حديث الرجم .

وأكد الطبيب البارع ابن سينا على أهمية الرضاعة الطبيعية بقول: «إنه يجب أن يرضع ما أمكن من لبن أمه، فإن فى إلقامه ثدى أمه عظيم النفع جدًا فى دفع ما يؤذيه»

أما الطبيب البلدى فقال : «فالأخلق بلبن الأم أن يكون أوفق الألبان كلها لسائر الأطفال، إن لم يكن لها علة، أو سبب يفسد اللبن»[2] .

ويضيف أن الإرضاع فيه : «سلامة الأم والطفل، ونفع له ولها، وحفظ لصحتها وصحته» .

وهنا نجد أن الطبيب البلدى قد سبق أطباء اليوم؛ فى إثبات الرضاعة من ثدى الأم، حيث يقيها عددًا من الأمراض منها سرطان الثدى .

---

(1) الظلال (2/ 371) (ط 4) .

(1) تدبير الحبالى والأطفال والصبيان : تأليف أحمد بن محمد بن يحيى البلدى، تحقيق : الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، وزارة الثقافة العراقية (ص 186) .

وإن عمر بن الخطاب ﷺ كان لا يفرض [1] لمولود حتى يُفطم، فتراجع عن ذلك، وفرض له من حين ولادته، حتى تطول فترة الإرضاع ، فبينما هو يطوف ذات ليلة بالمصلى، بكى صبى، فقال لأمه : أرضعيه، فقالت : إن أمير المؤمنين لا يفرض لمولود حتى يفطم، وإنى فطمته، فقال عمر : إنْ كدتُ لأن أقتله؛ أرضعيه، فإن أمير المؤمنين سوف يفرض له، ثم فرض بعد ذلك للمولود حين يولد [2] . وبذلك تحقق وعد الله تعالى : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء : 13] من اللحظة الأولى .

وللرضاعة من ثدى الأم مزايا عديدة ومتنوعة :

إن الطفل تكوَّن من غذاء أمه وهو جنين، فهو يتابع غذاءه بحليب أمه وهو رضيع، فالحليب الطبيعى هو امتداد لتكوينه، وهذا من أقوى الأسباب للرضاعة الطبيعية . وهناك حكم ذكرها بعض الأطباء منها :

1 ـ فالطفل يرضع لبنًا نظيفًا معقمًا .

2 ـ ليس باردًا، ولا حارًا .

3 ـ متوافرًا فى كل الأوقات .

4 ـ لا يفسد بالتخزين .

5 ـ لا يتناسب مع معدة الرضيع .

6 ـ يفى باحتياجات الطفل الرضيع .

7 ـ يُضفى على الطفل مناعة خاصة ضد الجراثيم .

8 ـ الرضاعة المباشرة من ثدى الأم تمنع حدوث البدانة فى الأطفال، وفى الأمهات[3].

---

(2) فى عصرنا يسمى علاوة ، أى : زيادة الراتب الشهرى للموظف الحكومى، عندما يرزق بمولود، إلا أن عمر ﷺ كان يفرض مالاً لوالده سواء كان موظفًا حكوميًا، أو غير حكومى، وهذا سبق حضارى لعمر ﷺ .

(1) مصنف عبد الرزاق (5/ 311) .

(2) ومن فوائده أيضًا : يعود الرحم إلى وضعه وحجمه الطبيعى بسرعة أثناء الرضاعة، ولولا ذلك لأصيبت الرحم بسرعة بالإنتان وحمى النفاس، والإرضاع المتواصل من الثدى هو أحد العوامل الطبيعية لمنع الحمل . عن كتيب (أمومة وطفولة فى السنة الأولى)، ويسمى أيضًا (كتاب باونتى للعناية بالطفل) ط 12 .تأليف عدة أطباء بريطانيين .

9 ـ والرضاعة من ثدى الأم تنمى الحنان، وتقوى الرابطة العاطفية بين الأم ووليدها[1] .

وعملية الرضاعة عندما تصاحبها النية الحسنة، وطلب مرضاة الله، فإنها تؤتى أكلها كل حين بإذن الله، ولهذا روى أن عمرو بن عبد الله قال لامرأته التى ترضع ابنًا لها : «لا يكونن رضاعك لولدك، كرضاع البهيمة ولدها، قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم، ولكن أرضعيه، تتوخين ابتغاء ثواب الله، وأن يحيا برضاعك خلق، عسى أن يوحد الله، ويعبده»[2] .

وحليب الرضاعة له تأثير روحى ونفسى على الطفل؛ لذا ورد فى القرآن عن طفولة سيدنا موسى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾ [القصص : 12] فكان تأييد الله تعالى لنبيه وهو صغير أن يُرجعه لترضعه أمه .

أما نبينا محمد ﷺ فقد اختار له طفولة البادية، ورضاعة حليمة السعدية؛ لينشأ عوده قويًا صلبًا، ويستنشق الهواء العليل فى البادية، وليكون فى رعاية الله منذ اللحظة الأولى من حياته، وحتى لا يكون لأحد عليه منّة حتى حليمة، فإن بركاته زادت عليها[3] .

وقد كان السلف الصالح يوصون الآباء والأمهات باختيار المرضعات الصالحات، وذلك لتأثير حليب المرضع صلاحًا وطلاحًا على نفس الطفل .

والسعيد من يحظى بالمرضعة الصالحة، فإن كانت الأم صالحة فقد ازداد الكمال، والهناء للطفل، فإن كانت حافظة لكتاب الله أو لسور وأجزاء منه فترضعه الحليب وهى ترتل القرآن ، أو تذكر الله تعالى ، أو تصلى على النبى ﷺ، وتستحضر نية صالحة فى إرضاعه؛ ليكون فى المستقبل وفيًا، صادقًا، محبًا، مخلصًا لله، ولرسوله، وللمؤمنين

أخرج أبو نعيم فى الحلية (2/ 147) وأسنده قال : كان الحسن (البصرى) ابنًا لجارية أم سلمة زوج النبى ﷺ، فبعثت أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ جاريتها فى

---

(1) مقال (اهتمام الإسلام بتغذية الطفل) للدكتوى فاروق مساهل، مجلة الأمة القطرية، عدد (50/ 1405) .

(2) نصيحة الملوك للماوردى (ص 166) .

(3) سيأتى بيان ذلك فى الفصل الثالث ـ المبحث الثانى .

حاجتها، فبكى الحسن بكاءً شديدًا، فرقَّت عليه أم سلمة ﷺ فأخذته، فوضعته فى حجرها، فألقمته ثديها؛ فدرَّ عليه، فشرب منه، فكان يقال : إن المبلغ الذى بلغه الحسن من الحكمة؛ من ذلك اللبن الذى شربه من أم سلمة زوج النبى ﷺ .

وكان الأعمش يقول : ما زال الحسن البصرى يعى الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر عند أبى جعفر محمد بن على بن الحسين قال : ذاك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء .

ومن فوائد الرضاع الطبيعى العظيمة الخالدة : توسيع باب الرحمة على المرأة التى لا تنجب لأى سبب كان ، فترضع أختها بعض الأطفال، فتصبح خالتهم من الرضاع، فيضفون عليها حيوية الأولاد ، ويدخلون عليها فى كبرهم لمساعدتها، إذ القاعدة النبوية قوله ﷺ : «يحرُم من الرضاع ما يحرُم من النسب» . رواه مالك وغيره .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ كان يدخل عليها من أرضعته أخواتُها وبناتُ أخيها، ولا يدخل عليها من أرضعه نساءُ إخوتها . رواه مالك .

روى البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن أفلح أخا القُعيس جاء يستأذن عليها، وهو عمها من الرضاعة، بعد أن نزل الحجاب، فأبيت أن آذن له، فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته بالذى صنعت، فأمرنى أن آذن له . ورواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود ومالك .

وقد اعتبر النبى ﷺ شهادة المرضعة كافية لإثبات الرضاعة، وتطبيق أحكامها من حرمة زواج الأخ بأخته من الرضاعة : روى البخارى ـ كتاب الشهادات ـ عن عُقبة بن الحارث أنه تزوج ابنةً لأبى إهَاب بن عزيز، فأتتهُ امرأةٌ، فقالت : قد أرضعت عقبة، والتى تزوج، فقال لها عقبة : ما أعلم أنك أرضعتنى، ولا أخبرتنى، فأرسل إلى آل أبى إهاب يسألهم، فقالوا : ما علمنا أرضعت صاحبتنا، فركب إلى النبى ﷺ بالمدينة، فسأله، فقال رسول اللهﷺ : «كيف وقد قيل؟! » ففارقها، ونكحت زوجًا غيره .

تلك عظمة الإسلام التشريعية : أنه دين الطهارة والعفة، والمحافظة على النسب، وهذا لا يوجد إلا عند المسلمين فقط، وفى ذلك عبرة لأولى الألباب من الأمم .

وعند عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ كان يقول : لا رضاعة إلا لمن أرضع فى الصغر، ولا رضاعة لكبير .

وقال سعيد بن المسيب : لا رضاعة إلا ما كان فى المهد، وإلا ما أنبت اللحم

والدم . رواهما مالك .

وقد قال الحنفية والمالكية : بالرضاعة الواحدة ما دامت الرضعة فى فترة الحولين .

ومن عجائب الاهتمام برضاعة الطفل : أن يجيز بعض الفقهاء الإرضاع والأم فى الصلاة ساترة ثديها، حتى لا تتوقف الوجبة الغذائية لهذا الصغير، وحتى لا تكون فريضة عبادة الصلاة عائقًا فى قطع رضاعة الصغير الواجبة، إنه اجتهاد وجيه .

قال ابن المنذر فى كتابه (الأوسط) (3/ 278) : «واختلفوا فى المرأة ترضع صبيها وهى تصلى، فقال الأوزاعى مرة : قطعت صلاتها، وقال مرة : إن كان من ضرورة فلا بأس به، وقال أبو ثور : إن لم ينكشف ثديها، فصلاتها تامة» .

ومن الأمور المكروهة أثناء الإرضاع : حمل المرأة وهى مرضع، فتفسد لبنها بحملها، وبالتالى يُحرم الطفل الرضيع من الإرضاع الطبيعى، وهذا ما حذر منه ﷺ، فعن ابن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يكره عشر خلال، وذكر منها «... وفساد الصبى» . أخرجه أبو داود والنسائى . وفساد الصبى : هو المسمى بالغيلة، وهو حمل المرأة المرضع، فيفسد لبنها .

وبعد انتهاء مُدة الرضاع لابد من الفطام بالتدريج، شيئًا فشيئًا، ورويدًا رويدًا لينتقل الطفل إلى الطعام، وهنا لابد من حزم فى رحمة، وجزم فى عطف، وصبر فى تؤدة، فالطفل سيصيح ويبكى ويتمرد، فكل ذلك يحتاج إلى صدر حليم، ونفس واسعة، ورفق وأناة .

دخل الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى يومًا داره، فسمع بكاء ولد له رضيع، فقال : ما له ؟! فقالوا : فطمناه ، فكتب على مهده :

منعوه أحب شىء إليه ... من جميع الورى ومن والديه
منعوه غذاءه ولقد كان ... مباحًا له وبين يديه
عجبًا منه ذا على صغر السن ... هوى فاهتدى الفراق إليه[1]

---

(1) انظر : مقدمة (المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق) للحافظ الخرائطى، تحقيق : محمد مطيع الحافظ .

خامسًا : حكم بول الطفل الرضيع، وكيفية تطهيره :

روى الإمام مسلم فى صحيحه عددًا من الأحاديث النبوية فى كيفية غسل بول الطفل الرضيع، فأورد :

1 ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ كان يؤتى بالصبيان، فيبرك عليهم، ويحنكهم، فأتى بصبى فبال عليه، فدعا بماء ، فأتبعه بوله، [1] ولم يغسله .

2 ـ وفى رواية لها أيضًا قالت : أُتى رسول الله ﷺ بصبى يرضع، فبال فى حجره، فدعا بماء فصبه عليه .

3 ـ وعن أم قيس بنت محصن أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها، لم يأكل الطعام، فوضعته فى حجره، فقال : فلم يزد على أن نضح بالماء . وفى رواية : فدعا رسول الله ﷺ بماء فنضحه على ثوبه، ولم يغسله غسلاً .

فذهب الشافعى إلى النضح، والحنفية والمالكية إلى الغسل، وأما كون بول الصبى نجسًا، فهذا مجمع عليه، كما نقل النووى ـ رحمه الله [2] .

وعن أم الفضل (لبابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب وأخت ميمونة زوج النبى ﷺ) قالت : رأيت كأن فى بيتى طيفًا من رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك ، فقال : « خيرٌ إن شاء الله، تلد فاطمة غلامًا تكفلينه بلبن ابنك قثم» قالت : فولد حسنًا، فأعطانى فأرضعته، ثم جئت به فأجلسته فى حجره؛ فبال عليه، فضربت بيدى على كتفيه، فقال : «ارفقى! أصلحك الله ـ أو رحمك الله ـ أوجعت ابنى» . قالت : فقلت : اخلع إزارك، والبس ثوبًا غيره حتى أغسله، قال : «إنما يغسل بول الجارية، وينضح بول الغلام» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 874) وقال محققه : إسناده حسن، ورواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وابن خزيمة والطبرانى والحاكم، وصححه، وأقره الذهبى، والبيهقى .

وعن على ﷺ عن النبى ﷺ قال : «يرش بول الغلام، ويغسل بول الجارية» . قال

---

(2) وفى رواية البخارى : فبال على ثوبه فدعا بماء ، فأتبعه إياه.

(1) شرح صحيح مسلم ، باب : حكم بول الطفل الرضيع ، وكيفية غسله .

قتادة : فيهما جميعًا ما لم يأكلا الطعام، فإذا أكلا الطعام غسلا جميعًا . رواه ابن أبى الدنيا (2/ 876)، وقال محققه : حديث حسن .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : بال ابن الزبير على النبى ﷺ فأخذته أخذًا عنيفًا، فقال : «دعيه، فإنه لم يطعم الطعام، ولا يضر بوله» . رواه ابن أبى الدنيا (2/ 778)، وقال محققه : إسناد ضعيف .

وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال : كنت عند رسول الله ﷺ فجىء بالحسن، أو الحسين، فبال عليه، فأراد بعضُ القوم أن يتناوله، فقال : «ابنى! ابنى!»، فلما قضى بوله صبَّ عليه الماء . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 878)، وقال محققه : إسناده حسن .

سادسًا : جواز اصطحاب الأم رضيعها إلى المسجد :

يجوز للأم أن تحمل رضيعها للذهاب إلى المسجد؛ حتى تصلى فى جماعة، إذا رغبت، وأذن لها زوجها، ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ كان يخفف صلاته، ويسرع فيها؛ رأفة ورحمة بالصغير، مخافة أن تفتن أمه بالصلاة، وهى تسمع بكاءه، فروى عبد الرزاق فى مصنفه عن ابن جريج قال: أخبرنى عطاء أنه بلغه أن النبى ﷺ قال : «إنى لأخفف الصلاة؛ أسمع بكاء الصبى؛ خشية أن تفتن أمه» . وروى أنه ﷺ قرأ بالمعوذتين فى صلاة الفجر يومًا، لما فرغ قالوا : أوجزت! فقال ﷺ : «سمعت بكاء صبى فخشيت على أمه أن تفتن» . قال الكاسانى فى «البدائع» معلقًا : «دل أن الإمام ينبغى أن يراعى حال قومه، ولأن مراعاة حال القوم سبب لتكثير الجماعة، فكان ذلك مندوبًا إليه» .

وعن أنس بن مالك قال : «كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبى مع أمه، فيقرأ بالسورة القصيرة، أو الخفيفة». رواه ابن خزيمة فى صحيحه (3 / 50) قال المحقق مصطفى الأعظمى : ورواه مسلم .

وعنه أيضًا : أن النبى ﷺ قال : «إنى لأدخل فى الصلاة، فأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبى، فأتجوز فى صلاتى، مما أعلم من وجد أمه، من بكائه» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (3 / 50) ورواه البخارى ومسلم .

وفى رواية لأحمد (3 / 188) عن أنس ﷺ قال : سمع النبى ﷺ نداء صبى وهو فى الصلاة؛ فخفف، فظننا إنما فعل ذلك رحمة للصبى، إذ علم أن أمه معه فى الصلاة» .

بل إن رسول الله ﷺ ليحمل الطفل الصغير فى الصلاة المكتوبة : قال ابن المنذر

فى كتابه (الأوسط) (3 / 277) : «وللمرء أن يحمل الصبى فى الصلاة المكتوبة والتطوع . ثبت أن نبى الله ﷺ حمل أمامة ابنة أبى العاص فى الصلاة، ثم روى بسنده عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ صلى بهم، وعلى عنقه أمامة ابنة أبى العاص، فإذا ركع وضعها، وإذا قام حملها»[1] . وبهذا قال الشافعى، وأبو ثور .

فالطفل الرضيع بحاجة إلى لمسة حانية، وذراع يحمله؛ ليتحسس والديه وأجداده، فهو يتعرف على العالم الخارجى، ولم يمنع الرسول ﷺ أن يحمله وهو فى الصلاة . فأى اهتمام عظيم يبلغ مثل الاهتمام النبوى بالطفل؟! وأىّ عظمة فى القدوة الصالحة أعظم من الاقتداء بالرسول ﷺ فى حمل الطفل فى الصلاة؟!

وهكذا تمتزج العبادة بالعبادة بلا انفصال فى المنهج النبوى، عبادة الصلاة، وعبادة المودة والرحمة بالصغير، وهكذا يتعلم الأعراب الغلاظ فى الصحراء من رسول الإنسانية معانى اللطف بالصغير، والرحمة به، والمؤانسة لمشاعره .

سابعًا : كراهية اصطحاب الطفل إلى المسجد فى مرحلة عدم تعوّده ضبط التبول والتبرز :

فى هذه المرحلة حيث لا يستطيع الطفل قضاء حاجته بنفسه، ولا أن يذهب إلى الحمام لقضاء حاجته، ولا يستطيع أن يعبر لأحد والديه بحاجته للخلاء؛ فإنه لا يؤخذ إلى المسجد، بل إن رسول الله ﷺ نهى الآباء والأمهات أن يأخذوا الطفل فى هذه المرحلة إلى المسجد .

روى ابن ماجه وعبد الرزاق فى مصنفه عن واثلة بن الأسقع أن النبى ﷺ قال : «جنبوا مساجدكم : صبيانكم ... » الحديث وسنده ضعيف .

فإذا اضطر أحد الوالدين لدخول المسجد والصلاة فيه، فإن الأفضل والأحسن، والأهنأ لهما وللطفل، أن يُعرض الطفل على بيت الخلاء فى المسجد (الحمام) ليفرغ مخزونه من البول والغائط، فإن ذلك حيطة له من أن يستعجل عليه البول والغائط داخل المسجد، كما أنه راحة واطمئنان للوالدين ـ والله أعلم .

ثامنًا : حق الحضانة للأم :

«إن تربية النشء، والعناية بهم فى حال الصغر، هو ما يعرف فى الفقه بالحضانة، فإن النساء عليه أقدر من الرجال، لما فُطرن عليه من مزيد العطف والحنان والصبر؛ ولهذا قُدم النساء فيه على الرجال، فكانت الأم مقدمة فيه على الأب ومن وراءه؛

---

[1] قال محقق كتاب الأوسط د . صغير حنيف : أخرجه مسلم، وابن خزيمة .

والجدة مقدمة فيه على الأب والجد ومن وراءهما من الرجال» [1].

روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة قالت : يا رسول الله، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء، وثديى له سقاء، وحجرى لـه حـواء، وإن أباه طلقنى، وأراد أن ينزعه منى، فقال : «أنت أحق به، ما لم تنكحى» .

تاسعًا : حق الولاية للأب « ولى أمر الطفل »[2] :

«إن أمور رعاية الأولاد، والإشراف عليهم، وإدارة مـالهم وتـأديبهم، وتـوجيههم إلى حرفة، وتعليمهم، وكذلك أمور القضاء، وإقامة الحدود، وهو ما يعرف فى الفقه بـ : «الولاية» فإن الرجال عليها أقدر من النساء، لما فُطروا عليه من القوة والشدة والثبـات، ولهذا قُدم الرجال فيه على النساء، وحكمٌ لا حق للنساء فيه، مع غناء الرجال» .

وبذلك ظهرت عدالة الإسلام تجاه الطفل الصغير الـذى انفصـل والـداه عـن بعضهما، حيث نظر الإسلام إلى مصلحة الصغير أين هى، فيكون مع الأم أو الأب، فحتى السابعة للصبيان، والتاسعة للبنات يكون مع الأم؛ لأنـه بحاجـة إلى الرعايـة البيتية، والعناية الأمومية، والحب والعطف والحنان، حتى إذا خرج من البيت، وبدأ يغدو إلى المدرسة، فإنه بحاجة إلى ولاية أمام الآخـرين، فيحتـاج الطفـل إلى رجـل، أى : إلى معونة أبيه أكثر من معونة أمه، ولعل كذلك من الحكم فى تقسـيم الإسـلام لتلك المسؤولية أن يشعر الزوجان المطلقان ضرورة الرجـوع لبعضـهما، بـأن يكـون أطفالهم رسل حب يتأجج، وحث القلوب المتنافرة إلى التقارب، وعـلى كـل حـال : فالتشريع الإلهى لا يحابى أمًا وأبًا .

عاشرًا: بكاءالطفل وأسبابه :

1 ـ بكاء الطفل عبادة :

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ رفعه : «بكاء الصـبى إلى شـهرين شـهادة أن لا إله إلا الله، وإلى أربعة أشهر الثقـة بـالله، وإلى ثمانيـة أشـهر الصـلاة عـلى النبـى ﷺ، ولسنتين استغفار لوالديه، وإذا استسقى أنبع الله له من ضرع أمـه عينًـا مـن الجنـة، فيشرب، فيجزئه من الطعام والشراب» أخرجه الديلمى بسند ضعيف .

وفى لفظ لغيره : «لا تضربوا أطفالكم على بكائهم سنة، فإن أربعـة أشـهر منهـا

---

[1] انظر الموضوع ملخصًا ومرتبًا بشكل فقهى فى كتاب (أحكام المرأة فى الفقه الإسلامى) للدكتور أحمد الحجى الكردى (ص 149، 150) .

[2] المصدر السابق .

يشهد أن لا إله إلا الله، وأربعة أشهر يصلّي عليَّ، وأربعة أشهر يدعو لوالديه، وفى آخر بكاء الصبى فى المهد أربعة أشهر توحيد، وأربعة أشهر صلاة على نبيكم، وأربعة أشهر استغفار لوالديه »[1] .

2 – بكاء الطفل من مرض ، أو وجع ، أو من عين حاسدة :

روى الإمام مالك فى الموطأ عن عروة بن الزبير ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة، وفى بيتها صبى يبكى، فذكروا أن به العين، فقال رسول الله ﷺ : «ألا تسترقون له من العين ؟!» .

3 – بكاء الطفل لاحتياجه الرضاعة :

عن أبى عمرو محمد بن مِهْزَم قال : كانت أم الحسن البصرى (واسمها خيرة، وهى مولاة أم سلمة زوج النبى ﷺ) تدخل على أم سلمة فتبعثها فى الحاجة، فيبكى الحسنُ ـ وهو صغير ـ فتُسْكتُه أم سلمة بثديها . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 412) .

4 – أجر من يُسكت الطفل الباكى :

عن سعيد بن المُسَيَّب قال : اليتيم إذا بكى اهتز له العرش، فيقول الله عز وجل : من أبكى اليتيم الذى غَيَّبْتُ أباه؟! قالوا : أنتَ العليم الحكيم .

قال : يا ملائكتى، من سكّته برضاه أعطيتُه من الجنة حتى رضاه . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 816) .

وعن أبى الدرداء قال : «اتقوا دمعةَ اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنهما يسيران بالليل والناسُ نيام» .

5 – المسارعة إلى الطفل عند بكائه :

روى ابن أبى شيبة فى مصنفه (12/ 99) عن يحيى بن أبى كثير : أن النبى ﷺ سمع بكاء الحسن والحسين، فقام فَزِعًا، فقال : «إن الولد فتنة، لقد قمتُ إليه وما أعقل» .

6 – بكاء الصغير تدريب لحباله الصوتية :

ولعل فى بكاء الصغير، وهو الطرى الندى فى كافة أعضائه، تدريب لحباله الصوتية حتى تقوى، وتنشيط لدورته الدموية، وإثبات منه لوجوده فى عالم الواقع،

---

[1] انظر : القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع، للحافظ السخاوى (ص 60) .

وذلك حتى إذا حصل له طارئ أو مفاجئ أو إزعاج داخلى تعلم من حوله ـ بفضل بكائه ـ السرعة نحوه، وذلك لإنقاذه من وضع مزعج بالنسبة إليه، أو ألم داخلى يعانيه، فالتدريب له فى أوقات الرخاء والراحة، حتى يستخدم تلك الحنجرة فى الأوقات الصعبة والخطرة . والله أعلم .

حادى عشر : تنقيز (ترقيص) الطفل ومداعبته بالأناشيد :

قام رسول الله ﷺ بترقيص سبطيه على صدره الشريف، وإسماعهم كلامًا بنغمات وقافية، فقد أخرج البخارى فى الأدب المفرد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمع أذناى هاتان، وبصر عيناى هاتان رسول الله ﷺ، أخذ بيديه جميعًا بكفَّى الحسن ـ أو الحسين ـ صلوات الله عليهما [1] ـ وقدميه على قدم رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يقول : «ارْقَه»، قال : فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ : «افتح فاك» ثم قَبّله، ثم قال : «اللهم أحبَّه فإنى أحبُّه» وزاد فى الإصابة :

«ارْقه حزقة حُزقَّه، ترقَّ عين بقَّه» وأخرج الطبرانى . فانظر إلى النشيد النبوى مع الطفل : حُزقه حزقه وتكرير المقطع ثم «ترقّ عين بقّه» .

وأما ترقيص النبى ﷺ وهو صغير، فلقد كانت أخته من الرضاعة الشيماء بنت الحارث واسمه حذافة، فكانت تحتضن النبى ﷺ مع أمها، وترقصه وتنشد :

يا ربنا أبق لنا محمدا

حتى أراه يافعًا وأمردا

ثم أراه سيدا مُسوَّدا

واكبت أعاديه والحُسَّدا[2]

فترقيص الطفل وإنشاده بالكلمات المحببة مطلب نبوى .

أورد ابن أبى الدنيا فى كتابه القيم النفيس (العيال1/ 431) فصلاً تحت

---

[1] اقتداء بالصلوات الإبراهيمية : (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد) رواه مسلم وغيره، فالمسلم فى كل صلاة يصلى على النبى ﷺ وآله .

[2] انظر : الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر 4/ 336، ط. دار الكتاب العربى .

عنوان : بابُ تنقيز الولدان، ومداعبتهم، فقال :

1 ـ عن عقبة بن الحارث قال : رأيت أبا بكر ﷺ يحمل الحسن بن علی ـ رضی الله عنهما ـ يقول :

بـــأبی شِـــبْهُ النبـــی لـــيس شـــبيهًا بعـــلی

وعلی ـ كرم الله وجهه ـ معه يتبسم .قال محققه : ورواه أحمد (1/ 8) .

2 ـ وعن عروة (بن الزبير بن العوام) قال : أذكر أبی، وفی ظهره شعرُهُ أتعلّق به .

3 ـ وعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال : كان أبی يُنقِّزنی، ويقول :

أبـيض مـن آل أبـی عتيـق مُبارَكٌ مـن ولـد الصـديق
ألـــــــذّهُ كمـــــــــ ـــــا ألـــذ ريقـــی

4 ـ وعن العباس بن هشام عن أبيه قال : كانت أم الفضل بـن عبـاس تُـرقص الفضل، وتقول :

ثكلتُ نفسی وثكلتُ بكـری إن لم يسُدْ قهرًا أو عين قهر
بالحســـــب العـــــ ـــز وبـــذل الـــوفر

5 ـ وعن الشعبی قال : كانت قريش تحب عثمان، حتی إن المرأة كانـت تُـرقص ابنها وتقول :

أحبـــك والـــرحمن حـــب قـــريش عـــثمان

6 ـ وعن أبي إسحاق قال : كان العباس يرقص قثماً يقول :

يـــا قُـــثم يـــا قُـــثم يـــا ذا الأنـــف الأشـــم
يـــــا شـــــبه ذی الكـــــــرم

7 ـ وعن معمر صاحب البنات، قال رأيت الحسن (البصرى) يُرقص ابنه ويقول :

يا رب لا تعجل به المنية حتى أرى قُبَّته مبنية
فيها فتاةٌ طفلة هنيّة ولادةُ الغلمان بربريّة

8 ـ وعن ابن أبى مليكة قال : كانت عائشة ـ رضى الله عنها ـ تُنقِّزُ الحسن بن على وتقول :

بأبى شِبه النبى ليس شُبْهًا بعلى

9 ـ وعن أبى الزناد قال : كان عثمان بن عفان يقول :

فأىُّ شىءٍ لا يُحبُّ ولده حتى الحُبارى وتدف عبده

ج

قال : سألت عمى عن عبده ، قال لعارضه : انتهى» .

وفى هذا التنقيز والترقيص فوائد عديدة منها :

1 ـ تعبير صادق عن فطرة الأبوة والأمومة، حيث يخرج الولدان من عادة التقيد بالتقاليد بينهما، إلى عالم فسيح عنصره الطفل البرىء .

2 ـ تحريك لمشاعر الطفل وأعضائه ونفسيته، فيتجاوب مع العالم الخارجى من حوله، ويحس بأبيه وأمه وإخوته وأقربائه ، فلكل منهم له طريقة فى الترقيص .

3 ـ ترويح للوالدين للتعبير عن الفرحة التى غمرتها بهذا المولود الجديد .

4 ـ توليد جو عائلى عاطفى، يتخلله ضحك الصغير والكبير، مما يُضفى على العائلة البهجة والسرور .

5 ـ ترقيص الصغير طريق لنزع فتيل الخلاف بين الزوجين ـ إن حصل ـ وفرصة سانحة لإعادة الوئام والحب والصفاء بينهما .

6 ـ تنشيط لمشاعر حنان الأبوة والأمومة كلما خبت أو ضعفت .

7 ـ وفيه سماع الرضيع لكلمات موزونة، تزيد من طربه، ومن بدء نشأته،

ودخوله إلى الحياة، وتخزين مفردات اللغة، فينشأ مهتمًا بها، يملك ذوقًا لغويًا .

8 ـ وفيه تحريك لأعضاء الطفل وتنشيط لدورته الدموية مع سماعه الكلمات .

9 ـ وفيه إدخال السرور إلى قلب الصغير والاهتمام به .

10 ـ وفيه توليد الجو الاجتماعى بين الطفل ومن يُرقصه ويلاعبه، كما فيه تنمية لمشاعر النفسية، وتحريك لفكره بالكلمات الجديدة، ونماء لعضلاته الجسمية . والله أعلم .

* * *

الفصل الثانى
تهيئة الرعاية الصحية للطفل

تمهيد :

أولاً: أسس الرعاية الصحية للطفل :

الأســاس الأول : رياضــة الطفــل للســباحة والرمايــة وركــوب الخيــل والمصارعة والجرى .

الأساس الثانى : تعود الطفل سنة السواك .

الأساس الثالث : اهتمام الطفل بالنظافة وتقليم الأظافر .

الأساس الرابع : اتباع السنن النبوية فى الأكل والشرب .

الأساس الخامس : نوم الطفل على شقه الأيمن .

الأساس السادس : تعلم الطفل للعلاج الطبيعى .

الأساس السابع : النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر.

الأساس الثامن : إبعاد الأطفال عن الطفل المريض مرضًا معديًا .

الأساس التاسع : رقية الأطفال من العين الحاسدة والجنّ .

ثانيًا : العلاجات النبوية :

1 ـ السرعة فى معالجة الطفل المريض .

2 ـ عيادة وزيارة الطفل المريض .

3 ـ العلاج باستخدام العود الهندى .

4 ـ العلاج بالحجامة والمشى .

5 ـ العلاج بالدعاء والرُّقى .

6 ـ العلاج من إصابة العين الحاسدة .

7 ـ تحريم تعليق شىء على الطفل ما لم يكن قرآنًا أو حديثًا نبويًا .

8 ـ العلاج بالأغذية النبوية للبيت المسلم .

تهيئة الرعاية الصحية للطفل

تمهيد :

إن الإسلام اهتم بصحة الإنسان عامة، وبصحة الطفل خاصة، وقد حرص فى توجيهاته الكثيرة على المداواة، والمسارعة إليها؛ لأنها من العلاجات الأساسية لصحة الجسم، وباعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان؛ لذا وجب المحافظة على هذه الأمانة، حتى جعل المداواة من قدر الله، الذى يمحو قدر الله الذى حل بالإنسان، وهوالمرض .

فقد روى مسلم وأحمد عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ : أنه قال : «لكل داء دواء ، فإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله عز وجل» .

وروى الإمام أحمد والنسائى عن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبى ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال : «نعم، يا عباد الله، تداوَوْا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد»، قالوا : ما هو؟ قال : «الهرم» .

وروى الإمام أحمد والترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال : قلت : يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتُقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «هى من قدر الله».

وهذه الأحاديث إنما تدل على اهتمام النبى ﷺ بسلامة الفرد المسلم من الأمراض والأوجاع، وأن «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير» .

ولكن ما هى أركان البناء الصحى للطفل، وذلك لتجنب كثير من الأمراض؟ وما هى القواعد الصحية اللازمة للطفل ليقلّ من إصابته بالأمراض؟

إذا تأملنا فى الأحاديث والسيرة الشريفة، نلمح ثمانية أركان صحية اهتم بها رسول الله ﷺ لرعاية الطفل صحيًا، فما هى هذه الأركان؟

أولاً : أسس الرعاية الصحية للطفل

الأساس الصحى الأول : رياضة السباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة والجرى :

تقدم معنا فى أسس البناء الجسمى أن حق الطفل فى تعلم السباحة والرماية، ووصية عمر للولاة أن يعلموا أطفالهم كذلك، ويضيف : وأن يثبوا على الخيل وثبًا، وأن النبى ﷺ كان يصفّ الأطفال، ويجرى لهم مسابقة الجرى، وأنه شاهد مصارعة طفلين مع بعضهما قبل دخول غزوة أحد، فالرياضة البدنية هذه تبنى جسم الطفل بشكل قوى، بحيث يقوى على التصدى للأمراض بشكل ذاتى، ويصبح جسمه ممتنعًا ذاتيًا عن قبول الأمراض، إلا إذا أراد الله شيئًا آخر، وابتلاء آخر .

ويضع الرسول ﷺ قاعدة تربط بين البناء الجسمى والعقلى فى مرحلة الطفولة وفى الكبر، فزيادة حركة الطفل فى الصغر تنمى خلايا جسمه، وبالتالى تكون زيادة فى صحته .

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «عُرامةُ الصبى فى صغره، زيادةٌ فى عقله فى كِبَرِه» . رواه الحكيم الترمذى، وأشار السيوطى إلى صحته، وقال المناوى فى (فيض القدير) (4/ 310) : رواه الديلمى . فصحة الطفل فى رياضته، وحركته، ونشاطه .

ولا حاجة أن نذكر هنا فوائد هذه الرياضات، فيكفى أن تجلس إلى أى طبيب لتسمع منه، وتصل إلى درجة اليقين للحديث النبوى .

إذ يكفى أن تعلم أن السباحة تحرك كل عضلات الجسم، وأنها تنفى كثيرًا من الأمراض عن الجسم، مما ليس من مجاله الآن ، وإنما محله الكتب الطبية .

الأساس الصحى الثانى : تعوّد الطفل سنة السواك :

معلوم لدى الجميع اهتمام الرسول ﷺ حتى قال ﷺ : «لولا أن أشقّ على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[1] . فإذا تعود الطفل هذه العادة، وبدأ ينظف أسنانه بشكل منتظم، ومتواصل، فإنه يقضى على كثير من الأمراض التى تكون

---

(1) صحيح : رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى ومالك وابن ماجه عن أبى هريرة، وأحمد وأبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى . انظر : صحيح الجامع، رقم (5315) .

أحيانًا من تسوس الأسنان، أو من مرض اللثة، وقد أثبت الطب الحديث مفعول السواك، واحتواءه على مواد كيميائية تفيد الأسنان، وتقوى اللثة بشكل فعال . وهو رخيص الثمن، موجود بكثرة فى الجزيرة العربية، ويذكر الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى شرحه لصحيح مسلم : أنه يجوز استبدال عود الأراك هذا بأى شىء، وذلك لتنظيف الأسنان، حتى إذا لم يكن لدى الإنسان أى وسيلة للتنظيف نظف بيده، أو بقماشة خشنة، المهم فى ذلك أن يتعود الطفل سنة السواك، وتنظيف الأسنان بأى أداة كانت .

الأساس الصحى الثالث : اهتمام الطفل بالنظافة وتقليم الأظافر :

النظافة ركن أساسى من الأركان التى دعا إليها الإسلام، والطفل الذى يريد الصلاة لابد أن يتوضأ، ولابد أن تكون ثيابه نظيفة طاهرة، ولابد أن يكون المكان طاهرًا، وذلك كله لأداء فريضة الصلاة التى يؤمر بها فى السابعة ، ويضرب عليها فى العاشرة .

أما تقليم الأظافر، فهى إحدى الفطر الخمس التى نصّ عليها الحديث الصحيح : «خمس من الفطرة .. وتقليم الأظافر ..» فالطفل الذى يتعود تقليم الأظافر، يكون قد أبعد يديه عن كثير من الأوساخ التى توجد تحت الأظافر؛ التى قد تسبب أمراضًا من جراء وضع الطفل يده فى فمه .

الأساس الصحى الرابع : اتباع السنن النبوية فى الأكل والشرب :

تقدم معنا من أدب الطعام : أن يعود الطفل تناول الطعام من أمامه، فلا تطيش يده فى الصحن حيثما يحلو له، وإذا عوّد سنة رسول الله ﷺ فى الابتعاد عن التخمة أثناء الطعام، كان له فوزًا، ونصرًا، وحفاظًا من كثير من الأمراض الباطنية، والداخلية .

فقد روى الإمام أحمد والترمذى، وقال : حديث حسن صحيح، عن المقدام بن معد يكرب قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «ما ملأ آدمى وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[1] .

---

[1] ورواه أيضًا ابن حبان وابن ماجه والحاكم، وصححه الذهبى . انظر : جامع الأصول (7 / 410).

أما الشراب فيتعود فيه سنة رسول الله ﷺ وهيئته فيه :

أخرج البخارى ومسلم والترمذى عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ «كان يتنفس إذا شرب ثلاثًا» ورواه مسلم . وزاد الترمذى : « إنه أروى، وأبرأ، وأمرأ» . قال أنس : «وأنا أتنفس فى الشرب ثلاثًا» وفى رواية أبى داود : أن النبى ﷺ كان إذا شرب تنفس ثلاثًا، وقال : «هو أهنأ، وأمرأ، وأبرأ» .

ويحذر الطفل من أن يتنفس فى الكأس أثناء الشرب لأى سائل كان :

فى الصحيحين عن أبى قتادة أن النبى ﷺ : «نهى أن يُتنفَّس فى الإناء» .وفى رواية الترمذى : «نهى أن يتنفس فى الإناء ، أو ينفخ فيه» .

ويشرب قاعدًا ـ إلا ماء زمزم فالسنة فيه واقفًا متجهًا إلى القبلة ـ روى مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يشربنَّ أحدكم قائمًا، فمن نسى فليستقئ»[1] .

الأساس الصحى الخامس : النوم على الشق الأيمن :

وهو ركن صحى نبوى أساسى فى حياة المسلم، وله فوائده الصحية الكثيرة، والرسول ﷺ يوصى صحابته بذلك :

روى البخارى ومسلم : «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل : اللهم أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوَّضتُ أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، ونبيك الذى أرسلت، واجعلهن آخر ما تقول» .

الأساس الصحى السادس : تعلم الطفل العلاج الطبيعى :

إن تدليك العضلات يحتاجه الإنسان فى حياته كلها، والطفل ينشأ وقد تدرب فى تدليك عضلات والديه بإرشادهما، فيكتسب مهارة جيدة، وعلمًا قد غدا اليوم من العلوم المفيدة للإنسان .

والرسول ﷺ قد علم الطفل هذا، ودربه عليه بجسمه الشريف، فهل سمعت بهذا ؟ لنستمع سويًا :

روى الطبرانى والبزار وابن السنى وأبو نعيم وسعيد بن منصور عن عمر ﷺ قال : دخلت على النبى ﷺ وغليم له حبشى يغمز (أى : يكبس) ظهره، فقلت : يا

---

(2) انظر حول الموضوع : جامع الأصول (5/ 74) .

رسول الله، أتشتكى شيئًا؟ قال : «إن الناقة تقحمت بى البارحة» (أى : ألقتنى فى ورطة)[1] .

الأساس الصحى السابع : النوم بعد العشاء ، والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر:

إن تعود الطفل لأداء صلاة الصبح فى وقتها، هذا يعنى أن يستيقظ باكرًا، ولكى يستطيع أن يستيقظ باكرًا نشيطًا قد شبع من النوم، فلابد أن ينام باكرًا[2]، فهذا عمر رضي الله عنه يأتى لصلاة العشاء عند النبى ﷺ وقد أنام صبيانه لكى يصلى العشاء مع رسول الله ﷺ .

فقد أخرج الشيخان والنسائى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : أعتم رسول الله ﷺ بالعشاء، فخرج عمر، فقال : الصلاة يا رسول الله ، رقد النساء والصبيان ، فخرج ورأسه يقطر ويقول : «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالصلاة فى هذه الساعة».

وبالتالى فإن الطفل المسلم بأدائه لفروض دينه يكتسب العادات الصحية الجيدة، فيقوى جسمه ونفسه، وحيث إن غاز الأوزون «وتركيبه ثلاث ذرات من الأكسجين» ينتشر فى الجو عند الفجر، وقد ثبت أن هذا الغاز يزيد من نشاط الخلايا الحيوية، ويقضى على كثير من الأمراض، فإن استنشاق الطفل لهذا الغاز يقوى من بنيته من حيث لا يدرى، وهو يؤدى فرض صلاته .

ولقد كانت الأمهات الصالحات يُعوِّدن أطفالهن الاستيقاظ للسحر لتعريض أطفالهن للنفحات الإلهية؛ امتثالاً لقوله ﷺ : «إن فى أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها» .

فقد روى البيهقى بسنده فى كتاب (الآداب ص 445) : عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «قالت أم سليمان بن داود عليهما السلام لسليمان : يا بُنى، لا تُكثر النومَ بالليل، فإن كثرة النوم بالليل يدع صاحِبَهُ فقيرًا يومَ القيامة» .

هكذا يرتبط صلاح الدين بصلاح البدن مع صلاح الآخرة، تمتزج جميعًا فى التربية النبوية، ولا انفصال بين تربية الطفل الدنيوية والطموحات الأخروية، وهكذا يُورّث الصلاح للأبناء توريثًا عمليًا، حتى قفز أحد الصالحين على حصانه وكان عمره تسعين سنة، فتعجب الحاضرون، فقال : هذه جوارح حفظناها لله فى الصغر، فحفظها الله تعالى لنا فى الكِبَر .

وروى الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبى مرفوعًا : «إياك والسمر بعد هدأة

---

[1] كنز العمال (4/ 44) .

[2] زاد المعاد لابن القيم (3/ 169) .

الليل، فإنكم لا تدرون ما يأتى الله من خلقه» [1].

وهكذا تجد أنه لا فصل فى الإسلام بين الدين والدنيا، فمن أراد تطبيق الدين على أطفاله، جاءته الدنيا راكعة صاغرة .

ثم هناك فائدة ثانية للاستيقاظ الباكر، وهى زيادة الرزق، فهذا ابن عباس عندما رأى ابنًا له نائمًا نومة الصبح، فقال له : «قم، أتنام فى الساعة التى تقسم فيها الأرزاق»؟! [2] .

وروى البيهقى دخول النبى ﷺ على فاطمة باكرًا، وشاهدها نائمة، فأيقظها، وقال لها : «قومى، فاشهدى رزق ربك» .

ومشى على هذا المنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فروى ابنُ أبى شيبة فى مصنفه (9 / 36) عن ابن شهاب قال : «كان عبد الله ﷺ إذا صلى الفجر، لم يَدَعْ أحدًا من أهله صغيرًا ولا كبيرًا يطوفُ حتى تطلع الشمس» .

الأساس الصحى الثامن : إبعاد الأطفال عن الأمراض المعدية :

وضع ﷺ قاعدة عامة للأمة جميعًا كبيرها وصغيرها، وهى عدم ورود الإنسان المريض الذى يحمل مرضًا معديًا إلى تجمع الناس، ولا أن يقوم بزيارة أحد، وذلك لتجنب إصابة المسلمين .

وهناك أمراض معدية فى مرحلة الطفولة يحذّر فيها الأبوان من أن يأخذا طفلهما فى زيارة الأرحام والأصدقاء، كذلك بالعكس لا يأخذ الوالدان طفلهما إلى زيارة أحد فى بيته طفل مصاب بمرض معدٍ حتى يشفى، وفى هذا أنفس القواعد الصحية النبوية .

ففى الصحيحين، عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يوردنَّ ممرض على مُصحّ» . ورواه أحمد وأبو داود والنسائى .

كذلك يقوم الأبوان بإبعاد طفلهم هذا عن بقية إخوته حتى لا ينتقل إليهم المرض، وحتى لا تنشأ عقدة نفسية لهذا الطفل المريض، فلا بأس بنصحه بحديث رسول الله ﷺ هذا ليعلم أن الأمر من رسول الله ﷺ وأن الطفل المسلم يحب رسوله،

---

[1] انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم (2571) .

[1] زاد المعاد لابن القيم (3/ 169) .

ويتبعه، ويستجيب لندائه :

الأساس الصحى التاسع : رقية «تعويذ» الأطفال من العين الحاسدة والجن :

وهذا العلاج يتفرد به الطب النبوى للأطفال، وهو ركن من أركان المحافظة على صحة الطفل عند رسول الله ﷺ وهذا ما فعله ﷺ مع الأطفال، وحض الأبوين عليه، فقد أورد النووى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه «الأذكار» باب : ما يعوذ به الصبيان وغيره:

روينا فى صحيح البخارى ـ رحمه الله ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين : «أُعيذكما بكلمات الله التامّة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّةٍ»، ويقول : «إن أباكما كان يعوّذ بهما إسماعيل وإسحاق»[1] صلى الله عليهم وسلم أجمعين . قلت ـ أى : النووى : قال العلماء : الهامَّة : بتشديد الميم : «وهي كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها»، وأما العين اللامَّة بتشديد الميم : «وهى التى تصيب ما نظرت إليه بسوء» . انتهى كلام النووى ـ رحمه الله .

وروى الترمذى عن عبيد بن رفاعة الزرقى ﷺ أن أسماء بنت عُميس قالت : يا رسول الله، إن ولد جعفر تُسرع إليهم العين أفأسترقى لهم؟ قال : «نعم، فإنه لو كان شىء سابق القدر لسبقتهُ العين» .

وروى مالك فى الموطأ عن عروة بن الزبير ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة وفى بيتها صبىٌّ يبكى، فذكروا أن به العين، فقال رسول الله ﷺ : «ألا تسترقون له من العين؟!» .

وروى أحمد بإسناد حسن عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل النبى ﷺ، فسمع صوت صبى يبكى، فقال : «ما لصبيكم هذا يبكى؟ فهلا استرقيتم له من العين؟!»[2] .

وروى البخارى والترمذى والنسائى عن مصعب بن سعد ـ رحمه الله ـ أن سعدًا ﷺ قال لبنيه : تعوَّذوا بكلماتٍ كان رسول الله ﷺ يتعوّذُ بهنّ : «اللهم إنى أعوذُ بك من الجُبْن، وأعوذُ بك من فِتنة الدجال، وأعوذ بك من عذاب القبر» .

أما الأطفال الصغار الذين لا يستطيعون حفظ التعويذات، فكان الصحابة

---

(1) ورواه الحاكم فى مستدركه (3/ 761) وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(1) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (1048) .

رضوان الله عليهم يكتبون التعوذات فى حرز، ويعلقونها على أطفالهم :

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رسول الله ﷺ يُعلمنا كلماتٍ نقولهنّ عند النوم من الفزع : «باسم الله؛ أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»[1] . قال : كان عبد الله بن عمرو يُعلمها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ أن يقولها : كتبه ؛ فعلقه عليه» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 861) وقال محققه : إسناده حسن، ثم قال : وفى مسند أحمد (2/ 181) «ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له؛ فعلقها فى عنقه» .

وعن يونس بن خباب قال : «سألتُ أبا جعفر (الإمام الجليل محمد بن على بن الحسين الباقر) عن التعويذ يُعلق على الصبيان، قال : لا بأس به» .

وعن يونس بن خباب قال : استشرت أبا جعفر محمد بن على فى تعليق العاذة؟ قال : نعم، إذا كان من كتاب الله عز وجل؛ أو من كلام عن النبى ﷺ .

وأمرنى أن أستشفى به ما استطعتُ، فكتب لى كتابًا من الحُمَّى الربع :﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء]. اللهم ربَّ جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، اشفِ صاحب هذا الكتاب . رواهما ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال .

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى كتاب : «التبيان فى آداب حملة القرآن» : «وأما كتابة الحروز من القرآن، فقال مالك : لا بأس به إذا كان قصبة أو جلداً، وخرز عليه، وقال بعض أصحابنا : إذا كتب فى الحرز قرآنًا مع غيره فليس بحرام، ولكن الأولى تركه، لكونه يحمل فى حال الحدث، وإذا كتب يُصان بما قاله، قاله الإمام كمال رحمه الله، وبهذا أفتى الشيخ أبو عمرو بن الصلاح ـ رحمه الله» .

وهذه الوقاية من الأمراض لا يؤمن بها غير المؤمنين الصادقين، الذين تلقوا عن رسولهم ﷺ هذا المنهج النبوى الفريد .

الأساس الصحى العاشر : السرعة فى تلبية نداء الطفل النائم وخدمته :

النوم والليل فيهما تأثيرات مختلفة على الإنسان، فبعضها إيجابى وبعضها سلبى،

---

[2]) انظر ما جمعه العبد الفقير فى رسالة صغيرة (التعويذات النبوية من الشرور الإنسية والجنية) .

والطفل أشد تأثرًا بهما، وأول شيء يصدر عن انزعاجه هو صوته أو بكاؤه، فسرعة تلبية الوالدين له ذلك النداء، يُخفف عنه التأثيرات السلبية المحيطة به، كما أنها تُطمئنه فى نومه . فيتحول نومه من الحالة السلبية الانزعاجية إلى الحالة الإيجابية المريحة، وإذا ما نادى طفلان فالاستجابة تكون لمن نادى أولاً، ثم للآخر :

عن على ﷺ قال : زارنا رسول الله ﷺ، وبات عندنا، والحسن والحسين نائمان، فاستسقى الحسنُ، فقام رسول الله ﷺ إلى قُرْبةٍ لنا، فجعل يمصرها فى القدح ـ وفى لفظ: فقام إلى شاة لنا بكر؛ فحلبها ، فذرَّتْ ـ ثم جاء بسقيه ، فناول الحسن، فتناول الحسين ليشرب؛ فمنعه ـ وفى لفظ : فأهوى بيده إلى الحسين، وبدأ بالحسن ـ فقالت فاطمة ـ رضى الله عنها : يا رسول الله ﷺ، كأنه أحبُّهما إليك؟ قال : «لا، ولكنه استسقى أول مرة» ثم قال رسول الله ﷺ : «إنى وإياك وهذين؛ وهذا الراقد؛ يعنى : عليًا، يوم القيامة فى مكان واحد» .

رواه أبو داود وأحمد وأبو يعلى، وابن أبى عاصم فى السنة، والطبرانى فى الكبير، والخطيب فى المتفق والمفترق، وابن النجار، ذكره السيوطى فى مسند على ﷺ [1] .

(1) طبع المسند بمفرده فى حيدر آباد بإشراف لجنة أنوار المعارف ، والحديث (ص 7) .

ثانيًا : العلاجات النبوية للأطفال

بقى أن نسأل : وإذا نـزل المـرض بالطفـل، فـما هـى أهـم العلاجـات النبويـة الأساسية للأطفال؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد أن نذكر ما جاء فى المقدمـة مـن ضرورة، وأهميـة المداواة، واستشارة الطبيب، ولكن يضاف إليها العلاجات النبوية التالية :

1 – السرعة فى معالجة الطفل المريض :

إن السرعة فى أخذ الطفل المريض إلى الطبيب تلعب دورًا كبيرًا فى التخفيف من الإصابة المرضية، حتى إنها تصبح عنصرًا فعالاً، فكثيرًا من الأمراض يكـون سـببها تكاسل الوالدين فى أخذ الطفل إلى الطبيب، لهذا نجد رسول الله ﷺ يعلمنا السرـعة فى معالجة الطفل .

فقد روى ابن سعد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت عثر أسامة ﷺ على عتبـة الباب، أو أسكفة الباب فشـجت جبهتـه، فقـال : «يـا عائشـة، أميطـى عنـه الـدم» فتقذرته، قالت : فجعل رسول الله ﷺ يمصّ شـجّته، ويمجـه، ويقـول : «لـو كـان أسامة جارية لكسوته ، وحلّيته حتى أنفقه » .وعنـد الواقـدى ، وابـن عسـاكر عـن عطاء بن يسار ﷺ قال : «كان أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ قـد أصـابه الجـدرى أول ما قدم المدينة، وهو غلام، مخاطه يسيل عـلى فيـه، فتقذرتـه عائشـة ـ رضى الله عنها ـ فدخل رسول الله ﷺ فطفق يغسل وجهه، ويقبله، فقالت عائشـة : أمـا والله، بعد هذا فلا أقصيه أبدًا»[1] .

أرأيت وهو يغسله يقبلـه؟! هكـذا ﷺ يعـالج الأطفـال بيديـه الشرـيفتين، ولا يتقزز، ولا يقرف منهم ﷺ .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : عثرَ أسامةُ بعتبة الباب، فشجَّ فى وجهـه، فقال رسول الله ﷺ : «أميطى عنه الأذى»، فتقذَّرْتُـهُ، فجعـل رسـول الله ﷺ يمصُّـه ويمجُّهُ، ثم قال : «لو كان أسامةُ جارية لحلّيناهُ، وكسوناه حتى نُنفقه»[2] .

---

(1) عن : حياة الصحابة (2 / 446) ط . مصرية .

(1) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 393)، وقال محققه : وإسناده صحيح، وأخرجه ابن ماجه وأحمد .

2 – عيادة الطفل المريض :

وهذا علاج نفسى للطفل المريض، فإنه عندما يرى الكبار حوله جاؤوا لزيارته تقوى نفسه على مواجهة المرض، ويبدأ بالتحرك والكلام مع الضيوف شيئًا فشيئًا، وإذا صحب ذلك المجلس، وتلك الزيارة الدعاء للطفل كان خيرًا على خير، وهذا علاج نبوى للأطفال فريد فى معناه، فقد أخرج البخارى عن أنس ﷺ قال : كان غلامٌ يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض، فأتاه النبى ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه، فقال له : «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال : أطع أبا القاسم! فأسلم، فخرج النبىﷺ وهو يقول : «الحمد لله الذى أنقذه من النار» .

وعن عبد الرحمن بن الحارث، عن جدّ عبد الله بن عَيّاش، قال : دخل رسول الله ﷺ بعضَ بيوتُ آل أبى ربيعة، إما لعيادة مريض، وإما لغير ذلك، فقالت له أسماءُ بنتُ المُخرِّبة بن أبير بن نهشَل وهى أم أبى جهل، وأم عياش بن أبى ربيعة، وكانت تُكنى أم الجُلاس : ألا توصينى يا رسول الله؟! قال : «يا أمَّ الجُلاس، ائت إلى أختك ما تحبين أن تأتىَ إليك، وأحبِّى لأختك ما تحبين أن تجدينه» ثم أُتى رسول الله ﷺ بصبى فى بيت عيَّاش، وكانت أم الجُلاس (ذكرت لرسول الله ﷺ مرضًا للصبى، أو علة، فجعل رسول الله ﷺ يَرْقِى الصبى، ويتفلُ عليه، وجعل الصبى يتْفُلُ على رسول الله ﷺ، فجعل بعضُ أهل البيت ينهرُ الصبى، ويكفُّهنَّ رسول اللهﷺ عن ذلك» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 406)[1] .

ففى الحديث فوائد عظيمة : إبلاغ الآباء والأمهات أهل التقى والصلاح بمرض ابنهم، وفيه المسارعة لعيادة الطفل المريض، وفيه رقية المريض والدعاء له، وفيه جواز التفل (رذاذ البصاق الخفيف) على المريض بعد الدعاء، وفيه توجيه الطفل نحو الأدب ولو كان مريضًا، وفيه تسامح الكبير مع الصغير أثناء مرضه، وفيه توجيه الآباء للتخفيف عن كثرة الملامة لطفلهم المريض . والله أعلم .

هكذا يعود ﷺ الأطفال مؤمنهم وكافرهم، ويحرص عليهم، وما هذا إلا عناية منه بهم ، واهتمامًا منه ﷺ بالأطفال .

وعن زيد بن أرقم ـ وكان من صغار الصحابة ﷺ قال : رمدت عيناى، فعادنى رسول الله ﷺ فى الرمد، فقال : «يا زيد، لو أن عينيك لما بهما كيف كنت تصنع؟»

---

(2) قال محققه : إسناد منقطع، فلم يثبت لى سماع عبد الرحمن بن الحارث من جده عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة، وأم الجُلاس مختلف فى صحبتها، ورجال إسناده رجال الحسن .

قال : كنت أبْصر وأحتسب، قال : «يا زيد، لو أن عينيك لما بهما فصبرتَ واحتسبتَ؛ لم يكن لك ثواب دون الجنة» . رواه أبو نعيم وأبو داود وأحمد والطبرانى والحاكم فى المستدرك[1] .

ففى الحديث زيادة فائدة على عيادة الصغير بمداعبة الصغير بالكلام الحسن، ووعده بالجنة إن صبر ، وأن البلاء من الله تعالى وجزاء صبره الجنة .

وروى أبو داود : أنه دخل أبو بكر على عائشة ـ رضى الله عنهما ـ وهى مضطجعة قد أصابها حُمّى، فقال : كيف أنت يا بُنية؟ وقبَّل خدَّها [2] .

3 – العلاج باستخدام العود الهندى ، والسعوط[3] :

أخرج الإمام أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه عن أم قيس بنت محصن أخت عكاشة ـ رضي الله عنهما ـ قالت : دخلت على رسول الله ﷺ بابن لى لم يأكل الطعام، فبال عليه، فدعا بماء فرشَّه، قالت : ودخلت عليه بابن لى، لقد أعلقت عليه من العذرة[4]، فقال : «علام تدغرن أولادكُن بهذا العلاق؟ عليكنّ بهذا العود الهندى؛ فإن فيه سبعة أشفية من سبعة أدواء : منها ذات الجنب، ويسعط من العذرة، ويُلد به من ذات الجنب» .

وقد علق الدكتور حسين عبد المجيد هاشم عندما ذكر الحديث، فقال فى شرح كلمات الحديث ما يلى [5] :

---

(1) انظر : الشفا فى الطب للتيفاشى ـ رحمه الله ـ تحقيق : د. عبد المعطى أمين قلعجى (ص 105) .

(2) انظر : شرح السنة للبغوى، تحقيق على معوض وعادل عبد الموجود (6 / 355) .

(3) السعوط : ما يتداوى به شمًا، أو سائلاً، يسكب فى الأنف .

(1) وفى رواية : «لا تعذبوا صبيانكم بالغمز فى العذرة» والعذرة : داء فى الحلق، حيث كانوا ينظفون اللوزتين من القيح باليد .

(2) فى تحقيقه لكتاب : (البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف) لابن حمزة (3/ 11) .

تدغرن[1] : بدال مهملة وغين معجمة، أى : تغمزن حلوق أولادكن بهذا العلاق، أى : الداهية والآفة، وفى الكلام معنى الإنكار، أى : على أى شىء تعالجن هذا الداء بهذه الداهية، والمداواة الشنيعة، فلا تفعلن بهم ذلك .

العود الهندى : أى : الكُست بأن يدق ناعمًا، ويذاب، ويسعط به، فإنه يصل إلى العُذرة، فيقبضها لكونه حارًا يابسًا .

وذات الجنب [2] : السل، وقال القرطبى : وجع فيه يسمى الشوصة .

قال الطبيب : خصه بالذكر لأنه أصعب الأدواء، وقلما يسلم منه من ابتلى به .

ويُسعط من العذرة : بضم المهملة وسكون المعجمة، وهو وجع، أو عقدة فى الحلق تعترى الصبيان غالبًا، أو قرحة فى الأذن والحلق .

ويُلدُّ به : أى : يصب فى إحدى شقى الفم [3] .

وقال البخارى: القسط الهندى البحرى، وهو الكُست مثل الكافور، ووصف سفيان العِلاق : يُحنك بالإصبع، وأدخل سفيان إصبعه فى حنكه، وقال : إنما يعنى رفع حنكه بإصبعه[4] .

وعن جابر ﷺ أن امرأة جاءت بصبى لها إلى النبى ﷺ فقالت : افقأ منه العذرة، فقال : فقال : «تحرقون حلوق أولادكم، خذى قسطًا هنديًا وورسًا، فأسعطيه إياه» . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 206) وقال : حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه .

وعن جابر ﷺ قال : كان عند أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ صبى يقطر منخراه دمًا، فدخل رسول الله ﷺ فقال : «ما شأن هذا الصبى؟» قالت : به العذرة، فقال : «ويحكن يا معشر النساء! لا تقتلن أولادكن، وأى امرأة يصيبها عذرة، أو وجع

---

(3) فى المعجم الوسيط : «دغرت» المرأة الصبى: أدخلت إصبعها فى حلقه لترفع لهاته من العُذرة . (1/ 287) .

(4) قال ابن القيم فى كتابه : الطب النبوى (ص 81) : كل وجع فى الجنب قد يسمى ذات الجنب اشتقاقًا من مكان الألم .

(5) يقال : لدَّه باللدّود؛ إذا سقاه الدواء فى أحد جانبى الفم . عن كتاب (وفاء الوفا) (1/ 70) .

(1) انظر : جامع الأصول (7 / 525) ت : الأرناؤوط .

برأسه فلتأخذ قسطًا هنديًا» قال : وأمر عائشة، ففعلت ذلك، فبرئ . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 205) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه .

وفى رواية أحمد بسند صحيح : «فلتأخذ قسطًا هنديًا، فلتحكه بماء، ثم تسعطه إياه» وقال الهيثمى (5/ 89) : رواه أبو يعلى والبزار، ورجالهم رجال الصحيح .

وذكر أبو داود ـ بسند قوى ـ أن رسول الله ﷺ استعط .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى كتابه الطب النبوى[1] : قسط وكست بمعنى واحد، وهو نوعان :

ـ الأبيض الذى يقال له البحرى .

ـ والآخر الهندى وهو أشدهما حرًا .

والأبيض ألينهما، ومنافعهما كثيرة جدًا .

4 ـ العلاج بالحجامة والمَشِىّ :

روى الترمذى، وقال : حديث حسن، عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال عكرمة : كان لابن عباس غلمة ثلاثة حجّامون، وكان اثنان يُغلان عليه وعلى أهله، وواحد يحجمه ويحجم أهله، قال : قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : «نعم العبد الحجام، يذهب بالدم، ويُخِفُّ الصُّلْب، ويجلو البصر ... خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة، ويوم تسع عشرة، ويوم إحدى وعشرين ... خير ما تداويتم به السعوط، واللدود[2]، والحجامة والمَشِى»[3] . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 209) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبى .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها استأذنت رسول الله ﷺ فى الحجامة، فأمر النبى ﷺ أبا طيبة أن يحجمها، قال : حسبت أنه قال : وكان أخوها من الرضاعة أو غلامًا لم يحتلم . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 210) وقال : صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه .

---

(2) ص (353) تحقيق : الأرناؤوط .

(1) اللدود : بالفتح هو الدواء الذى يُلدّ به، ويصب فى طرف فم المريض .

(2) المِشىّ : الدواء المسهل ، لأنه يحمل شاربه على المشى إلى الخلاء، قاله الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى على هامش تحقيقه لكتاب الشفا فى الطب للإمام أحمد بن يوسف التيفاشى، ت 651هـ (ص 86) .

ولم تمنع عاطفة الأبوة أو الأمومة من علاج الطفل، فالعلاج هو الرحمة الحقيقية للطفل، فهذا الأشجعى يقول : رأيت سفيان ـ أى الثورى ـ يحجِمُ ابنه، والصبى يبكى، وسفيان يبكى لبكائه . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 320) .

5 – العلاج بالدعاء والرُّقَى :

روى مالك فى الموطأ عن حميد بن قيس المكى ﷺ قال : دُخل على رسول الله ﷺ بابنى جعفر بن أبى طالب، فقال لحاضنتهما : «ما لى أراهما ضارعين؟» فقالت حاضنتهما : يا رسول الله، إنهما تُسرع إليهما العينُ، ولم يمنعنا أن نسترقى لهما، إلا أنا لا ندرى ما يُوافقُك من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ : «استرقوا لهما، فإنه لو سبق شىء القدر لسبقته العين» .

وروى الإمام أحمد والطبرانى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله، إن به لمًا [1]، وإنه يأخذه عند طعامنا، فيفسد علينا طعامنا، فمسح رسول الله ﷺ صدره، ودعا له فثع (وهو القىء) فخرج من فيه مثل الحجر الأسود، فشفى .

وأخرج البخارى ومسلم والترمذى عن السائب بن يزيد ﷺ قال : ذهبت بى خالتى إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله، إن ابن أختى وجع، فمسح رأسى، ودعا لى بالبركة .

قال الجعيد : رأيتُ السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جلدًا معتدلاً، فقال : قد علمت ما مُتِّعتُ به من سمعى وبصرى إلا بدعاء رسول الله ﷺ .

وعن عثمان بن إبراهيم قال : حدثنى ابنُ حاطب، عن أمه أم جميل بنت المُجلل ـ رضى الله عنها ـ قالت : أقبلتُ بكَ من أرض الحبشة، حتى إذا كنتُ من المدينة على ليلةٍ أو ليلتين، طبختُ لك طبيخًا، ففنى الحطب، فخرجتُ أطلبُه، فتناولت القِدْرَ، فانكفأت على ذراعك، فقدمتُ بك المدينة، فأتيتُ بك رسول الله ﷺ فقلتُ : يا رسول الله، هذا محمدُ بن حاطب، وهو أول من سُمِّى بك، فمسح على رأسك، ودعا لك بالبركة، وتفل فى فيك، وجعل يتفلُ على يدك ، ويقول :

«أذهب الباسَ، رب الناس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سقما» . قالت : فما قمتُ بك من عنده حتى بَرئتْ يدك .

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 409) وقال محققه : حديث صحيح،

---

[1] أى : طرفًا من الجنون يلم بالإنسان، أى : يقرب منه، ويعتريه .

أخرجه البخارى ومسلم من غير القصة المذكورة، والنسائى فى عمل اليوم والليلة، وأحمد، والبيهقى فى دلائل النبوة .

وروى الطبرانى عن أم أبان بنت الوازع عن أبيها : أن جدها الوازع انطلق إلى رسول الله ﷺ فانطلق معه بابن له مجنون ، أو ابن أخت له، قال جدى : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة قلت : يا رسول الله، إن معى ابنًا لى (أو ابن أخت لى) مجنونًا آتيك به، فتدعو الله عز وجل له، قال : «ائتنى به» فانطلقتُ إليه وهو فى الركاب، فأطلقت عنه، وألقيت عليه ثياب السفر، وألبسته ثوبين حسنين، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ : فقال : «أدْنه منى، واجعل ظهره مما يلينى» قال: فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله، فجعل يضربُ ظهره حتى رأيت بياض إبطيه، ويقول : «اخرج عدو الله، اخرج عدو الله»، فأقبل ينظر نظر الصحيح، ليس نظره الأول، ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه، فدعا له، فمسح وجهه، فلم يكن فى الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه .

وفى ختام هذه الفقرة نضع بين يديك بعض الرقى المسنونة، والمستحبة، رجاء معرفتها، وتطبيقها إن احتجتَ إليها :

روى الترمذى عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم رُقى الحُمى، ومن الأوجاع كلها :

«باسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم، من كل عِرْقٍ نعّار، ومن شر حرِّ النار».

«عرق نعار : أى : نعر العرْق بالدم؛ إذا ارتفع، وعلا» .

وروى البخارى ومسلم وأبو داود عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان (الشىء منه) أو كانت به قرْحةٌ، أو جرْحٌ قال بإصبعه هكذا ـ ووضع سفيان سبّابته بالأرض، ثم رفعها ـ وقال : «باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا، يشفى به سقيمنا بإذن ربنا» .

وروى الترمذى عن على ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا، أو أُتى به إليه، قال : «أذهب الباس ربَّ الناس، اشْفِ أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا» . (البأس) : الشدة، والألم .

وروى البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات ، وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه ، وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها .

ونختم هذه الرقية برقية جبريل عليه السلام لرسولنا محمد ﷺ، فقد روى مسلم والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال : يا محمد، اشتكيت؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم»، فقال جبريل : «باسم الله أرقيك من كل داءٍ يؤذيك، ومن شر كل نفس وعين، باسم الله أرقيك، والله يشفيك» .

ولهذا قال ابن عباس ـ وهو ينبّه لضرورة قراءة المعوذات : «ما من مولود إلا على قلبه الوسواس، فإن ذكر الله خنس، وإن غفل وسوس، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفلق] . رواه الحاكم فى مستدركه (2/ 541) وقال : صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه .

6 – العلاج من إصابة العين الحاسدة :

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «كان يؤمر العائن (أى : الحاسد) فيتوضأ، ثم يغتسل منه المعين (أى : المحسود)» رواه أبو داود .

وروى مالك فى الموطأ عن أبى أسامة بن سهل بن حنيف أنه قال : رأى عامر ابن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخْبأةٍ، فلبط سهل، فأتى رسول الله ﷺ، فقيل : يا رسول الله، هل لك فى سهل بن حنيف، والله، ما يرفع رأسه، فقال : «هل تتهمون له أحدًا»، قالوا : نتهم عامر بن ربيعة، فتغيظ عليه، وقال : «علام يقتل أحدكم أخاه، ألا برَّكتَ، اغتسل له» فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره فى قدح، ثم صُبَّ عليه، فراح سهلٌ مع الناس ليس به بأس» .

وفى رواية لمالك : «علام يقتل أحدكم أخاه، ألا برّكت، إن العين حق، توضأ له» فتوضأ له عامر، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس .

7 – تحريم تعليق شىء على الطفل ما لم يكن قرآنًا، أو حديثًا نبويًا :

ولابد أن نذكر فى ختام هذا الباب من حرمة تعليق الحرز، أو الحلقات، وعليها حبات زرقاء، أولبس الصبى لخلخال اعتقادًا من أنه يقى من العين، مما يفعله الجاهلون بأحكام الشرع، والذى اعتبره رسول الله ﷺ من الشرك، الذى إذا أصرّ صاحبه على وَضْعه بعد تنبيهه .

فعن عمرو بن الحارث أن بكيرًا حدثه : أن أمه حدثته أنها أرسلت إلى عائشة ـ رضى الله عنها ـ بأخيه مخرمة، وكانت تداوى من قرحة تكون بالصبيان، فلما داوته عائشة، وفرغت منه، رأت فى رجليه خلخالين جديدين، فقالت عائشة : أظننتم أن

هذين الخلخالين يدفعان عنه شيئًا كتبه الله عليه؟! لو رأيتها ما تداوى عندى، وما مس عندى . لعمرى لخلخال من فضة أطهر من هذين» رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 218) وقال : صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبى .

ولهذا نجد تحذيرًا شديدًا من رسول الله ﷺ من أفعال الجاهلية ومعتقداتها بتعليق أشياء على صدور الأطفال خشية الحسد، فلنستمع، ونتبع، ولا نبتدع .

روى عبد الرزاق فى مصنفه (11/ 208) عن أبى قلابة قال : قطع رسول اللهﷺ خرزًا التمسه من قلادة الصبى ـ يعنى : الفضل بن عباس ـ قال : وهى التى تخرز فى عنق الصبى من العين .

قال المروزى : وقرأ على أبى عبد الله (أى أحمد بن حنبل) ـ رحمه الله ـ وأنا أسمع ـ أبو المنذر عمرو بن مجمع، حدثنا يونسُ بن حبان، قال : سألتُ أبا جعفر محمد بن على أن أعلق التعويذ، فقال :

إن كان من كتاب الله، أو كلام عن نبى الله، فعلقهُ، واستشف به ما استطعت .

قلتُ : اكتب هذه من حُمَّى الرِّبع : بسم الله، وبالله، ومحمد رسول الله، ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء] .

اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، اشفِ صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك، إله الحق آمين» قال : إى نعم .

وذكر أحمد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ وغيرها : أنهم سهَّلُوا فى ذلك قال حرب : ولم يُشدد فيه أحمد بن حنبل، قال أحمد : وكان ابنُ مسعود يكرهه كراهة شديدة جدًا، وقال أحمد : وقد سئل عن التمائم تُعلق بعد نزول البلاء؟ قال : أرجو ألا يكون به بأس .

قال الخلال : وحدثنا عبد الله بن أحمد، قال : «رأيت أبى يكتب التعويذ للذى يفزعُ، وللحمى، بعد وقوع البلاء»[1] .

---

(1) زاد المعاد لابن القيم (4/ 357) الطب النبوى، تحقيق : شعيب وعبد القادر أرناؤوط .

8 – **العلاج بالأغذية النبوية للبيت المسلم** [1] :

نورد فيما يلى الأغذية التى خصها النبى ﷺ بالذكر أو بالأكل، نلخصها من كتاب الطب النبوى لابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى [2]، وما كان غيره نُص عليه :

1 ـ **الأُتْرُجَّة** : روى البخارى عن أبى موسى الأشعرى ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : «مَثَلُ المؤمن الذى يقرأ القرآنَ كمثل الأترجَّة، طعمُها طيبٌ؛ وريحها طيبٌ» .

2 ـ **البطيخ** : روى أبو داود والترمذى ـ بإسناد صحيح ـ عن النبى ﷺ أنه كان يأكل البطيخ بالرُّطب، ويقول : «نكسر حرَّ هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحر هذا».

3 ـ **البلح** : روى النسائى ، وابن ماجه ـ بسند ضعيف ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : «كلوا البلح بالتمر» . قال ابن القيم : ورواه البزار فى مسنده.

4 ـ **البُسْر** : روى مسلم والترمذى أن أبا الهيثم بن التَّيهان، لما ضافه النبىُّ ﷺ وأبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما، جاءهم بعذْق ـ وهو من النخلة كالعنقود من العنب ـ فقال له : «هلا انتقيت لنا من رُطبه ؟» فقال : أحببت أن تنتقوا من بُسْره ورُطبه .

5 ـ **البصل** : روى أبو داود عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها سُئلت عن البصل؟ فقالت : إن آخرَ طعام أكله رسول الله ﷺ كان فيه بصل .

وثبت عنه فى الصحيحين : أنه منع آكله من دخول المسجد وفى السنن :أنه ﷺ أمر آكله وآكل الثوم أن يميتهما طبخاً .

6 ـ **التمر** : روى البخارى ومسلم عن سعد بن أبى وقاص ﷺ أن النبى ﷺ قال : «من تصبح بسبع تمرات ـ وفى لفظ : من تمر العالية ـ لم يضره ذلك اليوم ولا سحر» .

وروى مسلم قوله ﷺ : «بيت لا تمر فيه جياع أهله» . وفى رواية ابن ماجه «بيت لا تمر فيه كالبيت لا طعام فيه» .

---

(2) من المعروف أن الغذاء قبل الدواء، وأن درهم وقاية خير من قنطار علاج؛ لذا رأيت ضرورة ذكرها.

(3) تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة، ونذكر الأحاديث بدون شرح، فمن أراد ذلك يرجع إلى الكتاب، وأذكر درجة الإسناد ما ذكره المحققان .

وثبت فى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه، عنه ﷺ أنـه أكـل التمـر بالزبـد، وأكل التمر بالخبز، وأكله مفرداً .

7 ـ **الثريد المركب من اللحم والخبز** : روى البخارى ومسلم عنه ﷺ أنـه قـال : «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» .

8 – **الجمار (قلب النخل)**: روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس إذ أتى بجمار نخلة، فقال النبىﷺ: «إن من الشجر شجرةً مِثْلَ الرجلِ المسلمِ لا يسقط ورقها . الحديث» قال ابن القيم : وشجرته كلها منافع، ولهذا مثلها النبى ﷺ المسلم لكثرة خيره ومنافعه .

9 ـ **الجبن** : روى أبو داود ـ بإسناد حسن ـ عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : أُتى النبى ﷺ بجُبْنَةٍ فى تبوك، فدعا بسِكين؛ وسمّى؛ وقطَعَ .

10 ـ **الحبة السوداء (حبة البركة)** : روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «عليكم بهذه الحَبَّةِ السوداء، فإن فيها شِفاءً من كل داءٍ إلا السام» . والسام : الموت .

11 – **الصَّبِر والثُّفَّاء** : روى أبو داود فى المراسيل عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال : «ماذا فى الأَمَرَّينِ منِ الشَّفاء؟ الصَّبِرُ والثُّفَّاء» الصَّبر : (اضمدها بالصَّبِر) أى اكتحل به، وهو شىء أحمر يجعل فى العين بمنزلة الكحل[1] .

والثُّفَّاء : بذر الرشاد .

12 – **الخل** : روى مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ سأل أهله الإدام؟ فقالوا : ما عندنا إلا خَلٌّ، فدعا به، وجعل يأكلُ؛ ويقول : «نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ، نِعمَ الإدامُ الخَلُّ» . وفى رواية لابن ماجه : «نِعْمَ الإدام الخلّ، اللهم بارك فى الخل فإنه كان إدام الأنبياء قَبلى،ولم يفتقِرْ بيتٌ فيه خَلٌّ» .

روى الترمذى، وقال حسن غريب، عن أم هانئ بنتِ أبى طالبٍ قالت : دخلَ علىَّ رسولُ الله ﷺ فقال : «هل عندكم شىء؟» فقلتُ : لا إلا كسرة يابسةٌ وخَلٌّ، فقال النبى ﷺ : «قَرِّبيه فما أَقْفَرَ بَيتٌ من أُدْم فيه خَلٌّ» .

13 ـ **أكل الزيت والادهان به** : روى الترمذى وأحمد و الدارمى عن أبى هريرةﷺ مرفوعاً : «كُلُوا الزيت وادَّهِنُوا به» .

14 ـ **التطيب بالذريرة** : ثبت فى الصحيحين عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : طيبت رسول الله ﷺ بيدى، بذَريرةٍ فى حَجَّةِ الوَدَاع لحله وإحرامه .

والذَّريرة : فتات قصب طيب يجاء من الهند، وهو نوع من الطيب مجموع من أخلاط[2].

---

(١) انظر : مجمع بحار الأنوار لمحمد طاهر الفتنى الكجراتى (5 / 499) .

(٢) انظر : مجمع بحار الأنوار للفتنى الكجراتى (2 / 231) .

15 ـ **الرُّطَب** : فى الصحيحين عن عبد الله بن جعفر ﷺ قال : رأيت رسول اللهﷺ يأكل القِثّاءَ بالرُّطَبِ .

وفى سنن أبى داود والترمذى ومسند أحمد عن أنس ﷺ قال : «كان رسول اللهﷺ يفْطِرُ على رُطَبَاتٍ قبل أن يصلى، فإن لم تكنْ رطباتٍ فتمراتٍ، فإن لم تكن تمرات حَسَا حَسَواتٍ من ماء» وإسناده صحيح .

16 ـ **الرّيحان** : فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ قال : «من عُرِضَ عليه رَيحانٌ فلا يـرُدَّهُ، فإنه خفيفُ المحْمل، طيبُ الرائحةِ» قال : ابن القيم : الريحان كل نبت طيب الريح .

17 ـ **الزُّبْد بالتَّمر** : روى أبو داود ـ بإسناد صحيح ـ عن ابنى بُسْر ـ السُّلَمِيين ﷺ قالا : «دخل علينا رسول الله ﷺ فقدَّمنا له زُبداً وتمراً، وكان يحبُّ الزُّبد والتَّمْرَ» .

18 ـ **السفرجل** : روى النسائى ـ بسند ضعيف ـ عن طلحة بن عُبيد الله ﷺ قال : أتيتُ النبى ﷺ وهو فى جماعة من أصحابه، وبيده سفرجلة يقلِّبها، فلما جلستُ إليه، دحا بها إلى ثم قال : «دُونكَهَا أبا ذَرٍّ، فإنها تشُدُّ القلبَ،وتُطيبُ النفسَ، وتذهبُ بِطخَاء الصَّدْر» .

19 ـ **السِّواك** : فى الصحيحين عنه ﷺ : «لولا أَشُقَّ على أمتى لأمرتُهم بالسِّواكِ عندَ كُلِّ صلاةٍ» .

وفيهما أنه ﷺ كان : إذا قامَ من الليل يشُوصُ فاهُ بالسِّواكِ .

وفى صحيح مسلم أنه ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك .

وفى البخارى قوله ﷺ : «أكْثَرْتُ عليكم فى السِّواك ».

20 ـ **ألبان البقر وسمنها** : روى ابن جرير ـ بإسناد ضعيف ـ مرفوعاً : «عليكم بألبان البقر، فإنها شِفاءٌ وسمنها دواءٌ، ولحومُها داءٌ» . ورواه الحاكم بسند ضعيف أيضاً .

21 – **السمك والكبد والطحال** : روى الإمام أحمد وابن ماجه عن عبد الله ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : «أحِلَّتْ لنا ميتَتان و دَمَانِ : السَّمكُ والجراد، والكَبِدُ والطحالُ»، وإسناده ضعيف، لكن رواه البيهقى موقوفاً عن ابن عمر بإسناد صحيح، وهو موقوف لفظاً مرفوع حكماً. قاله المحققان [1] .

وفى الصحيحين عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : بعثنا النبى ﷺ فى ثلاثمائة راكب،

---

(١) شعيب وعبد القادر الأرناؤوط .

وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح، فأتينا الساحل، فأصابنا جوعٌ شديد، حتى أكلنا الخَبَطَ، فألقى لنا البحرُ حوتاً يقال لها : عَنْبر، فأكلنا منه نصف شهر، وائتدمنا بِوَدَكِهِ حتى ثابت أجسامُنا، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه،وحمل رجلاً على بعيره، ونصبه، فمر تحته» .

22 ـ **العجوة** : فى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : «مَنْ تصبَّحَ بسبع تَمَراتٍ عجوةٍ، لم يضُرَّه ذلك اليوم : سُمٌّ، ولا سِحْرٌ» .

23 ـ **الكَمَأة** : روى الترمذى وحسنه وأحمد وابن ماجه عن النبى ﷺ أنه قال : «العَجْوةُ من الجنة، وهى شِفاءٌ من السُّمِّ، والكمأة من المَنّ، وماؤها شِفاءٌ للعين» .

قال الغافقى : ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين، إذا عُجِنَ به الإثمد واكتُحِلَ به، ويقوِّى أجفانها، ويزيد الروحَ الباصرة قوةً وحِدّةً، ويدْفَعُ عنها نزول النوازل [1] .

24 ـ **ورق الأراك وثمره (الكَبَاث)** : فى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال : كنّا مع رسول الله ﷺ نَجنى الكَبَاثَ، فقال ﷺ : «عليكم بالأسود منه فإنه أطْيبُه».

25 ـ **اللحم** : قال الله تعالى : ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الطور] وقال : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الواقعة] والثريد أطيبه وهو وضع الخبز مع مرقة اللحم باللحم : وفى الصحيحين عنه ﷺ قال : «فَضْلُ عائشة على النساء، كفضل الثّريد على سائر الطعام» .

وفوائد الثريد كثيرة: وهى اجتماع الخبز المغذى بالمرقة المغذية باللحم المقوى، وتسهيل المضغ على الأضراس، وزيادة فى كمية الطعام، والمحافظة على نعمة الله بعدم رمى المرق، وسهولة الهضم، ولذة الطعام . قال نافع : كان ابن عمر ـ رضى الله عنهما، إذا كان رمضان لم يفته اللحم، وإذا سافر لم يفته اللحم.

ويروى عن على ﷺ : «كُلوا اللحم، فإنه يصَفِّى اللونَ ويخْمِصُ البطن، ويحسّنُ الخُلُقُ، ومن تركه أربعين ليلة ساء خلقه». وقال الزهرى : أكل اللحم يزيدُ سبعين قوة .

وقال محمد بن واسع : اللحم يزيد فى البصر .

---

(١) زاد المعاد (4 / 365) .

وفى الصحيحين أن لحم الذراع كان يعجب النبى ﷺ .ولهذا سألت اليهودية فى خيبر عندما أرادت سَم النبى ﷺ أى الطعام يحبه الرسول ﷺ، فجعلت فى الذراع سماً كثيراً .

أما لحوم الطير : ففى الصحيحين أن النبى ﷺ أكل لحم الدجاج، وروى النسائى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : «ما مِنْ إنسان يقْتُلُ عُصْفوراً فما فوقه بغير حقه؛ إلا سأله الله عزَّ وجلَّ عنها، قيل : يا رسول الله، وما حَقُّهُ؟ قال : «تَذْبَحُهُ فَتَأْكُلُهُ، ولا تقطعْ رأسَهُ وترمى به» وفى رواية للنسائى عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «من قَتَل عُصْفوراً عَبَثاً، عَجَّ إلى الله يقول : يا ربِّ، إن فلاناً قتلنى عَبَثاً، ولم يقْتُلنى لمنفعته» .

26 ـ **اللبن** : قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل] وروى الإمام أحمد وغيره بسند حسن مرفوعاً :

من أطعمه الله طعاماً فليقل :«اللهم بارك لنا فيه، وارزُقنا خيراً منه، ومن سَقاهُ الله لبناً، فليقل : اللهم باركْ لنا فيه، وزِدنا منه،فإنى لا أعلمُ ما يجزئ من الطعام والشَّراب إلا اللبن» .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ شرب لبناً، ثم دعا بماء فَتَمضمضَ، وقال : «إن له دَسَماً» .

وفى المستدرك للحاكم بسند حسن عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً : «عليكم بألبان البقر، فإنها تَرُمُّ مِنْ كُلِّ الشجر» .

27 ـ **الماء** : قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء]

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال : رسول الله ﷺ : «سيحانُ، وجَيحانُ، والنيلُ؛ والفراتُ، كُلٌّ من أنهارِ الجنةِ» . فثبت أفضلية ماء تلك الأنهر، وبهذا يثبت أنها أفضل من ماء الينابيع الذى يصنع منه ماء الصحة بالقنانى المعروفة فى عصرنا .

ماء زمزم سيد المياه : فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال لأبى ذَرٍّ،وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ، ما بين يومٍ وليلةٍ، ليس له طعامٌ غيره، فقال النبى ﷺ : «إنها طعامُ طعْمٍ» وزاد غير مسلم [1] : «وشِفاءُ سقم» . قال ابن القيم : روينا عن عبد

---

(١) البزار والبيهقى والطيالسى والطبرانى فى الكبير والأوسط وإسناده صحيح كما قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (2 / 133) والهيثمى فى المجمع (3 / 286)، انظر : زاد المعاد (4 / 392) هامش التحقيق .

الله بن المبارك أنه لما حجَّ، أتى زمزم، فقال : «اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ عن نبيك ﷺ أنه قال : «ماءُ زَمْزَمَ شُرِبَ له» وإنى أشْرَبُهُ لظمأ يوم القيامة» . قال ابن القيم : وابنُ أبى الموالى ثقة، فالحديث إذاً حسن، وقد صححه بعضُهم، وجعله بعضُهم موضوعاً، وكلا القولين فيه مجازفة . ا نتهى . فانظر لدقة الإمام عبد الله بن المبارك تلميذ أبى حنيفة رحمهما الله، كيف يطبق السنة؟ وكيف يفكر ليوم القيامة؟ ولا يطلب شيئاً دنيوياً . اللهم وفقنا لذلك .

28 ـ **التطيب والطيب** : الطيب غذاء للأرواح، ومنشط للأجساد،ويجيب مودة وإنس الناس، ويبعث على الحركة، والثقة بالنفس، ويجيب الناس بصاحبه، وأطيبه بعد الغسل على نظافة الجسد، فيزداد الإنسان بجمال الجسد والروح، وفعله مع الأطفال يزيدهم حركة وفرحاً،حيث الطفل مكان تقبيل الكبير وضمه وشمه، فإذا طيبه أهله، فقد زادوه جمالاً والطفل أنقى قلباً، وأطهر فؤاداً، وأصفى نفساً، وبتطيبه يصبح حسن المظهر والمبطن، مما يبعث على حب الآخرين له من الأطفال و الكبار والرسول ﷺ كان يحب التطيب فى الأحوال كلها :

ثبت فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى ﷺ وهو من صغار الصحابة ـ عن النبى ﷺ أنه قال : «أطْيبُ الطيب المِسْكُ» .

وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها : «كنتُ أُطَيِّبُ النبى ﷺ قبل أن يحْرِمَ، ويومَ النحر قبل أن يطوف بالبيت، بطيب فيه مسك» .

29 ـ **قلة المِلْح** : روى البزار والطبرانى ـ وإسناد الطبرانى حسن ـ من حديث سمرة مرفوعاً : «سَيوشِكُ أن تكونوا فى الناس مِثْلَ المِلْحِ فى الطعام، ولا يصْلُحُ الطعامُ إلا بالمِلح» .

30 ـ **الدُّبَّاء وهو القرع واليقطين** : قال الله تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الصافات] . قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ واليقطين المذكور فى القرآن هو نباتُ الدُّباء وثمره يسمى الدُّباء والقرع، وشجرة اليقطين .

وقد ثبت فى الصحيحين عن أنس ﷺ عنه وهو من الصغار الصحابة وممن خدم النبى ﷺ عشر سنين ـ أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس ﷺ : فذهبتُ مع رسول الله ﷺ،فقرَّب إليه خُبزاً من شعير، ومرقاً فيه دُبَّاء وقديدٌ (أى لحم مُقدّد)، قال أنس : فرأيتُ رسول الله ﷺ يتَتَبَّعُ الدُّبَاء من حَوالى الصَّحْفَةِ، فلم أزل أُحِبُّ الدُّبَّاء من ذلك اليوم» .

وقال أبو طالوت : دخلتُ على أنس بن مالك ﷺ وهو يأكل القرع، ويقول: يالَكِ من شجرة، ما أحبَّكِ إلىَّ لِحبِّ رسولِ الله ﷺ إياك .

وفى الغيلانيات من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﷺ قالت : قال لى رسول الله ﷺ : «يا عائشة، إذا طَبَخْتُم قِدْراً، فأكْثروا فيها من الدُّبَّاء، فإنها تشُدُّ قلبَ الحزين» .

ويذكر عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يكثر من أكله[1] .

31 ـ **الخبز و الماء** : عن عثمان بن عفان ﷺ أن النبى ﷺ قال : «ليس لابن آدمَ حقٌ فى سِوى هذه الخِصالِ : بَيتٌ يسْكُنُهُ، وثَوْبٌ يوارى عَوْرتَه، وجِلْفُ الخُبْزِ[2] والماء» . رواه الترمذى وقال : حسن صحيح . ورواه أحمد .

وأفضل الخبز، خبز الشعير :

عن أبى أُمَامَةَ ﷺ قال : «ما كان يفْضُلُ[3] عن أهل بيتِ النبى ﷺ خُبْزُ الشّعير» رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب . ورواه أحمد .

32 ـ **أنواع الوليمة النبوية من الأطعمة** :

روى أبو داود عن يعيشَ بنِ طَخْفَةَ بنِ قَيسٍ الغِفَارى قال : كان أبى من أصحاب الصُّفَّة، فقال : رسولُ الله ﷺ : «انطلِقُوا بِنا إلى بيتِ عائشة ـ رضى الله عنها ـ فانطلقنا، فقال : «يا عائشةُ، أَطْعمينا» فجاءت بِحَشِيشَةٍ[4]، فأكلنا، ثم قال : «يا عائشةُ، أَطْعمينا»، فجاءت بِحَيسَةٍ[5] مِثْل القَطَاة[6]، فأكلنا، ثم قال : «يا عائشةُ، اسْقينَا، فجاءت بعُسٍّ[7] من لَبَنٍ فَشَرِبْنا، ثم قال : «يا عائشةُ، اسْقِينَا، فجاءت بقَدَحٍ صغيرٍ، فَشَرِبْنَا، ثم قال : إن شِئتُم بِتُّمْ، وإن شِئتمُ انطلقتم إلى المسجد» قال : فبينما أنا مُضطجعٌ فى المسجد من السَّحَرِ على بطنى، إذا رجُل يحرِّكنى بِرِجْلِهِ فقال : إن هذه ضِجْعَةٌ يبغضُها الله، قال فنظرت فإذا رسول الله ﷺ ورواه أحمد .

---

(١) انظر : زاد المعاد (4 / 403 – 405).

(٢) جِلْفُ الخبز : الخبز ليس معه إدام .

(٣) الفضل : الزيادة عن الحاجة .

(٤) الحشيشة : طعام من الحبوب المطحونة ثم يوضع عليه لحم أو تمر.

(٥) الحيس : طعام يتخذ من التمر والسمن واللبن المجفف .

(٦) القَطَاة : طائر يشبه الحمامة .

(٧) العُسّ : القدح الكبير، والرفد أكبر منه .

الفصل الثالث

بناء عقلية الطفل الإسلامية

المبحث الأول : البناء العَقَدي للطفل .

المبحث الثاني : أخبار طفولة الرسول ﷺ .

المبحث الثالث : البناء العلمى والفكري للطفل .

المبحث الأول

البناء العَقَدي للطفل

أسس البناء العَقَدي :

الأساس الأول : تلقين الطفل كلمة التوحيد .

الأساس الثاني : حب الله تعالى،ومراقبته، والاستعانة به، والإيمان بالقضاء والقدر .

الأساس الثالث : حب النبي ﷺ وآل بيته الأطهار، وصحابته الكرام .

الأساس الرابع : تعليم الطفل القرآن الكريم .

الأساس الخامس : تربية الثبات علي العقيدة، والتضحية من أجلها .

الأساس السادس : تعليم الطفل حرمة دم المسلم وماله وعرضه.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [الأعراف].

أخرج البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمةُ بهيمة جمعاء، هل تُحسون فيها من جدعاء؟».

ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا قول الله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم].

البناء العَقَدى للطفل

تمهيـــد :

تتميز العقيدة الإسلامية ـ الإيـمان بـالله؛ وملائكتـه، وكتبـه، ورسـله، واليـوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى ـ بأنها كلها غيب، يحار المرء كيف يقدمها للطفل، وكيف سيتعامل معها ذلك الطفل؟ وكيف يمكن تبسيطها؟ وكيف يعرضها؟ أمام كل هذه الأسئلة وغيرها، تأخـذ الوالـدين الحيرة والاستفسـار عـن هذه الكيفيات، ولكن من خلال تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال، نجد خمسة أركـان أساسية فى تثبيت هذه العقيدة .

الأساس الأول : تلقين الطفل كلمة التوحيد .

الأساس الثانى : ترسيخ حب الله تعالى .

الأساس الثالث : ترسيخ حب النبى ﷺ وآل بيته الأطهار ، وصحابته الكرام .

الأساس الرابع : تعليم الطفل القرآن الكريم .

الأساس الخامس : ثبات الطفل على العقيدة والتضحية لها .

وقد حث الإمام الغزالى على اهتمام بعقيدة الطفل وتلقينهـا منـذ صـغره لينشـأ عليها، فيقول :

«اعلم أن ما ذكرناه فى ترجمة العقيدة؛ ينبغـى أن يقـدم للصـبى فى أول نشـوئه، ليحفظه حفظاً؛ ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيمان والتصديق به، وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهـان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه فى أول نشوئه للإيـمان، مـن غير حاجة إلى حجة أو برهان»[1] . ثم يدلنا عـلى الطريقـة فى ترسـيخ العقيـدة، فيقـول : «وليس الطريق فى تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشـتغل بـتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظـائف العبـادات، فـلا يـزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يـرِدُ عليـه مـن شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يستطع عليه من أنوار العبادات، ووظائفها» .

١() الإحياء(1/ 94) .

وذلك لأن كل مولود يولد على الفطرة الإيمانية، كيف لا ؟ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف] .

والحديث القدسى يشرح هذا، ويبينه أحسن بيان ـ فيما رواه مسلم ـ يقول الله تعالى : «إنى خلقت عبادى حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم» .

قال الشيخ الملا على القارى فى شرحه على مسند أبى حنيفة، عندما ساق حديث: «كل مولود يولد على الفطرة» قال ـ رحمه الله [1] :

«أى فطرة الإسلام من التوحيد والعرفان، والمعنى : أنه لو خُلِّى وطبعه، لما اختار إلا طريق الإيمان، على وجه الإحسان؛ لما جُبِل عليه من الطبع المتهيئ لقبول الشرع، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها مائلاً إلى غيرها .

وقيل : معناه : كل مولود يولد على معرفة الله تعالى، والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقرُّ بأن الله صانع، وهذا يوافق قول أبى حنيفة : من أنه يجب على كل مكلف أن يعرف الله بمجرد عقله، مع عدم علمه ببعثة الرسل » .

وتبلغ رحمة الرسول ﷺ بإيمان الأطفال؛ أن يتطلع إلى إيمانهم وهم فى أصلاب آبائهم الكفار، وأن يكون أمله فى انتصار الإسلام على يد أطفال المستقبل، ويأمل ﷺ ذلك، وهو مضطهد من قبل قومه، فلا يجد أرضاً يهاجر إليها، ولا يحصل على تأشيرة الدخول إلى وطنه إلا بشق الأنفس، وتحت كفالة مطعم بن عدى الذى مات كافراً :

فعندما عاد من الطائف فى رحلته الدعوية، باحثاً عن أرض جديدة للدعوى فلم يفلح، ولاقى من أهل الطائف العَنَت، والاستكبار، والأذى، وسال دمه الشريف من أثر رمى صبيان الطائف له بالحجارة .

وهكذا ارتوت تربة الطائف بدمه الشريف، وهذا أول ما سال منه ﷺ من الدم، وكان ثانيها فى أحد، ولم يحصل من جراء هجرته إلى الطائف ماشياً على قدميه مسافة تقدر بتسعين كيلو متراً إلا إيمان رجلين : ابن مسعود، وعداس، وفى أثناء عودته ـ كما روى

١() شرح مسند أبى حنيفة (ص 225) .

البخارى فى صحيحه ـ ينزل عليه جبريل ومعه مَلَك الجبال، فيقول جبريل للحبيب ﷺ : إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فيقول الحبيب ﷺ : «فنادانى ملك الجبال، فسلم عليه، ثم قال : يا محمد ذلك فيما شئت، إن شئتَ أن أطبق عليهم الأَخْشَبَين لفعلت (أى : الجبلين)» فقال الرحمة المهداة، والنعمة المسداة ﷺ : «بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده، لا يشرك به شيئاً» . رواه البخارى ومسلم .

وقد تحقق رجاء رسول الله ﷺ، فيسلم بنو ثقيف، وينبت منهم محمد بن القاسم الثقفى أحد القيادات الإسلامية، التى فتحت شرق آسيا من البلاد الإسلامية.

هكذا كانت القيادة النبوية تنظر إلى البناء الإسلامى المستقبلى فى رحمة، وأناة، وصبر، وحلم، فلا يستغل ﷺ قربه من الله تعالى، واستجابة دعائه، ولا ينتقم لنفسه، وإنما شأنه فى كل ذلك الدعاء، ثم الدعاء، ثم الدعاء للأمة ولأبنائها، ولا يدعو عليهم، فهل نقتض بصاحب الدعوة ؟! أم ما يزال الحمق يسيطر على البعض بالدعاء على الناس بدلاً من الدعاء لهم، فيا ليت قومى يعلمون ؟!!.

وإذا تأملنا صفحات القرآن، نجد أن الرسل والأنبياء يعنون عناية كبيرة بسلامة عقيدة أبنائهم، فمن ذلك : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة] .

وهذا لقمان يرعى ابنه فيوصيه : ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان] .

ونلاحظ أن سورة الإخلاص التى تمثل الاعتقاد العقلى، وسورة الكافرون التى تمثل الاعتقاد العملى، هما من قصار السور القرآنية؛ التى تبحث فى ميدان العقيدة، وما ذلك إلا إشارة إلى سهولة حفظهما على الأطفال، الذين يتميز نَفَسهُم بالقِصَر، وذاكرتهم بالنشأة الأولى .

وإن من اهتمام النبى ﷺ بالأطفال أن يدعوهم إلى الإسلام دائماً، حتى شق طريقه فى بناء جيل، ضمّ على بن أبى طالب ﷺ الذى آمن بدعوة النبى ﷺ ولم يتجاوز سن العاشرة، وحتى إنه فى زيارته ﷺ وعيادته للأطفال المرضى، كان

يدعوهم إلى الإسلام، وبحضور آبائهم :

روى الإمام عبد الرزاق فى مصنفه (6/ 34) أن النبى ﷺ كان له جار يهودى لا بأس فى خُلُقه، فمرض، فعاده رسول الله ﷺ بأصحابه فقال : «أتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟» فنظر إلى أبيه، فسكت أبوه، وسكت الفتى، ثم الثانية، ثم الثالثة، فقال أبوه فى الثالثة : قل ما قال لك، ففعل، فمات، فأرادت اليهود أن تليه، فقال رسول الله ﷺ : «نحن أولى به منكم» فغسله رسول الله ﷺ وكفنَّه،وحنَّطه، وصلى عليه .

وتابع السلف الصالح الاهتمام بدعوة الأطفال إلى الإسلام، فكان عمر بن الخطاب ﷺ لا يدع يهودياً، ولا نصرانياً ينصِّر ولده، ولا يهوِّده فى مِلْك العرب[1].

وقَدِمَ على عمر ﷺ رجل من تغلب، فقال له عمر : إن كان لكم فى الجاهلية نصيب، فخذوا نصيبكم من الإسلام، فصالحه على أن أضعف عليهم الجزية، ولا ينصَّروا الأبناء[2].

وقد فعل عمر هذا اقتداء برسول الله ﷺ فعن على بن أبى طالب ﷺ قال : شهدت رسول الله ﷺ حين صالح نصارى بنى تغلب على ألا ينصروا الأبناء، فإن فعلوا فلا عهد لهم، قال على : لو فرغت لقاتلتهم [3].

وهذا مجاهد يقول لغلام له نصرانى : يا جرير، أسلم، ثم قال : هكذا كان يقال لهم[4].

وما هذا الذى تقدم معنا إلا تنبيه للأجيال القادمة؛ وقادتها وعلمائها؛ أن تهتم بالأطفال، ولا يتركونهم هملاً؛ تعصف بهم الرياح، وتحتضنهم رجالات الكفر،

١() مصنف عبد الرزاق (6/ 48) .

٢() المصدر السابق (6/ 50) .

(٣، 4) المصدر السابق (6/ 123) .

(5) شكا مجموعة من القساوسة فى الغرب إلى البابا فى روما: إننا استطعنا أن نجعل من شباب المسلمين فى الغرب من يشرب الخمر، ويمارس الزنا، إلا أننا لم نستطع أن نجعلهم يأكلون لحم الخنزير، فكان جواب البابا لهم : «أليس أولادهم فى مدارسنا ؟» . فهل نصحو لأبنائنا ؟! اللهم نعم . انظر : مجلة النور الكويتية، عدد سنة 1988م .

ودعاته .

وفى عصرنا الحاضر ابتلى المسلمون بالهجرة إلى بلاد الكفر، فيهاجرون مع أطفالهم، فتأخذ تلك البلاد أطفالهم بالتَّنصير رويداً رويداً[1]، فينحلّون سلوكياً، ثم عَقَدياً، وذلك من أجل الحصول على الجنسية الجديدة!!. ولكن حكم الهجرة ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ﴾ [البقرة : 173] مع الحرص الشديد على إرجاع الأبناء إلى العيش فى البلاد الإسلامية، وعدم الذوبان فى المجتمعات غير الإسلامية، ومهما يكن من أمر، فإن الهجرة إلى البلاد الكافرة خطيرة جداً، اللهم إنا نعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب الآخرة .

الأساس العَقَدى الأول : تلقين الطفل كلمة التوحيد :

روى الحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال : «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله» . وروى عبد الرزاق «أنه كانوا يستحبون، أول ما يفصح، أن يعلموه لا إله إلا الله سبع مرات، فيكون ذلك، أول ما يتكلم به» .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى أحكام المولود : «فإن كان وقت نطقهم فليلقنوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه، وتوحيده، وأنه سبحانه فوق[2] عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا ، وكان بنو إسرائيل كثيراً ما يسمعون أولادهم ـ عمانويل ـ ومعنى هذه الكلمة: إلهنا معنا، ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله : عبد الله، وعبد الرحمن، بحيث إذا وعى الطفل وعقل على أنه : عبد الله، وأن الله سيده ومولاه» .

وروى عبد الرزاق فى مصنفه (4/ 3349) عن عبد الكريم بن أبى أمية قال : كان رسول الله ﷺ يعلم الغلام من بنى هاشم إذا أفصح سبع مرات : ﴿ وَقُلِ

٢() فوقية لا تشبه فوقية المخلوقات بعضها فوق بعض حساً ومكاناً لقوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورى : 11] وقوله تعالى : ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء] .

ويتابع الأنبياء والرسل توصية أبنائهم مهما ابتعدوا عن الله تعالى، إذ عليهم البلاغ، وعلى الله تعالى الهداية :

فعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : إن النبى ﷺ قال : «قال نوح لابنه : إنى موصيك بوصية وقاصرها لكى لا تنساها، أوصيك باثنين، وأنهاك عن اثنين، أما اللتان أوصيك بهما، فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله سبحانه وتعالى :

ـ أوصيك بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرض لو كانت حلقةً قَصَمَتْها؛ ولو كانت فى كفةٍ وزنَتْها .

ـ وأوصيك بسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة الخلق، وتسبيح الخلق، وبهما يرزق الخلق ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء] ... رواه النسائى، وهذا لفظه، وأخرجه البزار والحاكم، وقال : صحيح الإسناد[1] .

فلا بد من تعويد الطفل على ذكر الله بتوحيده بالشهادتين، وتسبيحه، وتحميده، فإنه يطرد الشيطان، ويساعد الوالدين على سرعة استجابة أبنائهم لهم، ويسهل على الوالدين حل مشكلات أبنائهم النفسية﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه : 124] .

ومما رواه ابن ظفر المكى قصة لطيفة فى حكم تكرار الطفل الشهادتين، فقال[2] :

«بلغنى أن أبا سليمان داود بن نصير الطائى ـ رحمه الله ـ لما بلغ من العمر خمس سنوات؛ أسلمه أبوه إلى المؤدِّب، فابتدأ بتلقين القرآن، وكان لَقِناً، فلما تعلم سورة : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾

١() انظر : تحفة الذاكرين للشوكانى (ص237) .

٢() أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكى (ص 160) .

[الإنسان] وحفظها رأته أمه يوم الجمعة مقبلاً على الحائط، مفكراً يشير بيده، فخافت على عقله، فنادته : قم يا داود ! فالعب مع الصبيان، فلم يجبها، فضمته إليها، ودعت بالويل، فقال : مالَكِ يا أماه، أبكِ بأس ؟ قالت : أين ذهنك ؟ قال : مع عباد الله، قالت : أين هم ؟ قال : فى الجنة، قالت : ما يصنعون ؟ قال : ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الإنسان] ثم مر فى السورة وهو شاخص، كأنه يتأمل شيئاً، حتى بلغ قوله :﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان] قال : يا أماه، ما كان سعيهم ؟ فلم تدر ما تجيبه، فقال لها : قومى عنى؛ حتى أتنزه عندهم ساعة، فقامت عنه، فأرسلت إلى أبيه؛ فأعلمته شأن ولده، فقال له أبوه : يا داود، كان سعيهم أن قالوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكان يقولها فى أكثر أوقاته .

ولذلك كانت وصية النبى ﷺ لمعاذ رضي الله عنه فيما رواه أحمد وابن ماجه والبخارى فى الأدب المفرد قوله ﷺ : «وأنفق على عيالك من طَوْلك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفهم فى الله»، ولم يلبث رسول الله ﷺ عندما أنزلت عليه الرسالة أن يبْعد الأطفال عن الإيمان بدعوته، بل تجاوز الأفق الضيق، فى الدعوات الحزبية، وانطلق إلى على بن أبى طالب[1] ـ وعمره لم يتجاوز العاشرة ـ ودعاه إلى الإيمان، فآمن به، ولازمه فى الخروج إلى الصلاة، مستخفياً فى شعاب مكة، حتى عن أهله وأبيه .

ولقد وجدهما مرة أبوه يصليان، فكلم رسول الله ﷺ : يا بن أخى، ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ فأجابه : أى عَمْ، هذا دين الله، وملائكته،ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثنى الله رسولاً إلى العباد، وأنت أحقُ من بذلت له النصيحة؛ ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابنى إليه، وأعاننى عليه»[2]. أما أول[3] من أسلم من الموالى فهو «زيد بن حارثة»؛ الذى كان قد جاء به ضمن الأسرى من الشام، عمٌّ

١() قال ابن الصلاح فى مقدمته (ص 150) : «والأورع أن يقال : أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث على، ومن النساء السيدة خديجة، ومن الموالى زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال» .

٢() المصدر السابق .

٣() سيرة نبى الهدى والرحمة لعبد السلام هاشم حافظ (ص 81)، طبع رابطة العام الإسلامى، مكة المكرمة .

السيدة خديجة؛ حكيم بن حزام، فاختارته غلاماً لها، وطلبه رسول الله ﷺ فأعتقه، وتبناه، ورباه بينهم [1] .

وهكذا بدأ رسول الله ﷺ دعوته الجديدة فى إقامة المجتمع الإسلامى الجديد، مركزاً اهتمامه على الأطفال، بالرعاية والدعوة والدعاء، حتى نال على ـ كرم الله وجهه ـ شرف الدفاع عن رسول الله ﷺ بنومه فى بيت الرسول ﷺ ليلة الهجرة . إنها تربية النبوة للأطفال الناشئين، ليكونوا قادة المستقبل، ومؤسسى المجتمع الإسلامى الوليد الجديد، فهلا نصحو لنقطة البداية فى الانطلاقة الجديدة فى القرن الخامس عشر الهجرى ؟!! اللهم نعم .

ويحدثنا أحد الغلمان كيف آمن بالرسول ﷺ :

فعن أبى قرْصافة ﷺ قال : كان بدءُ إسلامى أنى كنت يتيماً بين أمى وخالتى، وكان أكثر ميلى إلى خالتى، وكنتُ أرعى شُوَيهات لى، فكانت خالتى كثيراً ما تقول لى : يا بنى، لا تَمُرَّ إلى هذا الرجل ـ تعنى : النبى ﷺ ـ فيغْويك، ويضلَّكَ، فكنت أخرج حتى آتى المرعى، وأترك شويهاتى، وآتى النبى ﷺ ، فلا أزال أسمع منه، ثم أُروِّح غنمى ضُمْراً يابساتِ الضلوع، وقالت لى خالتى : ما لغنمكَ يابساتِ الضلوع؟ قلت : ما أدرى .

ثم عدت إليه فى اليوم الثانى، ففعل كما فعل فى اليوم الأول، غير أنى سمعته يقول : «يا أيها الناس، هاجروا، وتمسّكوا بالإسلام، فإن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد» .

ثم إنى رحتُ بالغنم كما رحتُ فى اليوم الأول، ثم عدت إليه فى اليوم الثالث، فلم أزل عنده أسمع منه، حتى أسلمت وبايعتُه، وصافحتُه، وشكوتُ إليه أمر خالتى، وأمر غنمى، فقال لى رسول الله ﷺ : «جئنى بالشياه» . فجئته بهنَّ، فمسح ظهورهنّ، وضروعهنّ، ودعا فيهن بالبركة، فامتلأنَ شحماً ولبناً .

فلما دخلتُ على خالتى بهنّ ـ أى : بالشياه ـ قالت : يا بنىّ، هكذا فارْعَ ! قلت : يا خالة، ما رعيتُ إلا حيث أرعى كل يوم، ولكن أُخبرُكِ بقصتى، وأخبرتها بالقصة، وإتيانى النبى ﷺ، وأخبرتها بسيرته، وكلامه .

فقالت أمى وخالتى : اذهب بنا إليه، فذهبت أنا وأمى وخالتى، فأسلمن، وبايعن

١() سيرة نبى الهدى والرحمة لعبد السلام هاشم حافظ (ص 81)، طبع رابطة العام الإسلامى، مكة المكرمة .

رسول الله ﷺ . قال فى مجمع الزوائد : رواه الطبرانى، ورجاله ثقات . انتهى .

من هذا يتبين اهتمام رسول الله ﷺ بدعوة الكبار والصغار، بل ويهتم بهموم الصغار، ويحلّ لهم مشكلاتهم، ويساعدهم على أمور معاشهم، ويفيض عليهم من بركاته التى من الله عليهم بها .

وهذا غلام آخر يؤمن بالرسول ﷺ لما يراه من معجزاته، ويأخذ عنه سبعين سورة :

روى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ قال : كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبى مُعيط، فمرّ بى رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال ﷺ : «ياغلام، هل من لبن؟» . قال ابن مسعود : فقلت نعم، ولكنى مؤتمن، قال : «فهل من شاة لم ينْزُ عليها الفحل؟»، فأتيته بشاة، فمسح رسول الله ﷺ ضرعها فنزل لبن، فحلبه فى إناءٍ فشرب، وسقى أبا بكر، وفى رواية : فشرب، وشرب أبا بكر، ثم قال ﷺ للضرع : «اِقْلِصْ» (أى : امسك) فقلص ... قال ابن مسعود : ثم أتيته بعد هذا، فقلت : يا رسول الله، علمنى من هذا القول، وفى رواية أخرى : علمنى من هذا القرآن، فمسح رأسى وقال :«يرحمك الله، فإنك غُليم مُعلم» قال : فأخذتُ من فيه ﷺ سبعين سورة .

فهل نبدأ بتعليم الأطفال القرآن الكريم، وسيرة الرسول ﷺ ؟! اللهم نعم إن شاء الله تعالى .

الأساس العَقَدى الثانى : غرس حب الله تعالى، والاستعانة به، ومراقبة الله، والإيمان بالقضاء والقدر فى الطفل .

لكل طفل مشكلاته الخاصة به، سواء منها النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والمدرسية، وتختلف هذه المشكلات بين طفل وآخر، فى حدّتها، وشدّتها، وطراوتها.. وقد يعبر الطفل عن مشكلاته بشكل شعورى أو لا شعورى، فبأى وسيلة يمكن معالجته من الداخل ؟ وبأى طريقة يستطيع الطفل؛ أن يخفّف من آلامه ـ إن وجدت ـ ويخلصه من مشكلات إن حصلت ؟

إنها بترسيخ حب الله تعالى؛ والاستعانة به، ومراقبته، وبالإيمان بالقضاء والقدر، وهذا أسلوب رسول الله ﷺ وليس ابتكاراً من أحد غيره .

فبتعميق هذا الحب والاستعانة بالله فى نفسه، وتأصيل هذه المراقبة فى قلبه، وغرس الإيمان بالقضاء والقدر فى لبه وفؤاده، يستطيع الطفل مواجهة حياته الطفلية الآن، ومستقبل رجوليته ـ أو : أموميته ـ فيما بعد :

1ـ ما ورد فى حضّ الأطفال على خوف الله ومراقبته فى نفوسهم :

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا ترفع العصا على أهلك، وأخفهم فى الله عز وجل» . رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، وإسناده جيد، كذا قاله الهيثمى فى المجمع(8/ 106) .

وأخرج الترمذى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال : «يا غلام، إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تَجِدْه تُجَاهَكَ، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف» . وفى رواية غير الترمذى زيادة : «احفظ الله تجده أمامك، تَعَرَّفْ إلى الله فى الرخاء، يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأكَ لم يكن ليصيبك، وما أصابَك لم يكن ليخطئك، وأعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»[1] .

فإذا ما حفظ الطفل هذا الحديث، وفهمه جيداً، لم تقف أمامه عثرة، ولم يعقه شىء، فى مسيرة حياته كلها . فأى تربية هذه ـ قديمة وحديثة ـ تستطيع أن تبلغ من نفس الطفل كما بلغها هذا الحديث ؟!

إن لهذا الحديث قوة كبيرة على حلِّ مشاكل الطفل، بفضل تأثيره، وروحانيته، وله القدرة فى دفع الطفل نحو الأمام بفضل استعانته بالله، ومراقبته له، وإيمانه بالقضاء والقدر، وإن أطفال الصحابة تلقوا هذا التوجيه النبوى، فهم يستعينون بالله على ما أصابه من قدره، ويسألون الله عندما تنزل بهم المصائب، ويعتقدون بأن لا حول ولا قوة إلا بالله، ويؤمنون بأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً .

وإليك بيان ذلك عملياً لا بالكلام النظرى :

أورد بن رجب الحنبلى فى كتابه ـ جامع العلوم والحكم[2] ـ عن آدم بن أبى إياس

١() صحيح . ورواه أحمد، والحاكم، والطبرانى، وابن السنى، والآجرى، والضياء . انظر : صحيح الجامع رقم (7957) .

٢() ص (187) وذكره ابن كثير فى تفسيره وقال : رواه بن أبى حاتم .

فى تفسيره عن محمد بن إسحاق[1] قال : جاء مالك الأشجعى إلى النبى ﷺ فقال : أُسِرَ ابْنى عوف، فقال له : «أرسل إليه : أن رسول الله ﷺ يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله»، فأتاه الرسول فأخبره، فأكبَّ عوف يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله، وكانوا قد شدوه بالقِدِّ، فسقط القِدّ عنه، فخرج، فإذا هو بناقة لهم، فركبها، فإذا هو بسرح القوم الذين كانوا شدوه، فصاح بها، فأتبع آخرها أولها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادى بالباب، فقال أبوه : عوف ورب الكعبة ! فقالت أمه : وا سَوْأَتاه ! عوف كئيب بألم ما فيه من القد، فاستبق الأب والخادم إليه، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقصّ على أبيه أمْره، وأَمْرَ هذه الإبل، فأتى رسول الله فأخبره بأمر عوف وأمر الإبل، فقال رسول الله ﷺ : «اصنع بها ماأحببت، وما كنت صانعاً بإبلك» . ونزل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ [الطلاق] .

وعن سهل بن سعد : أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار، فكان يبكى عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك فى البيت، فذُكر ذلك للنبى ﷺ ، فجاءه فى البيت؛ فلما دخل عليه اعتنقه الفتى، وخَرَّ ميتاً، فقال النبى ﷺ : «جَهِّزوا صاحبكم؛ فإن الفَرَقَ فَلَذَ كبده» . رواه الحاكم فى مستدركه (2/ 494) وقال : صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبى : صحيح . ورواه ابن أبى الدنيا .

وهذا نموذج آخر فى اهتمام السلف الصالح بترسيخ الإيمان وحلاوته، وأن الطريق إلى ذلك الوصول إلى درجة اليقين بالقضاء والقدر، ونلحظ حرص السلف الصالح، وهم فى أحرج الأوقات قبل الموت، على توجيه أولادهم وإرشادهم :

روى الإمام أحمد عن الوليد بن عبادة قال : «دخلت على عبادة وهو مريض، أتخايل فيه الموت، فقلت : يا أبتاه، أوصنى؛ واجْتهد لى، فقال أجلسونى، فلما أجلسوه قال : يا بنى، إنك لم تَطْعم الإيمان، ولم تبلغ حقّ حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بنى، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له : اكتب، فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بنى، إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار» ورواه أيضاً الترمذى، وقال : حسن صحيح غريب .

١() وهو ثقة عند الحنفية، وانظر : دراسة توثيقه فى كتب السيرة لمحمد بن إسحاق، تحقيق : الدكتور محمد حميد الله .

نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح :

1 ـ كان عمر بن الخطاب ﷺ يسير فى الطريق، وهو أمير المؤمنين، وكان مجموعة من الأطفال يلعبون فى الطريق، فلما رأوه هربوا منه إلا واحداً ـ هو عبد الله بن الزبير ـ فتعجب عمر منه، وسأله عن سبب عدم هربه، فأجابه : لم أكن مذنباً فأهرب منك، ولم أكن لأخافك فأوسع لك الطريق[1].

2 ـ وكان ابن عمر فى سفر، فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له : تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ فقال : إنها ليست لى، فقال : قل لصاحبها : إن الذئب أخذ منها واحدة؛ فقال العبد : فأين الله !! فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة؛ مقالة ذلك العبد : فأين الله ؟![2].

3 ـ وكان لبعض المشايخ تلامذة، فكان يخص واحداً منهم؛ بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا له فى ذلك، فقال : أبين لكم، فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: اذبحه بحيث لا يراك أحد، ودفع إلى هذا أيضاً، فمضوا، ورجع كل منهم؛ وقد ذبح طائره، وجاء هذا بالطائر حياً، فقال : هلا ذبحته؟ فقال : أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم أجد موضعاً لا يراه فيه أحد، فقال : لهذا أخصه بإقبالى عليه [3].

4 ـ وأورد الإمام الغزالى فى «إحيائه» [4]قصة لطيفة فقال : قال سهل بن عبد الله التسترى : كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار، فقال لى يوماً : ألا تذكر الله الذى خلقك، فقلت : كيف أذكره، فقال : قل بقلبك عند تقلبك بثيابك، ثلاث مرات، من غير أن تحرك به لسانك : الله معى، الله ناظرى، الله شاهدى، فقلت ذلك ليالى؛ ثم أعلمته، فقال : قل فى كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع فى قلبى حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لى خالى : احفظ ما علمتك، وَدُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة فى سرى، ثم قال لى خالى يوماً : يا سهل، من كان الله معه،

١() تذكرة الآباء وتسلية الأبناء لابن العديم المتوفى سنة (660 هـ) (ص 61) .

٢() الرسالة القشيرية (ص147) .

(3) السابق ذاته.

٤() وانظر : أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكى (ص 144) .

وناظراً إليه، وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسى، فبعثوا بى إلى المكتب، فقلت : إنى لأخشى أن يتفرق على همى، ولكن شارطوا المعلم أن أذهب إليه ساعة، فأتعلم ثم أرجع، فمضيت إلى الكُتَّاب، فتعلمت القرآن، وحفظته [1]، وأنا ابن ست سنين، أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة .

5 ـ وأورد ابن ظفر المكى فى كتابه «أنباء نجباء الأبناء» (ص 148) : «إن الحارث المحاسبى ـ وهو صبى ـ مر بصبيان، وهم يلعبون على باب رجل تمّار، فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم، وخرج صاحب الدار ومعه تمرات، فقال للحارث : كل هذه التمرات، قال الحارث : ما خبرك فيها؟ قال : إنى بعت الساعة تمراً من رجل، فسقطت من تمره، فقال : أتعرفه ؟ فقال : نعم ، فالتفت الحارث إلى الصبيان يلعبون، وقال : أهذا الشيخ مسلم ؟ قالوا : نعم، فمرّ وتركه، فتبعه التمّار، حتى قبض عليه، وقال له : والله ما تَنْفلت من يدى حتى تقول لى ما فى نفسك منى، فقال: يا شيخ، إن كنت مسلماً، فاطلب صاحب التمرات، حتى تتخلص من تبعته، كما تطلب الماء إذا كنت عطشان شديد العطش، يا شيخ، تُطْعم أولاد المسلمين السحت ـ أى : الحرام ـ وأنت مسلم ؟ فقال الشيخ : والله لا اتّجرت للدنيا أبداً .

6 ـ ومما أورده كذلك [2] : « بلغنى أن أبا الحسين أحمد بن محمد النورى، لما قرأ القرآن، ألزمه أن يكون معه فى الدكان، فإذا أصبح أخذ روزمانجاً، ودواة، وذهب يسأل عن علم ما جهل من كتاب الله تعالى، ويكتب ما يقال له، ثم يأتى أباه، فيزجره عن غيابه، ويتهدده، وربما ضربه، وإذا بعث فى حاجة أخذ ألواحه معه، فيسأل من مرَّ به من أهل العلم، وربما ضربه أبوه على ذلك أحياناً، فقال له أبوه يوماً : ليت شعرى، ما تريد بعلمك هذا؟ قال : أريد أن أعرف الله تعالى، وأتعرف إليه، فقال : كيف تعرفه؟ قال : أعرفه بتفهم أمره ونهيه ! قال : وكيف تتعرف إليه؟ قال : أتعرف إليه بالعمل بما علمنى، قال له أبوه : لا أعرض لك فى أمرك ما بقيت .

7 ـ ونختم هذه النماذج بورع الإمام أحمد بن حنبل فى طفولته :

كان عمه يرسل إلى بعض البلاد بأحوال بغداد، ليعلم بها الخليفة ، وقد أرسلها

١() وهذا من بركة ذكر الله تعالى، ومراقبته .

٢() ص (156) كتاب أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر . وذكرها الشيخ عبد الفتاح أبى غدة ـ رحمه الله ـ فى مقدمة كتابه : (رسالة المسترشدين) وعزاها لهذا المصدر ورجعت إليه فوجدتها فيه .

مرة مع ابن أخيه أحمد بن حنبل، فتورع عن ذلك، ورمى بها الماء؛ تأثماً من الوشاية، والتسبب، لما عسى أن يكون فيه ضرر بالمسلمين، وقد لفتت هذه النجابة كثيراً من أهل العلم والفراسات، حتى قال الهيثم بن حنبل : «إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه»[1].

الأساس العَقَدى الثالث : ترسيخ حب النبى ﷺ وآل بيته الأطهار، وأصحابه الكرام فى الطفل .

وبها يتحقّق الشطر الثانى من الشهادة، شهادة أن لا إله إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله . وقد سار السلف الصالح وخلفهم فى تركيزها، وتثبيتها فى نفس الطفل، إذ بها تتحرك مشاعر الطفل وأحاسيسه، وتزيد حرارة الشعور الإسلامى، وتدفع به إلى كل خير، وتحلّ له مشكلاته كلها، وتهوِّن عليه كلَّ مصيبة .

ومن الملاحظ على النفس البشرية عامة، أنها فى مرحلة بنائها تحاول أن تتشبه بأقوى شخصية حولها، وذلك لتقتدى بها، وتسير على هداها، وتقلدها فى كل حركاتها . والتربية الإسلامية طلبت أن يشد الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول ﷺ إذ هو القدوة الثابتة الراسخة، التى لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله أجمعين .

وما العذاب الذى تصاب به النفس البشرية، وما الأمراض النفسية والعصبية المنتشرة هنا وهناك، إلا أثر من آثار البعد عن القدوة الصحيحة، وعدم التشبه برسول الله ﷺ وإنما نلاحظ من الأجيال المنحرفة أنها تعيش فى فراغ فى الشخصية، تلهث وراء الموضات المتغيرة بين فصل وآخر من فصول السنة، وتركض وراء الممثلين المائعين المنحرفين الباعدين كل البعد عن المنهج الربانى، وتهرول خلف بعض من يسَمّون أنفسهم مفكرى العصر، ورواده المثقفين الذين ينفخ الشيطان فى رؤوسهم، فيحسبونه فكراً نيراً، وهكذا نجد أهمية شخصية حية يقتدى بها الطفل الناشئ، وهل هناك أفضل من الاقتداء برسول الله ﷺ ؟ !

أولاً : ما ورد فى ترسيخ محبة الرسول ﷺ وآله الأطهار :

أخرج الطبرانى وابن النجار والديلمى عن على رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن» . وقال

١() عن : (رجال الفكر والدعوة) لأبى الحسن النووى (ص 105) . وقد كان كذلك بفضل السلوك العلمى، لا بالكلام والثرثرة . وفقنى الله وإياك إلى العمل الصالح .

المناوى عن سنده : ضعيف .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن أنس ﷺ ، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ : «وما أعددت لها؟» فقال : لا شىء، إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال ﷺ «أنت مع من أحببت» . قال أنس : «**فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر؛ وعمر، فأرجو أن أكون معهم، بحبى إياهم**» ومعلوم أن أنساً خدم النبى ﷺ وهو طفل صغير عمره عشر سنين ولمدة عشر سنين .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : خرج النبى ﷺ فى طائفة النهار لا يكلمنى، ولا أُكلِّمه؛ حت أتى سوق بنى قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فقال: «أَثُمَّ لُكَع؟ (أى : هنا الصغير)»، فَحَبَسَتْهُ شيئاً، فظننتُ أنها تُلبسه سِخاباً ؟ أو تُغسِّلُه، فجاء يشْتَدُّ، حتى عانقه؛ وقَبَّله، وقال : «**اللهم أَحْبِبْهُ، وأَحِبَّ مَنْ يحبُّهُ**» متفق عليه .

وعن البراء ﷺ قال : رأيت النبى ﷺ والحسن على عاتقه يقول : «اللهم إنى أحبه فأحبه» متفق عليه .

وهذا الطفل أبو سعيد الخدرى ـ من صغار الصحابة ـ يعرفنا حضوره لمجلس رسول الله ﷺ وهو يعلم الكبار والصغار صيغة الصلاة على النبى ﷺ وعلى آل بيته الكرام، يكرِّر ذلك كل مصلٍّ فى صلاته :

روى البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : قلنا يا رسول الله، هذا التسليم، فكيف نُصلى عليك؟ قال :«قولوا : اللهم صل على محمدٍ عبدِكَ ورسولِكَ، كما صليتَ على إبراهيم، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم» .

وهكذا ينشأ الطفل محباً لرسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار الطيبين .

ويخبرنا طفل من أطفال الصحابة عن سماعه من فم رسول الله ﷺ وهو يحض على حب آل بيته الأطهار : فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ياأيها الناس، إنى تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا بعدى، أحدُهما أكبرُ من الآخر :

ـ كتابُ الله ممدودٌ بين السماء والأرض .

ـ وعِترتى أهلُ بيتى .

ألا إنهما لَن يفْتَرقَا حتى يرِدَا على الحَوْضَ» .

قال البغوى فى شرح السنة (7/ 206) : حسن غريب، وقال محققه : أخرجه الترمذى، وأحمد (3/ 14 ـ 17) .

وهذا طفل ثانٍ من أطفال الصحابة الذين تَرَبَّوْا على يد رسول الله ﷺ، وهو زيد ابن الأرقم [1] يحدثنا عن سماعه لخطبة الرسول ﷺ، وهو يحثّهم على التمسك بكتاب الله، وبأهل بيته الطيبين الأطهار .

أسند البغوى فى «شرح السنة» عن زيد بن أرقم يقول : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً [2]، فحمد اللهَ، وأثنى عليه، ثم قال : «أما بعدُ : أيها الناس، أنا بَشَرٌ ـ يوشِكُ أن يأتينى رسولُ ربى فأُجيبه، وإنى تارك فيكم الثقلين :

ـ أولهُما : كتاب الله، فيه الهُدى والنورُ، فتمسكوا بكتاب الله، وخُذوا به» فحثَّ عليه، ورغَّبَ فيه، ثم قال :

ـ وأهلُ بيتى أُذكِّرُكُم اللهَ فى أهلِ بيتى» [3] .

قال البغوى : هذا حديث صحيح أخرجه مسلم، وقال محقق الكتاب : ورواه أحمد، والدارمى، والحاكم، وصححه وأقره الذهبى .

قال البغوى : قيل سمّاهما ثقلين؛ لأن الأخذ بهما، والعمل بهما ثقيل . ثم قال : قال زيد بن أرقم : أهلُ بيته من حُرم الصدقة بعده : آلُ على، وآل عقيلٍ، وآل

١() قال ابن حجر فى (الإصابة) : زيد بن الأرقم استصغر يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، وقيل : المريسيع، وغزا مع النبى ﷺ سبعة عشرة غزوة، ثبت ذلك فى الصحيح، ولها حديث كثير، وروى أيضا عن على، روى عن أنس مكاتبه، وأبو الطفيل، وأبو عثمان النهدى، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، وعبد خير، وطاوس، وله قصة فى نزول سورة المنافقين فى الصحيح ...=

وقال زيد بن أرقم : كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة، فخرج بى ومعه مردف ـ يعنى إلى مؤتة ـ ... فذكر الحديث .

وهو الذى سمع عبدالله بن أبى يقول : (ليخرجن الأعز منها الأذل) فأخبر رسول الله ﷺ فسأل عبد الله فأنكر، فأنزل الله تصديق زيد ، ثبت ذلك فى الصحيحين، وفيه قال ﷺ : «إن الله قد صدقك يا زيد» .

٢() وفى رواية حدد المكان فقال : بماءٍ يدعى خُمّاً بين مكة والمدينة، فَحَمد الله .

٣() فى صحيح مسلم : قالها مرتين، فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة .

جعفر، وآل عباسٍ» رضى الله عنهم أجمعين .

وقال أبو بكر ﷺ يحث الأمة على الاهتمام والرعاية لآل بيت رسول الله ﷺ : «ارْقُبُوا محمداً ﷺ فى أهل بيته» . رواه البغوى فى شرح السنة (7 / 204) وقال محققه: أخرجه البخارى وقال النووى فى رياض الصالحين : معنى (راقبوا) : راعوه؛ واحترموه؛ وأكرموه، والله أعلم .

ويدخل فى أهل بيته زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين :

فعن أم سلمة قالت : فى بيتى أُنزلت :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب] . قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة، وعلى، والحسن، والحسين، فقال : «هؤلاء أهل بيتى» قالت : فقلت : يا رسول الله، أَمَا أنا من أهل البيت ؟ قال : «بلى إن شاء الله» . قال البغوى : هذا حديث صحيح الإسناد . فزوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين ومن أهل بيته .

روى الإمام أحمد ـ بسند حسن ـ عن شَهْرِ بن حَوْشَب قال : سمعتُ أم سلمة زوج النبى ﷺ حين جاء نَعى الحُسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ لعنت أهلَ العراقِ، فقال : قتلوه، قتلهم الله، غَرُّوه وذَلُّوه، قتلهم الله، إنى رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غَدِيةً ببُرْمَة[1] قد صنعت له فيها عصيدةً، تحمِلُه فى طَبقٍ لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها : أين ابن عَمِّكِ؟ قال : هو فى البيت، قال : «فاذهبى : فادْعيه، وائتنى بابْنَيه»، قالت : فجاءت تقود ابنَيها كلٌّ واحد منهما بيد، وعلىٌّ يمشى فى إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما فى حِجره، وجلس علىٌّ عن يمينه، وجلست فاطمةُ عن يساره، قالت أم سلمة : فاجتذب من تحتى كِساءً خيبرياً، كان بساطاً لنا على المنامة فى المدينة، فلفَّه النبى ﷺ عليهم جميعاً، فأخذ بشماله طَرَفَىْ الكِساء، وألْوَى بيده اليمنى إلى ربّه عز وجل، قال : «اللهم أهلى أذهب عنهم الرِّجس، وطَهِّرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتى أذهبْ عنهم الرجِّس وطهِّرهم تطهيراً، قلت : يا رسول الله ! ألستُ من أهلِك قال : بلى، فادْخُلى فى الكِساء، قالت : فدخلت فى الكساء بعدما قضى دُعاءه لابن عمه على، وابنيه، وابنته فاطمة ـ رضى الله عنهم .

١() غدية من الغداة، والبُرْمة : إناء من الفخار، والعصيدة : طعام من دقيق ودسم .

وروى أبو داود عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «من سَرَّهُ أن يكْتال بالمكيال الأوفى إذا صلَّى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صلِّ على محمدٍ، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذرِّيته، وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد» . وأما ترسيخ حب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فهم عمدة الإسلام، ومادته الأولية الأولى، فنزلت فيهم آيات تتلى إلى يوم القيامة تمدحهم، وتبين رضا الله عليهم الذى لا يتبدل ولا يتغير، وفضلهم على المسلمين بكل مذاهبهم مستمر إلى يوم القيامة : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:18] ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [المائدة : 119] .

ويزيدنا الصحابى الصغير أبو سعيد الخدرى تأكيداً، وتحذيراً، فيروى لنا حديثاً فى ذلك :

فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال : «لا تَسُبُّوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده، لوأن أحَدَكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرَكَ مُدَّ أحدِهم، ولا نصيفه» . متفق عليه .

قال البغوى : «والنصيف بمعنى النصف، وكذلك يقال للعشر ـ : عشير، وللخمس : خميس، ومعنى الحديث : إن جُهد المُقِّل منهم واليسير من النفقة، مع ما كانوا فيه من شدة العيش والضرِّ ـ أفضل عند الله من الكثير الذى ينفقه مَنْ بعدهم» . انظر : شرح السنة (7 / 172) .

ويحدثنا أيضاً عن النبى ﷺ قال : «يأتى على الناس زمانٌ، فيغْزُو فئامٌ من الناس، فيقولون : هل فيكم مَنْ صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون : نعم، فَيفتحُ لهم . ثم يأتى على الناس زمان، فيغزو فئامٌ من الناس، فيقولون : هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم : فيفتحُ لهم . ثم يأتى على الناس زمان، فيغزو فئامٌ من الناس، فيقال : هل فيكم من صاحبٍ صاحبَ أصحاب رسول الله ﷺ؛ فيقولون : نعم، فيفتح لهم» . رواه البغوى وقال : هذا حديث متفق على صحته . والفِئام : الجماعات .

وروى الصحابى الصغير أيضاً أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «مثل أصحابى فى أمتى كالمِلْح فى الطعام، لا يصلُحُ الطعامُ إلا بالمِلْحِ» . رواه البغوى فى شرح السنة (7/ 174) .

ثانياً : كيف ترسخ محبة النبى ﷺ فى الطفل؟

إذا تأملنا فى حياة أولاد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وكيف اكتسبوا محبة النبى ﷺ وكيف أصبح رسولهم أول شىء فى حياتهم، وأغلى من كل شىء فى الوجود، نلاحظ أنهم اتصفوا بما يلى :

1ـ السرعة فى الاستجابة لنداء الرسول ﷺ وتنفيذ أوامره :

إن ازدياد سرعة الاستجابة يزيد من المحبة، وهى برهان هذا الحب، فهذا على ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ يسارع فى تلبية دعوة النبى ﷺ إلى الإسلام، دون استشارة أحد من الناس؛ لأن الأمر أمر عقيدة ومبدأ، ولكل وجهة هو موليها، ولكل امرئ عقيدته التى يختارها، وكذلك يعايش ﷺ وهو فى الثامنة من عمره ـ الدعوة الإسلامية الأولى فى مرحلتيها : السرية والعلنية، دون خوف، أو وجل، ويصلى مع النبى ﷺ وزوجته خديجة فى شعاب مكة سرًا، فيراه أبوه أبو طالب، فإذا بعلى لا يخاف، ولا يتلجلج .

ثم هذا أنس ﷺ وهو الطفل الصغير الذى قام على خدمة النبى ﷺ عشر ـ سنين يتخلى عن أحب شىء لدى الأطفال، ويستجيب للنداء، ويسارع لتنفيذ الأمر النبوى، فيترك اللعب، وينصاع للأمر، فقد أخرج أحمد والبخارى ومسلم عن ثابت عن أنس ﷺ قال : أتى علىَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا، فبعثنى فى حاجته ... الحديث .

بل إن الأمر ليتعدى انتظار الأوامر، وينتقل أطفال الصحابة إلى مرحلة أعلى فى الحب الصادق، وذلك يترقب حاجيات حبيبهم ﷺ، ليسارعوا لوضعها أمامة، دون أن يتكلم، أو يسمع أمرًا، وهذا من قيم الحب الخالدة .

أخرج البخارى عن ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ دخل الخلاء، قال : فوضعتُ له وَضُوءًا، فقال : «من وضع هذا»؟ فأُخبر، فقال ﷺ : «اللهم فقهه فى الدين» .

وروى الشيخان والبيهقى عن عطاء بن أبى ميمون قال : سمعت أنساً يقول : كان رسول الله ﷺ يأتى الخلاء، فأتبعه أنا وغلام من الأنصار بإداوة من ماء، فيستنجى بها .

ومن أنواع السرعة فى الاستجابة : مبايعة أطفال الصحابة للرسول ﷺ :

أخرج مسلم عن عروة بن الزبير، وفاطمة بنت المنذر بن الزبير، أنهما قالا : خرجت أسماء بنت أبى بكر، حين هاجرت؛ وهى حُبلى بعبد الله بن الزبير، فقدمتْ قُباء، فنفست بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نُفست إلى رسول الله ﷺ ليحنّكه،

فأخذه رسول الله منها، فوضعه فى حجره، ثم دعا بتمرة، قال : قالت عائشة : فجلسنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها . فمضغها، ثم بصقها فى فمه، فإن أول شىء لدخل بطنه لريق رسول الله ﷺ ثم قالت أسماء : ثم مسحه، وصلى عليه؛ وسماه : عبد الله، ثم جاء ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ وأمره الزبير بذلك، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه، ثم بايعه .

هكذا نشأ أطفال الصحابة على محبة رسولهم ﷺ ، يدفعهم إلى ذلك الآباء والأمهات،ومن شبّ على شىء شاب عليه . قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذا الحديث : «هذه بيعة تبريك، وتشريف، لا بيعة تكليف، فإنه دون سن التكليف» [1] .

وروى أن الرسول ﷺ لم يبايع صبياً إلا الحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير ـ رضى الله عنهم [2] .

2ـ قتل الأطفال لمن يؤذى النبى ﷺ :

يحدثنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ فيما يرويه البخارى فى صحيحه ـ وهو فى قلب معركة بدر فيقول : وقف غلام على يمينى يسألنى : يا عمّ، دلّنى على أبى جهل، فيقول له : وما لَك يا بُنىّ من أبى جهل؟ فيقول له : والله، إن رأيته لن أفلته، لقد كان يؤذى رسول الله ﷺ، ثم غلام على يسارى، فسألنى مثل الأول، ثم تحتدم المعركة، ويشتد بأسها، فيلتفت عبد الرحمن بن عوف إلى الغلامين ويقول لهما : ذاك الذى تبغيان، ذلك أبو جهل، فينطلقان مسرعان بسيوفهما الصغيرة،كل منهما يريد أن ينال شرف السبق فى طعن عدو الله ورسوله، فيضربانه ضربة قوية، فيسقط أبو جهل على الأرض، فيتسابقان إلى زف البشارة إلى رسول الله! فيقول لهما ﷺ : «أريانى سيوفكما»، فيرى عليهما آثار الدماء، فيقول لهما : «كلاكما قتله» .

وروى أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن أعمى كانت له أُمُّ ولدٍ، تَشْتُمُ النبى ﷺ، وتَقَعُ فيه [3]، فينهاها فلا تنتهى، ويزجُرُها فلا تنْزَجرُ، قال : فلما كانت ذات ليلةٍ جعلت تَقَعُ فى النبى ﷺ، وتشتُمُهُ، فَأَخَذَ المِغْولَ[4] فوضَعَه فى

١() شرح صحيح مسلم، باب : استحباب تحنيك المولود عند ولادته .

٢() أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكى (ص 81) .

٣()وقَعَ فيه : أى عابه وذمَّه .

٤() المِغول : حديدة دقيقة لها حَدٌّ ماضٍ .

بطنها، واتكأ عليها، فقَتَلها، فوقَعَ بين رجْلَيهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ ما هناك بالدَّم، فلما أصبحَ، ذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فجَمَعَ الناسَ، فقال : «أَنْشُدُ الله رَجُلاً فَعَلَ ما فَعَلَ، لى عليه حقٌ إلا قام» فقام الأعمى يتخطّى الناسَ، وهو يتَزَلْزَلُ، حتى قَعَدَ بين يدى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، أنا صاحِبُها، كانت تَشْتُمكَ، وتَقَعُ فيك، فأنهاها فلا تنتهى، وأزجُرُها فلا تنزجِر، ولى منها ابنان . مثل اللُّؤلُؤتَين، وكانتْ بى رفيقةً، فلما كانت البارحة جعلتْ تشتُمُكَ، وتَقَعُ فيكَ، فأَخَذْتُ المِغْوَل، فوضعتُهُ فى بَطنِها، واتكأتُ عليهَا، حتى قَتَلْتُها، فقال النبىُّ ﷺ : «ألا اشهَدُوا أنَّ دَمَها هَدَرٌ»[1] . رواه النسائى .

ومن هذا المنطلق انطلق أطفال السلف الصالح فى مقاتلة من يؤذى رسول اللهﷺ سواء بالاشارة، أو العبارة، أو النيل من رسول الله ﷺ .

فقد روى شهاب الدين الأبشيهى فى كتابه «المستطرف فى كل فن مستظرف» (2/ 34) قصة لطيفة فى معناها ومبناها، وهى : أن غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة، وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة على صدره، فأخذها، فجعلوا يطلبونها منه، فأبى، فقال غلامهم : سألتك بحق محمدﷺ إلا رَدَدْتها علينا، فأبى ـ لعنه الله ـ وسبَّ الرسول ﷺ فأقبلوا عليه بصواليجهم، فما زالوا يخبطونه حتى مات ـ لعنه الله ـ فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوالله، ما فرح بفتح، ولا غنيمة، كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال : الآن عزّ الإسلام، إن أطفالاً صغاراً شُتم نبيهم، فَغَضِبوا له، وانتصروا، فأهدرَ دمَ الأسقف، والله سبحانه وتعالى أعلم[2].

وإذا لم يستطع الطفل المسلم أن ينتقم من الرجال الذين يسيئون إلى رسول اللهﷺ فإنه ينقل الخبر الذى سمعه من كلام الفساق والمنافقين إلى رسول الله ﷺ وإلى المؤمنين من بعده .

فأوردت كتب التفسير سبب نزول الآية :﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون : 8] .فقالت :يقول ابن سعد وابن إسحاق : فبينا [3]رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من غفار،

١() هَدرٌ : مستباح لا ضمان فيه .

٢() وراجع حاشية ابن عابدين (4 / 213) (ط 2) مطلب فى حكم سبّ الذمى للنبى ﷺ .

٣() بعد الانتهاء من غزوة بنى المصطلق والتهيؤ للعودة للمدينة المنورة .

يقال له : جهجاه بن مسعود، يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا،فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ! فغضب عبد الله بن أُبى بن سلول [1]، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم، غلامٌ حَدَثٌ، فقال : أَوَقَدْ فعلوها؟ قد ثاورونا، يعنى: مهاجرى المسلمون من مكة، وكاثرونا فى بلادنا، والله !ما أعدنا وجلابيب قريش هذه، إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك، أما والله! لئن رجعنا إلى المدينة؛ لَيخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلّ، ثم أقبل على من حوله من قوله من المدينة، وقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله، لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم؛ لتحولوا إلى غير داركم، فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، وأخبره الخبر ... الحديث» .

3 ـ حب أطفال الصحابة لما يحب النبى ﷺ وكراهيتهم للجاهلية :

أخرج الخمسة [2] ، وهذا لفظ البخارى : عن أنس بن مالك ﷺ قال : دخلت مع النبى ﷺ على غلام خياط، فقدّم إليه قصعة فيها ثريد، وعليه دُبَّاء، قال : وأقبل على عمله ـ يعنى الغلام ـ قال : فجعل النبى ﷺ يتتبع الدُبَّاء ـ القرع ـ قال أنس : فجعلت أتتبعه، وأضعه بين يديه، قال : وما زلْتُ بعد أُحبُّ الدبَّاء .

وروى الإمام أحمد عن أنس : أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمةٍ ردّدها ثلاثاً . وإذا أتى قوماً يسلم عليهم سلم ثلاثاً . قال ابن كثير فى الشمائل : ورواه البخارى .

وينقل الصحابى إلى أبنائه فيحفظون سنة رسول الله ﷺ عمليا بتطبيق آبائهم للسنة :

روى الإمام أحمد عن ثمامة بن أنس يذكر أن أنسًا كان إذا تكلم تكلم ثلاثًا .

ويذكر أن النبى إذا تكلم تكلم ثلاثاً، وكان يستأذن ثلاثًا .

وروى الترمذى عن ثمامة بن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم يعيد الكلمة

١() رأس وزعيم المنافقين فى عهد الرسول ﷺ، ومع كل ما فعله من إفك، وفتنة، وتخلف عن الجهاد، لم يأمر الرسول ﷺ بقتله، ألا ليت الشباب المسلم المتحمس يدرس ذلك، ويعتبر به .

٢() البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود .

ثلاثاً لِتُعقل عنه . قال الترمذى : حسن صحيح غريب .

وأما عن كراهية أطفال الصحابة لأمور الجاهلية، وعاداتها ، وتقاليدها، وأمورها، وانتظارهم الحكم القرآنى، أو النبوى :

فعن عاصم قال : قلت لأنس بن مالك ﷺ : أكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة ؟! قال : نعم؛ لأنها كانت من شعائر الجاهلية، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة : 158] . متفق عليه .

ومن هنا فإن الآباء، والأمهات، والمربين مدعوون لتعريف الأطفال أمور الجاهلية الحديثة المخالفة لما عليه شريعة الإسلام، وذلك حتى لا يقعوا فى شباكها؛ التى بدأت تُهدد الأخضر واليابس، من انتشار المخدرات، وغزو القنوات الفضائية للبيوت، وما فيها من رذائل فاضحة، بحيث أصبحت حضارة اليوم حضارة الزنا والخنا؛ وحضارة تحطيم الناس والشعوب؛ بصيدهم فى النهار بالمخدرات، وفى الليل بالقنوات الفضائية عبر الرائى (التلفاز) .

وبدأت صيحات الآباء والأمهات الغيورين على تربية أطفالهم يحسون بالخطر المدلهم حولهم، وبدؤوا يبحثون عن المخرج، فها هو المخرج بين أيديهم : «منهج التربية النبوية للطفل» يبصرهم، ويرشدهم لكيفية التعامل مع أطفالهم، ويدعوهم إلى اليقظة الدائمة، والانتباه المستمر، والتربية الفعالة .

ولن ينفع الآباء كثرة أموالهم إذا اكتشفوا انحراف ولدهم، فسوف يأكل ذلك الانحراف جميع ثروات الآباء، أو جُلَّها، وكان بإمكانهم تجنب ذلك بالانتباه إلى تربية أطفالهم، ورعايتهم، واحتضانهم، وهيا نقرأ دعوة الله إلينا عبر رسله، وأنبيائه، وأصفيائه:

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود]

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف] .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [غافر] .

4ـ حفظ أطفال الصحابة والسلف الصالح للأحاديث النبوية :

أخرج البخارى عن محمود بن الربيع ﷺ قال : عَقَلْتُ ـ أى : حفظت ـ من النبى ﷺ مَجَّةً مجَّها فى وجهى، وأنا ابن خمس سنين؛ من دَلْو .

وأخرج الترمذى عن أبى الحوراء السعدى ربيعة بن شيبان قال : قلت للحسن ابن على ﷺ : ما حفظتَ من رسول الله ﷺ؟ قال : حفظتُ منه : «دَعْ ما يرِيبُكَ إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» . ورواه النسائى وأحمد وغيره، وإسناده صحيح [1] .

وعن محمد بن أبى بكر الثقفى قال : سألتُ أنسًا، ونحن غاديان من مِنى إلى عرفات عن التلبية، كيف كنتم تصنعون مع النبى ﷺ ؟ قال : كان يلبى الملبِّى لا ينْكِرُ عليه، ويكبِّرُ المكبرُ فلا ينكر عليه . متفق عليه .

وأخرج البخارى ومسلم عن سمرة بن جندب ﷺ قال : لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعنى من القول إلا ها هنا رجالاً، هم أسنّ منى .

وعن ابن عباس ـ ﷺ ـ قال : بِتُّ عند خالتى ميمونة ـ ﷺ ـ فأتاه المؤذن، فخرج أى : النبى ﷺ إلى الصلاة وهو يقول :

---

(١) انظر : جامع الأصول (6/ 443) تحقيق : الأرناؤوط . ورواه الحاكم فى مستدركه (2/ 13-4/ 99) بلفظ : « فإن الشر ريبة، والخير طمأنينة» وقال الذهبى : صحيح، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (3/ 103) .

«اللهم اجْعل فى قلبى نورًا، واجْعل فى لسانى نورًا، واجعل فى سمعى نورًا، واجعل فى بصرى نوراً، واجعل خلفى نوراً، ومن أمامى نوراً، واجعل من فوقى نوراً،ومن تحتى نوراً، اللهم أعظم لى نوراً» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (1/ 229) بسندين أحدهما صحيح .

وعن أبى جُحيفة ﷺ وكان من صغار الصحابة، كان مراهقاً لما توفى النبى ﷺ ـ قال : أتيت النبى ﷺ بمكة، وهو بالأبطح، فى قُبّة له حمراءَ من أدَم، قال : فخرج بلال بوضوئه، فبين نائل وناضح، قال : فخرج رسول الله ﷺ فى حلة حمراء، كأنى أنظر إلى بياض ساقيه، قال : فتوضأ، وأذّن بلال، قال : فجعلتُ أتتبعُ ها هنا، يقول : يميناً وشمالاً، يقول : حى على الصلاة، حى على الفلاح، ثم رُكِزَتْ له عَنَزَةٌ [1]؛ فقام، فصلى العصر رَكعتين [2]، ثم يمر بين يديه الحمار والكلب لا يمنع، ثم لم يزل يصلى ركعتين حتى رجع إلى المدينة . رواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 188) بإسناد صحيح، ورواه مسلم، وصححه ابن حبان، ورواه أحمد والبخارى .

وفى رواية : «أن أبا جُحيفة حدث أنه رأى النبى ﷺ توضأ بالهاجرة، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه، ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يدية عَنَزَةٌ» .

وينقل الصحابى الصغير إلى التابعين ما رآه من فعل رسول الله ﷺ عمليا :

أخرج مسلم عن همام قال : حدثنا أنس بن سيرين قال : تلقينا أنسَ بن مالك حين قدم الشام، فتلقيناهُ بعين التمر، فرأيته يصلى على حمارٍ، ووجهه ذاك الجانب، وأومأ همامٌ عن يسار القِبْلة فقلتُ له : رأيتُك تُصلى لغير القِبْلَة! قال : لولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يفعلُهُ لم أَفْعلْهُ .

فليكن شعار المحبين لرسول الله ﷺ : لو لم أسمع أن النبى ﷺ فعلَهُ لم أفعلْه .

وأخرج مسلم عن السُّدى قال : سألت أنساً : كيف أنصرف إذا صليتُ عن يمينى أو عن يسارى؟ قال : أما أنا فأكثر ما رأيتُ رسول الله ﷺ ينصرف عن يمينه .

---

(١) العنزة : أى : شىء يضعه المصلى أمامه لكيلا يمر أحد من مكان سجوده، وإنما يمر من خلف العنزة.

(٢) أى : يقصر الصلاة من أربع ركعات إلى ركعتين، أى : اعتبر النبى ﷺ نفسه مسافراً، حيث تحول موطنه الأصلى من مكة إلى المدينة .

وأخرج مسلم عن عبد الله بن شقيق العُقَيلى قال : قال رجل لابن عباس رضى الله عنهما (وكان يخطب) الصلاةَ؟! . فسكت، ثم قال : الصلاة؟! فسكت ثم قال : الصلاة؟! فسكت ثم قال : لا أُمَّ لكَ أتُعلِّمنا الصلاةَ، وكنا نجمع [1] بين الصلاة على عهد رسول الله ﷺ؟!

وهكذا يخبر العلماء الناس سنة رسول الله ﷺ، وأحكامه، وسيرته . وإن الصحابة الكرام يبلغون أبناءهم ما رَأَوْه من رسول الله ﷺ، فيرسخون محبته فى قلوبهم :

أخرج مسلم عن ابن شهاب عن عبد الله بن ربيعة أخبره أن أباه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى السُّبْحَةَ بالليل فى السفر على ظهر راحلته حيث توجهت .

وهكذا نرى أن جهود الآباء تتضافر مع جهود العلماء فى تربية الأطفال، فكل مسلم مسؤول عن تربية الأطفال على حسب نسبة المسؤولية المناطة به .

والآن مع قصة عجيبة، وذاكرة عظيمة، حباها الله للغلام الصاعد، والعلامة القائد، والمجاهد الكبير، أحمد بن تيمية [2] ـ رحمه الله ـ فيقول الحافظ محمد بن أحمد عبد الهادى فى «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» :

«انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه، واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب [3] قدم إلى دمشق، وقال : سمعت فى البلاد بصبى يقال له : أحمد بن تيمية، وإنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلّى أراه، فقال له خياط : هذه طريق كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاءنا، فاقعد عندنا الساعة يجىء، يعبْر علينا ذاهباً إلى الكتّاب، فجلس الشيخ الحلبى قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط : ها ذاك الصبى، الذى معه اللوح الكبير؛ هو أحمد بن تيمية . فناداه الشيخ، فتناول الشيخ اللوح منه، فنظر فيه، ثم قال له : امسح ياولدى هذا، حتى أملى

---

(١) فسر الحنفية هذا الحديث وأحاديث جمع الصلاة بالجمع الصورى، وذلك بتأخير وقت صلاة الظهر إلى آخر وقتها ثم الانتظار، فيدخل وقت العصر فتصلى فى وقتها، وفسر الجمهور بالجمع الحقيقى، فمذهب الحنفية أحوط، ومذهب الجمهور على الجواز . وتنظر المسألة فى كتب فقه الأدلة .

(٢) عن مقدمة تحقيق كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لابن تيمية، تحقيق : محمد حامد الفقى .

(٣) وهى مدينة كاتب هذه السطور، حفظها الله وسائر بلاد المسلمين .

عليك شيئاً تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر، أو ثلاثة عشر ـ حديثاً، وقال له : اقرأ على هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه، وقال : اسمعه على، فقرأه عليه عرضاً؛ كأحسن ما أنت سامع، فقال له : يا ولدى، امسح هذا، ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال : اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة، ثم أسمعه إياه كالأول، فقام الشيخ، وهو يقول : إن عاش هذا الصبى ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم ير مثله» .

وكان الأعمش ـ رحمه الله ـ يقول : عليكم بملازمة السنة، وعلموها للأطفال؛ فإنهم يحفظون على الناس دينهم إذا جاء وقْتَهم [1] .

ومما يلفت الانتباه : حرص الصحابة والتابعين وتابع التابعين بتحفيظ الأطفال أحاديث رسول الله ﷺ سنداً ومتناً، ما نبينه فى الإحصائية التالية لصحيح البخارى[2] :

ـ ما رواه الأبناء عن الآباء والأمهات (1470) ألف وأربعمائة وسبعون حديثاً .

ـ وما رواه الابن عن أبيه عن جده (134) مائة وأربعة وثلاثون حديثًا .

ـ وما رواه الابن عن جده (209) مائتان وتسعة أحاديث .

ـ وما رواه المحدث عن أخيه وأخته (70) سبعون حديثًا .

ـ وما رواه عن عمه وعمته (198) مائة وثمان وتسعون حديثًا .

ـ وما رواه عن خاله وخالته (803) ثمانمائة وثلاثة أحاديث .

فيكون مجموع الأحاديث التى أخذها المحدث منذ صغره إلى كبره عن عائلته هو (2884) ألفين وثمانمائة وأربعة وثمانين حديثاً، أى : ما يعادل نصف أحاديث صحيح البخارى بحذف المكرر .

وهذا يدل دلالة أكيدة على اعتناء الرعيل الأول فى القرون الخيرية على توريث سنة رسول الله ﷺ للأطفال، بحيث تتكاتف الأسرة بأركانها الأساسيين الأب والجد والعم والعمة والخال والخالة فى تربية الطفل تربية نبوية، وحرص الجميع على رعاية الطفل . وفقنى الله وإياك للتأسى بمثل أولئك الركب الصالح . فالأقربون أولى بالمعروف .

كما اعتنى علماء الحديث بفن من علوم الحديث سموه « رواية الأكابر عن الأصاغر، والآباء عن الأبناء وعكسه» .

---

(١) انظر : المنن الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعرانى ـ رحمه الله .

(٢) برنامج صخر لصحيح البخارى، الإصدار الأول .

وهذا يدل على التفاعل العلمى القوى بين علماء الحديث مع الأطفال، فهم يلقنونهم الحديث الشريف، ويروونه لهم، ثم يأتى آخرون فيأخذون عنهم ، ولم يكن الصغر، وسن الطفولة عائقاً لتلقى الرواية، وتحملها، ثم أداؤها إلى الآخرين، ما دام الطفل قادراً على الحفظ والرواية .

ذكر العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه « الرسالة المستطرفة لمشهور بيان كتب السنة المشرفة» (ص 122) عن تلك الكتب المؤلفة فى هذا الفن، فقال ـ رحمه الله تعالى :

«ومنها كتب رواية (الأكابر عن الأصاغر) و (الآباء عن الأبناء) وعكسه، وهى أنواع مهمة، ولها فوائد، والأصل (أى : الدليل) فى أولها رواية النبى ﷺ عن تميم الدارى خبر الجساسة، ومن كتبها :

ـ كتاب : (ما رواه الكبار عن الصغار؛ والآباء عن الأبناء) للحافظ أبى يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس بن المنجنيقى البغدادى الوراق، نزيل مصر، الثقة الحافظ المتوفى سنة أربع وثلاثمائة .

ـ وكتاب (رواية الصحابة عن التابعين) .

ـ وكتاب : (رواية الآباء عن الأبناء) كلاهما للخطيب البغدادى .

ـ وكتاب : (رواية الأبناء عن آبائهم) لأبى نصر ـ عبيد الله بن سعيد السجزى الوائلى، وزاد عليه بعض المتأخرين؛ أشياء مهمة نفيسة، كما قال ابن كثير .

ـ وكتاب : (من روى عن أبيه من الصحابة والتابعين) لأبى حفص بن شاهين .

ـ وجُزْء من روى عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ لصلاح الدين أبى سعيد خليل ابن كيكلدى العلائى الحافظ، وهو أجمع مصنف صنف فى هذا، أعنى من روى عن أبيه عن جده، وهو فى مجلد كبير، قسمه أقساماً، وخرّج فى كل ترجمة حديثاً من مرويه، وقد لخصه الحافظ ابن حجر، وزاد عليه تراجم كثيرة . انتهى» .

ومن أنواع الحديث الصحيح كما قال الحاكم : «الخامس أحاديث جماعة من الأئمة عن آبائهم عن أجدادهم، لم تتواتر الرواية عن آبائهم عن أجدادهم إلا عنهم، كعَمْرو بن شُعيب عن أبيه عن جده، وبَهْز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، وإياس بن معاوية بن مُرَّة عن أبيه عن جده، أجدادهم صحابة وأحفادهم ثقات، فهذه أيضاً

محتج بها، مُخَرَّجة فى كتب الأئمة دون «الصحيحين» [1].

وهكذا خلد أسماء الأجداد مع الآباء مع الأحفاد، وتلك ميزة تعليم الأطفال .

وهذا الفتى التابعى عبد الله بن رباح من الأنصار يحدِّث عن الصحابى الجليل أبى قتادة قصة رحلته مع رسول الله ﷺ، ورعايته له فى المسير، واهتمامه برسول الله ﷺ، وإن كان فى القصة طول إلا أن فيها فوائد تربوية :

أخرج مسلم عن عبد الله بن رباح عن أبى قَتادة ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : «إنكم تَسيرون عَشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء إن شاء الله غداً» . فانطلق الناسُ لا يلوى أحد على أحد .

قال أبو قَتادَة : فبينما رسول الله ﷺ يسيرُ حتى ابْهارَّ الليلُ (أى : انتصف الليل) وأنا إلى جنبه، قال : فَنَعس رسول الله ﷺ، فمالَ عن راحلته، فأتيتُه فَدَعَمْتُهُ مِنْ غير أن أوقظَهُ حتى اعتدلَ على راحلته، قال : ثم صار تَهَوَّرَ الليلُ مالَ عن راحلته، قال : فَدعمتُهُ من غير أن أُقظَهُ حتى اعتدل على راحلته، قال : ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مالَ ميلة هى أشدُ من المَيلتين الأُولَيين حتى كاد ينجفِلُ، فأتيتُهُ، فدعمتُهُ فرفع رأسه، فقال ﷺ : «مَنْ هذا ؟»، قلت : أبو قتادة، قال : «متى كان هذا مسيرك مِنِّى؟»، قلتُ : مازال هذا مسيرى منذُ الليلةَ . قال ﷺ : «حَفِظكَ الله بما حَفِظْتَ به نَبيه» .

ثم قال ﷺ : «هل تَرانا نَخْفَى على الناس؟»، ثم قال ﷺ : «هل ترى من أحدٍ؟» قلتُ : هذا راكبٌ، ثم قلت : هذا راكبٌ آخَرُ، حتى اجتمعنا، فكُنَّا سبعةَ رَكْب، قال : فمال رسول الله ﷺ عن الطريق، فوضعَ رأسَهُ، ثم قال ﷺ : «احفظوا علينا صلاتنا»، فكان أول من استيقظَ رسول الله ﷺ والشمسُ فى ظهرِه، قال : فقُمنا فزِعين، ثم قالﷺ : «اركبوا» فركبنا؛ فسِرْنا حتى ارتفعت الشمسُ، ثم نزلَ ثم دعا بميضَأَةٍ كانت معى فيها شىءٌ من ماء، قال : فتوضأَ منها وُضُوءاً دُون وُضوءٍ (أى : وضوءًا خفيفًا)، قال : وبقى منها شىء من ماء، ثم قال ﷺ لأبى قتادة : «احفظ علينا مِيضأَتَكَ فسيكون لها نبأ» .

ثم أذن بلال بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ رَكعتين، ثم صلى الغداة، فصنع كما كان يصنع كل يوم، قال : ورَكِبَ رسول الله ﷺ وركبنا معه، قال : فجعلَ بعضُنا يهمِسُ إلى بعضٍ : ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا فى صلاتنا؟، ثم قال ﷺ : «أما لكم فى

---

(١) انظر : تدريب الراوى (ص 76-77) نقلاً عن : قواعد علوم الحديث للشيخ عبد الفتاح أبى غدة ـ رحمه الله (ص66) .

أُسوةٌ» ثم قال : «أما إنه ليس فى النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يصلِّ الصلاة حتى يجىء وقتُ الصلاة الأخرى، فمن فعل ذلك فَلْيصلِّها حين ينتبهُ لها، فإذا كان الغدُ فليصلّها عند وقتها»، ثم قال ﷺ : «ما تَرَوْنَ الناس صنعوا؟»، ثم قال [1]: «أصبح الناسُ فقدوا نبيهم؛ فقال أبو بكر وعمرُ : رسول الله ﷺ بعدَكم لم يكن ليخلِّفكم، وقال الناس : إن رسول الله ﷺ بين أيديكم، فإن يطيعوا أبا بكر وعمرَ يرْشُدوا» .

قال : فانتهينا إلى حين امتدّ النهار، وحَمِى كلُّ شىء، وهم يقولون : يارسول الله، هلكنا ! عطشنا ! فقال ﷺ : «لا هُلْك عليكم» ثم قال ﷺ : «أَطْلِقوا لى غُمرى [2]»، قال : ودعا بالمِيضَأَة، فجعلَ رسول الله ﷺ يصُبُّ، وأبو قتادة يسقِيهم، فلم يعْدُ أن رأى الناسُ ماءً فى المِيضأَة تكابُّوا عليها، فقال رسول الله ﷺ : « أَحْسنوا المَلْءَ كُلُّكم سيروى»، قال : ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصُبُّ، وأسقيهم، حتى ما بقى غيرى وغيرُ رسول الله ﷺ، قال : ثم صبَّ رسول الله ﷺ فقال لى : «اشْربْ»، فقلت : لا أشربُ حتى تشرب يا رسول الله، قال : «إن ساقى القومِ آخرُهم شُرْبًا»، قال : فشربتُ وشرِبَ رسول الله ﷺ، قال : فأتى الناسُ الماءَ جامّين رِواءً، قال : فقال عبد الله بن رباح : إنى لأُحَدِّثُ هذا الحديثَ فى المسجد الجامع إذ قال عِمْرانُ بنُ حُصين رضي الله عنه : أُنظرْ أيها الفتى كيف تُحدثُ، فإنى أحدُ الركب تلكَ الليلةَ . قال : قلتُ : فأنت أعلم بالحديث!، فقال : ممن أنت؟ قلتُ : من الأنصار، قال : حَدِّثْ، فأنتم أعلم بحديثكم، قال : فحدثتُ القوم، فقال عِمْرانُ : لقد شَهِدْتُ تلك الليلة، وما شعرتُ أن أحداً حفِظَهُ كما حفِظْتُهُ .

هكذا تصدّر المَجلس فتيان التابعين يروون أحاديث رسول الله ﷺ، ومعجزاته، وسيرته الشريفة فى حِلّه وترحاله، وفى حضره وسفره، وفى نهاره وليله، وفى يقظته ونومه، وفى سيره ووقوفه، وفى صلاته وحديثه . إنه الحب الصادق الخالد لخاتم النبيين .

أ ـ مكافآت على حفظ الأطفال للأحاديث النبوية :

ذكر الخطيب البغدادى فى كتابه «شرف أصحاب الحديث» (ص10) :

روى [3] النضر بن الحارث قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : قال لى أبى : يا

---

(١) يخبر الرسول ﷺ ماذا قال أبو بكر وعمر وماذا قال الآخرون، وهذا من معجزاته .

(٢) القدح الصغير .

(٣) عن : أصول الحديث للدكتور عجاج الخطيب (ص100) .

بنى، اطلب الحديث، فكلما سمعتَ حديثاً، وحفظتَه، فلكَ درهم [1]، فطلبتُ الحديث على هذا .

ب ـ خدمة أطفال السلف الصالح للعلماء؛ لقاء تلقى الحديث الشريف عنهم :

ذكر صاحب «المحدّث الفاصل» : روى سفيان بن عيينة قال : كان أبى صَيرفياً بالكوفة، فركبه الدَّين، فحملنا إلى مكة، ورجعنا إلى المسجد لصلاة الظهر، وصرت إلى باب المسجد، إذا شيخ على الحمار، فقال لى : يا غلام، أمسك على هذا الحمار، حتى أدخل المسجد فأركع، فقلت : ما أنا بفاعل أو تُحدثنى، قال : وما تصنع أنتَ بالحديث؟ واستصغر بى، فقلت : حدّثنى، فقال : حدّثنى جابر عن عبد الله، وحدثنا ابن عباس، فحدّثنى بثمانية أحاديث، فأمسكتُ حماره، وجعلتُ أَتَحَفَّظُ [2] ما حدثنى به، فلما صلى وخرج، قال : ما نفعكَ ما حدثتكَ به؛ إذ حبستنى، فقلتُ : حدثتنى بكذا، وحدثتنى بكذا، فرددتُ عليه جميع ما حدثنى به، فقال : بارككَ الله فيكَ، تعالَ غداً إلى المجلس، فإذا هو عمرو بن دينار [3] .

جـ ـ هجرة أطفال السلف الصالح ورحلتهم فى طلب الحديث النبوى :

ذكر الخطيب البغدادى عن طلب والد على بن عاصم قال : «دفع إلى أبى مائة ألف وقال : اذهب فلا أرى لك وجهاً، إلا بمائة ألف حديث» [4] .

وشرح على بن عاصم رحلته فى طلب الحديث فقال [5] :

خرجتُ من واسط إلى الكوفة، أنا وهشيم، لنلقى منصوراً، فلما خرجتُ من واسط، سرت فراسخ، لقينى إما معاوية وإما غيره، فقلت : أين تريد؟ قال : أسعى فى دَينٍ علىّ، قال : فقلتُ : ارجعْ مع، فإنى عندى أربعة آلاف درهم أعطيك منها، فرجعتُ فأعطيتُه ألفين، ثم خرجت، فدخل هشيم الكوفة بالغداة، ودخلتها بالعشى، فذهب هشيم فسمع من منصور أربعين حديثًا، ودخلت أنا الحمام، فلما أصبحتُ، مضيتُ؛ فأتيتُ باب المنصور، فإذا جنازة، فقلت : ما هذه؟ قالوا : جنازة

---

(١) كان والدى ـ حفظه الله ـ يعطينى عشرة قروش سورية على حفظ الحديث من الأربعين النووية، متبعاً هذا المنهج، فجزاه الله خير الجزاء .

(٢) أى : أكرر ما حفظته، وهذه هى طريقة تثبيت المحفوظ بالتكرار، ودوام المراجعة .

(٣) عن : أصول الحديث لعجاج الخطيب (ص16) .

(٤) فى كتابه : (الرحلة فى طلب الحديث) تحقيق : الدكتور نور الدين عتر (ط1) .

(٥) المصدر السابق (ص172) .

منصور، فقعدت أبكى، فقال لى شيخ هناك : يا فتى، فأدلك على من شهد عرس أمّ هذا؟ قلت : نعم، قال : اكتب : حدثنى عكرمة عن ابن عباس، قال : فجعلتُ أكتب عنه شهراً، فقلت له : من أنتَ رحمك الله؟ قال : أنت تكتب عنى منذ شهر ولم تعرفنى؟ أنا حصين بن عبد الرحمن، وما كان بينى وبين أن ألقى ابن عباس إلا سبعة دراهم، أو تسعة دراهم، فكان عكرمة يسمع منه، ثم يجىء فيحدثنى .

فانظر ـ رعاك الله ـ إلى تضحية هذا الفتى، الذى بذل نصف ماله، وأضاع من وقته، وهجر الأوطان، فتأخر عن لقاء الشيخ منصور، فهيأ الله تعالى له شيخاً هو شيخ المشايخ، وأستاذهم آنذاك : حصين بن عبد الرحمن، وما ذاك إلا دليل على شدة الإخلاص فى طلب العلم، وصدق المحبة لرسول الله ﷺ .

د ـ كتابة الأحاديث النبوية، والتأكد من صحة الكتابة :

عن هشام بن عروة قال : قال لى أبى : كتبتَ؟ قال : قلت : نعم، قال : عارَضْتَ؟ قال : لا، قال : لم تكتب. رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (9/ 111) .

وهذا المنهج العلمى فى عرض الكتابة على الأصل، والتأكد من سلامة وصحة الكتابة، يؤكد الحرص الكبير على جلالة قدر تراثنا العظيم، ويقظة وانتباه الآباء والعلماء إلى المنهج العلمى القويم، وتعويد الصغير عليه ليشبّ معه بكل ثقة، واعتزاز .

هـ ـ حفظ البنات للأحاديث النبوية :

قال الزبيدى [1] : كانت لمالك بن أنس ابنة تحفظ علمه، يعنى : الموطأ، وكانت تقف خلف الباب، فإذا أخطأ التلميذُ نَقَرَت البابَ، فيفطنُ مالك؛ فيردّ عليه .

و ـ الأطفال يهتمون بروايات الحديث النبوى وفقهه :

أورد الخطيب البغدادى [2] : أن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت لابن أختها عروة بن الزبير : يا بُنَى، بلغنى أنك تكتب عنى الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقال : أسمعه منك على شىء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت : هل تسمع فى

---

(١) عن كتاب : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكى، تحقيق : الدكتور محمود الأحمدى .

(٢) فى كتاب : الكفاية فى علم الرواية (ص205) .

المعنى خلافاً ؟ قال : لا، قالت : لا بأس بذلك [1].

5 ـ دراسة الأطفال للسيرة النبوية، ومدى تأثيرها فيهم :

حرص الصحابة والسلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ على دراسة سيرة النبى ﷺ وتلقينها لأطفالهم، حتى إنهم ليقرئونها مع تعليم القرآن؛ لأنها الترجمان لمعانى القرآن، مع ما فيها من إثارة العاطفة، ومشاهدة الواقع الإسلامى، وتأثير عجيب فى النفس، ولما تحمل فى طياتها من معانى الحب، والجهاد فى إنقاذ البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام .

فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال : كان أبى يعلّمنا المغازى والسرايا، ويقول : يا بنى، إنها شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها [2].

وقال زين العابدين بن الحسين بن على ﷺ : كنا نُعلَّم مغازى رسول الله ﷺ ـ كما نُعلَّم السور من القرآن [3]. وقال السمعانى : يجب على الآباء تعليم أولادهم أن النبى ﷺ بعث بمكة إلى كافة الثقلين، ودفن بالمدينة، وأنه واجب الطاعة والمحبة (فيض القدير للمناوى 1/ 226) .

والآن نسير مع الداعية المتواضع أبى الحسن على الندوى، وهو يقصّ لنا فى كتابه : الطريق إلى المدينة، تحت عنوان : (الكتاب الذى لا أنسى فضله) رحلته مع السيرة، أيام طفولته، وكيف كانت تهتز نفسه البريئة بحوادث السيرة، وكيف أن كتاباً فى السيرة النبوية، صنع هذا العالِم الكبير، والداعية المجاهد :

«أتحدث اليوم عن كتاب كانت مِنَّتُه ـ ولا تزال ـ عظيمة على، وإنى دائم الترحّم على صاحبه العظيم، الذى أتحفنى عن طريق هذا الكتاب، بمنحة هى أغلى شىء عندى، بعد الإيمان، بل هو جزء من أجزاء الإيمان، وهو كتاب (سيرة رحمة العالمين) لمؤلفه القاضى محمد سليمان المنصورفورى ـ رحمة الله عليه ـ ولهذا الكتاب قصة عجيبة .

لقد كان أخى الأكبر ـ رحمه الله ـ وهو الذى تولى تربيتى، وتثقيفى بعد وفاة أبى وقد توفى وأنا فى التاسعة من عمرى، موفقًا كل التوفيق فى اختيار الكتب التى كان يحب أن أطالعها فى صغرى، فقد قدَّم إلى فى أول ما قدَّم كتاب (سيرة خير البشر ـ)

---

(١) عن : أصول الحديث لعجاج الخطيب (ص162/ 1/ 86) .

(٢) عن كتاب : محمد رسول الله للشيخ محمد رضا (ص151) ومقدمة السيرة الحلبية .

(٣) عن كتاب : محمد رسول الله للشيخ محمد رضا (ص151) ومقدمة السيرة الحلبية .

لمؤلف هندى، وكان حريصاً على أن أكثر من مطالعة كتب السيرة النبوية؛ على صاحبها الصلاة والسلام؛ لأنه يعرف أنها المؤثر الأكبر فى تكوين السيرة، والعقيدة، والخُلُق، وغرس الإيمان، وقد نشأت لذلك على حب كتب السير، والحرص على اقتنائها ومطالعتها، فوقع بصرى مرة على كتاب (رحمة العالمين) وكنت كثير النظر فى الفهارس، وإعلانات الكتب، وأرسلت طلباً لهذا الكتاب، وكان قد طبع منه جزءان، تقصر ميزانيتى الصغيرة ـ وأنا فى العاشرة، أو الحادية عشرة من عمرى ـ عن شرائه، ولكن الصغار ـ خصوصاً فى العصر الذى أتحدث عنه ـ لا يخضعون لقوانين الميزانيات؛ وعلم الاقتصاد، إنما ينساقون مع الغرائز والعواطف، وجاء ساعى البريد، وهو يحمل هذا الكتاب فيما يحمله من بريد قريتنا الصغيرة، ولم أملك ما أتسلم به هذا الكتاب، وأدفع ثمنه، واعتذرتْ أمى ـ رحمها الله ـ مع حرصها على إرضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود؛ لأنها لم تكن تملكها فى ذلك الحين، ورأيت فلم أر لى مساعداً وشفيعاً فى هذه المهمة؛ إلا الشفيع الذى لجأ إليه سيدنا عُمير بن أبى وقاص الصغير، فَقَبِلَ رسول الله ﷺ شفاعته، وأجازه للقتال فى بدر، ذلك شفيع الدموع، والبكاء البرىء، الذى لم يزل وجيهًا مسموعًا عند الله، وعند عباده الصالحين، وكذلك كان، فقد رقَّ لذلك قلب أمى الحنون، واجتهدتْ فى دفع ثمن الكتاب، والحصول عليه، وأخذتُ الكتاب .

بدأت أقرأ الكتاب، وبدأ الكتاب يهزّ قلبى، وليست بهزة عنيفة مزعجة، إنما هى هزة رقيقة، وقلبى يهتز له، ويطرب، كما اهتز تحت البارد الغصن الرطب، وهذا هو الفارق بين الكتب التى ألفت فى حياة الأبطال، والفاتحين الكبار، وبين الكتب التى ألفت فى سيرة الرسول ﷺ فالأولى تُغِيرُ على القلب، وتزعجه، وللثانية هزّة تنبعث من النفس، وتريحها .

وبدأتْ تتجاوبُ نفسى لهذا الكتاب، وتسيغه كأنما كانت منه على ميعاد، وشعرت فى أثناء قراءتى لهذا الكتاب بلذة غريبة، إنها لذّة تختلف عن جميع اللذات، التى عرفتها فى صغرى ولم أزل مرهف الحس، قوى الشعور، فلا هى لذة الطعام الشهى فى يوم الجوع، ولا هى لذة العطلة والفراغ بعد الدراسة المضنية، والاشتغال المرهق، ولاهى لذة اللباس الجديد فى يوم العيد، ولا هى لذة اللعب فى حين الشوق إليها، ولا هى لذة الانتظار والظفر فى المباراة، ولا هى لذة زيارة صديق قديم، أو زائر كريم، إنها لا تشبه لذه من هذه اللذات، إنها لذة أعرف طعمها، ولا أستطيع وصفها، وأعترف أنى لا أستطيع حتى اليوم أن أصفها بدقة، ولا أعبّر عنها بكلمة،

إن غاية ما أستطيع أن أقول : إنها لذه الروح، وهل الأطفال لا يحملون الأرواح، ولا يشعرون باللذة الروحية؟! بلى والله، إن الأطفال أشفّ روحًا، وأصحّ شعوراً، وإنْ عجزوا عن التعبير .

كنت أقرأ فى هذا الكتاب المعجب المطرب، خبر من كان يسلم من قريش، فتنهال عليه أنواع العذاب، فكان يتحمل كل ذلك فى ثبات وصبر، بل ولذّة وسرور، فكنت أشعر بأن هناك لذة لا يعرفها كثير من الأغنياء والأقوياء، وكثير ممن يعدون فى الحياة سعداء، وهو أن تضرب على الحق، وتضطهد فى عقيدة، وتهان فى سبيل الدعوة، وأن هذه اللذة، لا تعدلها لذة القوة والظفر، ورأيت أن نفسى تتمنى أن تسعد بهذه اللذة، وبهذه الكرامة ولو مرة فى العمر .

وقرأت قصة الهجرة النبوية، قصة لا أعرف أنى قرأت قصة أكثر تأثيراً؛ وأجمل تصويراً، من هذه القصة، التى يحكيها المؤلف فى صدق وبساطة، يدخل رسول اللهﷺ المدينة، وقد تعلقت به القلوب، وطمحت إليه الأبصار، وتتقدم قبيلة قبيلة، وتقوم فى صدق وإخلاص : يا رسول الله، هلمّ إلينا، إلى العدد، والعدة، والمنّة، فيقول ـ فداه أبى وأمى : «خلوا سبيلها [1] فإنها مأمورة» ثم تبرك على باب مسجده اليوم، وتأبى أن تقوم، ويأبى الله أن يكون هذا الشرف؛ الذى ليس فوقه شرف، إلا لأبى أيوب الأنصارى، فيحمل أبو أيوب رحله، فيضعه فى بيته، وأقرأ سرور أبى أيوب بهذه الكرامة؛ التى ساقها الله إليه، وإخلاصه فى ضيافته، أقرأ كل هذا، وأجد قلبى قد فارقنى، ورافق ناقة رسول الله ﷺ فيدخل فى ركابه المدينة، وأجد منى كأنى أشاهد كل ذلك بعينى .

وأجد ما قرأت أو سمعت من دخول الملوك، والفاتحين، والعظماء، والأغنياء، قد تضاءل واضْمحلَّ، وأنَّ كل ما عرفته من حب وإخلاص، من رجل لرجل، قد ذاب وغاب، وارتسم هذا المنظر فى نفسى، فى ذاكرتى .

وقرأت قصة أُحُد، قصة لم يعرف التاريخ أعظم منها، وأغرب منها، وأجمل منها فى الوفاء، والإخلاص، والبطولة، والإيمان، واليقين، والخلق الكريم، وقد هزنى قول أنس بن النضر ﷺ للذين جلسوا، وألقوا بأيديهم، وقالوا : قُتِل رسول الله ﷺ

---

(١) أى : سبيل الناقة التى كان يركبها رسول الله ﷺ عندما دخل المدينة، فبركت الناقة أمام بيت أبى أيوب الأنصارى، ويدعى خالد بن زيد، وكان له شرف ضيافة رسول الله ﷺ .

قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، وقول القائل : إنى لأجد ريح الجنة من دون أُحُد، والذى كانت أمنيته الأخيرة أن يصل بين قدمى رسول الله ﷺ وهو فى آخر عهده بالدنيا، فحملوه إليه، وهو يجود بنفسه، ولفظَ نَفَسَه الأخير بين قدمى رسول الله ﷺ، وكيف تَرَّسَ أبو دجانة ﷺ بنفسه دون رسول الله ﷺ يقع النبل فى ظهره، وهو منحنٍ عليه، إلى غير ذلك من أحاديث الحب، والتفانى، أتابع قراءتى لهذا الكتاب، وقد يغلبنى البكاء فأبكى، وقد يملكنى السرور والطرب فأطرب [1].

6 ـ حرص الأمهات على آثار الرسول ﷺ ليكون بركة على أطفالهم :

روى مسلم عن أنس ﷺ قال : كان النبى ﷺ يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها [2] وليست فيه، قال : فجاء ذات يوم، فنام فى فراشها، فأتت فقيل لها : هذا النبى ﷺ نام فى بيتك على فراشك، قال : فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه ﷺ على قطعة أديم على الفراش، ففتحت أم سليم عتيدتها ـ وهو كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيها ما يعزّ عليها من متاعها ـ فجعلت تنشف ذلك العرق، فتعصره فى قواريرها، ففزع ـ أى : استيقظ من نومه ﷺ ـ فقال : « ما تصنعين يا أم سليم» ؟ فقالت : يا رسول الله، نرجو بركته لصبياننا، فقال : « أصبت» .

بهذه الروح الطيبة، وبهذا الحب السامى لرسول الله ﷺ وهذا التعلق الشديد به، وهذا الحرص الصادق تتسارع الأم العاقلة؛ لتفيد صغيرها بآثار الرسول ﷺ وهذا تقرير أيضا منه بقوله : «أصبت»، فيقرّها على عملها .

وعن أم مالك الأنصارية [3] ـ رضى الله عنها ـ كانت تُهدى النبى ﷺ من عكّةٍ لها سمناً، فيأتيها بنوها، فيسألونها الأدُم، وفى رواية : فيسألون سمنًا، وليس عندهم شىء، فتعمد (أى : تقصد) إلى الظرف الذى كانت تُهدى فيه، فتجد فيه سمنًا، فما زال يقيم لها أدمُ بيتها حتى عَصَرَتْه (أى : عصرت الظرف فنفد السمن) فأتت النبىﷺ (أى ذكرت له ذلك) فقال ﷺ : «عصرتيها؟» قالت : نعم، فقال ﷺ : « لو

---

(١) صدرت للداعية أبى الحسن الندوى سلسلة (قصص النبيين للأطفال) وكتاب : فى السيرة النبوية، فانظرها فإنها مفيدة .

(٢) وكانت محرماً له ﷺ، وهى خالته من الرضاع .

(٣) أنقل هذه الأحاديث وما بعدها من كتاب (سيدنا رسول الله ﷺ) للشيخ عبد الله سراج ـ حفظه الله ورعاه .(ص372) وما بعدها .

تركتيها ما زال قائماً» (أى : مازال السمن فيها) . رواه مسلم عن جابر ﷺ .

فهذا الحديث يعلم الأمهات والآباء على عدم النظر فى الباقى، وبقاء التوكل على الله تعالى، كما يفيدنا على حرص الأمهات الصحابيات على إيصال بركات الرسول ﷺ لأولادهن .

ومن بركاته ﷺ على الأطفال : ما رواه البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : ضمّنى رسول الله ﷺ إلى صدره وقال : « اللهم علِّمه الكتاب» .

فحصل لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ بتلك الضمة المباركة، والتقاء صدره بصدر الحبيب المصطفى ﷺ، ومقابلة قلبه بقلبه، انتقال الفيوضات النورانية إلى قلب ابن عباس، ثم بدعائه ﷺ له، ودعاؤه ﷺ لا يتخلف، ومستجاب عند الله، حتى غدا ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ حَبْر الأمة وترجمان القرآن .

وفى رواية أحمد عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : مسح النبى ﷺ رأسى، ودعا لى بالحكمة .

7 ـ ومن بركاته ﷺ الصحية على الأطفال :

ما رواه البخارى عن السائب بن يزيد ﷺ قال : ذهبت بى خالتى إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله، إن ابن أختى وجع، فمسح رسول الله ﷺ على رأسى ودعا لى بالبركة، وتوضأ، فشربت من وضوئه ﷺ .

وتستمر هذه البركة إلى مرحلة الشيخوخة :

فعن عطاء مولى السائب بن يزيد قال : رأيتُ مولاى السائب بن يزيد لحيته بيضاء، ورأسه أسود! فقلت : يا مولاى، ما لرأسكَ لا يبيضُّ ؟! فقال له : لا يبيض رأسى أبداً [1]، وذلك أن رسول الله ﷺ مضى (أى : مرَّ) وأنا غلام ألعب مع الغلمان، فسلّم وأنا فيهم، فرددتُ عليه السلام، فدعانى، فقال لى : «ما اسمُك؟» فقلت : السائب بن يزيد ابن أخت النَّمر . فوضع يده ﷺ على رأسى، وقال : «بارك الله فيك» قال السائب : فلا يبيضَّ موضع يد رسول الله ﷺ أبداً . رواه الطبرانى فى الثلاثة، وقال الهيثمى فى المجمع : ورجال الصغير والأوسط ثقات .

وروى الطبرانى عن محمد بن حاطب قال : لما قدمتْ بى أمى من أرض الحبشة حيث مات أبى حاطب، فجاءت أمى إلى النبى ﷺ وقد أصاب إحدى يدى حريق

---

(١) انظر إلى قوة اليقين، والإيمان ببركات الرسول ﷺ، ألا يا ليت قومى يعلمون !

من نار، فقالت : يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب ابن أخيك، وقد أصابه هذا الحريق من النار .

قال محمد بن حاطب : فلا أكذب على رسول الله ﷺ فلا أدرى أَنَفَثَ أم مسح على رأسى، ودعا لى بالبركة وفى ذريتى . كما فى مجمع الزوائد .

قال فى الإصابة بعد نقله صدرَ هذا الحديث : ورواه أيضا عبد الرحمن بن عثمان ابن محمد الحاطبى عن أبيه عن جده، أخرجه أحمد وابن أبى خيثمة والبغوى وفيه : أن أمه قالت : يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب وهو أول من سُمى بك ـ أى : فى الحبشة ـ قالت : فمسح رسول الله ﷺ على رأسك، وتفل فى فيك، ودعا لك بالبركة.

وروى إسحاق بن إبراهيم الرملى فى فوائده عن بشير بن عقربة الجهنى أن أباه أتى به إلى النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ : «مَنْ هذا معك ياعقربَة؟!» فقال : ابنى بحير، فقال ﷺ : «ادنُ» فدنوتُ حتى قعدت على يمينه، فمسح ﷺ على رأسى بيده، فقال : «ما اسمك؟» قلت : بحير يا رسول الله! فقال ﷺ : «لا، ولكن اسمك بشير» وكانت فى لسانى عقدة، فنفث النبى ﷺ فى فانحلتْ العقدة من لسانى، وابيضَّ كل شىء فى رأسى ـ أى : بعد كبر سنه ـ ما خلا ما وضع ﷺ يده عليه، فكان أسود، كما فى «الإصابة» .

8 ـ استمرار بركات الرسول ﷺ على الأطفال حتى بعد وفاته :

فعن حنظلة بن حِذْيم قال : وفدتُ مع جدى حِذْيم إلى رسول الله ﷺ فأدنانى رسول الله ﷺ ومسح رأسى، وقال : «بارك الله فيك» . قال الراوى عن حنظلة : فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهُه، أو الشاةِ الوارمِ ضرعها فيقول : باسم الله، على موضع كفّ رسول الله ﷺ فيمسحه، ثم يمسح الوارم فيذهب الورم» قال فى مجمع الزوائد : رواه الطبرانى فى الأوسط وأحمد ورجاله ثقات أ .هـ، وقال الزرقانى : ورواه البخارى فى تاريخه وأبو يعلى وغيرهم .

وعن عبد الله بن هلال الأنصارى ﷺ قال : ذهب بى أبى إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، أُدع الله له، قال عبد الله : فما أنسى وَضْع رسول الله ﷺ يده على رأسى، حتى وجدتُ بَرْدها، فدعا لى، وبارك على .

قال الراوى عنه : فرأيتُ عبد الله بن هلال يصوم النهار؛ ويقوم الليل، وقد كبرت سنُّه . (أى : بقيت فيه قوة الشباب، وعزيمتهم) . رواه الطبرانى، وإسناده حسن .

وفى مسند الإمام أحمد عن أبن مسعود ﷺ أنه قال : قلت : يا رسول الله، علمنى من

هذا القول، قال : فمسح رسول الله ﷺ رأسى، وقال : «يرحمك الله فإنك غُلَيِّم مُعلَّمٌ» .

وعن عبد الله بن بُسر ﷺ قال : وضع رسول الله ﷺ تسليماً يده على رأسى، وقال : «يعيش هذا الغلام قرناً» . فعاش مائة سنة، وكان فى وجهه ثُؤْلول، فقالﷺ : «لا يموت حتى يذهب الثؤْلول من وجهه» . قال الراوى : فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه . قال الحافظ الهيثمى : رواه الطبرانى، والبزار باختصار الثؤلول، ورجال أحد إسنادى البزار رجال الصحيح، غير الحسن بن أيوب الحضرمى وهو ثقة . أهـ .

وفى حجة الوداع : عندما حلق رسول الله ﷺ شعره الشريف، واحتفظ كل صحابى رضوان الله عليهم بشعرة، أو شعرتين، او أكثر، وتوارثت الأمة شعره الشريف، وإلى عصرنا الخاضر، يخرجها أصحابها فى المناسبات الدينية أو غيرها، وكان من فضل الله تعالى على كاتب هذه السطور أن قبَّلها وهوصغير، تقبيل العاشق المحب، فكان يهتز طرباً كلما قَبَّلها، ويشعر بالفرحة الكبرى، والقشعريرة الشديدة فى جسده . فلعلَّ هذا الكتاب من بركات تلك القُبل ـ ولله الحمد والفضل والمنة .

وفى الصحيحين وغيرهما عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ أتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق : «خُذ»، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل النبى ﷺ يعطيه ـ أى : يعطى شعره ـ الناس .

وذلك للتبرك به ـ كما قال الحافظ الزرقانى ـ واستشفاعًا إلى الله تعالى بما هو منهﷺ، وتقرّباً بذلك إليه . أهـ .

وقال الإمام النووى : وفيه التبرك بشعر النبى ﷺ وجواز اقتنائه .أهـ .

وهكذا سارت الأمة تتوارث شعره الشريف من جيل إلى جيل :

فقدروى البخارى عن محمد بن سيرين قال : قلتُ لعَبيدة السلمانى : عندنا مِنْ شعر النبى ﷺ أصبناه (أى حصل لنا) مِن قِبل أنس ﷺ أو من قِبلَ أهل أنس، فقال عَبيدة : لأَن تكون عندى شعره منه، أحبُّ إلىَّ من الدنيا وما فيها، وفى رواية الإسماعيلى : أحبُّ إلىَّ من كل صفراء وبيضاء . يعنى : الذهب والفضة [1] .

فهل نقتدى بالسلف الصالح هؤلاء، فنجب رسول الله ﷺ وكل شىء يتعلق به، وصدر منه، مثلما يحبون؟! اللهم اجعلنا كذلك .

---

(١) انظر : بتوسع كتاب : (سيدنا محمد رسول الله) تأليف الشيخ عبد الله سراج الدين .

ومن حب العلماء الصالحين : توريث الحب للرسول ﷺ لتلاميذهم، فينشؤون نشأة صحيحة، ويعرفون مقام الرسول ﷺ السامى الرفيع عند الله، هذا المقام الذى هو فى ازدياد وارتفاع لكثرة المصلين عليه من أمته، ومن هذا المنطلق ذهب الإمام الحاكم النيسابورى إلى المدينة المنورة، وهو ابن ثمان عشرة جلس أمام قبر النبى ﷺ يؤلف كتابا، حيث جمع من كتاب البخارى فى التاريخ أسماء الرواة المجروحين، فبلغت مائه وستة وعشرين رجلاً من أصل أربعين ألفا وفيه قال التاج السبكى : أنه لم يسبق إليه، ومن ألف بعده فى تاريخ أو الأسماء أو الكنى فعيال عليه [1].

9 ـ أطفال الصحابة يتَمسَّحُون بقَدَم رسول الله ﷺ حبًا وتبركًا :

فمن ذلك تبرُّك عمرو بن أبى عمرو المزنى بقَدَم النبى ﷺ . قال فى «الإصابة» : أخرج حديثه النسائى والبغوى وابن السكن وابن منده بعلوٍّ من طريق هلال بن عامر عن رافع بن عمرو المزنى، قال :

إنى لفى حجة الوداع خماسٍ أو سداسٍ، فأخذ أبى بيدى، حتى انتهينا إلى النبىﷺ بمنى يوم النحر، فرأيته ﷺ يخطب على بغلة شهباء، فقلت لأبى : مَنْ هذا؟ فقال : هذا رسول الله ﷺ قال : فدنوتُ حتى أخذتُ بساقه، ثم مسحتُها حتى أدخلتُ كفى فيما بين أخمص قدمه والنعل، فكأنى أجدُ بَرْدها على كفى .

هكذا يكون شأن المحب للحبيب، وهكذا يكون التفاعل الإيمانى .

10 ـ تبرك الغلمان بسؤر الرسول ﷺ :

روى الشيخان عن سهل بن سعد ﷺ قال : أتى النبى ﷺ بشراب فشرب، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال النبى ﷺ للغلام : «أتأذنُ لى أن أُعطى هؤلاء؟» فقال الغلام : والله، يا رسول الله، لا أُوثِرُ بنصيبى منك أحداً، فتلّهُ (أى : ألقاه) رسول الله ﷺ فى يده، أى : فشرب الغلام، وهو عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما .

وروى الإمام أحمد وغيره عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ دخل على أُمّ سُليم، وفى البيت قِرْبةٌ معلَّقةٌ، فشرب مِنْ فيها ـ أى : من فم القربة ـ وهو قائم، قال أنس : فقطعتْ أم سُلَيم فمِ القرْبة، فهو عندنا .

---

(١) انظر : الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتانى ـ رحمه الله (ص96) .

هكذا يفتخر الطفل أنس، فيقول : هو عندنا .

11 ـ تبرك أطفال الصحابة بشرب دم حجامة النبى ﷺ :

أخرج الطبرانى والبزار [1] والحاكم والبيهقى وأبو نعيم فى « الحلية» من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير قال : احتجم رسول الله ﷺ فأعطانى الدم بعد فراغه من الحجامة، وقال : «اذهب ياعبد الله فغيّبْه»، وفى رواية : «اذهب بهذا الدم فوارِهِ حيث لا يراه الناس» . قال عبد الله : فذهبتُ به فشربته، ثم أتيته ﷺ فقال : «ما صنعتَ؟ قلتُ : غَيبْتُه، قال : «لعلكَ شربتَه؟» قال : نعم، قال : «ويل لك من الناس، وويلٌ للناس منك» . وفى رواية : فقال رسول الله ﷺ : «فما حملكَ على ذاك؟» فقال : «علمتُ أن دَمَك لا تُصيبه نارُ جهنم، فشربته لذلك، فقال ﷺ : «ويل لك من الناس، وويل للناس منك» .

وروى الدارقطنى فى « سننه» عن أسماء قالت : احتجم ﷺ، فدفع دمه لابنى عبد الله، فشربه، فأتاه جبريلُ، فأخبرَ النبى ﷺ، فقال ﷺ : «ما صنعتَ؟» قال : كرهتُ أن أصبَّ دمكَ، فقال ﷺ : «لا تمسُّه النار» ومسح على رأسه، وقال : «ويل للناس منك، وويل لك من الناس» .

قال العلامة القَسْطَلاَّنى وفى كتاب : «الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون» : أن ابن الزبير لما شرب دم حجامه النبى ﷺ تضوَّع ـ أى : فاح ـ فمه مسكاً، وبقيت رائحته موجودة فى فمه، إلى أن قتل ﷺ وقد مرَّ معنا فى تحنيك المولود، وتسميته : أن عبد الله بن الزبير أول مولود ولد فى المدينة المنورة للمهاجرين، وحنكه رسول الله ﷺ بتمرة، وكان أول شىء يدخل إلى جوفه : ريق النبى ﷺ .

12 ـ تبرك أطفال الصحابة بنعلى رسول الله ﷺ :

روى البخارى والترمذى فى «الشمائل» عن عيسى بن طهمان قال : أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين جَرْداوين ـ أى : صقيلين لا شعر عليهما ـ هما قِبالان ـ تثنية قِبال، وهو زمام النعل ـ قال ابن طهمان : فحدثنى ثابت البنانى (وهو تلميذ أنس المقرب منه) بعدُ عن أنس أنهما كانتا نَعْلى رسول الله ﷺ .

هكذا اعتقاد الصحابة، رضوان الله عليهم، يحتفظون بآثار رسول الله ﷺ لا يفرقون بين بركة رسول الله ﷺ حياً وميتاً، فالبركات مستمرة؛ لأنها هبة من الله تعالى لرسوله ﷺ ولأمته .

---

(١) انظر : مجمع الزوائد (8/ 270) .

13 ـ تبرك التابعين بأيدى أطفال الصحابة؛ لأنها مست يد النبى ﷺ :

روى الإمام أحمد عن ثابت البُنانى أنه قال لأنس بن مالك ﷺ : يا أنس، مَسَسْتَ يدَ رسول الله ﷺ بيدك؟ فقال أنس : نعم، قال ثابت : أرنى أقبَّلها .

هكذا يفعل الحب الحقيقى المتغلغل فى أعماق القلوب والنفوس، وهكذا الهوى بالمحبوب الحقيقى ﷺ .

14ـ تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم كبيرهم وصغيرهم للرسول الله ﷺ :

ونختم هذه الفقرة لنتعرف على تعظيم الرسول ﷺ فى نفوس أصحابه، ومكانته العالية فى قلوبهم، ومقامه السامى فى أفئدتهم، كيف لا؟ وقد قال الله تعالى له : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ [الشرح] .

جاء فى الصحيحين ـ واللفظ للبخارى ـ من حديث صلح الحديبية قال :

ثم إن عروة بن مسعود ـ الذى جاء وقتئذ وسيطا عن المشركين فى مكة ـ جعل يرمُق النبى ﷺ بعينيه، قال : فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم ـ أى من الصحابة ـ فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ـ رسول الله ﷺ ـ بأمر ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون النظر إليه تعظيمًا له ﷺ .

فرجع عروة بن مسعود إلى أصحابه ـ فى مكة ـ فقال : أى قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إن رأيت ـ أى : ما رأيت ـ مَلِكاً قطُّ يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحابُ محمدٍ محمداً !

والله : إن تنخَّم ـ أى : ما تنخم ـ نخامةً إلا وقعت فى كف رجل منهم، فدلك بها وجهه، وجلده!.

وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده! وما يحدّون النظر إليه تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشدٍ فاقبلوها ... الحديث .

وهذا الصحابى الصغير أنس بن مالك يحدثنا عن أبيه من أمه، كيف يفدى بنفسه حتى لا يصل سهم إلى رسول الله ﷺ يوم أحد :

فى «المسند» عن أنس ﷺ أن أبا طلحة كان يرمى بين يدى النبى ﷺ يوم أحد،

والنبى ﷺ خلفه يتترَّسُ به، وكان راميا، وكان إذا رمى رفع ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه، يرفع أبو طلحة صدرهَ ويقول : هكذا بأمى أنت وأبى يا رسول الله! لا يصيبك سهم، نحرى دون نحرك! وكان أبو طلحة يسوّر نفسه ـ أى : يجعل من نفسه سوراً ـ بين رسول الله ﷺ ويقول : إنى جَلْدٌ ـ أى : شديد ـ يا رسول الله! فوجَّهنى فى حوائجك، ومُرْنى بما شئت .

وكذلك يحدثنا الصحابى الصغير أنس بن مالك عن حالة الأنصار بعد فتح مكة، وخوفهم أن يبقى رسول الله ﷺ فى وطنه الأصلى مكة، وخوفهم أن يبقى رسول الله ﷺ فى وطنه الأصلى مكة، وخاصة عندما رأوا رسول الله ﷺ يعطى قريشاً الأموال يؤلف بها قلوبهم :

روى الشيخان عن أنس ﷺ أن ناسًا من الأنصار قالوا حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء ـ من الغنائم ـ فطفِق رسول الله ﷺ وهو بالجِعْرَانة، يعطى رجالا من قريش المئة من الإبل، فقالوا (أى : الأنصار بعضهم لبعض) : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطى قريشًا ويدَعُنا؛ وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! أى : تقطر من دماء كفار قريش بمحاربتنا إياهم حتى يدخلوا فى الإسلام .

فحُدِّثَ رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار فجمعهم فى قبة من أدمَ ـ أى : من جلد ـ ولم يدْعُ معهم أحداً غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال : «ما حديثٌ بلغنى عنكم؟» فقال فقهاؤهم : أمّا ذوو رأينا يا رسول الله، فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثةٌ أسنانهم [1]، قالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطى قريشًا ويدع الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! فقال رسول الله ﷺ : « إنى أعطى رجالاً حديثى عهد بكفر، أتألَّفهم، أما ترضَوْن أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون إلى رحالكم ـ أى : منازلكم فى المدينة ـ برسول اللهﷺ؟!، فو الله لَمَا تنقلبون به ـ أى : ترجعون به ـ خير مما ينقلبون به!» قالوا : يا رسول الله، قد رضينا، فقال لهم النبى ﷺ : «فستجدون أَثَرةً شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإنى على الحوض» .

وفى رواية مسند أحمد : أن النبى ﷺ قال : «يا معشر الأنصار، ألَمَ آتكم ضُلالاً

---

(١) نلاحظ هنا خطأ الصغار مع رسول الله ﷺ، فحول الرسول الله ﷺ ذلك الخطأ إلى فضل ورحمة، ودعا لهم، ولذريتهم، بل ويجعل نفسه هدية للأنصار لصدق محبتهم له، وقوة بأسهم فى الدفاع عن الإسلام ورسول الإسلام .

فهداكم الله؟! وعالةً فأغناكم الله؟! وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟!» قالوا : بلى يا رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ : «ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟» قالوا : وما نقول يارسول الله؟! وماذا نُجيبك؟ المَنُّ لله ولرسوله قال ﷺ : «والله لو شئتم لقلتم، فصَدَقتم وصَدَّقتُكم :

ـ جئتنا طريداً فآويناك .

ـ وعائلاً فأغنيناك .

ـ وخائفاً فأمنّاك» .

فقالوا : المنّ لله ولرسوله .

فقال رسول الله ﷺ : « أوَجدتم فى نفوسكم يا معشرـ الأنصار فى لُعاعة (أى الشىء اليسير) من الدينا تألفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام .

أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم!! فو الذى نفسى بيده؛ لو أن الناس سلكوا شِعبًا، وسلكت الأنصار شعبًا، لسلكتُ شعب الأنصار . ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار .

اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»، قال : فبكى القوم حتى أخْضلوا لحاهم ـ من الدموع ـ وقالوا : رضينا بالله رباً، ورسوله قَسْماً . ثم انصرف، وتفرَّقوا .

هكذا كان تفاعل صغار الصحابة وكبارهم مع رسول الله ﷺ، وهكذا وَرّثوه أبناءهم وأطفالهم، وهكذا أنشؤوا المدارس على هذا الأساس .

15ـ أطفال الصحابة يحفظون أوصافه الشريفة ﷺ :

عن صالح بن مسعود التابعى، قال : قلت لأبى جحيفة ﷺ وهو من صغار الصحابة، كان مراهقاً لما توفى النبى ﷺ، وهو من عُمْر ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ حدثنى عن رسول الله ﷺ قال : كان رجلاً أبيض، قد شَمِطَ عارضاه . رواه البخارى والترمذى وأبو يعلى فى مسنده بسند صحيح (2/ 183) .

وهذا أبو جحيفه ﷺ من أطفال الصحابة يصف النبى ﷺ فيقول : رأيت رسول الله ﷺ وهذه منه بيضاء ـ يعنى : عَنْفَقَتَهُ ـ فقيل له : مثلُ من أنت يومئذ؟ قال: أبرى

البنل، وأريشها . رواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 194) بسند صحيح، ورواه أحمد ومسلم والبخارى . والعنفقة : الشعر الذى بين الشفة السفلى وبين الذقن، وقوله : أبرى النبل وأريشها؛ أى : أجعل للنبل ريشًا .

وقال أبو جُحيفة ﷺ : «خرج رسول الله ﷺ، فكأنى أنظر إلى وبيص ساقيه» . رواه البخارى .

وقال أنس ﷺ : «انحسر الإزارُ عن فخذ رسول الله ﷺ وهو راكب فى غزوة خيبر، فإنى لأرى بياضَ فخذ رسول الله ﷺ» . رواه ابن أبى خيثمة .

وقال أنس أيضاً : «كان رسول الله ﷺ ضَخْم القدمين» . رواه الشيخان .

وروى القاضى أبو الفضل عياض بسنده المتصل إلى الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ قال [1] : سألت خالى هند بن هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصّافاً، وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به قال :

«كانَ رسول الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً [2]، يتَلأْلأُ وَجْهُهُ [1] تَلأْلُؤ القَمَرِ ليلة البدرِ [2]،

---

(١) فى كتابه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص152) فصل : «قد أتيناك» . شرح الشمنى (ت872) وقال الشهابى فى حاشيته (2/ 164) : رواه الترمذى فى شمائله.وأخرجه ابن سعد والبيهقى والطبرانى . ورواه البغوى فى شرح السنة، وهند بن هالة ابن خديجة بنت خويلد ولدته قبل زواجها من النبى ﷺ، وتربى فى بيت النبوة . انظر شرح السنة (7/ 54) . ولكونه وصافاً لديه دقة فى الوصف ـ سألاه .

(٢) أورد شرح معانى الحديث من شرح الشهاب الخفاجى على الشفا؛ لأن فيه تفصيلا دقيقاً، يقرب من الذهن حقيقة أو صافهﷺ ، فتشرح للطفل فى كل يوم صفة لكى يتعلق قلبه بها، ويتخيلها فى ذاكرته، وتنطبع فى نفسه، وذلك خير من أن تنطبع صور من لا خلاق لهم فى نفس الطفل، وننزّه هذا الكتاب عن ذكرهم .

فما أحلى أن نتعرف إلى أوصاف رسول الله ﷺ وخاصة وقد سمعنا الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ وهو يقول: «وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به، فكان من شدة حبه أن يتعرف لتلك الأوصاف النبوية ليتعلق قلبه، وفكره، وسلوكه بها .

فما أحلى، وما أبهى أن نسير على ذلك كبارًا وصغارًا، رجالاً ونساءًا، وها هى المعاني لتلك الأوصاف النبوية الشريفة .

أَطْوَلَ منَ المَرْبُوعِ [3]، وأقصَرَ من المُشَذَّبِ [4]، عظيمَ الهامَةِ [5]، رَجِلَ الشَّعَرِ [6]، إن انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَ [7]، وإلا فلا يُجاوزُ شَعرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَه [1]، إذا هوَ وَفَّرَهُ [2]، أَزْهَرَ

قال : كان رسول الله ﷺ فَخْماً مُفخَّاً بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة، والمُفَخَّم بوزن المكرم، والفخم بمعنى العظيم، وأصل الفخامة : العظمة فى الأجسام، ثم شاعت فى المقدار؛ والشرف؛ فإن كان المرادُ الأولُ وهو الظاهر؛ فالمعنى : أن أعضاءه ﷺ تامةُ الخلقة، واسعةٌ سِعةً غير مُفْرِطة كما تقدم فى الباب الثانى أنه كان واسع الصدر، وعينُه نجلاء أى واسعة الشق، ووجهُه الشريف ممتلئ باللحم ، وأن قامته الشريفة غير قصيرة، والمراد بكونه مُفخماً أنه كذلك فى العيون الناظرة إليه، ويحتمل أن يراد بكونه فخماً هذا المعنى، وأن يراد بكونه مُفخماً أن له ﷺ مهابةً فى العيون، والصدور؛ مع الجلال .

(١) (يتلألأُ وجْهُهُ) أى يضىء ويشرق، وهو مأخوذ من اللؤلؤ؛ لصفائه ولمعانه .

(٢) تلألُؤَ القَمَر ليلَة البدْرِ أى فيه نورٌ، كنور القمر فى ليلة البدر .

(٣) وأطولُ من المرْبُوع وهو الذى بين الطولِ والقِصَر، كالرَّبْعَةِ، وقال التلمسانى : المرادُ به هنا القصيرُ الذى تحتَ الرّبعة؛ لئلا يناقضَ ما وردَ مِنْ وَصْفِهِ ﷺ بأنه رَبْعَةٌ، وأصلُ المَرْبوع الحبل المفتولُ على أربع طاقات، فاستعير لما ذكر انتهى . أقولُ : لا حاجةَ لما ذكرَ لصرفه عن ظاهره، لأن المرادَ أنه يزيد على الربعة زيادة يسيرة، لا تُخرجه عن كونهِ رَبعة، فهذا أمر تحقيقى، وربعة أمر تقريبى؛ فلا منافاةَبينهما، ولذا قال :

(٤) (وأقصَرُ من المُشَذَّب) بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين المشددة والباء الموحدة : وهو المفرط فى الطول، كالبائن، وهو مستعار من النخلة المشذبة، وهى : التى قُطِعَ بعضُ جريدها، والتشذيب : قطع كالتقليم .

(٥) (عظيمُ الهامَةِ) بالهاء وتخفيف الميم : وهى الرأس، وليس المراد أنها مفرطة فى الكِبَر، بل كبيرةٌ كِبَراً نِسْبياً لأن صِغرها وإفراط كِبَرها غيرُ ممدوح؛ لدلالته على قِلةِ العقل، وقيل : الهامةُ وسط الرأس، وقيل : مخه، ولها معان أُخَر، غير مناسبة هنا .

(٦) (رَجلُ الشَّعر) بكسر الجيم على وزن حَذِر، والشَّعَر معروف، ويجوز فتح عينه وسكونها، كما مر، والمراد : أن فيه تجعّداً قليلاً وهو من صفاته الممدوحة فيه، ويقال لضده : قَطَط، وهو الشديد الجعودة، والسبط : المسترسل .

(1) (**إن انفَرقت عقيقتُه فرق**) انفرق : أى صار شعر رأسه فرقتين، والعقيقة : الشعرُ الذى على رأس المولود، الذى يخرج عليه حين يولد، من عَقَّ إذا قَطَع، لأنه يحلق فى اليوم

اللونِ [3] وَاسِعَ الْجَبِين [4]، أَزَجَّ الحَوَاجِبِ [1]، سَوَابِغَ [2]، مِنْ غَيرِ قَرَنٍ [3]، بينهما [4]، عِرْقٌ

السابع، فسمى به شعر النبى ﷺ على طريق المجاز المرسل، لاستعمال المقيد فى المطلق، وليس استعارة تحقيقية كما قيل، ومعنى فرق : أبقاه منفرقًا على حاله إذا انفرق بنفسه، يقال : فرقه فانفرق، والفرق والمفرق : البياض الواقع بين شعر الرأس، وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته .

(2) (**وإلا فلا يُجاوزُ شعرهُ شَحْمَة أذنه**) وفي رواية أُذنيه بالتثنية، وهما بمعنى، كما يقال : نظرتُ بعيني إذا نظر بعينه، وهكذا في كل عضو كان كذلك كما هو مقرر فى العربية، وشحم الأذن ما لان منها، حيث يُعلق القِرْط، وتقدم فى هذا الحديث : ما رأيت من ذى لَمَّة فى حُلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ، وإن اللمة الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن، فإذا وفر شعره صار لمة، أى : ما يَلمّ بالمِنكبين، واللمة دون الجمة، والوفرة دون اللمة، والجمة أكثر من الوفرة، وهى ما سقطت على المنكبين، فالوفرة أبلغ منها اللمة، والجمة أبلغ منهما، وفيه كلام تقدم . والفَرق سنة بخلاف السَّدل من قُدّام أو خلف، ومعنى قوله : وإلا وإن لم يفرق، فعلم منه إذا فرق جاوز الشحمة،ووصل المنكب، وأحواله مختلفة في الطول، ولذا قيل له: لمة وجمة .

(3) (**إذا هو وفره**) وفى بعض النسخ: وفر، بدون ضمير، والمعروف رواية الأول كما قال المزى، وفاؤه مخففه ومشددة أى كثره، وقد نقل بعد الحلق غيره كما عرفته، وهذا أولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب.

(4) (**أزهر اللون**) سيأتى معنى الأزهر، وأن معناه: أبيض مشرب بحمرة، وقد ورد أنه ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، وبهذا علم ما روى أنه كان أسمر، ولعله رآه عقيب سفر ونحوه، أو لم يحققه لأنه لمهابته ﷺ لا يحدق النظر فى وجهه، وفى رواية أنه كان أبيض شديد الوضاح، والمراد بالوضوح البياض، وقد يطلق على البرص، ولذا سمى جذيمة الأبرص الوضاح، ويؤيده أنه ورد أنه ﷺ كان عنقه كور فضة، ويأتى: كان ساقه خمارة، وكشف ظهره، فكأنه سبيكة فضة، وقيل: إن سمرته: حمرته، ولذا قيل فى المجمع بين الروايات: أنه كان يميل إلى السمرة أو البياض لونه، وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة أسفاره.

(5)(**واسع الجبين**) فى القاموس: الجبينان: حرفا الجبهة وجانباها عند الصدغين وبعد الحاجبين والجبهة وسطه، أو هو جميع ما بين الصدغين، فتدخل فيه الجبهة إلى قصاص

يدِرُهُ الغَضَبُ[5]، اَقْنَى العِرْنِينِ[6]، له نور يَعْلُوه[1] يحسْبُهُ مَنْ لم يتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ[2]، كَثَّاللِّحْيةِ[3]

الشعر.

(6)(**أزج الحواجب**) ازجج: أفعل، كأحمر، والزج: تقوس فى الحواجب مع طول فى طرفه وامتداد بدقة فى طرفيه، وأراد بالحواجب الحاجبين، وجمع لأن أقل الجمع اثنان، أو لإطلاقه على أجزائه، وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما، ويطلق على الشعر، سمى به لأنه يحجب الشمس وغيرها عن العين.

(7)(**سوابغ**) بالسين والصاد، جمع سابغ؛ لأنه لما لا يعقل، وقيل: جمع سابغة : واقية، أى طوال كاملة.

(٣)(**من غير قرن**) بفتحتين أى: من غير اقتران واتصال؛ لأنه غير ممدوح عند العرب، وما وقع فى حديث أم معبد من وصف حاجبيه ﷺ بالقرن، فيحتمل أنه كان بينهما شعر دقيق جدا إذا سافر، وعلاه غبار السفر: ظن قرنا، وما قيل: إنه بطريق الرأى، أو إنه لاختلاف الرؤية قربا وبعدا، أو إنه حدث لهﷺ بعد ذلك بعيدًا جدا بل لا وجه له.

(٤)(**بينهما**) أى: بين الحاجبين، وهذا يدل على أن الجمع فى الحواجب بمعنى المثنى هنا.

(٥) (**عرق يدره الغضب**) بضم الياء مضارع الإدرار، من أدر الضرع والسحاب إذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فحلب، والمراد أنه يظهر لغليان الدم بالغضب بعدما كان خفيا لا أنه يحدث بعد أن لم يكن، وهذا لا ينافى ما ورد من أنه ﷺ حليم لا يغضب لأنه باعتبار أكثر أحوالهﷺ، وأنه لا يغضب لنفسه، ولا لأجل أمر دنيوى، ولكنه قد يشتد غضبه لله إذا انتهكت حرمه، وفى ضربه للأعداء كما قال الصرصرى رحمة الله:

يحسبه من لم يراه إذا ساطا غضبا على الأقران ورم طعان

والغضب: تهييج الحرارة الغريزية فيغلى الدم منها، ولذا يحمر الوجه، وتنفتح العروق.

(٦) (**أقنى العرنين**) القناء فى الأنف: طوله، ودقة أرنبته، أى طرفه مع ارتفاع يسير فى وسطه، والعرى

نين بكسر العين: الأنف، أو ما صلب منه، أو ما تحت مجمع الحاجبين، وهو أول حيث يكون الشمم، والجمع عرانين، ويكنى به عن الإشراف لشموخ أنفه وارتفاعه على أقرانه، قال:

إن العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا

أدعج[4]، سَـهْلَ الخَـدَّينِ[5]، ضَـلِيعَ الفَـمِ[6]، أشـنب[1]، مفلـح الأَسْنان[2]، دَقيـقَ

١() (**له نور يعلوه**) الضمير له ﷺ، وجوزوا أن يعود للعرينين؛ لأنه وإن كان وجهه كله له نور، ولكنه أول ما يتعلق به سمى أنفًا أيضًا .

(4) (**يحسبه ما لم يتأمله أشم**) الشمم فى الأنف ارتفاع وسط قصبته مع استواء أعلاه وإشراف أرنبته قليلاً، يعنى : أن وسطه فيه استواء مع أعلاه وأسفله، ولكنه لتلألئه قد يظن أن فيه ارتفاعًا،أو أن فيه ارتفاعًا قليلاً جدًا : لا يعد شممًا، والشمم قد يعبر به عن عزة النفس، وعدم التنزل للأمور، وهو ما يمدح به، كما قال كعب ﷺ .

تتم العرانين أبطال ليوسهم من نسج داود فى الهيجا سرابيل

والتأمل : إعادة النظر، وتكراره ليثبت فيه، ويقف على كنهه، وهو فى الأصل تفعل من الأمل والرجاء، لأن الإنسان لا يعيد النظر غالبًا إلا لما فيه أمل . فأطلق على لازمه، وشاع حتى صار حقيقة فيه، وقيل : الشمم : طول الأنف مع سيلانه ودقته، والأول أصح وأشهر .

(٣) (**كث اللحية**) بفتح الكاف وتشديد المثلثة، والكث: كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر، وما اشتهر من قوله: «من سعادة المرء خفة لحيته» لم يثبت أنه حديث مع أنه قيل: إنما هو خفة لحييه، مثنى لحى، وإن معناه: كثرة تحريكهم بذكر الله، أو المراد عدم طولها.

(٤) (**أدعج**) أى: سواد عينيه شديد مع بياضها، ويقال: رجل أدعج، أى : أسود، وليس بمراد، وسيأتى فيه كلام.

(٥) (**سهل الخدين**) أى: غير مرتفع الوجنة، وكثير اللحم فيهما، فإنه غير محمود، وقيل: المراد أنه طلق منبسط.

(٦) (**ضليع الفم**) بضاد مفتوحة معجمة. أى: طويل انشقاق الفم واسعة، وهو مما تمدح به ويعاب ضده لدلالته على الفصاحة، وليس المراد به عظم الأسنان وتراصها، كما قاله

المَسرُبَة[3]، كَاَنَّ عُنُقَه جِيدُ دُمْية[4]، فى صَفَاء الفضّةِ[5] ، مُعْتَدِلَ الخَلْقِ[1]، بادِناً[2]،

التلمسانى، وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم، وهو خطأ منهم، أو لمعنى آخر لا يلتفت إليه كما مر.

(١) (**أشنب**) بنون بين شين معجمية وباء موحدة أى: ذو شنب، وهو كما فى ((النهاية)) بياض، وبريق، وصفاء، وتحديد فى الأسنان، وقيل: هو رونقها وماؤها، وقيل: برد وعذوبة فيها، وقيل : نقط بيض وتحزيز فيها، وسئل رؤبة عن قول ذى الرمة:

لميا فى شفتيها حوت لعس وفى اللثاث وفى أنيابها شنب

فأخذ حبة رمان، وقال: هذا هو الشنيب، أى: أن صفاءه وماءه فيها كهذا. ومن أمثال المولدين: فاتك الشنيب لمن أراد التشبه بمن لا يشبهه، قال ابن الوكيل ـ رحمه الله تعالى:

يا بارقاً على الرقتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك

(٢) (**مفلج الأسنان**) تقدم أن الفلج: عدم تلاصق الأسنان، وهو أنقى للفم وأطيب، وفى حديث على ـ كرم الله تعالى وجهه: أفلج الثنايا، وهو المراد بالأسنان، أو المراد الثنايا والرباعيات، لأن باعد الأسنان كلها معيب، وقد تقدم كلام فيه، ومفلَّج مضموم الميم مشدد اللام، ويشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقى، كقوله:

مالى به مع قرب دارى فهل رأيت ثغره المفلجا

(٣) (**دقيق المسربة**) ـ بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة تليها هاء، وهو شعر كالخيط سائل من الصدر إلى السرة، ووصفه بالدقة لأنه غير عريض ولا متكاثف طويل.

(٤) (**كان عنقه جيد دمية**) الجيد: العنق إلا أن السهيلى قال: إن العنق يستعمل فى غير المدح، والجيد يستعمل فى مقام بخلافه، وأن قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾ [المسد] تهكم لجعل الحبل عقداً لها، وما هنا على أصل اللغة لا على نهج الاستعمال، فلا اعتراض عليه. والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية، وهى الصورة من رخام، أو عاج، والمراد شدة بياضه وطوله، ويؤيده ما روى من أن عنقه ﷺ كإبريق فضة، ويشير إليه هنا قوله:

(٥) (**فى صفاء الفضة**) أى: بياضها الخالص، وهذا يؤيد ما مر من أنه ﷺ ليس بأسمر،

مُتَماسكاً[3]، سوَاءَ البَطْنِ والصَّدْرِ[4]، مشِيحَ الصَّدْرِ[5]، بَعيدَ ما بَينِ المَنْكبَين[6]، ضَخْمَ الكَرَاديس[7]، أَنْوَرَ المُتَجرَّدِ[8]، مَوْصولَ ما بَينَ اللَّبَّة[9]والسُّرَّة[1]، بِشَعَرٍ[2]، يجْرى

وإنما شبه بالدمية لأن صانعها يبالغ فى تحسينها، ولهذا ضرب بها المثل.

(١) (**معتدل الخلق**) بفتح فسكون أى: متوسط الخلقة بين الطول والقصر، والسمن والهزال، والضخامة والصغر، فهو متناسب الأعضاء، مستقيم فى أحسن تقويم.

(٢) (**بادنا**) أى: ضخم البدن، غير دقيق الأعضاء، صغيرها، وأردفه بقوله:

(٣) (متماسكاً) أى: كأن أعضاءه تمسك بعضها بعضاً لشدة ارتباطه به، ومناسبته له، وهو منصوب صفة بادنا، وروى بالرفع خبر مبتدأ مقدر.

(٤) (**سواء البطن والصدر**) أى: متساوى هما، لم يرتفع أحدهما على الآخر.

(٥) (**مشيح الصدر**) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة بمعنى: عريض متسع، مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه، وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة، وهو بمعناه.

(٦) (**بعيد ما بين المنكبين**) تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة، وهو ما بين الكتف والعنق، والمراد ببعدهما: سعتهما، وهو أقوى للبدن والبطش، وعبر عنه تارة بالبعد، وتارة بالعظم والكل واحد، وما موصولة.

(٧) (**ضخم الكراديس**) جمع كر دوس وهو رأس العظم، أو ملتقى كل عظمين كالمرفقين، وضخم بمعنى كبير، وكل عظم كثير اللحم: كر دوس.

(٨) (**أنور المتجرد**) اسم مفعول، يعنى: ما خفى من البدن من التجرد، وهو الكشف، ورفع الثياب، وأنور بمعنى: نير مشرق، أو أفعل تفضيل، لأن ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس أبيض من الأطراف المكشوفة، وورد فى وصفه ﷺ أنه أجرد، وهو ضد الأشعر، فإن الشعر كان على أماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة، والساعدين، والساقين. وقال الشريف الغرناطى فى «شرح البردة» : قال بعض الصحابة: رأيتُ ساقَ النبى ﷺ فى غرز الركاب كأنه جمارة، يعنى فى بياض اللون والطراوة، فإن قلت: الوارد فى صفته ﷺ أنه أزهر اللون، أى: مشرب بحمرة، وبياض الجمار خالص! قلت: يمكن الجمع بأن ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره، انتهى.

(٩) (**موصول ما بين اللبة**) بفتح اللام وتشديد الياء الموحدة. وهى النحر، وقيل: الصدر، وقيل: موضع القلادة، وما موصولة لا زائدة.

كالخَطِّ[3]، عَارى الثدْيين[4]، ما سوَى ذلكَ[5]، أَشعرَ[6]، الذِّراعَينِ[7]، والمِنكبَينِ[8]، وأعَالى الصَّدْرِ، طويـلَ الزَّنْـدَينِ[9]، رَحـبَ الرَّاحـةِ[10]، شـثْنَ[11]، الكَـفَّينِ والقـدَمَينِ[1]، سـائِلَ الأَطـرَافِ[2]،

---

(١) (**السرة**) وهى موضع ما يقطع من المولود، والمقطوع: سر.

(٢) (**بشعر**) متعلق بموصول.

(٣) (**يجرى كالخط**) وهو المسربة السالفة، وجريانه: امتداده، كماء جار، والخـط: الطريقـة المستطيلة المستقيمة، وفى الاصطلاح: ما وصل بين نقطتين متقابلتين، فكأنه جعـل اللبـة، وهى النقرة التى فوق الصدر نقطة، والسرة نقطة أخرى، والشعر الرقيق بينهما خطاً.

(٤) (**عارى الثديين**) تثنية ثدى بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث، وروى الثندوتين بثنـاء مثلثة ونون، وهما بمعنى، قال الجوهرى: الثدى يكون للرجل والمرأة، ووافقه الصاغانى، وفى «درة الغواص»: الثدى خاص بالمرأة، والذى للرجل ثندوة وهو غير مهموز كترقـوة على فعلوة، وهو مغرز الثدى أو رأسه، فإن ضممت همزته وهو فهلوة ففيه تفصيل، بينـاه فى شرح الدرة وعلى ما قاله الحريرى تبعـاً لـبعض أهـل العصر ـ صـوب بعضـهم روايـة الثندوتين، وزعم أن غيره خطأ لعدم ثبوتـه فى اللغـة، ومـا قيـل : مـن أنـه صـحيح عـلى الاستعارة غير صحيح، ومعنى غاريها: أنه لا شعر عليهما، وقيل: لا لحم عليهما لما سـيأتى من أنه أشعر.. إلى آخره، وفيه نظر، لأنه لم يذكر فيه أنه على ثدييه شعر، كما سنراه قريبا.

(٥) (**ما سوى ذلك**) أى: ما سوى الشعر الذى بين السرة واللبة، وهو بدل مـن الثـديين، وفيه نظر. وروى: ما سوى ذين، وهو أظهر.

(٦) (**أشعر**) أى: كثير الشعر فى

(٧) (**الذراعين**) بكسر الذال المعجمة : ما بين المرفق، وطرف الأصابع.

(٨) (**والمنكبين**) تقدم بيانيهما.

(٩) (**وأعالى الصدر طويل الزندين**) تثنية زند، وهو طرف الذراع المتصل بالكف، وطرفاه الكوع، وهو رأس الذراع مما يلى الإبهام والكرسوع، وهو رأسـه ممـا يـلى الخنصر ـ، وهمـا العظمان اللذان فى ظاهر الساعد، والمراد: عظم الذراع، فسمّاه باسم بعضـه، ولـذا وصـفه بالطول.

(١٠) (**رحب الراحة**) أى: واسع الكف، والكف والراحة بمعنى، والراحة مـن الـروح، وهو الاتساع.

(١١) (**شثن**) بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون. وهو الضخم الممتلئ لحماً،

أو قال سائنَ الأطرافِ[3]، وسائِرَ الأَطرافِ[4]، سبْط العصَب[5]، خمصان

ويؤيده أنه ورد فى رواية: أنه ضخم.

(١) (**الكفين والقدمين**) وما فى النهاية فى تفسيره من أنهما يميلان إلى الغلط والقصر ـ غير مناسب، لقوله: رحب الراحة، وقيل: هو الذى فى أنامله غلظ بلا قصر، وذلك محمود فى الرجال دون النساء، لأنه اشد للقبض، أو البطش. وقال ابن بطال: كانت كفه ﷺ ممتلئة لحما، وهى مع ضخامتها لينة، وفى حديث أنس ـ رضى الله عنه: ما مسست حريرا ألين من كفه ﷺ . وقول الأصمعى: الشثن: غلظ مع خشونة لم يوافق عليه، ولا حاجة لتأويله بأنة لأمر عارض فى أسفاره، وجهاده، واستعمال يديه فى مهنة بيته، فإنه مناف لعده من الحلية، وهى الصفات الخلقية، فان الذى ارتضاه أهل اللغة: أنه الضخم، ولا ينافيه قوله:

(٢) (**سائل الأطراف**) وبسط الكفين، أو سبط الكفين، كما قيل؛ لأن المراد بالأطراف الأصابع، والكف، والقدم مغرسهما، فليست داخلة فى معناهما، ومعنى سائل باللام طويل، فكأنه شبههابعين سالت من بركة لطولها، وصفائها، وبياضها، ولينها؛ لأن راحته ﷺ تنبع منها الخيرات والمياه، كما قلت فى قصيدتى الهمزية:

نبع الماء من أصابع كفه بأيادينا غاض فيها الماء

(٣) (**أو قال سائن الأطراف**) شك من الراوى فى قول ابن أبى هالة أنه قال ما تقدم، أو قال: سائن بنون مبدلة من اللام كما يأتى، وقالوا: جبريل، وجبرين، وإسماعيل وإسما عين.

(٤) (**وسائر الإطراف**) بالراء المهملة مكان اللام، ومعناه: باقى، أو جميع، وليس الثانى خطأ كما قاله الحريرى، وتبعه فى الشرح الجديد كما فصلناه فى «شرح الدرة» وعلى هذا الأخير هو مجرور معطوف على القدمين، أى: ضخم أطرافه كلها، وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج كما قيل، وقد ضبب فى النسخ على قوله سئن، بالنون، والصواب إثبات الألفاظ الثلاثة لما سيأتى فى تفسيرها كما قاله فى «المقتفى» وجاء هذا فى بعض الروايات من غير شك.

(٥) (**سبط العصب**) سبط بسكون الياء الموحد وكسرها بمعنى: ممتد، ليس به تعقد وثيق، كما فى النهاية. والعصب وقع فى أصل البرهان بعين وصاد مهملتين، كما ضبطه ابن الأ نبارى، والذى اتفق عليه ابن الأثير والهروى أنه القصب بالقاف لا بالعين، والمراد

الأَخْمَصَين[1]، مَسِيحَ القَدَمَينِ، ينْبُو عَنهما الماءُ[2]،إذا زالَ زالَ تَقَلُّعَـــاً[1]،

بالقصب: ساعداه وساقاه، وفى «الغرسين»: كل عظم عريض: لوح، وكل أجوف فيه: قصبة، وجمعها قصب، ويشهد له أن العرب تتمدح به، كما قال:

فجاءت به سبط العظام كأنما عمامتـــه بـــين الرجـــال لـــواء

لأنه يدل على قوة البدن والشجاعة، والعصب بالعين : ما يمتد فى البطن لربط الأعضاء وتحريكها، كما بين فى علم التشريح، وهو إطناب المفاصل وقيل : المراد به هنا عظام الساقين والساعدين مجازًا لما بينهما من المجاورة، فتتحد الروايتان، وهو بعيدٌ جدًا .

(١) (**خمصان الأخمصين**) خمصان بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس، وتبعه بعضهم هنا، وبها ضبط لفظ الشفاء، ومعناه الضامر البطن، وهو ـ هنا ـ بمعنى المتجافى عن الأرض، أى: المرتفع. والأخمصين: مثنى أخمص، بوزن أحمر، وهو ماد خل من باطن القدم ولم يصب الأرض، لعدم مساواته العقب ومقدم القدم، وسمى به لضموره ودخوله، ولما كان أخمص القدم قد يطلق على ما يلى الأرض منها مطلقا أتى بقوله: خمصان مضافاً إليه؛ ليبين أنه على ظاهره، وهو المحل المرتفع، وليس المراد به المبالغة فى ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالشديد التجافى لهذا، فجعله كليل أليل، وقد قال ابن الأعرابى: إذا كان خميص الأخمص بقدر لم يرتفع جداً، لم يستو أسفله، فهو أحسن، فإن استوى أو ارتفع جداً فهو مذموم، فمعنى خمصان الأخمصين أنه مرتفع باعتدال، وقال البرهان: وسيأتى ما ينافى هذا، يعنى قوله: مسيح القدمين، قال البارزى فى كتاب: «توثيق عرى الايمان»: خمصان الأخمصين: متجافى أخمص القدم، وهو الموضع الذى لا تناله الأرض من وسط القدم، وقوله:

(٢) (**مسيح القدمين ينبو عنهما الماء**) قال المصنف ـ رحمه الله تعالى: فيما يأتى، أى: أملسهما، ولذا قال: ينبو عنهما الماء، وفى حديث أبى هريرة خلافه، ففيه إذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس له أخمص، وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين، وقد قالوا: سُمى عيسى ابن مريم ﷺ مسيحاً؛ لأنه لم يكن له أخمص، وقيل: معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما، وهو مخالف لقوله: شثن القدمين، انتهى. وأقره صاحب «المقتفى» وفى «الشرح الجديد فى النهاية» معنى مسيح القدمين : أنهما ملساوان لينان، ليس فيهما التواء، وانشقاق، فإذا أصابهما الماء سال ومرَّ سريعاً من جانب الكعب القبلى، وقال ابنُ الحنبلى فى قصيدة

وَيَخْطُـــــو تَكَفُّـــــــؤًا[2]، وَيمشـــــــى هَوْنَـاً[3]، ذَرعَ المِشْـية[1]، إذا مَشَـى كَـأَنَّما

الصرصرى النونية: ليس المسيح باطن القدمين الذى هو محل الخمصان، بل هو ظاهرهما لملامسة، فلا تعارض بين العبارتين.

أقول: هذا كله خلط منهما، وليت شعرى ما يقول فى حديث أبى هريرة الذى نقله البارزى، فالإشكال الذى ذكره البرهان غير مندفع، اللهم إلا أن يقال: أن الخمصة فيه قليلة جداً، ومعنى= =ينبو: يرتفع، والمراد به: مفارقة الماء، وانصبابه مجازاً، وأنشدوا هنا لبعضهم:

يـا رب بالقـدم التـى أوطأتهـا من قاب قوسين المحـل الأعظـما

وبحرمة القدم التى جعلـت لهـا كتـف المؤيـد بالرسـالة سـلما

ثبت على مـتن الصرـاط تكرمـاً قـدمى وكـن لى منقـذاً ومسـلما

واجعلهما ذخرى فمـن كانـا لـه ذخـراً فليـس يخـاف قـط جهـنما

القدم الأولى قدمه ﷺ، والثانية قدم على ﷺ لما قال له ﷺ يوم الفتح: «اصعد لكسر أصنام الكعبة» فصعد على كتفه ﷺ، فى حديث رواه صاحب «الصفوة»، ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة، وفى بعض النسخ مشيح بضم الميم وشين معجمة، ولم يفسرها، وكأنها تحريف من النساخ، أو معناها: خفيف المشى.

(١) **(إذا زال زال تقلعًا)** وروى : إذا مشى تقلع، أى : رفع رجليه رفعًا قويًا ليثبت فى مشيه فكأنه يقلع رجليه من الأرض، فيقارب خطاه من غير اختيال وإسراع، كما ورد فى قوله الآتى : كأنما ينحط من صبب، وروى : إذا زال زال قلعًا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها، وروى بالضم أيضًا .

(٢)**(ويخطو تكفؤًا)** أى: إذا مد خطاه يميل إلى قدامه كمن يتكفى،وتكفؤ إن همز ضمت فاؤه كالمصادر الصحيحة، مثل: تقدم تقدما؛ لأن الهمزة حرف صحيح،فإن أبدلت ياء كسر ما قبلها، فقيل: تكفيا كتسمى تسميا، ونحوه من المصادر المعتلة الآخر .

(٣) **(ويمشى هوناً)** بفتح الهاء، أى: اذا مشى مشى برفق ولين ووقار، كما يأتى، لأنه

ينْحطُ مِن صيب[2]، واذا التَفَتَ الْتَفَتَ جمَعياً[3]، خَافض الطَّرْفِ[4]، نَظَرُهُ الى الأرض أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِه الى السَّماءِ[5]، جُلُّ نَظَرِه المُلاحَظَةُ[6]، يسُوقُ أَصْحَابَهُ[7]، وَيبْدأُ مَنْ لَقِيهُ بالسَّلامِ[8]

ممدوح، قال تعالى: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: 63].

(١) (**ذريع المشية**) بفتح الذال المعجمة وكسر الميم، والذريع: الواسع الخطو، أى: مابين قدميه واسع، فمع عدم سرعته يساوى مشيه المشى السريع، أو يفوقه.

(٢) (**كأنما ينحط من صبب**) أى: ينحدر من مكان عال، والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة، وإنما قال «كأنما» لأنه ليس منحدرا على الحقيقة، وإنما هو كالمنحدر فى السرعة والسهولة.

(٣) (**واذا التفت التفت جميعا**) أى: إذا أراد أن ينظر لما خلفه، أو فى جانبه، لا يلوى عنقه، بل يصرف جميع بدنه، فيقبل جميعا، ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر، فإنه خفة وطيش.

(٤) (**خافض الطرف**) مصدر بمعنى: تحريك الجفن، ثم صار بمعنى الخفض ضد الرفع، والطرف: العين، وفسر هذا بقوله:

(٥) (**نظره فى الأرض أطول من نظره فى السماء**) يعنى: إن نظره لجانب السفل أكثر من نظره إلى جانب العلو لخشوعه، وحيائه، ووقاره، وليس هذا مخصوصا بالصلاة والدعاء، فإنه مكروه فيهما، ولا ينافى هذا قوله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة :144] لأن هذا باعتبار الأغلب، كما يشعر به لفظ قد.

(٦) (**جل نظره الملاحظة**) جل بضم الجيم بمعنى المعظم والأكثر، والملاحظة: بالنظر باللحظ، وهو طرف العين مما يلى الصدغ، ومما يلى الأنف: موق، ومآق، أى: ينظر بطرف عينه تأدبا وحياء.

(٧) (**يسوق أصحابه**) أى: يمشى خلفهم، وفى ساقتهم، ولا يدع أحدا يمشى خلفه، كما هو عادة المتكبرين، وكان ﷺ يقول: «خلوا ظهرى للملائكة» وفى قوله يسوق: إشارة إلى أنه هو المحرك لهم، فما قيل من أنه لا يتقدم الصغار الكبار إلا إذا ساروا ليلاً، أو خاضوا سيلاً، ليس على وفق السنة.

(٨) (**ويبدأ من لقيه بالسلام**) لأنه من السنة أن يسلم الأكبر على الأصغر، والسلام دعاء وتحية، وهو تحية أهل الجنة، كما ورد فى السنة، فهو دعاء بالسلامة، واسم من أسمائه تعالى، وجوز إرادته هنا بمعنى: إن الله معك، ومطلع عليك، وابتداؤه سنة لا واجب بالإجماع، وفيه قول به ضعف لا يعتد به، ورده فرض كفاية، لا على كل أحد بعينه؛ لأن السلام معناه: الأمان، فإذا سلم أحد، ولم يجب، توهم الشر، فيجب دفعه كما قاله الحليمى، وهذا منه ﷺ تواضع، ولطف مناسب لما نحن فيه من

قُلتُ[1] : صِفْ لى منْطِقَه[2]، قال: كان رسول الله ﷺ مُتَواصِلَ الأَحْزَانِ[3]، دَائِمَ

حسن الخلق. قال الحسن ﷺ الراوى لهذا الحديث:

(١) **(قلت)** لخالى هند بن أبى هالة ـ رضى الله تعالى عنه :

(٢) **(صف لى منطقه)** مصدر ميمى، أى: نطقه وكلامه ﷺ، والنطق هو: اللفظ الدال على معنى، وأما قول سليمان عليه السلام: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: 16] وقول الشاعر

لقد نطقت اليوم الحمام لنطقها .....

فلتنزيله منزلته لفهم سليمان عليه السلام منه معنى: ولادعاء الشعراء شوقه وطربه، كما قال الهروى.

(٣) **(قال كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان)** هذا مشتمل على الجواب وزيادة، فالجواب قوله الآتى : **ولا يتكلم فى غير** حاجة، فكأنه قال : كان كلامه موجزا قليلاً، وقيل : معناه: إن كلامه لم يكن بفرح وبطر، بل بحزن وأسف، وقال ابن قيم الجوزية : قول ابن أبى هالة: متواصل... الى آخره لم يثبت عنه، وفى سنده مجهول، كيف وقد صانه الله عن الحزن وأسبابه، ونهاه عنه بقوله : ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ [النحل: 127]وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلا خوف عليه، ولا حزن فى الدنيا والآخرة، فمن أين يأتيه الحزن، وقد ورد وصفه ﷺ بأنه كان دائم البشر، ضحوك السن، وقد استعاذ من الهم والحزن، ومر أن الهم لما سيأتى، والحزن على ما مضى، وقال ابن تيمية فى حديث ابن أبى هالة: أنه ﷺ: كان كثير الصمت، دائم الفكر، متواصل الأحزان: ليس المراد بالحزن: الألم على فوت ، وإنما المطلوب، أو حضور مكروه، فإنه لم يكن من حاله ﷺ، وإنما المراد به التيقظ لما يستقبل من الأمور، وهو مشترك بين العين والقلب، انتهى. قيل: وهو لم ينه عن ذلك؛ لأنه ليس باختياره، وإنما نهى عن تعاطى أسبابه، كما قيل:

ومن سره ألا يرى ما يسوؤه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

انتهى. وقال ابن قيم الجوزية فى «شرح مدارج السالكين» : ليس الحزن من منازل السالكين، وقد ورد النهى عنه فقال : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [آل عمران : 139] وقد استعاذ منه ﷺ وحزن المؤمن يسر الشيطان، لأنه يفتر العزم، ولذا قال أهل الجنة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: 34] الاية.

وهو من المصائب، وأما خبر : «إن الله يحب كل قلب حزين» فلم يثبت .

أقول: هذا تطويل بغير طائل، وإنكار ورود الحديث مردود، لأنه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره، وأما كونه ليس من المقامات، فمع كونه غير مسلم كما مر، فلا يضر، والمراد : إنه ﷺ كان على

الفِكْرَةِ، لَيسَتْ لَهُ راحَةٌ[1]، وَلا يتَكَلَّمُ فى غَـبْرِ حَاجَـةٍ[2]، طَويـلَ السُّـكُوتِ[3]، يفْتَـتِحُ الكَلَامَ وَيخْتُمُه بأَشْدَاقِهِ[4]، وَيتكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ[5] فَصلاً[6]لا فُضُولَ فيـه[7] ولا تقصير[8]، دَمِثاً[9]، ليسَ بالجَافى[10] ولا المَهينِ[11]، يعَظِّـمُ الَّعْمَـةَ وانْ دَقَّـتْ[1]، لا

هيئة الحزين حال سكوته لكثرة أفكاره فى أمور أمته وأحو الهم، كما يدل عليه قوله :

(١) (**دائم الفكرة ليس له راحة**) وكيف لا، وقد قاسى ﷺ فى التبليغ ما لا يوصـف، وأمـا وصفه ﷺ بالبشر والتبسم، فهو فى حال آخر، وهو مخاطبته للناس، والنظر فى أمورهم .

(٢) (**ولا يتكلم فى غير حاجة**) له ﷺ أو لأمته، كما قال : «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» .

(٣) (**طويل السكوت**) عما لا يجدى نفعاً لكثرة أفكاره ﷺ، ودوام أذكاره .

(٤) (**يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه**) جمع شدق بفتح أوله وكسره وسكون دالـه المهملـة، وهو جوانب الفم، وذلك لسعة فمه الدالة على فصاحته ﷺ كـما مـر، وهـو ممـا تمتـدح بـه العرب كما يأتى وأما قولهﷺ: «أبغضكم إلى الله المتشـدقون» فمعنـاه : مـن يتكلـف كثـرة الكلام بلا احتياط فيه، فسقط ما قيل : إنه من صفة الفم، ولا مدخل له فى الجوانب .

(٥) (**ويتكلم بجوامع الكلم**) وهى الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم النافعة، السائرة مسير الأمثال، جمع جامعة، وتطلق على القرآن .

(٦) (**فصلاً**) بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة، أى : كلاماً فاصلاً للخصـومة، وفارقـاً بين الحـق والباطل .

(٧) (**لا فضول فيه**) أى : لا زيادة فيه على أداء المراد، وهو اسـم مفـرد، وقبـل : أنـه جمـع فضل خصّ بما ذكر، ونقل لمعنى آخر، ولذا نسب إليه، فقيل: فضولى، كما فى (المغرب) .

(٨) (**ولا تقصير**) فيما يريده بتقليل مخّل بالفهم .

(٩) (**دمثاً**) بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالثـاء المثلثـة، مـن : الدماثـة، وهـى سـهولة الخلق، مستعار من الأرض الدمثة، وهـى: ذات الرمـل المتلبـد، أى: لين الخلـق، لطيـف المعاملة .

(١٠) (**ليس بالجافى**) أى: ليس غليظ الطبع، وهو أصـل معنـى الجفـاء، أو لم يكـن يجفـو أصحابه .

(١١) (**ولا المهين**) روى بضم الميم وفتحها، فالأول من الإهانة، والميم زائدة، أى : لم يكن ﷺ يهين أحدًا من الناس، والثانى : من المهانة وهى الحقارة، والميم أصلية، أى : لم يكن ﷺ

يذُمُّ شيئاً[2]، لم يكُنْ يذُمُّ ذَوَاقاً[3]، ولا يمْدَحُهُ، ولا يقَامُ لِغَضَبِهِ[4]، إذا تُعرِّضَ لِلْحَقَّ بِشَيءٍ[5]حَتَّى ينْتَصِرَ لهُ[6]، ولا يغْضَبُ لنَفْسِهِ، ولا ينْتَصِرُ لها[7]، إذا أشَار بِكَفهِ كُلِّها[8]، وإذا تَعَجَّبَ قَلَّبَها[9]، وإذا تَحَدَّثَ أَفصل بها[1].

حقيراً متذللاً لأحدمن الناس، لشرف نفسه وعزتها، وهذا وصف لذاته ﷺ، ويحتمل أن يكون وصفاً لمنطقه .

(١) (**يعظم النعمة وإن دقت**) أى: يعد كل ما أنعم الله به عليه عظيماً وإن لم يكن كذلك، ومعنى: دقت: صغرت، وقلت.

(٢) (**لا يذم شيئاً**) أى: شيئاً يستحق الذم .

(٣) (**لم يكن يذم ذواقاً**) بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة وألف وقاف فعال مصدر صار بمعنى: ما يذاق من مأكول ومشروب، فما قدم له ﷺ من طعامه ونحوه إن أعجبه أكل منه، وإلا كف يده، ولا يقول فيه شيئاً، فلا يذمه .

(٤) (**ولا يمدحه ولا يقام لغضبه**) من قام: إذا ثبت، أى: لا يثبت له أحد، أو من قام بمعنى دام، أى: لا يدوم أحد على تحمل غضبه، ويقام بضم المثناة التحتية مبنى للمجهول، وفيه دلالة على أنه ﷺ كان يغضب لله، وقد ورد ما يدل على ذلك .

(٥) (**اذا تعرض لحق بشىء**) بضم التاء الفوقية والعين وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة، أى: اذا اعترض أحد للحق بما يبطله، أو يقتضى خلافه، وبشىء بالباء الجارة واللام، وعامله إما يقام، أو تعرض.

(٦) (**حتى ينتصر له**) أى: للحق، فيؤيده ويبطل خلافه.

(٧) (**ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها**) أى: إذا آذاه أحد من الأعراب وغيرهم بما يتعلق بنفسه كالأعرابى الذى أمسكه ﷺ بردائه، ولببه، والذى قال: إن هذه قسمة غير عادلة، ونحو ذلك ككلام بعض المنافقين كأبى ابن سلول رأس المنافقين، وما كان يصدر منه.

(٨) (**إذا أشار بكفه كلها**) أى: اذا أشار لشىء خارج الصلاة أشار برفع يده، وأما فى الصلاة إذا أشار للتوحيد أشار بإصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الإشارتين، وله ﷺ إشارات أخر نبه عليها بقوله:

(٩) (**واذا تعجب قلبها**) أى: قلب كفه، وجعل باطنها نحو السماء، وظاهرها للأرض، وتأنيث الكف لأنها مؤنث سماعى وهو إشارة لانفلات الحال عما يعتاد من غير إظهار للتعجب، واستغراب لأمر، وهذا مما يدل على سكونه ﷺ، وعدم خفته، وهو أمر ممدوح.

فَضَرَبَ[2] بإبْهَامِهِ اليمْنَى رَاحَتَهُ اليمْنَى رَاحَتَهُ اليسْرَى[3]، وإذا غَضِبَ أَعْرَضَ[4]وأَشَاحَ[5]، واذا فَرِحَ[1] غَضَّ طَرْفَهُ[2]، جُلُّ ضَحِكِه التَّبَسُّمُ[3]، ويفْتَرُّ[4] عَنْ مِثْلِ

---

(١) **(اذا تحدث أفصل بها)** فى «شرح الدلجى» بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف، أى:= =وجه كفه، من فصل علينا إذا خرج من طريق، أو ظهر من حجاب قاصداً بها، أى: بكفه، ولم يبينه غيره، ووقع فى بعض النسخ: اتصل بها، أى: بمثناة فوقية بدل الفاء، وفى حاشية التلمسانى: وللحديث يتصل بها، أى: لا زال يحركها، وذلك أثبت لأنه قول وفعل، انتهى.

وهذا يدل على أن اتصل بها رواية، ففى العبارة ثلاثة وجوه: أفصل، واتصل، ويتصل، والمعنى: إنه ﷺ فصل حديثه بإشارته بيده لجهة من يخاطبه، كعادة من يهتم بكلامه فى أمر مهم.

أقول: هذا كلام مع غموضه غير محرر مع ما فيه، أما ما ذكره الدلجى من أنه أفصل بهمزة وفاء فتحريف، لأنه لم يسمع فى هذه المادة مزيد بزنة أكرم، فالصواب فصل، أو اتصل، ومعناه: أنه ﷺ فصل كلامه بإشارته، أو وصل إحدى يديه بالأخرى، ثم رأيته فى كتاب «النعمة فى الصلاة والسلام على شفيع الأمة» ذكر هذا الحديث، وانه اتصل، افتعال من الوصل، وهو الصحيح، وذكر أنه ﷺ كانت له إشارات مختلفة، فيشير بالمسبحة للتوحيد، ويجمع كفه لغيره فرقاً بينهما، وأنه كان إذا حدث وصل حديثه بالإشارة بيده توكيداً له، والظاهر أن الفاء آتية فى قوله:

(٢) **(فضرب)** تفصيلية، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ [هود: 45] إلى آخره، ولم يبينوا معناه، والظاهر: أن المعنى: أنه ﷺ كان يشير بجميع كفه إذا كان مع أصحابه على وجه متعارف، كالإشارة للذهاب والجلوس ونحوه، فإذا تحدث وضع إبهامه على راحته وقت حديثه لتثبيت حديثه، أو انتهائه، فاعرفه، وقوله:

(٣) **(بإبهامه اليمنى راحته اليسرى)** كذا فى أكثر الروايات، وفى بعضها: فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، والإبهام معروف، يذكر ويؤنث، وجمعه: أباهيم، وأباهم، قالوا: وهذا عادتهم إذا تحدثوا.

(٤) **(إذا غضب أعرض)** عمن غضب عليه من غير لوم له، لشدة حلمه ﷺ.

(٥) **(وأشاح)** بشين معجمة وحاء مهملة بينهما ألف، قيل: معناه: صرف وجهه، فهو تأكيد لما قبله، وقيل: معناه: قبض وجهه، وزواه من غير لوم وعقاب، وهذا من حلمه ﷺ

حَبَّ الغَمَام[5]. قال الحَسن[6] : فَكَتَمْتُها[7]عن الحسين[8]بن على رضى الله عنهم زَمَاناً[9]

، فلا يقال: كيف أدرج هـذا فى صـفات المـدح؟ فأجـاب بـأن الغـرض بيـان صـفاته ﷺ للمسائل؛ لأن المقام يأباه، وسيأتى من المصنف تفسيره بما يقارب هذا،وقيل: إن فى النهاية : أن المشيح: الحذر، أو الجاد فى الامر، أو المقبل عليك، المانع لما وراء ظهـره، وفى حـديث سطح: أقبل على جمل مشيح، أى: جاء مسرعا، فيجوز أن يريـد أحـد هـذه المعـانى، أى: حذر من موجب غضبه، أو حذر فى الأمر، ليشعر بإعراضه عن موجب غضـبه، أو أقبـل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه، ولا يخفى أنه تكلـف، مخـالف لمـا اختـاره المصنف مما هو أظهر هنا .

(١) (**وإذا فرح**) لرؤية ما يسره، أو سماعه .

(٢) (**غض طرفه**)، أى: أرخاه، وأطرق تباعداً من الأشر والمرح .

(٣) (**جل ضحكه التبسم**) أى : أكثره، وقد تقدم بيانه، وقد يضحك ﷺ أحيانا حتى تبدو نواجذه، والتبسم مبادى الضحك .

(٤) (**ويفتر**) بفتح الياء وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة، من قولهم: افتر ضاحكاً، إذا أبدى أسنانه، قال :

يفتر عن لؤلؤة رطب وعـن وعن أقاح وعن طلع وعـن حبـب بـــــــــــــــــرد

وهو من : فررت الدابة، إذا كشفت فهما لتعرف سنها من سنها، وذلك هو الفرار بالضـم .

(٥) (**عن مثل حب الغمام**) متعلق بيفتر، والغمام: السحاب، واحده: عامة كسحابة، وحبه هو البرد المعروف، لا قطر المطر كما توهم، فإنه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا، لأن الحب الجامد دون السائل، وتشبيه أسنانه ﷺ به لصفائه، ولمعانـه، ورطوبتـه، دون جريـه، حتـى يقال: إنه لنوع منه، وهو مشهور فى كلامهم كما مر .

(٦) (**قال الحسن**) بن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنهما :

(٧) (**فكتمتها**) أى: أخفيت صفاته ﷺ التى سمعتها من ابن أبى هالة .

(٨) (**الحسين**) مفعول ثان لكتم، وفى نسخة: عن الحسين بن على .

(٩) (**زماناً**) مدة من الزمان .

ثم حَدَّثْتُهُ[1] فَوَجَدْتُهُ قد سَبَقَنى اليه[2]، فَسَأَل أباهُ عن مَدْخَلِ رسول الله ﷺ ومَخْرَجِهِ ومَجْلِسِهِ[3] وَشَكْلِهِ[4] فلمْ يدَعْ مِنْه شيئا[5].

قال الحُسَين : سَأَلْتُ أبى عَنْ دُخُولِ رسول الله ﷺ؟ فقال : كان دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ[6]، مَأْذُوناً لَهُ فى ذلِكَ [7]، فَكَانَ إذا أَوى [8] الى مَنْزِلِهِ، جَزَّأَ دُخُولَهُ[9] ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ

---

(١) **(ثم حدثته)** بما سمعته من صفته ﷺ.

(٢) **(فوجدته قد سبقنى إليه)** أى : إلى الحديث المعلوم من قوله : حدثته، أى : حفظه قبلى، إلا أنه رواه عن أبيه على ـ رضى الله تعالى عنهما.

(٣) **(فسأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ، ومخرجه، ومجلسه)** وفى نسخة : وملبسه بدل مجلسه، فإن كانت الثلاثة مصادر ميمية، فظاهر، وإلا بان كان اسم زمان أو مكان، فالمراد : سألته عن حاله فى مخرجه ومدخله، والمراد :خروجه ﷺ للناس، ودخول بيته وجلوسه عندهم كما سيأتى، وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام: هيئة جلوسه، وإن ما ذكر استقراء لجميع أحواله، يعنى : الحسن، أنه سمع هذه الصفات من ابن أبى هالة خاله، ولم يخبر أخاه بما سمعه منه، والحسين لم يسمعها من خاله، فلما حدثه بها وجد عنده علما منها من طريق، وهى روايته لها عن أمير المؤمنين أبيه مع زيادة، وإنما كتم ذلك عنه مع النهى عن كتمان العلم عن أهله؛ لأنه لم يسأله، ولم ينحصر علمه فيها، ولو كان كذلك دخل فى حديث : «من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار»أو أنه كتم عنه كلام أبى هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم أهل البيت بذلك، فإن الثبت والحديث لهم.

(٤) **(وشكله)** بفتح أوله، أى : هيئته فى ذلك الحال، وبكسره بمعنى الهدى، والسمت، قاله التلمسانى

(٥) **(فلم يدع من ذلك شيئا)** أى : لم يترك شيئا من أحواله إلا بينه لى .

(٦) **(قال الحسين سألت أبى ﷺ عن دخول رسول الله ﷺ، فقال : كان دخوله لنفسه)** أى : دخوله منزله ليجتمع بأهله لمصالحه، وقضاء مآربه وقيلولته .

(٧) **(مأذونا له فى ذلك)** من الله إذنا عاما بحيث يدخل؟ أى بيت من بيوته فى أى وقت من غير استئذان من زوجاته رضى الله تعالى عنهن؛ لأنه ﷺ كان لا يجب عليه القسم، وقيل : المراد : دخوله بيوت أصحابه رضى الله تعالى عنهم وهو بعيد لقوله :

(٨) **(فكان إذا أوى)** الأصح قصره، ويجوز مده.

(٩) **(إلى منزله جزّأ دخوله)** أى : قسم زمن دخوله لبيته .

لله [1]، وَجُزْءاً لأَهْلِهِ [2]، وَجُزءاً لِنَفْسِهِ[3]، ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَينَهُ وبَينَ النَّاس[4] : فَيَرُدُّ ذلِكَ عَلَى العَامَّة بالخَاصَّةِ [5]، وَلا يدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيئاً[6]، فَكَانَ مِنْ سِيرتِهِ فى جُزْءِ الأُمَّةِ [7]، أيثَارُ أَهْلَ الْفَضْلِ بأذنِهِ [8]، وقِسْمَتُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فى الدِّينِ[1]، مِنْهُمْ ذو الحاجَةِ[2]،

---

(١) **(ثلاثة أجزاء جزءا لله)** أى : لعبادته والتفكير فى ملكوته .

(٢) **(وجزءا لأهله)** يدبر فيه أمورهم، ويصلحها، ويتلطف بهم .

(٣) **(وجزءا لنفسه)** من مأكل، ومشرب، وراحة، وغيره بما يليق به لقوله :

(٤) **(ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس)** أى : قسم الزمن الذى جعله لنفسه، فجعل قسما منه مخصوصا بذاته وأحواله فى نفسه، وجزءا آخر للناس وسائر الأمة، وهو فى منزله، ولا يلاقيه فيه إلا أهله، أو خواص أصحابه الذين يؤذن لهم فى الدخول عليه، وغيرهم لا يصل إليه ثمة، فلذا قال :

(٥) **(فيرد ذلك على العامة بالخاصة)** يرد بمعنى: يوصل ويعطى كأنه لما كان لهم حق فى الجملة أخذ منهم، ثم رد إليهم، وقيل: معناه: يستعين؛ لأنه ورد انه ﷺ كان يستعين بالخاصة على العامة، وهو بيان لمحصل المعنى، وذلك إشارة لما فهم من السياق، وهو جزء الناس والعامة من عدا الخاصة التى عرفتها، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعه ﷺ إذا لم يكن مما ينبغى كتمه عنهم، والباء فى الخاصة للسببية، وكونها للبدل، كقوله :

فكيف لى بهم قوما إذا ركبوا بعيد

لأنه ليس المراد أنه يجعل وقت العامة بعد الخاصة، وبدلا منه، وعلى : على ظاهرها، وقيل : بمعنى إلى، وروى بدل يرد بيدل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية وفتحها فيها .

(٦) **(ولا يدخر عنهم شيئا)** أى : عن المذكورين من العامة والخاصة، وقيل : عن الداخلين عليه ﷺ، والمال واحد، ويدخر بدال مهملة مشددة، وأصله: يذتخر بذال معجمة وتاء افتعال، من : الدخر، قلبت تاؤه وذاله دالا، وفعل به ما علم من كتب الصرف، وكذا أمثاله من ادكر، ويجوز يذخر بذال معجمة مشددة وخاء .

(٧) **(فكان من سيرته فى جزء الأمة)** وهو الجزء الذى جعله للناس وأفرزه مما كان لنفسه، أى : كان دأبه ﷺ وعادته فى هذا الجزء .

(٨) **(إيثار أهل الفضل بإذنه)** الإيثار : تقديم ما يؤثره على غيره، والمراد بإذنه: أنه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته كما مر، وما قيل من أن المراد بآهل الفضل اغنياء الصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ والفضل زيادة مالهم على حاجتهم، والمعنى : إنه ﷺ يأذن لهم أن يؤثروا بصدقاتهم أقرباءهم، كما وقع لأبى طلحة ﷺ فى بئر حاء تكلف أوقعه فيه قوله :

ومِـنْهُمْ ذُو الحَـاجَتَين، ومِـنْهُمُ ذُو الْحَـوائِجِ[3]، فَيَتَشَـاغَلُ بِهِـم[4]، ويشْـغَلُهُمْ[5] فيـما يصْلِحُهُمْ[6] والأُمَّةَ[7] مِنْ مَسْأَلتِهِ عَنْهُمْ[8] وأَخْبَارِهِمْ[9] بالَّذى ينْبَغى لَهُـم[10]، وَيقُـولُ: «لِيبلِّغِ الشَّاهِدُ[11] مِنْكُمْ، ويقول: ليبلغ الشاهدُ منكم الغائِب[12]، وأَبْلِغُـونى حَاجَـةَ مَـنْ لا

---

(١) **(وقسمته على قدر فضلهم فى الدين)** فتوهم أن المراد تقسيم المال والعطاء، وليس كذلك، وإنـما معناه قسمة جزئه فى حديثه معهم، واشتغاله بـأحوالهم، وقولـه: فى الـدين؛ لأن أكـرمهم عنـد الله أتقاهم، فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال، وفى بعض النسخ: وقسمه بدون تاء، ثم بين سبب تفاوتهم بقوله:

(٢) **(منهم ذو الحاجة)** الواحد.

(٣) **(ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج)** الثلاثة فأكثر.

(٤) **(فيتشاغل بهم)** أى: بقضاء حوائجهم وإرشادهم لما يصلح معاشهم، ومعادهم.

(٥) **(ويشغلهم)** بفتح الياء المثناة التحتية، مضارع: شغل، وأما أشغل فلغـة رديئـة كـما مـر، أى: يجعلهم ﷺ مشغولين بما أمرهم به.

(٦) **(فيما أصلحهم)** وفى نسخة: يصلحهم، أى: ما فيه صلاحهم.

(٧) **(والأمة)** بالنصب، أى: وأصلح الأمة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته ﷺ بحالهم.

(٨) **(من مسألته عنهم)** وهو بيان لما، أى: سؤاله عن أحوالهم، وروى مسألتهم، أى: الخاصة ذوى الفضل.

(٩) **(وإخبارهم)** أى: إخبار ذوى الفضل.

(١٠) **(بالذى ينبغى لهم)** أى: يليق، ويناسب حال المسؤول عنهم من الأمة، وهو مطاوع بغـى، بمعنى طلب، الراغب: اذا قيل: ينبغى ان يكون كذا، فهو على وجهين:

أحدهما: ما يكون مسخراً للفعل، نحو: النار ينبغى أن تحرق.

الثانى: الاستيهال، نحو: فلان ينبغى أن يعطى لكرمه، قـال الله تعـالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: 69] ويقول ﷺ لمن حضر عنده:

(١١) **(ليبلغ الشاهد)** أمر، وهو للوجوب فى الأمور الشرعية، وهو بتخفيف الـلام بقرينـة ذكـر الإتباع بعده، ويجوز تشديدها، والأول أصح هنا، والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله:

(١٢) **(الغائب)** وهو من لم يكن حاضراً أو موجـوداً، فهـو مـن كبـار الصـحابة والغائـب مـن صغارهم، أو هم الصحبة والتابعون، قيل: ويحتمل أن يـراد العـالم، والجاهـل، وأهـل الحضـر والبادية، والسامع، ومن لم يسمع، والمسلم، والكافر. وهذه احتمالات عقلية، أو هـى تـأويلات

يستَطيعُ إبلاغِي حاجَتُه [1]، فإنَّهُ [2] مَن أبْلَغَ سُلْطاناً حاجَةَ مَنْ لا يستطيعُ إبلاغَهَا [3] ثَبَّتَ الله قَدَمَيهِ يومَ القِيامةِ [4] لا يَذْكُرُ عِندَهُ [5] إلا ذِلكَ [6]، وَلا يقْبَلُ مَنْ أحَدٍ [7] غَيرَهُ [8] قال [9] فى حديثِ سُفْيانَ بنِ وَكِيع [10] : يدْخُلُونَ [11].

وتعميم لمفهومه، فتأمل .

(١) (**وأبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى**) أى : حاجته، وروى : إبلاغ حاجته، وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب، والحث، وبيان لسبب الأمر.

(٢) (**فإنه**) أى : الأمر والشأن .

(٣) (**من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها**) قيل: يريد أن من أبلغ سلطاناً حاجة جوزى بهذا الجزاء العظيم، فكيف بمن بلغ رسول الله ؟! وإلا فهو أجل من أن يكون ملكاً أو سلطانا، وقد قال كما تقدم : «**لست بملك**» قلت: فيه نظر. وقد يقال: المراد بالسلطان هنا الإمام الأعظم خليفة الله، وقد أطلق الفقهاء ذلك عليه، كما بيناه فى حكمه، بالسلطنة والفتيا والقضاء المذكور فى القواعد للسبكى كما سيأتى، وهذا الحديث مستقل رواه الأصبهانى، وفى بعض ألفاظه اختلاف .

(٤) (**ثبت الله قدميه يوم القيامة**) على الصراط يوم تزل الأقدام كما ورد مصرحا به فى رواية لابن أبى الدنيا، وذلك لأنه مشى بقدميه، وسعى لحاجة أخيه، فهو جزاء من جنس العمل، وهو كناية عن نجاته من أهوال الموقف .

(٥) (**ولا يذكر عنده**) أى : لا يذكر فى مجلسه .

(٦) (**إلا ذلك**) الإشارة لجميع ما تقدم من ذكره مصالحهم، وسؤاله عن الأمة، والأمر بالتبليغ والحث عليه، والترغيب فيه.

(٧) (**ولا يقبل من أحد**) البناء للفاعل والمفعول .

(٨) (**غيره**) أى : لا يرضى كلاماً غير ما يكون من هذا القبيل .

(٩) (**وقال**) أى : على ﷺ عنه فى رواية .

(١٠) (**فى حديث سفيان بن وكيع**) بن الجراح، أبو محمد الكوفى، وهو إمام حافظ، روى عنه الترمذى والدار قطنى وغيرهما، توفى سنة سبع وأربعين ومائتين، ووالده إمام جليل حافظ ـ رحمه الله تعالى .

(١١) (**يدخلون**) أى : أصحابه ـ رضى الله تعالى عنهم .

رُوَّاداً[1] ولا يتفرَّقُونَ[2] ألا عَن ذَوَاق [3] وَيخْرُجُونَ[4] أدِلَّة، يعْنى : فُقَهَاء[5] قُلْتُ [6] : فأخبرنى عن مخرجه [7] كيف كان يصنع فيه [8]؟ قال : كان رسول اللهﷺ[9] يخزن لِسَانَهُ[10] الا مما يعنيهم [1]، ويولفهم، ولا يفرقهم [2]، يكرم كريم قوم[3]، ويوليه

---

(١) (**روادا**) بضم الراء المهملة وتشديد الواو وألف ودال مهملة جمع رائد، وأصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الماء والكلأ، فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم، وما يرشدهم، وقيل: يتحينون وقت الوصول إليه. وقال التلمسانى: إن رواد بكسر الراء وتخفيف الواو، ومصدره: رودير، ودويروى لواذا بلام وذال معجمة، أى : ملتجئين، لا ئذين به .

(٢) (**ولا يتفرقون**) عن مجلسه ﷺ .

(٣) (**إلا عن ذواق**) بفتح الذال المعجمة والواو المخففة وألف وقاف، فعال من الذوق بمعنى: المذوق، وهو المأكول، فاستعير للعلم الذى يتعلمونه، ويتحمل أن يريد حقيقته، لأنه ﷺ كان عادته أن يطعم شيئا لمن يدخل بيته، وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين ، وحقيقة الذوق كما قاله الراغب : وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله، وفيه تفصيل ذكرناه فى كتابنا «طراز المجالس» أى:لايتفرقون إلا عن علم وأدب هو غذاء لأرواحهم، وسبب لبقائهم .

(٤) (**ويخرجون**) من عنده ﷺ .

(٥) (**أدلة، يعنى فقهاء**) عالمين بأمور الدين، أى : هداة مرشدين للناس، ويهتدى بهم غيرهم، فأدلة جمع دليل، بمعنى هادى، أو بمعناه المشهور، كما يقال : فلان حجة الاسلام والصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية، كما فى «تحرير ابن الهمام» .

(٦) (**قلت**) قائله الحسين لأبيه ـ رضى الله تعالى عنهما .

(٧) (**فأخبرنى عن مخرجه**) أى : عن حاله ﷺ بعد خروجه من منزله .

(٨) (**كيف كان يصنع فيه**) بعد خروجه من منزله .

(٩) (**قال كان رسول اللهﷺ**) من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام، والتلذذ، والتبرك بذكره.

(١٠) (**يخزن لسانه**) بالخاء وضم الزاى المعجمتين والنون، أى : يصونه، ومنه الخزانة لأنه لا يحب كثرة الكلام، قال :

عليهم [4] .

ويحترس منهم [5]، من غير أن يطوى [6] عن أحد بشره [7] وخلقه [8]، ويتفقد أصحابه [9]، يسأل الناس عما فى الناس [1] الْحَسَنَ وَيصَوّبه [2] وَيقَبِّح القَبيحَ

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شىء سواه يخزان

ولما فيه من المنع عداه بمن فقال :

(١) (إلا بما يعنيهم) وفى نسخة: إلا فيما، ويعنى بفتح المثناة التحتية، أى: يهمهم وينفعهم من جواهر كلمه، وزواجر حكمه.

(٢) (**ويؤلفهم ولا يفرقهم**) أى : يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراتهم، ولطفه بهم، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : 159] أو يجعل الله بينهم ألفة تحثهم على التحاب والمؤاخاة بينهم .

(٣) (**يكرم كريم كل قوم**) كما قال : «أكرموا عزيز كل قوم» لمعرفته ﷺ بمقادير الناس .

(٤) (**ويوليه عليهم**) أى : يجعله حاكما عليهم، فلا يولى أحدا من أصحابه غيرهم ولا غيرهم عليهم، ولا يولى صغارهم عليهم رعاية لأهلية ذوى الولايات وتجنبا لإعلاء السافل ترغيبا فى الإسلام .

(٥) (**ويحذر الناس ويحترس منهم**) لأن من الحزم سوء الظن، وعدم الوثوق بكل أحد، وقال عمر- ﷺ: احتجزوا بسوء الظن وهو من بديع حكمه، وليس المراد بالناس جميعهم، بل عوامهم بخلاف خواصهم، والاحتراز والاحتراس والحذر متقاربة، وقيل : الاحتراس : التحفظ، والاحتراز : التعوذ، والحذر : الخوف .

(٦) (**من غير أن يطوى**) أى : يخفى، ويمنع، استعارة من : طى الثياب .

(٧) (**عن أحد بشره**) أى : طلاق وجهه، وانبساطه معه تأنيسا له، وتأليفا لقلبه، وإذهابا لخوف مهابته .

(٨) (**وخلقه**) أى: حسن خلقه، ولم يذكر الحسن إشارة إلى أنه مجبول على الحسن فيه .

(٩) (**ويتفقد أصحابه**) أى : يسأل عمن لم يحضر عنده، وفقد من مجلسه، وقد يذهب ﷺ لمنزله إذا طالت غيبته، ويطلبه.

ويوُهَّنُهُ[3]، معْتَدَلَ الأمْر [4] غَيرِ مُخْتَلِف[5]، لا يغْفُلُ[6] مَخَافَةَ اَنْ يغْفَلُوا [7] أوْ يملوا[8] لكَلَّ حَالٍ [9] عنَدْهُ عَتَادٍ[10]، لا يقَصَّرُ عَـنِ الحْـقَّ ولا يجَـاوِزُهُ الى غَيرِهِ[11]، الِـذينَ يلُوَنـهُ مِـنَ النَّاسِ[12] خِيارُهُم[1]، وأفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ : أعَمُهُم نَصِيحةً[2]، وَأَعْظَمُهُـمْ عِنْـدَهُ مَنزلـة [3] :

---

(١) (**ويسأل الناس عما فى الناس**) من أحوالهم وأمورهم ليعلم أمرهم، فيتدارك ما ينبغى تداركه، وينصح من يلزم نصحه، وليس هذا من التجسس أو الغيبة المنهى عنه، بل من سؤال الطبيب ليشفى المريض، فإذا أخبره بحال حسن حمد الله على ذلك .

(٢) (**يحسن الحسن، ويصوبه**) أى : يبين حسنه، وكونه صوابا، ويمدح فاعله ترغيبا له فيه .

(٣) (**ويقبح القبيح ويوهنه**) بضم أو لهما، وتشديد ثانيهما، والنون أو الياء التحتية، من الوهن بمعنى الوهن، وهو الضعيف، أى : يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا، وتحذيرا، ونصحا نافعا، والمراد : الحسن، والقبيح عادة أو شرعا، وفيه صنعة الطباق .

(٤) (**معتدل الأمر**) أى : أموره ﷺ كلها معتدلة، فلا يبالغ فى تحسين وتقبيح غيره .

(٥) (**غير مختلف**) أى : على سنن واحد فى جميع أوقاته .

(٦) (**لانفعل**) عن شىء من أحوال الناس .

(٧) (**مخافة أن يغفلوا**) عما يصلحهم، وهو بضم الفاء فيهما .

(٨) (**أو يملوا**) أى : يحصل لهم فتور وكسل عن صالح أمرهم، اذا لم ينبههم عليه، ولو أرجع هذا لقوله معتدل الأمر لم يبعد، ويجمع هذا قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : 125] .

(٩) (**لكل حال**) من أحوال الناس .

(١٠) (**عنده عتاد**) بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة، وهو كالعتيد: العدة، والحاضر المعد لإصلاحه، وتداركه إذا وقع، فهو متخلق بقوله : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:18] وقيل : أصل العتاد عداد لأنه من العدة، فأبدلت داله تاء هربا من التكرار .

(١١) (**ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره**) فإذا رآه عمله، وإذا رأى منكرا أزاله من غير تأخير .

(١٢) (**الذين يلونه من الناس**) أى : يقربون منه فى مجلسه ونحوه .

أَحْسنَهُمُ مُوَاسَاةً[٤] ومؤازرة[٥] فسألتُهُ[٦] عَنْ مَجْلِسِهِ[٧] عَمَّا كَانَ يصنَعُ فيه؟ فقال : كـانَ رسول الله ﷺ لا يجَلْس ولا يقُومُ[٨] إلاّ على ذِكْرٍ[٩]، ولا يـوَطَّنُ[١٠]الأمـاكِنَ[١] وينَهْـى

---

(١) (**أخيارهم**) أى : أفضلهم وأشرفهم .

(٢) (**وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة**) أعم هنا بمعنى أكثر نصيحة، أو أكثر منصوحا، بأن ينصح فى= =كل أمر كل أحد بإرشاده لما هو خير له، ولذا قال ﷺ : «الدين النصـيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين» فنصيحة الله : إخلاصه فى اعتقاده له بما يليـق بـه من توحيده وعبادته، مخلصا لوجهه. ولكتابه : فهم معانيه، والعمل بـما فيـه . والنصـيحة لرسول الله ﷺ : الإيمان به، واجتناب نواهيه، وامتثال أوامره . ولأئمة المسلمين : طاعتهم، وعدم الخروج عليهم، ونصيحته العامة : إرشادهم لمصالحهم، والنصح : إرادة الخير لمـن ينصحه بإخلاص، وهى كلمة جامعة، يقال : نصحته، ونصحت له .

(٣) (**وأعظمهم عنده منزلة**) أى : رتبة وشرفا .

(٤) (**أحسنهم مواساة**) لكل أحد، لأن حذف المتعلق يفيد العموم، والمواساة: إعطاء مـن يريد ما يريد، وبذله له، يقال : آساه، وواساه بواو مبدلة من الهمزة : إذا جعله أسوة له .

(٥) (**ومؤازرة**) أى : إعانة لمن التجأ اليه. يقال: آزره، ووازره، إذا أعانه، وقواه، وساعده، من الأزر، وهو الظهر لأن قوة البدن به، أو من الوزر، وهو الملجـأ، ومنـه : الـوزير، وفى الحديث : «ما أحد عندى أعظم يدا من أبى بكر، واسانى بنفسه وماله» . وهذا يـدل عـلى أنه أفضل الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ قال الحسين ﷺ :

(٦) (**فسألته**) يعنى : علياً والده ـ رضى الله عنهما .

(٧) (**عن مجلسه**) أى : عن حاله فى مجلسه خارج بيته مع الناس، ومعاملته لهم فيـه، ولـذا ردفه بقوله :

(٨) (**ما كان يصنع فيه؟ فقال : كان لا يقوم**) من مجلسه .

(٩) (**إلا على ذكر**) لله يجعله ﷺ ختام مجلسه، فكان إذا قـام منـه قـال : «سـبحانك اللهـم وبحمدك لا إله إلا أنت» فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة والذكر بالذال المعجمة إذا أطلق أريد به ذكر الله تعالى، وإن كان عاما . وقال التلمسانى ـ رحمـه الله تعـالى : وقـد تهمل ذاله قليلا، فقيل : إنها لثغة، وقيل : لغة، ولا دليل لقائله فى نحو :

﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر : 17] فإنه مغالطة .

(١٠) (**ولا يوطن**) بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الظاء مشددة ومخففة وفتحهـا

عَن إيطانِها [٢] .

وإذَا انْتهَى [٣] إلى قومْ [٤] جَلَسَ حَيثُ ينْتُهى بِه الْمَجَلْسِ [٥]، وَيأْمُرُ [٦] بِذلِكَ [٧]،

مشددة، كما فى بعض الشروح، وفى بعضها: إنه بالكسر، من : أوطنه، ووطنه، إذا اتخذه وطنا .

(١) (**الأماكن**) جمع أمكن، أو أمكنة، جمع مكان، فهو جمع الجمع، ففى ميمه خلاف هل هى أصلية، أو زائدة .

(٢) (**وينهى عن إيطانها**) أى : اتخاذها وطنا، والمراد : ملازمة محل بخصوصه فى غير بيته مما ليس بملك، كالمسجد، وغيره من الأماكن المباحة؛ لأن لكل أحد حقا فيه، والنهى الوارد عنه ﷺ إنما هو فى حق المسجد بأن يتخذ مصلى معينا منه، ولذا نص الفقهاء على كراهة إرسال السجادة للجامع، وفرشها فيه، وفى الحديث : نهى النبى ﷺ أن يوطن الرجل المكان بالمسجد، قيل : وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن ألف مكانا للإفتاء والتدريس، فله إيطانه، وإقامة غيره منه إذا كان من لا يعرفه يأتى لاستفتائه، فيعرفه فى مكانه، وقوله : إيطانها يؤيد أن يوطن مخفف ولا يعنيه، كما قيل، لأنه يجوز أن يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر، أو اسم فاعل، أو مفعول، واسم مكان وغيره من باب آخر، نحو ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [المزمل : 8] وقوله :

وداع دعا من يجيب الى لندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب

ويجوز فى نحو : أجراه مجراه ضمن الميم وفتحها، وقد تكون المغايرة أبلغ، وأكثر معنى، وهذا مما ينبغى التنبيه له .

(٣) (**وإذا انتهى**) مشيه قاصداً .

(٤) (**إلى القوم**) الذين يريد الجلوس معهم .

(٥) (**جلس حيث ينتهى به المجلس**) أى : فى أى مكان خال منه، من غير تصدر على أصحابه ﷺ، وينتهى من النهاية؛ لأنه نهاية محل الجالسين فيه .

(٦) (**ويأمر**) أصحابه .

(٧) (**بذلك**) تشعريها وتأديبا، فعلم أن تحرى الصدر مكروه شرعا، لما فيه من الكبر

ويعْطى كلُّ[1] جُلَسائه نصيبَهُ[2]، حَتّى لا يحْسِبُ[3] جَلِيسُهُ انّ أحّداً أكـرمَ عَلَيـه مْنُـه[4]، مَنْ جَالسَهَ او قاوَمَهُ لِحاجَةٍ[5]، سايُرُه[6] حَتَّى يكونَ هُوَ الْمُنْصَرِـفَ عَنْـهُ[7]، مَـنْ سَـأَلَهُ حَاجَةٍ لَمْ يرُدَّهُ إلاّ بِهَا[8]، أو بمِيسَوُرٍ مِنَ القَوْلِ[9]، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ[10]، بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ[11]، فَصَارَ لَهُمْ أباً[12] وصاروا عندَهُ فى الحَقَّ مُتَقـارِبين[1]، مفُاَضَـلِين فيـه بـالتَّقْوَى[2]، وفى

والترفع على أصحابه، لا سيما اذا لم تطب أنفسهم بذلك، فيتأذون به، فإنـه قـد يحـرم، كـما يفعله علماء السوء فى زماننا .

(١) (**ويعطى كل**) أحد من :

(٢) (**جلسائه نصيبه**) أى : ما يستحقه من ملاطفته، ومجاوبة سؤاله، وبشره ﷺ له .

(٣) (**حتى لا يحسب**) أى : يظن .

(٤) (**جليسه أن أحدا أكرم عليه منه**) أى : يظن أنه أكرم الناس، وأجلهم عنده، لمـا يـرى من لطفه به، فهو كقولهم: ليس فى البلد أعلم منه، كما مر تحقيقه، فهو غاية لذلك الإعطاء .

(٥) (**من جالسه او قاومه فى حاجة**) أى : من حادثه، أو قام مع قيامه لغـرض حاجتـه، أو لغير ذلك، فهى مفاعلة من الجلوس والقيام .

(٦) (**صابره**) أى : صبر عليه، أو صبر مقدار صبره، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هـو، كل ذلك لاشتمامهم وتطييب قلوبهم، فلا يمل حتى يملوا .

(٧) (**حتى يكون هو المنصرف عنه**) والحصر بتعريف الطرفين فى محزه هنا.

(٨) (**من سأله حاجة لم يرده إلا بها**) أى : رده رسول الله ﷺ مقضى الحاجة غير خائب .

(٩) (**أو بميسور من القول**) أى : أو رده بقول لين سهل لا غلظة فيه، كوعده، وقد تقـدم بيانه .

(١٠) (**قد وسع الناس**) بالنصب مفعول وسع .

(١١) (**بسطه وخلقه**) بإضافته لضميره، ورفعه على الفاعليـة، أى : عمهـم بسـطه، أى : بسط يده ﷺ، وسماحته، أى : بشره،وطلاقة وجهه، وإبداء سروره، وحسن خلقه، فشـبهه بمكان متسع رحب، وأثبت له السعة . والبسط بهذا المعنى مسموع، وليس لغة مولدة كما يتوهم، كما ذكره المصنف ـ رحمه الله ـ فى «المشارق» وتقدم فى الحديث عنـه ﷺ : «فاطمة منى يبسطنى ما يبسطها» .

(١٢) (**فصار لهم أبا**) أى : بمنزلة الأب فى البر، والصلة، وقصد الخير، وفيه دليل على أنه

الرَّوَاية الأخرى: صَاروُا عَنْـدُه فى الحـقَّ سَـواء[٣]، مَجْلِسـهُ مَجْلِـسُ حِلْـمٍ، وَحَيـاءٍ[٤]، وَصَبَر، وأمـانـةٍ، لا تُرْفَعُ فيهِ الأصواتُ[٥]، ولا تُؤبَنُ فيه الحُرَمُ[٦]، ولا تُنْثَـى فَلَتَاتُـهُ[٧]

يجوز أن يقال أنه ﷺ أبو المؤمنين، كما يقال لزوجاته ـ رضى الله عنهن ـ أمهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تعـالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحـزاب : 40] لأن نفى الحقيقة لا ينافى المجاز كما سيأتى .

(١) (**وصاروا عنده فى الحق متقاربين**) أى : يقرب بعضهم من بعض إذا كانوا على الحـق، أو فى أداء حقوقهم ، أى : فى أصل الحق، فلا ينافيه قوله :

(٢) (**متفاضلين فيه بالتقوى**) أى : بحسب مـراتبهم فى تقـوى الله، لقولـه تعـالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : 13] وقال ﷺ :

(٣) (**أنزلوا الناس منازلهم**) وسيأتى فى الرواية الأخرى : وصـاروا فى الحـق سـواء، فـلا ينافيه هذه الروايـة ولا أن بيـنهم تفاوتـا تامـا وفى الحـديث : «لا يـزال النـاس بـخير مـا تفاضلوا، فإن تساووا هلكوا» وصاروا كأسنان المشط، ليس فيهـم فضـلاء أو تنافسـوا فى الفضائل، فأنكروا فضل بعضهم على بعض. وما عبر الإنسـان عـن فضـل نفسـه كمثـل اعتراف الفضل فى كل فاضل : (وفى الرواية الأخرى صاروا عنده فى الحق سواء) كما بيناه .

(٤) (**مجلسه مجلس حلم وحياء**) أى : يظهر فيه حلمه عليهم، وحلمـه عـلى غيرهـم، بحيـث لا يستفزه الغضب، وهم مظهرون للحياء، لا يرفعون رؤوسـهم وأصـواتهم، ولا يرتكبـون مـا لا ينبغى قولا وفعلا . قيل : ولو= قدم هذا ، وأدرجه فى جواب السؤال عن مجلسـه كـان أحسـن . قلت ما بالعهد من قدم .

(٥) (**وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات**) احتراما له ﷺ، ولو قارهم، وأدبهم .

(٦) (**ولا تؤبن فيه الحرم**) كالكبر، جمع حرمة، وهى ما لا يحـل، والمـراد : النسـاء، لحرمـة النظر لهن ونحوه، أى : لا تذكرن بسوء من ابنته، فابنته إذا ذكرتـه بـما يكـره مـأخوذ مـن الابنة والابن، وهى عقد فى القسى تعاب بها، أى : لا تذكر فيـه النسـاء لأنهـا رفـث مـن القول، أو لا يذكر فيه ما يحرم كالغيبة، وسيأتى تفسيره .

(٧) (**ولا تنثى فلتاته**) بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مقصورة من النثاء، وهو ذكر القبيح ضد الثناء بتقديم المثلثة، وهذا هو الموافق لما سيأتى، وروى ولا يثنى بتقديم المثلثـة

(وهذه الكلمة[1] من غير الرَّوَايتين[2] يتَعَاطَفون بالتَّقوى[3]، مُتَوَاضعين[4]، يوقُرون فيه[5] الكَبير[6]، وَيرحمُونَ الصَّغير[7]وَيرْفِدُون[8] ذا الحاجة[9]، ويرحمونَ الغريب[10] .فسألْتُهُ عن سيرته ﷺ فى جُلَسائِهِ؟ فقال : كانَ رسول الله ﷺ دائم البِشْرِ[11]، سَهْلَ

على النون، أى : لا تعاد . والفلتات، بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون، ويجوز تسكين لام فلتات، ويجوز ضم فاء فلتة، كما قاله التلمسانى، وهى : الزلة، أى : القبيح الذى يقع بغتة، والمراد : إنه لا فلتة فيه حتى يذكر فى مجلس آخر، فيعاد ذكرها، فنفى الشىء بذكر لازمه، لأنها لو وقعت ذكرت، كقوله : ولا ترى الضب بها ينجحر .

(١) (**وهذه الكلمة**) أى : قوله لا تنثى فلتاته .

(٢) (**من غير الروايتين**) رواية الحسن عن خاله، ورواية الحسين عن أبيه، ويجوز أن يراد ظاهره، أى : أن الفلتة إذا وقعت لا تذكر، بل تستر .

(٣) (**يتعاطفون بالتقوى**) أى : يعطف يعطهم على بعض، ويشفق عليه، ويرحمه بسبب تقوى الله لا رياء ولا سمعة ولا خوفا، واتقاء شر، فالباء سببية، كقوله تعالى : ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : 29] .

(٤) (**متواضعين**) أى : يتواضع بعضهم لبعض، لا يتكبر أحد على أحد، فيخدمه، ويخفض جناحه له.

(٥) (**يوقرون فيه**) أى : فى المجلس .

(٦) (**الكبير**) سناً .

(٧) (**ويرحمون الصغير**) شقفة عليه، ورأفة، وهو مفتوح الصاد، ويكسر فى لغة رديئة .

(٨) (**ويرفدون**) بفتح المثناة التحتية وضمها، أى : يعينون، ويواسون، يقال : رفده يرفده بالكسر،وأرفده بمعنى.

(٩) (**ذا الحاجة**) أى : كل من كانت له حاجة، ومسألة لهم أو له ﷺ أعانوه بقضائها، أو إبلاغها، أو الشفاعة، ويجوز أن يراد به الفقير المحتاج .

(١٠) (**ويرحمون الغريب**) أى : يشفقون عليه، ويعطفون تأنيسا له، وإزالة لوحشة غربته، قال الحسين :

(١١) (**فسألته عن سيرته ﷺ فى جلسائه، فقال : كان ﷺ دائم البشر**) أى : طلاقة الوجه، وبشاشته، وإظهار السرور فى مجالسه العامة، وهذا لا ينافى ما مر من قوله : دائم الأحزان،

الخُلُقِ [1]، لين الجانِبَ [2]، لَيسَ بِفَظٍّ [3] ولا غَلِيظٍ [4] ولا سَحابٍ [5]، ولا فَحَّاشٍ [6]، ولا عَيَّابٍ [7]، ولا مَدَّاحٍ [8]، يتَغَافَلُ عَمَّا لا يَشْتَهى [9]، ولا يُؤْيسُ مِنْهُ [10]، قَد تَرَكَ نَفَسَهُ مِنْ

كما مر، فتذكره .

(١) (**سهل الخلق**) أى : خلقه، وسجيته السهولة، وعدم الشدة فى أقواله وأفعاله، وقد جاء رسول الله ﷺ بالملة السمحة السهلة .

(٢) (**لين الجانب**) بتشديد الياء وسكونها، أى : لا غلظة فيه، ولا جفاء، متذللا، متواضعا .

(٣) (**بفظ**) الفظ : سيئ الخلق .

(٤) (**غليظ**) أى : شديد متوعد لأحد، ممسك عنه لطفه، ورفده .

(٥) (**ولا صخاب**) بالصاد والسين، أى : لا يرفع صوته جدا فى خصومة ونحوها .

(٦) (**ولا فحاش**) أى : لا يتكلم بقبيح، كالشتم .

(٧) (**ولا عياب**) أى : ذكر العيوب بالناس، ونقائصهم .

(٨) (**ولا مداح**) أى : لا يكثر المدح لغيره، ويطريه بمبالغة قوة ما فيه، وإن كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه كما مر، وذكر هذه بصيغة المبالغة إشارة إلى أنه قد يصدر قليلها أحيانا منه ﷺ لمقتضى الحال، ومثله لايعاب، والمدح : إنما يذم إذا كان زيادة عن حده لأنه كذب ومداهنة، وأما مدح من يستحق المدح بما إذا لم يلزمه محذور فأمر حسن، ألاترى إلى قوله ﷺ : «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالم لرجح» وقوله لعمر رضي الله عنه : «لو أبعث لبعثت أنت ياعمر» فأى مدح يزيد على هذا؟! لكنه صدق ناشئ عن بصيرة، ولا يورثهم ذلك إعجابا، ولا فتورا، وما من شىءإلا وهو ممدوح من وجه مذموم من آخر .

(٩) (**يتغافل عما لا يشتهى**) أى : يتغافل عما ليس بمنكر شرعا، لكنه غير مستحسن عادة أو طبعا، إذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه، ولم يقر عليه، وهذا من مكارم الاخلاق، كما قال أبو فراس :

ليس الغبى بسيد فى قومه ... لكن سيد قومه المتغابى

(١٠) (**ولا يؤيس منه**) قال فى «المقتفى» : يؤيس بضم أوله وسكون الواو وهمزة مكسورة، وهى ترسم ياء، ويجوز فتحها على أنه مبنى للفاعل أو المفعول، وهو من اليأس،

ثَلاثٍ[1] : الريِّاء، والإكثارِ، وما لا يعنيه[2]، وتَركَ النَّاسِ مَن ثـلاثٍ[3] : كانَ لا يذُمُّ أحداً[4]، ولا يعَيرُه[5] ولا يطلبُ عَوْرَتَـه[6] ، ولا يـتكَلَّمُ إلا فيـما يرْجـو ثَوابُـه [7] إذا تكلَّـمَ أطْـرقَ جُلسَـاؤهُ[1]، كـأنَّما رُؤُوسـهِمُ الـطَّيرُ[2]، وإذا

ضد الرجاء، يعنى : إذا سئل رسول الله ﷺ عما لا يليق تغافل عنه، ولم يـرد السـائل حتـى ييأس، أو يبين له أنه سأل ما لا يليق، فيخجل سائله .

(١) (**وقد ترك نفسه من ثلاث**) أى : نزهها عنه، ومنعها، وقيل فيه : قلب، أى ترك ثلاثا من نفسه .

(٢) (**الرياء والإكثار وما لا يعنيه**) بفتح المثناة التحتية، أى : يهمه، وهى بـدل مـن ثـلاث مبينة لها والرياء: إظهار ما فيه من الصفات الحميدة والأفعال الجميلة للناس حتـى يحمـد بها، ويشيع، وهو الشرك الأصغر، وهو ﷺ منزه عنه بلا شبهة . فإن قلت : كونه غير ثابت له أمر ظاهر الانتفاء عنه، فما الحاجة لذكره؟

قلت : كأنه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لا يحبه ، من غير أن يقنط راجيه، يعنـى : إنه لم يقل أنا لا أحب هذا، فلذا لم أجبك عنه، حتى يتوهم أنه سيفعله لما فيـه مـن الريـاء، ولـذا قال :

(٣) (**وترك الناس من ثلاث**) أى: أبعدهم عنها، أو ترك ذكر النـاس، ونحـوه مـن أجـل ثلاث تضمنها قوله :

(٤) (**كان لا يذم أحدا**) من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله .

(٥) (**ولا يعيره**) بعين مهملة، يقال: عيره كذا أو بكذا، أى : ذكر ما فيه بما هـو عـار عليـه وعيب فيه قد سلف منه، فالفرق بينه وبين ما قبله أنه أخـص منـه، وليـس عينـه حتـى لا تكون أمور الناس المتروكة أربعة، كما ذكره التلمسانى ـ رحمه الله تعالى .

(٦) (**ولا يطلب عورته**) أى : لا يتجسس عن معايب الناس، ويبحث عنها، كـما كـان ﷺ يفعل مع المؤلفة قلوبهم، وأصل العورة : الخلل، وما يجب ستره، كما فى حديث أبى داود : «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لاتؤذوا المسـلمين، ولا تعيروهـم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته» . وهـذا كـما قيـل فى المثل : كل من عيَّر ابتلى، وهذا إذا لم يلزم إظهاره شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه، وقوله :

(٧) (**ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه**) صفة أخرى مرتبطة بما قبلها، وليست مـن الـثلاث،

سكَتَ : تَكَلَّموا[٣]، لا يتَنازَعون عِنْدِه الحديثَ[٤] من تكَـــــــلَّم عِنْـــــدَه

وهذا كنصيحة الأمة، وإرشادهم، وتعليم الخير والتبليغ .

(١) (**إذا تكلم أطرق جلساؤه**) أى : خفضوا رؤوسهم تأدبا وإنصاتا .

(٢) (**كأنما على رؤوسهم الطير**) أى: بسكون ووقار من غير طيش وخفة؛لأن الطير لا تقع إلا على ساكن، وهذا مثل مشهور .

(٣) (**واذا سكت تكلموا**) فلا يقطعون حديثه بحديثهم تأدبا معه ﷺ وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه، مراعاة لعظيم قدره.

(٤) (**لا يتنازعون عنده الحديث**) أى : إذا كانوا فى مجلسه ﷺ لا يديرون الحديث بينهم، فحدث بعضهم بعضا، كما هو جار بين الناس إذا اجتمعوا فى ناد، وهذا بيان لقوله : تكلموا أو أن المراد يتكلمون مع النبىﷺ بسؤالهم له، ونحوه من مهماتهم؛ لأنهم يديرون الحديث بينهم، وهذا هو معنى تنازع الحديث فى كلامهم، ومن فسره بالتخاصم لاغتراره بظاهر التنازع لم يصب، لعدم مناسبته للمقام، ولا يخفى أنه لا معنى لقولك : تخاصموا الحديث، إلا بتأويل، أى : تخاصموا فى الحديث، وهو ركيك، قال امرؤ القيس :

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هصرت بغصن ذى شماريخ

قال ابن السيد فى «شرح أدب الكاتب» : تنازعنا الحديث، أى: تداولناه، فحدثنى مرة، وحدثتها أخرى، وها هنا بحث، وهو أن سيبويه قال فى كتابه :لا تقول : تفاعلت إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدا، ولا يجوز أن يتعدى لمفعول ينصبه، وفى تفاعلنا تلفظ بالعين الذى فى فاعلته كتضاربنا وتقاتلنا، وقد يجىء تفاعلت على غير هذا كتقاضيته، انتهى . فلم يجز تعدى تفاعل لمفعول إلا إذا كان لواحد لأن تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذى كان فى فاعل الإتراك، تقول : ضاربنى زيد، فتأتى بفاعل ومفعول، فإذا قلت : تضاربنا لا يتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول ليس لنا غيره، وليس تنازعنا كذلك؛ لأن نازع يتعدى لمفعولين، تقول : نازعته الحديث، فإذا قلت: تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثانى، لأن تنازع لم يتضمنه، كذا قاله ابن السيد فى «المقتضب شرح أدب الكاتب» .

أقول : فى كلام سيبويه حينئذ قصور؛ لأنه كان عليه أن يقول : إن باب تفاعل بمعناه الأصلى ينقص عن فاعل مفعولا، فإن كان متعديا لواحد كان لازما، وإن كان متعديا لاثنين تعدى كما= =ذكره بعض النحاة فإطلاقه لا ينبغى، وقد نقل ابن السيد هذا فى محل

(١) أَنْصَتـــــوا لـه، حتَّـى يفْـــــرُغَ (٢) مِـــــنْ كلامَهِ(٣)، حَـدِيثُهُم حـدَيثُ أوَّلهم(٤) يضْحَكُ (٥) ممَّا يضْحَكُونَ مِنْهُ(٦)، ويتَعَجَّبُ ممَّا يتَعَجَّبونَ مْنهُ(٧) وَيصْبر للغْرَيـب

آخر عن الكوفيين، فقال : قال ثعلب : يقال فلان متعهد ضيعته، ولا يقال متعاهدها، قال ابن درستويه: إنما أنكرها لأنها على وزن يتفاعل، وهو عند أصحابه لا يكون إلا من اثنين، ولا يكون عندهم متعديا لمفعول، مثل : تقاتلا، وتعاملا، وهو غلط؛ لأن تفاعل قد يكون لواحد، ويكون متعديا كقول امرئ القيس :

تجـاوزت أحراسـاً وأهـوال معشرـ على حراص لو يسرـون مقـتلى

وجاء تفاعل متعديا لاثنين كقوله: فلـما تنازعنـا الحـديث...إلخ، قـال الخليـل : التعاهـد والتعهد : الاحتفاظ بالشـيء وإحـداث العهـد بـه، وقـول سـيبويه السـابق يشـبه قـول الكوفيين، انتهى. والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع، كقوله ﷺ لمن قرأ خلفه : «ما لى أنازع القرآن؟!» .

(١) (**من تكلم عنده**) أى : فى مجلسه ﷺ من الصحابة، أو غيرهم .

(٢) (**أنصتوا له حتى يفرغ**) من حديثه، وفى بعض النسخ .

(٣) (**من كلامه**) وأنصت يكون لازما بمعنى سكت، ومتعديا، يقال : أنصته، إذا أسكته .

(٤) (**حديثهم حديث أولهم**) مبتدأوخبر، أو حديثهم فاعل يتفرغ، فجمع الضمير، وهـو من رعايته للمعنى، وحديث أولهم بدل منه، أى : لا يقطع كلام من تقدم بكلام آخر، ولا يخاصم، فهذا فى معنى لا يتنازعون، وهو مرتبط بما قبله، فإن كان مبتدأ بدليل رواية : مـن كلامه، فهو تشبيه، أى : حديث كل واحد منهم إنما هو حديث مـن قبلـه، يعنـى : أنـه لا حديث له معه يقطعه، كقوله ﷺ : «ذكاة الجنين ذكاة أمه»وقد خفى هذا على بعض الشراح فعلقوه بأنصتوا .

(٥) (**ويضحك**) ﷺ .

(٦) (**مما يضحكون منه**) أى : الصحابة ـ رضى الله عنهم .

(٧) (**ويتعجب مما يتعجبون**) لأنه من حسن الصحبة أن يسرك ما يسره، ويرضـيك مـا يرضـيه، وهم على نهج واحد، وطبائعهم سليمة، فلا يضحكون، ويعجبون من غير مقتض، فلا يقال : إنه يلزم من ضحك أحد وتعجبه فعل غيره مثله؛ لأنه أمر طبيعى، وهذا فى أحيان قليلة، فـلا ينـافى

على الجَفْوة [1] فى المنطق[2]،وَيقولُ وَيقولُ: [3] إذا رأَيتم صَاحَب الحاجَةٍ يطلُبُها، فأرْفِدُوهُ[4] ولا يطْلُب الثَّناءَ[5] إلاَّ من مُكَافئ[6]، ولا يقْطَعُ على أحدٍ حديثَهُ حَتَّى يتَجوَّزَه[7]، فَيقْطَعَه بانتهاء[8] أو قيامٍ[9] هُنا انتهى حديث سُفْيان بن وَكِيع [10]، وزادَ الآخرَ[11] :

قُلتُ [12] : كيفَ كَانَ سُكُوتُهُ ﷺ؟ قال : كان سُكُوتُهُ عَلَى أرْبَعٍ : على الحِلْمِ،

قوله السابق : «كأنما على رؤوسهم الطير» .

(١) (**ويصبر للغريب على الجفوة**) أى : الغلظة، وتكلمه بما يؤلم .

(٢) (**فى المنطق**) أى: فى تكلمه مع النبى ﷺ كتحليف الأعرابى له ﷺ وقوله له : آلله أرسلك بهذا؟ وإنما قيل بالغريب لأنه معذور لا يعرف أحواله، وهذا من مكارمه ومعاملة كل أحد بما يليق به، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم .

(٣) (**ويقول**) ﷺ لأصحابه .

(٤) (**إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه**) بوصل الهمزة وقطعها، من رفده، وأرفده، إذا أعانه، وأعطاه، لأن الرفد العطية، والإرفاد : الإعانة، وكل منهما قابل هنا .

(٥) (**ولا يطلب الثناء**) بمعنى : يقبله، كما ورد فى رواية، فهو مجاز مرسل، أو استعارة، والثناء : الذكر الحسن الجميل والمدح .

(٦) (**إلا من مكافئ**) بالهمزة، اختلف فى تقسيره، أى : ممن أثنى جزاء على نعمة وإحسان تقدم له منه، وقد صرح به فى بعض الروايات بقوله : عن يد، ولا يرد عليه أن النبى ﷺ رحمة عامة، مامن أحد إلا وله عنده يد ، فالصواب تفسيره بمسلم، أى : غير متجاوز فى المدح، مطر، لأن القرينة قائمة على أن المراد نعمة حادثة خاصة .

(٧) (**ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه**) أى : يخففه، يقال : تجوز فى الصلاة، إذا أسرع، وخفف .

(٨) (**فيقطعه بانتهاء**) أى : إتمام لحديثه، وبه ينقطع الكلام .

(٩) (**أو قيام**) من المجلس؛ لأنه انقطع كلامه . فمضى لشاته .

(١٠) (**هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع**) السابق ذكره .

(١١) (**وزاد الأخرى**) أى : صاحب الرواية الأخرى .

(١٢) (**قلت**) القائل أحد السبطين ـ رضى الله عنهما ـ كما مر .

والحَـــذَرِ، والتَّقْـــديرِ، والتَّفكُـــر[1]، فَأَماتقـــديره[2] : فَفـــى تســـويةِ النَّظَـــر[3] والاستمتاعِ[4] بينَ الناس[5] . وأَمَّا تَفكرُهُ : ففيما يبْقى، ويفْنى[6] وجُمِعَ [7] لَـهُ[8] الحِلْـمُ ﷺ (فى الصَّبْر[9]، فكانَ لا يغْضبُه شَىءٌ [10] يسْتَفَّزة[11]، وَجُمِعَ لَهُ فى الحَذَرِ[12] أَرْبَعٌ [13]: أَخْذُهُ بِالحَسَنِ [14] لُيقْتَدَى بـه [1]، وَتَرْكُـهُ القـبيحَ [2] لينتهَـى عَنـه[3]، واجتهـادُ الـرَّأى [4] بـما

---

(١) (**كيف كان سكوته ﷺ؟ قال : سكوته على أربع على الحلم والحذر، والتقدير والتفكر**) لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوما، وقد تقدم، لم يفسره، وقال :

(٢) (**فأما تقديره**) أى : بم ينظر مقداره إذا صدر منه، أو من غيره ممن يقتدى به .

(٣) (**ففى تسوية النظر**) فى الأمور، وما يترتب عليها من المنافع الدنيوية والأخروية .

(٤) (**والاستمتاع**) أى : استمتاع الناس به ﷺ، أو بأمورهم فيما بينهم، ومعنى الاستمتاع : الانتفاع، وقوله :

(٥) (**بين الناس**) متعلق بالتسوية، وهى جعلهم متساوين، وليس المراد تساويهم حقيقة، بل أن يكون لكل أحد مقادر يليق به .

(٦) (**وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى**) أى : فى أمور الدنيا الفانية والآخرة الباقية المخلدة .

فإن قلت : كيف يعلم هذا وهو أمر مضمر فى نفسه ﷺ لا يطلع عليه إلا الله؟

قلت : هذا بطريق الاستدالال العقلى والفراسة الصادقة، الشاهد لها ما يظهر من آثاره، ويتعلق به إذا تكلم، فإن الظاهر عنوان الباطل .

(٧) (**وجمع**) بالبناء للفعول، أى : جمع الله .

(٨) (**له**) وكذا ما سيأتى بعده الحلم باللام، أى : جمع له سائر جزئيات الحلم، المختص كل حليم ببعض منه، وفى بعض النسخ : الحكم بالكاف، وله وجه .

(٩) (**فى الصبر**) أى : مع الصبر على أمور الناس والأمة، فكان رسول الله ﷺ مع حلمه صابرا لا يضجر، ولا يقلق، كما أشار إليه بقوله :

(١٠) (**فكان لا يغضبه شىء**) مما يتعلق به فى نفسه، وإن كان قد يغضب لله .

(١١) (**ولا يستفزه**) بكسر الفاء وتشديد الزاى المعجمة، أى : يستخفه بحيث يبدو منه خفة وقلق لأمور الدنيا والأعداء .

(١٢) (**وجمع له فى الحذر**) أى : فى حال حذره، واحتراسه من الناس، أو مع ذلك .

(١٣) (**أربع**) نائب الفاعل .

(١٤) (**أخذه بالحسن**) وفى بعض النسخ : ترك قوله: أربع، وهو مرفوع نائب الفاعل، أو

أصلَحَ أُمتَّهَ[٥]، والقِيام لَهُمْ[٦] بِمَا جَمَعَ لَهُمْ أمرَ الُدنْيا والآخِرَة[٧] . انتهى الوصف بِحمدِ الله وعونه .

16ـ تعويد الطفل عدم التقدم على النبى ﷺ لا بالقول ولا بالفعل :

روى البخارى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه كان مع رسول الله ﷺ فى سفر، فكان على بكر (أى : جمل) صعب، وكان يتقدم النبى ﷺ، فيقول له أبوه : لا يتقدم النبى ﷺ أحد، فقال له النبى ﷺ : «بعنيه» فقال عمر : هو لك يارسول الله!، فقال النبى ﷺ : «هو لك ياعبد الله بن عمر!، فاصنع به ما شئت» .

فمن واجب بالأب أن يعلم أبناءه الاحترام والتوقير لرسول الله ﷺ فى كل شىء، فلا يرفع الابن صوته عندما يسمع حديث رسول الله ﷺ يتلى ويقرأ فى المجلس أو الدرس أو البيت، ويعلم الابن كذلك الطهارة لقراءة أو سماع حديث رسول الله ﷺ أدبا معهﷺ . ويتعلم أن يقول : سمعا وطاعة لرسول الله ﷺ . فإذا فعل الطفل ذلك بشر بحب رسول الله ﷺ له، وإذا كان رسول الله ﷺ قد كافأ عبد الله بن عمر الجمل، فإن مكافأة رسول الله ﷺ لمن يلتزم محبته وتوقيره من الأطفال يوم

منصوب مفعول لأجله، أى : تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع .

(١) (**ليقتدى به**) ويتبعه الناس .

(٢) (**وتركه القبيح**) شرعا، وخلاف الأولى .

(٣) (**لينتهى عنه**) علة للترك، أى : لينتهى الناس عنه .

(٤) (**واجتهاد الرأى**) أى : اجتهاده ﷺ فيما يراه رأيا .

(٥) (**بما أصلح أمته**) أى : فيما يصلحهم، أو بسببه .

(٦) (**والقيام لهم**) أى : الأمة .

(٧) (**بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة**) فى المعاش والمعاد، ومعنى القيام : التعهد،والالتزام، والاجتهاد، وبذل ما فى وسعه وطاقته من إصلاحهم، أو هو بمعناه المصطلح، بناء على جواز اجتهاده ﷺ،وفيه اختلاف مذكور فى كتب الاصوال، قال الأبى فى «شرح مسلم» نقلا عن المصنف : لا خلاف أنه ﷺ كان يجتهد فى أمور الدنيا، ويرجع إلى رأى غيره فى ذلك، كما فعل فى تلقيح النخل، واختلف فى أنهﷺ : هل له أن يجتهد فى الشرعيات، وهل هو معصوم فى اجتهاده أم لا؟ الصواب : أنه له ذلك معصوم وتفصيله فى أصول الفقه فلا حاجة للتطويل به .

القيامة الشفاعة والقرب منهﷺ .

17ـ تعليم الطفل الاستجابة للأذان ثم الصلاة على النبى ﷺ عقب الأذان ثم دعاء الوسيلة :

روى مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود والإمام أحمد كلهم عن الصحابى الصغير عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ أنه سمع النبى ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة، صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة» .

18ـ تعليم الطفل التشهد فى الصلاة والصلوات الإبراهيمية :

روى مسلم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد، كما يعلمنا السورة من القرآن، فكان يقول : التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله وفى رواية كما يعلمنا القرآن . ورواه الترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد .

الأساس العقدى الرابع : تعليم الطفل القرآن الكريم :

القرآن الكريم مصدر العقيدة الإسلامية، على مدار الزمان وإلى يوم القيامة، وكتب العقيدة بحثت فى أمور عقدية حسب المشاكل التى تثار فى كل عصر، ولهذا فإن ربط قلب الطفل بالقرآن وتغذيته به، يعنى ربطه بالكلام المعجز، مما يزيده قوة عقدية، وقوة فكرية، والقرآن تنقسم معانيه لموضوعين اثنين :

1 ـ **العقيدة** : هى كل ما أخبر القرآن فيه عن الغيب : الإيمان بالله تعالى وصفاته، واليوم الآخر، والملائكة، والجن، والقبر، وقصص الأنبياء والرسل السابقين، فكل الإخبارات القرآنية هى عقيدة إسلامية .

2 ـ وهى كل أمر ونهى ورد فى القرآن ، فإنما يمثل تشريعا، وهذا التشريع الذى دليله القرآن يعتبر من العقيدة لأن الآمر والناهى فيه هو الله تعالى، وأما استنباط الحكم الشرعى من الأمر والنهى، فهو تشريع .

فترسيخ معانى القرآن فى الطفل، وربطه بالقرآن، تبنى فى نفسه العقيدة

الإسلامية، وتعليم الطفل التحاكم إلى القرآن يبنى فيه العقلية الإسلامية، التى تساعده على معرفة الحق من الباطل، والكفر من الإيمان .

فمثلا : نظرية دارون أن أصل الإنسان قرد، تعاكس ما جاء فى القرآن أن الله تعالى خلق آدم فى الجنة، ثم أهبطه إلى الأرض، فالإيمان بما أخبر القرآن يمثل عقيدة، ومحاكمة نظرية دارون القرآن يمثل بناء العقلية الإسلامية فى الطفل .

و«ينبغى لولى الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن، منذ الصغر، وذلك ليتوجها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم، وأن هذا كلامه تعالى وتسرى روح القرآن فى قلوبهم، ونوره فى أفكارهم، ومداركهم، وحواسهم، وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر، وأن ينشآ ويشبا على محبة القرآن ، والتعليق به، والائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والتخلق بأخلاقه، والسير على منهاجه .

قال الحافظ السيوطى : تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال[1] .

وأكد ابن خلدون[2] هذا المفهوم بقوله : تعليم الوالدين للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم، لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده، بسبب آيات القرآن، ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم، الذى ينبنى عليه، ما يحصل بعد من الملكات .

كذلك قال ابن سينا[3] : «فإذا تهيأ الصبى للتلقين، ووعى سمعه، أخذ فى تعليم القرآن، وصورت له حروف الهجاء، ولقن معالم الدين» .

1ـ ما ورد فى تعليم الأطفال القرآن الكريم :

أخرج الطبرانى وابن النجار عن على ـ كرم الله وجهه ـ أن النبى ﷺ قال : «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه» [4] .

---

(١) نقلا عن : (تلاوة القرآن المجيد) للشيخ عبد الله سراج الدين .

(٢) فى مقدمته (ص397) .

(٣) فى كتاب : (السياسة) باب: سياسة الرجل ولده .

(٤) ورمز السيوطى لضعفه فى الجامع الصغى . انظر : فيض القدير للمناوى (1/ 25) .

وروى الحاكم ـ بسند ضعيف[1] ـ عن أبى ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله ختم سورة البقرة بآيتين، أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش، فتعلموهن، وعلموهن نساءكم، وأبناءكم، فإنها صلاة وقرآن ودعاء**» .

وذكر الحافظ ابن عساكر واسنده ـ كما فى تفسير ابن كثير ـ إلى أبى ظبية قال : مرض عبد الله (بن مسعود) ﷺ مرضه الذى توفى فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكى؟ قال : ذنوبى، قال : فما تشتهى؟ قال : رحمة ربى، قال : لا آمر لك بطبيب؟ قال : الطبيب أمرضنى، قال : ألا آمر لك بعطاء؟ قال : لا حاجة لى فيه، قال : يكون لبناتك من بعدك، قال : أتخشى على بناتى الفقر؟ إنى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا»[2]. وقال ابن كثير فى تفسيره : وكذا رواه أبو يعلى .

وكان من حرص الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى توجيه أبنائهم دقة الملاحظة فى مراقبة أفعال أطفالهم مع القرآن، وحكاية ذلك للنبى ﷺ، للتعرف على ما ينفع أطفالهم :

أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو : أن رجلا جاء بابن له فقال : يارسول الله، إن ابنى يقرأ المصحف بالنهار، ويبيت الليل، فقال رسول الله ﷺ : «ما تنقم أن ابنك يظل ذاكرًا، ويبيت سالماً»[3] .

بل إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى للكبير والصغير، والذكر والأنثى :

فعن أبى بن كعب ﷺ قال : لقى رسول الله ﷺ جبريل، فقال : «يا جبريل، إنى بعثت إلى أمة أميين، فيهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام والجارية، والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط» قال : «يا محمد، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» . رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

فبين الرسول ﷺ أنه بعث للصغير كما بعث للكبير، فمما يسره الله ـ تعالى ـ على العرب أن أنزل كتابه على سبعة أحرف ولهجات عربية، وذلك حتى لا يصعب على الصغير تعلمه، ولا يجد الكبير حرجا فى قراءته، وما ذلك إلا رحمة من الله ـ تعالى، وتيسيرًا لعباده .

---

(١) انظر : ضعيف الجامع (1601) .

(٢)رواة ابن السنى فى عمل اليوم والليلة برقم (685) وأبو عبيد فى كتاب فضائل القرآن ص 257.

(٣) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (2/ 270) : وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام .

وانطلق الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يعلمون ابناءهم القرآن، استجابة لتوجيهات النبى ﷺ : فعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنهما ـ عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «خياركم من تعلم القرآن وعلمه» . قال : وأخذ بيدى فأقعدنى مقعدى هذا أقرأ . رواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 136) بسند ضعيف، إلا أن متن الحديث صحيح، رواه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه والدارمى .

ونرى نصح الصحابة للناس بهذا القرآن، وتنشئة أطفالهم على حبه وتلاوته، فقد ذكر ابن كثير فى تفسيره : أن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال لرجل :ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال : بلى، اقرأ «تبارك الذى بيده الملك» وعلمها أهلك، وجميع ولدك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية، والمجادلة، تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر، قال رسول الله ﷺ : «لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى» [1] .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : عليكم بالقرآن، فتعلموه، وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظا لمن عقل [2] .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : «جردوا القرآن ، ليربو فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة»[3] .

وشرحه الزمخشرى فى كتابه الفائق بقوله : «أى : خصوا القرآن بأن ينشأ على تعلمه صغاركم، وبألا يتباعد عن تلاوته وتدبره كباركم، فإن الشيطان لا يقر فى مكان يقرأ فيه» [4] .

فإن شاهد الطفل والديه يقرؤون القرآن اقترب منهم، وأراد أن يشاركهم، وإذا

---

(١) وروى أبو الشيخ باسناد حسن مرفوعا: «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر» وفى رواية الترمذى، وقال : حديث حسن صحيح : «هى المانعة، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر» . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1140) .

(٢) رواه أبو عبيد بن سلام بسنده فى كتابه (فضائل القرآن) تحقيق : مروان العطية ورفيقيه، طبع دار ابن كثير، ص(53) .

(٣) المصدر السابق ص(76) .

(٤) المصدر السابق ص(76) هامش التحقيق .

رآهم ينصتون للقرآن بخشوع خشع معهم، وإذا شاهدهم يحفظون القرآن ويتذاكرانه، حفظ معهم، وهكذا يشب الطفل مع والديه، وقد طبع فى نفسه ما رآه فى البيت .

ومن شدة حرص الصحابة على ارتباط اطفالهم بالقرآن، وحصول بركة القرآن لأولادهم : تحين أوقات نزول هذه البركات القرآنية، ليحضرها أطفالهم . روى الطبرانى عن انس بن مالك ﷺ أنه كان إذا ختم القرآن، جمع أهله، وولده، فدعا لهم [1] .

وهذا ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يتفاخر أنه قرأ المحكم على عهد رسول اللهﷺ، وهو طفل صغير، فقد ذكر ابن كثير فى فضائل القرآن، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم .

وروى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ فقالت : يابنى، والله لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب ورواه الثمانية .

بل إن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يسأل عن الجهاد فى سبيل الله، فيجيب السائل : ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد : تبنى مسجداً تعلم فيه القرآن وسنن النبى ﷺ والفقه فى الدين [2] .

فتعليم القرآن للأطفال قاعدة إيمانية أسس عليها النبى ﷺ أطفال الصحابة رضوان الله عليهم، وتابعه على ذلك صحابته الكرام والتابعون إلى يومنا هذا ، ولله الحمد، والفضل، والمنة .

وإن قراءة الأطفال للقرآن سبب فى رفع البلاء والعذاب عن الأسرة، والمجتمع، فعن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب، حكما مقضيا، فيقرأ الصبى من صبيانهم فى المكتب : «الحمد لله رب العالمين»، فيسمعه الله تعالى، فيرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة»[3] .

---

(١) ورجال الحديث ثقات، قاله الهيثمى فى المجمع (7/ 172) .

(٢) انظر : جامع العلم وفضله لابن عبد البر(1/ 62) .

(٣) التفسير الكبير للرازى(1/ 178) . ورواه الدارمى فى سننه، باب تعاهد القرآن، عن ثابت بن عجلان الانصارى قال : «كان يقال : إن الله ليريد العذاب بأهل الارض، فاذا سمع تعليم الصبيان الحكمة، صرف ذلك عنهم» قال مروان شيخ الدارمى : يعنى

وأما السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ فقد ساروا المسار نفسه، ومشوا الطريق نفسه، فقد جاء فى مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون : أن القاضى الورع عيسى بن مسكين كان يقرئ بناته وحفيداته .. قال عياض : فإذا كان بعد العصر ـ دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية ـ أسد بن الفرات ـ بابنته أسماء التى نالت من العلم درجة كبيرة [1] .

وتعلم الطفل القرآن وهو صغير يؤهله لأن يكون مبدعا فى سن مبكرة على التأليف، والتصنيف، والابتكار، ونفع الأمة بعلومه، فهذا الإمام الحافظ ابن الجزرى يقول فى كتابه : «النشر فى القراءات العشر» (1/ 209) وهو يتحدث عن كتابه «التمهيد فى التجويد» يقول عنه : «وهو (أى : كتاب التمهيد) مما ألفناه حال اشتغالنا بهذا العلم فى سن البلوغ» .

وإذا كانت شهادة الدكتوراه ينالها الطالب فى عصرنا الحاضر وعمره يقترب من الثلاثين فى أحسن الأحوال، فإن علماء الأمة السابقين تصدروا للتدريس والتأليف وهم دون سن العشرين، وانظر إلى ترجماتهم فى كتب الترجمة، فإنك ستجد صدق ما ندعيه، وما ذلك إلا لتلقيهم القرآن حفظا، وفهما مما ساعدهم على قوة الاستذكار، وتوسيع ذاكرتهم، وقوة نضجها ، وسرعة التقاطها للمعلومات .

وفى أثناء تعليم الطفل القرآن لابد للأب أو المدرس أن يلتزم بتوجيهات القرآن، وذلك ادعى للتاثير فى الطفل، وأقوى على ربط المعلومة بالواقع التنفيذى :

روى مسلم عن إبراهيم بن يزيد التيمى قال : كنت أقرأ على أبى القرآن فى السدة (وهى المواضع التى حول المسجد وليست منه)، فإذا قرأت السجدة، سجد، فقلت له : يا أبت، أتسجد فى الطريق؟ قال : إنى سمعت أبا ذر ﷺ يقول : سالت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض؟ قال : «المسجد الحرام» قلت : ثم أى؟ قال : «المسجد الأقصى»، قلت : كم بينهما؟ قال : «أربعون عاما، ثم الأرض لك مسجد، فحيثما أدركتك الصلاة فصل» .

2 ـ أقوال السلف الصالح بتعليم الأولاد القرآن الكريم [2] :

عن عبد الرحمن بن زبيد، عن اليامى، عن أبيه، قال : إن لله شيئا يعرف به

بالحكمة : القرآن .

(١) من تربية الأولاد (2/ 167) .

(٢) نورد هنا من كتاب العيال لابن أبى الدنيا (1/ 478) باب : تعليم الأصاغر القرآن . تحقيق : د . نجم خلف .

الملائكة غضبه، فإذا غضب ارتج العرش كهيئة الدخان، فربما كان ذلك، وربما سكن، فإذا سكن، قالت الملائكة ـ بعضها لبعض : هذا بتعليم الولدان القرآن فى المساجد .

وعن عبد الله بن عيسى قال : لا تزال هذه الأمة بخير ما تعلم ولدانها القرآن . وعن ثابت بن العجلان قال : إن الله عز وجل ليريد أهل الارض بالعذاب، فإذا سمع أصوات الصبيان يتعلمون الحكمة صرفه عنهم، قال مروان : الحكمة : القرآن .

وعن الضحاك بن قيس قال : أيها الناس، علموا أهاليكم القرآن، فإنه من كتب الله عز وجل له من مسلم أن يدخل الجنة من ذكر أو أنثى أتاه ملكان فاكتنفاه فقالا له : أقرأ، وارتق فى درج الجنة حتى ينزلاه حى بلغ علمه من القرآن .

وقال سعيد بن العاص ﷺ كان عمره عند وفاة النبى ﷺ تسع سنين : إذا علمت ولدى القرآن، وحججته وزوجته، فقد قضيت حقه، وبقى حقى عليه .

وعن زبيد قال : كان احب الناس إلى النبى ﷺ من تعلم القرآن وعلمه . وعن عبد الجبار أبى خبيب الكرابيسى قال : معنا ابن لأيوب السختيانى فى الكتاب، فحذق الصبى، فأتينا منزلهم، فوضع له منبر، فخطب عليه، ونهبوا علينا الجوز، وأيوب قائم على الباب، يقول لنا : ادخلوا . وهو خاص لنا (أى : ادخلهم خصوصية أصدقاء ابنه فى الكتاب) .

وعن يونس قال : حذق ابن لعبد الله بن الحسن بن أبى الحسن (على كرم الله وجهه) فقال عبد الله : إن فلانا قد حذق، فقال الحسن بن على ـ رضى الله عنهما : كان الغلام إذا حذق قبل اليوم، نحروا جزورا، وصنعوا طعاما للناس .

وما ذلك إلا لشدة فرحهم بحذق ولدهم للقرآن .

وأما عن إكرام الصحابة لمعلم ولدهم القرآن :

فقد قال الحسن بن واصل بن الحسن : كان المهاجرون يعرفون حق معلمى أبنائهم .

3 ـ أجر الوالدين فى تعليم الطفل القرآن الكريم :

روى الحاكم من رواية بريدة قوله ﷺ : «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به، ألبس والداه يوم القيامة تاجا من نور، ضوؤه مثل الشمس، ويكسى والداه حلتين، لا

تقوم لهما الدنيا، فيقولان : بم كسينا هذا؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن» [1] . واخرج أبو داود عن سهل بن معاذ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «من قرأ القرآن، وعمل به، ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس» [2]. وروى الدارمى فى سننه ـ بسند حسن ـ عن وهب الذمارى قال : «فإذا كان يوم القيامة قيل: أين الذين كانوا يتلون كتابى، لم يلههم اتباع الأنعام، فيعطى الخلد والنعيم، فإن كان أبواه ماتا على الطاعة جعل على رؤوسهما تاج الملك فيقولان : ربنا ما بلغت هذا أعمالنا؟ فيقول : بلى، إن ابنكما كان يتلو كتابى» . وفقنى الله وإياك إلى الحرص على التاج ولبسه يوم القيامة، وإلباسه لوالدينا .

3 ـ فهم الطفل للقرآن الكريم :

لابد للمربى ـ أو الوالدين ـ أن يهتما أثناء تلاوة الطفل بشرح موجز بسيط للقرآن، حتى تفتح معانى القرآن قلب وعقل الصغير، ولا يظن أحد أن الطفل صغير، فهذا الطفل الذى يعده كثير من الناس لا يستحق الشرح لصغره، ولا يستحق الاهتمام بعقله لطفولته، هذا الطفل العجيب يستطيع أن يخزن من المعلومات ما يخزنه حاسب آلى عصرى، وإليك الدليل على ذلك :

أخرج الحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : سلونى عن سورة النساء، فإنى قرأت وأنا صغير، ثم قال : هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وروى ابن جرير، وأسنده : سأل فتى من قريش سعيد بن جبير قال : أخبرنا يا أباعبد الله كيف هذا الحرف؟ فإنى إذا أتيت عليه، تمنيت ألا أقرأهذه السورة : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف:110] قال : نعم، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا [3] .

---

(١) ورواه أبو عبيد بن سلام فى فضائل القرآن ص (85) وقال محققو الكتاب : ورواه أحمد (5/ 348) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (7/ 159) : رجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) رواه االأحمد (3/ 440) من طريق حسن، ورواه أبو يعلى (3/ 65) بسند ضعيف ورواه ابو عبيد بن سلام فى فضائل القرآن (ص85) وقال محققو الكتاب : ورواه أحمد (5/ 348) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (7/ 159) : رجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) تفسير ابن كثير (2 / 497) .

وهذه عائشة ـ رضى الله عنها ـ تشرح لابن أختها عروة بن الزبير معنى الآية السابقة .

أورد ابن كثير فى التفسير فيما أخرجه البخارى وأسنده عن عروة بن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها : أنها قالت له، وهو يسألها عن قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ [يوسف : 110] قالت : أكذبوا أم كذبوا؟ قالت عائشة : كذبوا، قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، فما هم بالظن، قالت لعمرى لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها : ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾[يوسف:110] قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، قلت : فما هذه الاية؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم، وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ [يوسف : 110] ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك .

وهذا موقف آخر لعروة مع خالته عائشة ـ رضى الله عنهما ـ وهى تشرح له معانى القرآن، وتزيل من نفسه وعقله أى التباس :

روى الإمام مالك فى الموطأ عن هشام بن عروة عن أبيه : أنه قال : قلت لعائشة ـ رضى الله عنها ـ أم المؤمنين، وأنا يومئذ حديث السن : أرأيت قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة : 158] فما على الرجل شىء ألا يطوف بهما؟ قالت عائشة ـ رضى الله عنها : كلا، لو كان كما تقول، لكانت : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية فى الأنصار كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الاسلام، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل إله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية .

وهكذا تتضافر الأسرة المسلمة بالخالة والعمة والخال والعم فى تنشئة وتربية وتعليم الطفل القرآن، وأحكام الدين . وهذا من مميزات وخصائص المجتمع الإسلامى والأسرة المسلمة، فالكل مسؤول عن الطفل المسلم . وتختلف نسبة المسؤولية فى القرب والبعد عن الطفل المسلم قرابة وموقعا، وأينما وجد زمانا ومكانا .

وإذا أشكل على الطفل شىء من معانى القرآن، وأغلق عليه فإنه يعود التسليم

لله تعالى فى مراده، وهذا شأن العلماء الراسخين، وهذا ما علمه الرسول ﷺ لأصحابه، وشهده أطفال الصحابة، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه (محمد) عن جده (عبد الله بن عمرو بن العاص) قال : جليت أنا وأخى مجلسا ما أحب أن لى به حمر النعم[1]، أقبلت أنا وأخى، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة (أى فى ناحية منفردين)، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها ، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضبا ، قد أحمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول :

«مهلا يا قوم! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، وإنما نزل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه» . رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم وابن ماجه والبغوى[2] .

وروى ابن عبد البر [3]عن معاوية ﷺ قال : إن أغوى الضلالة لرجل يقرأ القرآن فلا يفقه فيه، فيعمله الصبى، والعبد، والمراة، والأمة، فيجادلون به أهل العلم[4] .

وروى أبو يعلى فى مسنده (2/ 62) بسند حسن عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنهما : قال : «قلت لأبى : يا أبتاه! أرايت قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون : 5] أينا لا يسهو؟ أينا لا يحدث نفسه؟ قال : ليس ذاك، إنما هو إضاعة الوقت، يلهو حتى يضيع الوقت» .

وروى أبو عبيد بن سلام قال : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : قلت لأبى : أخبرك سعيد بن جبير أن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : «بسم الله الرحمن الرحيم » آية من القرآن؟ قال : نعم [5] .

وعن أهمية إعراب وفهم القرآن عامة نقتطف هذه الآثار عن كتاب فضائل

---

(١) حمر النعم : الإبل الحمراء اللون يضرب بها المثل لارتفاع سعرها، وندرة وجودها .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية تحقيق التركى وأرناؤوط (1/ 230) .

(٣) جامع العلوم والحكم (2 / 194). ورواه أبو عبيد بن سلام بلفظ : إن اغر الضلالة . انظر : كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد ص (213) ط دار ابن كثير .

(٤) عن حياة الصحابة (3 / 206) .

(٥) انظر كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد ص (218و222) ط . دار ابن كثير .

القرآن للمحدث اللغوى أبى عبيد القاسم بن سلام الهروى رواها بسنده [1]:

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أعربوا القرآن»، قال محققو الكتاب : ورواه الحاكم وذكره الهيثمى فى المجمع (7/ 163) وكنز العمال (1/ 607) وغيرهم .

وقال أبو بكر الصديق ﷺ : لإن أعرب آية من القرآن أحب إلى من أن أحفظ آية .

قال عمر ﷺ : تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه والوالدان والمربون مدعوون لتوريث الأطفال الرجوع إلى التفسير من كتب التفسير، والقراءة أمامهم منها، وتوريثهم عدم الخوض فى معانى القرآن بلا علم، فعن هشام بن عروة قال : ما سمعت أبى يتأول آية من كتاب الله قط [2] .

فلا التابعى لاحظ على أبيه الصحابى أو والده أنه يقول بالقرآن برأيه، ولذلك ورث ذلك عملا وحالا، وهذا هو المنهج السديد .

وإليك نموذجا عن دقة فهم الأطفال للقرآن، وحرصهم على فهمه، فيما روى أن المأمون كان يقرأ القرآن وهو صغير على أستاذه الكسائى، وكان من عادة الكسائى أن يطرق إذا قرأ المأمون، فإذا أخطأ رفع رأسه ناظرا إليه، فيرجع إلى الصواب، فقرأ يوما المأمون سورة الصف، ولما وصل إلى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف : 2] فرفع الكسائى رأسه، فنظر المأمون إليه، وكرر الآية، وهو يفتش عن خطئه، فوجدها صحيحة، فمضى فى قراءته . ولما انصرف الكسائى، دخل المأمون على أبيه قائلا : هل وعدت الكسائى بشىء؟ قال : كيف علمت بذلك يا بنى؟ فأخبره بالامر، فسر الرشيد لفطنة ابنه، وشدة ذكائه .

5 ـ كيف يؤثر القرآن فى نفس الطفل؟ :

للقرآن تأثير كبير على النفس البشرية عامة، يهزها، ويجذبها، ويضرب على أوتارها، وكلما اشتدت النفس صفاء، كلما ازدادت تأثرا، والطفل أقوى الناس صفاء، وفطرته مازالت نقية، والشيطان مازال فى كبوته تجاهها، وإذا تأملنا الآيات المكية، وجدناها قصيرة، تتناسب مع نفسه القصير، بالإضافة إلى قصار السور، التى

---

(١) المصدر السابق ص (348) .

(٢)انظر كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد ص (378) .

تقدم للطفل موضوعا متكاملا بكلمات قليلة، سهلة الحفظ قوية التأثير، والكاتب الأديب مصطفى صادق الرافعى ـ رحمه الله ـ فصل هذا البيان بشكل أوسع فقال[1] : إن لهذه السور القصار لأمرًا، وإن لها فى القرآن لحكمة، هى من أعجب ما ينتهى إليه التأمل، حتى لا يقع من النفس إلا موقع الأدلة الإلهية المعجزة، فهى لم تنزل متتابعة فى نسق على هذا الترتيب، الذى تراه فى المصحف إذ لم يكن أول ما نزل من القرآن ولا آخره ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : 1] ثم هى بجملتها، وعلى إحصائها، لا تبلغ من القرآن أكثر من جزء واحد، والقرآن كله ثلاثون جزءا، وهو يتسع من بعدها قليلا وكثيرا، حتى ينتهى الى الطول، فقط علم الله أن كتابه سيثبت الدهر على هذا الترتيب المتداول للحفظ، بأسباب أظهرها فى المنفعة، وأولها فى المنزلة، هذه السور القصار التى تخرج من الكلمات المعدودة، إلى الآيات القليلة، والتى هى مع ذلك أكثر ما تجىء آياتها على فاصلة قليلة، مع قصر ما بين الفاصلة والفاصلة، فكل آية فى وصفها، كأنها سورة من كلمات قليلة :

ـ لا يضيق بها نفس الطفل الصغير .

ـ وهى تتماثل فى ذاكرته، بهذه الفواصل، التى تأتى على حرف واحد ، أو حرفين أو حروف قليلة متقاربة .

ـ فلا يستظهر الطفل بعض هذه السور، حتى يلتئم نظم القرآن على لسانه، ويثبت أثره فى نفسه، فلا يكون بعد إلا أن يمر فيه مرًا .

ـ وهو كلما تقدم، وجده أسهل عليه، ووجد له خصائص، تعينه على الحفظ، وعلى إثبات ما يحفظ، فهذا المعنى من قوله تعالى :﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء] .

وهى لعمر الله رحمة وأى رحمة، وإذا أردت أن تبلغ عجبا من هذا المعنى، فتأمل سورة فى القرآن، وأول ما يحفظه الأطفال وهى سورة ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : 1] وانظر كيف جاءت فى نظمها :

كيف تكررت الفاصلة، وهى لفظة الناس؟!

---

(١) فى كتابه : تاريخ آداب العرب (2/ 206) .

وكيف لا ترى فى فواصلها إلا هذا الحرف : السين؟! الذى هو أشد الحروف صفيرا، وأطربها موقعا من سمع الطفل الصغير، وأبعثها لنشاطه واجتماعه .

وكيف تناسبت مقاطع السورة، عند النطق بها، مع تردد النفس فى أصغر طفل، يقوى على الكلام، حتى كأنها تجرى معه، وكأنها فصلت على مقداره؟!

وكيف تطابق الأمر كله، من جميع جهاته، فى أحرفها، ونظمها، ومعانيها؟!

ثم انظر، كيف يجىء ما فوقها على الوجه الذى أشرنا اليه؟!

وكيف تمت الحكمة فى هذ الترتيب العجيب؟! كل ذلك يحصل للطفل . وأكثر من ذلك، ومن تعامل مع الأطفال عند حفظهم لقصار السور، يرى ذلك بنفسه، ويلمس ذلك بيديه .

وهذا نموذج عملى من تأثر الأطفال بالقرآن :

فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : لما أنزل الله ـ عز وجل ـ على نبيه ﷺ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم : 6] تلاها رسول الله ﷺ على أصحابة ذات ليلة أو قال يوم ، فخر فتى مغشيًا عليه ، فوضع النبى ﷺ يده على فؤاده، فإذا هو يتحرك فقال : «يا فتى، قل لا إله إلا الله » فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه : يا رسول الله، أمن بيننا؟ فقال رسول الله ﷺ : «أما سمعتم قول الله عز وجل : «﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم : 14] رواه الحاكم فى مستدركه (2/ 351) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبى .

ومن تأثيرات القرآن فى نفس الطفل، حينما يعايشه، ترتيلاً، وفهمًا، يستطيع هذا الطفل أن يحل كثيراً من مشاكله الاعتقادية والنفسية، وأن يقوم سلوكه، وأن يهدئ من انفعالاته العصبية، وأن يوسع من ذاكرته . وعلى سبيل الذكر نذكر هذه القصة اللطيفة فى بابها للعلامة الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمة الله [1] فقال :

كان صورة ما وقع لى وأنا صغير، أنى تفكرت يومًا فى الله عز وجل، فقسته على ما أتعقله، ثم صرفته : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى : 11] .

---

(١) فى كتابه : المنن الكبرى .

وإن القرآن ليؤثر كذلك فى نفوس أطفال المشركين والكفار فضلاً عن كبارهم :

أخرج البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن أبا بكر ﷺ ابتنى مسجدًا بفناء داره (أى : فى مكة)، وكان يصلى فيه، ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش، وطلبوا من ابن الدغنة أن يرد عليه جواره ، أو لا يستعلن بقراءته ....

هكذا تؤثر تلاوة القرآن وقراءة الصادقين مع الله ورسوله ﷺ، وتتفاعل معها القلوب، وقلوب الأعداء صغارهم ونساؤهم، اللهم وفقنا لذلك . واجعلنا أهلاً لنصرة كتابك وسنة نبيك ﷺ .

6 ـ نماذج من حفظة القرآن من الأطفال :

هذه نماذج نضعها بيدى الوالدين، لتكون وسيلة فى استنهاض الهمم، وشحن النفوس، نحو الاهتمام بحفظ كتاب الله، ولتكون أداة فعالة فى تنشيط العقول، وتحريكها للتغذى بهذا المنهل العذب [1] .

1ـ يقول الشافعى ـ رحمة الله: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر[2] .

2ـ ويقول سهل بن عبد الله التسترى : فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين [3] .

3 ـ أما ابن سينا، فلما بلغ عشر سنين من عمره، كان قد أتقن القرآن العزيز[4].

4 ـ وأما الإمام النووى ـ رحمة الله ـ فيقول الشيخ ياسين بن يوسف المراكشى عنه :

رأيت الشيخ وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكى لإكراههم، ويقرأ القرآن فى تلك الحال، فوقع فى قلبى

---

(١) للاستزادة راجع : الإهداء فى التصوير الفنى فى القرآن، ومشاهد القيامة فى القرآن، للشهيد سيد قطب، رحمه الله .

(٢) طبقات الحفاظ للسيوطى (ص 154) .

(٣) الإحياء للإمام الغزالى (3/ 72) .

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان، نقلاً عن : صفحات من صبر العلماء (1/ 152) .

محبته، وكان قد جعله أبوه فى دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فأتيت معلمه، فوصيته به، وقلت له : إنه يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه، وأزهدهم، وينتفع به الناس، فقال لى : أمنجم أنت؟ فقلت : لا،وإنما أنطقنى الله بذلك، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه، إلى أن ختم القرآن، وقد ناهز الحلم [1].

5 ـ والآن مع ابن سبعة عشر عامًا حفظ القراءات السبع : ذكر الدكتور عبد الحى الفرماوى فى مقدمة تحقيقه لكتاب منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تأليف محمد بن الجزرى، عنه حياة المؤلف فقال :

يحدثنا التاريخ أن أباه كان تاجرًا، وقد حرص بعد أن استجاب الله لدعائه، على تربية ابنه تربية دينية، وعلى تنشئته نشأة صالحة، ولذا نشأ ابن الجزرى فى بيت يقدر العلم، وأهله، مما ساعده على أن يتم حفظ القرآن، وله من العمر ثلاثة عشر ـ عامًا، وأن يسمع الحديث، ويفرد القراءات، بل يجمع قراءات الأئمة السبعة، وأيضًا يجمع القراءات على أعلم بلاد الشام بالقراءات، وهو الشيخ ابن اللبان، كان ذلك وهو لم يزل فى عامه السابع عشر [2] !

وفى عصرنا الحاضر يحدثنا العلامة محمد زكريا الكاندهلوى ـ رحمة الله ـ ابن محمد يحيى الكاندهلوى الذى ذكر عن والده فيقول : كان رحمة الله تعالى حفظ ربع الجزء الثلاثين من القرآن الكريم عند فطامه، وحفظ سائر القرآن إذ كان عمره سبع سنين، وكان والده ـ قدس سره ـ قد أمره أمره بعد فراغه من حفظ القرآن قبل شروعه فى الكتب العربية أن يقرأ كل يوم القرآن المجيد مرة واحدة، فكان يبدئ من بعد الفجر ويختم قبل الظهر، وتسلسل عمله ذاك إلى ستة أشهر» [3].

«وهذا نموذج آخر فى طلب الأطفال للقراءات من العلماء المتأخرين، فيقول الشيخ محمد علاء الدين عابدين ـ رحمه الله ـ عن حياة والده الشيخ الجليل محمد أمين الشهير بابن عابدين ـ صاحب الحاشية فى الفقه الحنفى :

وحفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب، وهو صغير جدًا، وجلس فى محل تجارة والده؛ ليألف التجارة، ويتعلم البيع والشراء، فجلس مرة يقرأ القرآن العظيم، فمر

---

(١) الطبقات الكبرى لابن السبكى (8/ 396) .

(٢) طبقات القراء (2/ 247) .

(٣) انظر كتاب : (لامع الدرارى على جامع البخارى) فى نهاية المقدمة (1/ 152) الطبعة الهندية الحجرية .

رجل لا يعرفه، فسمعة وهو يقرأ، فزجره، وأنكر قراءته وقال لـه : لايجـوز لـك أن تقرأ هذه القراءة .

أولاً : لأن هذا المحل محل التجارة، والناس لا يسـتمعون قراءتـك، فيرتكبـون الإثم بسببك، وأنت أيضًا آثم .

وثانيًا : قراءتك ملحونة، فقام من ساعته، وسأل عن أقرأ أهل العصر فى زمنـه، فدله واحد على شيخ القراء فى عصره، وهو الشيخ سعيد الحموى، فذهب لحجرته، وطلب منه أن يعلمه أحكام القراءة والتجويد، وكان وقتئـذ لم يبلـغ الحلـم، فحفـظ الميدانية، والجزرية، والشاطبية، وقرأها قراءة إتقان، وإمعان، حتى أتقن فن القـراءة بطرقها، وأوجهها»[1] .

7 ـ طفولة عجيبة فى حفظ القرآن الكريم :

قال إبراهيم بن سعيد الجوهرى : رأيـت صـبيًا ابـن أربـع سـنين قـد حمـل إلى المأمون، قد قرأ القرآن، ونظر فى الرأى، غير أنه إذا جاع يبكى [2] .

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الأصبهانى [3] : حفظت القرآن ولى خمس سنين، وحملت إلى أبى بكر المقرئ لأسمع، ولى أربع سنين، فقال بعض الحـاضرين : لا تسمعوا له فيما قرأ، فإنه صغير، فقال لى ابن المقرئ : اقرأ سورة التكوير، فقرأتهـا، فقال لى غيره : اقرأ سورة والمرسلات فقرأتها ولم أغلـط فيهـا، فقـال ابـن المقـرئ : اسمعوا له، والعهدة على .

8 ـ متى يبدأ الطفل بتعلم القرآن الكريم :

قال أبو عاصم [4] : ذهبت بابنى إلى ابن جريج، وهو ابن أقل من ثـلاث سـنين، يحدثه بهذا الحديث، والقرآن وقال أبو عاصم : لا بأس أن يعلـم الصـبى الحـديث، والقرآن، وهو فى هذه السن، ونحوه .

9 ـ مكافأة للمقرئ والطفل :

---

(١) حاشية ابن عابدين (ط2) (ص7) .

(٢) الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى (ص116ـ 117) طبع مصر .

(٣، 4) المصدر السابق .

حين حذق حماد بن أبى حنيفة ﷺ سورة الفاتحة، وهب أبو حنيفة خمسمائة درهم ـ وكان الكبش يشترى بدرهم ـ واستكثر المعلم هذا السخاء؛ إذ لم يعلمه إلا الفاتحة، فقال أبو حنيفة : لا تستحقر ما علمت ولدى، ولو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك، تعظيماً للقرآن [1] .

أما مكافأة الطفل فهذا القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبى ـ رحمه الله تعالى ـ وهو فى خضم المعركة ، يتجول فى المعسكر فيجتاز على صغير بين أبيه، وهو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته فقربه وجعل له حظاً من خاص طعامه، ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعته[2] .

10ـ أثر تلاوة الأطفال للقرآن على إيمان الكبار والتأثير فيهم :

روى أبو نعيم فى الدلائل عن رجل بنى سلمة قال : «لما أسلم فتيان بنى سلمة، وأسلم ولد عمرو بن الجموح، قالت امرأة عمرو له : هل لك أن تسمع من ابنك روى له؟ فقال : أخبرنى ما سمعت من كلام هذا الرجل (أى : الرسول ﷺ)، فقرأ عليه : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة] .

فقال : ما أحسن هذا وأجمله! وكل كلامه مثل هذا فقال : يا أبتاه! وأحسن من هذا، وذلك قبل الهجرة»[3] .

وروى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : إن أم الفضل سمعته، وهو يقرأ : «والمرسلات عرفاً» فقال : يا بنى، والله لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة . إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب» . ورواه مسلم والترمذى والنسائى وأحمد ومالك والدا رمى .

11 ـ كيف يحفظ الأطفال القرآن الكريم؟ :

يتساءل كثير من المهتمين بتحفيظ القرآن عن أفضل الطرق لتحفيظ الأطفال

---

(١) فتح باب العناية (ص 19) .

(٢) النوادر السلطانية (ص 9) .

(٣) انظر الدر المنثور للسيوطى (1/ 10) .

القرآن الكريم، وما هى طريقة السلف الصالح بتحفيظ أطفالهم القرآن الكريم؟ حتى كثر حفظته بينهم، وقل بيننا ؟!

والجواب على ذلك : أن القرآن نزل منجمًا، أى : مفرقًا، فكان ينزل آية أو بعض آية[1]، أو آيتين أو ثلاث آيات أو أربع آيات أو خمس آيات، أو عشر آيات وقد استقر عمل الصحابة فى تعليم القرآن وتحفيظه على أن يكون كل يوم خمس آيات .

أخرج ابن عساكر من طريق أبى نضرة قال : كان أبو سعيد الخدرى ﷺ يعلمنا القرآن، خمس آيات بالغداه، وخمس آيات بالعشى، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات، خمس آيات .

وأخرج البيهقى فى الشعب من طريق أبى خلدة عن عمر ﷺ قال : تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإن جبريل كان ينزل القرآن على النبى ﷺ خمسًا خمسًا .

ومن طريق ضعيف عن على ـ كرم الله وجهه ـ قال: أنزل القرآن خمساً خمساً ، إلا سورة الأنعام ، ومن حفظ خمساً خمساً لم ينسه[2] . ومعنى ذلك كما قال السيوطى ـ رحمه الله ـ فى كتاب (الإتقان فى علوم القرآن)[3] :

إن معناه (أى قول الصحابة نزل خمسًا خمسًا) إن صح : إلقاؤه إلى النبى ﷺ بهذا القدر حتى يحفظه، ثم يلقى إليه الباقى، لا إنزاله بهذا القدر خاصة، ويوضح ذلك : ما أخرجه البيهقى أيضاً عن خالد بن دينار قال : قال لنا أبو العالية : تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإن النبى ﷺ كان يأخذه من جبريل خمسًا خمسًا . انتهى[4] .

وقد انتشرت فى عصرنا الحاضر آلات التسجيل، وأصوات المقرئين، والحاسب الآلى، وأصبح فى متناول الجميع سهولة تحفيظ الطفل القرآن الكريم، وبزيادة عناية الوالدين، وزيادة رعايتهم، وصدق توجههم، فإن الله تعالى يبارك فى تحفيظ أولادهم، رزقنى الله ذلك وإياك إن شاء الله تعالى .

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن (1/ 137) طبع دار ابن كثير الدمشقية، تحقيق : د . مصطفى البغا.

(٢) المصدر السابق .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن (1/ 137) طبع دار ابن كثير الدمشقية، تحقيق : د . مصطفى البغا، وقد أفادنى شيخنا محمد خواجه شريف ـ شيخ الحديث بالجامعة النظامية فى حيدر آباد الدكن فى الهند ـ أنه استخدم هذه الطريقة مع ابنته فحفظت القرآن كله، تحفظ كل يوم خمس آيات، علماً بأنها لا تعرف اللغة العربية !

(٤) المصدر السابق .

12-تخيير الطفل وقت القراءة :

روى أبو عبيد بن سلام بسنده[1] أن الحسن بن على كان يقرأ ورده اليومى من القرآن من أول الليل ، وأن حسيناً كان يقرؤه من آخر الليل .

13ـ تعليم أطفال غير المسلمين القرآن الكريم :

روى أبو عبيد بن سلام قال : حدثنا عباد بن العوام، قال : حدثنا عمر بن حفص من أهل واسط قال ـ وكان أبواه مجوسيين ـ فدفعه أبوه إلى معلم يقال له صالح، من جلساء الحسن، فقال : علمه القرآن، فذهب به صالح إلى الحسن فسأله عن ذلك، فقال : علمه فإنه عسى .

قال عباد : فسألت أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ عن ذلك، فقال : لا بأس أن تعلمه القرآن صغيرًا أو كبيرًا .

وروى أيضًا حدثنا يزيد عن حماد بن سلمة عن حبيب المعلم قال : سألت الحسن، قلت : أعلم أولاد أهل الذمة القرآن ؟ فقال : نعم، أو ليس يقرؤون التوراه والإنجيل وهما من القرآن، أو قال : وهما من كتاب الله عزوجل .

14ـ حفظ الطفل أسباب النزول :

روى أبو عبيد قال : حدثنا حجاج عن ابن جريح قال : أخبرنى يوسف بن ماهك قال : إنى لعند عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ إذ جاء أعرابى فقال : يا أم المؤمنين، أرينى مصحفك، فقالت : لم؟ قال : لعلى أؤلف القرآن عليه، فإنا نقرؤه غير مؤلف، قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل؟ إنما أنزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شىء لا تشربوا الخمر، لقالوا : لا ندع الخمر، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا : لا ندع الزنا، ولقد نزل على محمد ﷺ، وإنى لجارية بمكة ألعب:﴿ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القمر] ، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ، قال : فأخرج المصحف ، فأمليت عليه أنا السور[2] .

15 ـ المدارس القرآنية فى البلاد الإسلامية :

أ ـ إقبال الأطفال على المدارس القرآنية :

---

(١) انظر : كتاب فضائل القرآن ص (186) .

(٢) المصدر السابق ص (365) قال محققوه : رواه البخارى فى فضائل القرآن (9/ 36) .

«ضاقت المساجد بالصبيان، حتى اضطر الضحاك بن مزاحم ـ معلم الصبيان ومؤدبهم ـ إلى أن يطوف على حمار، ليشرف على طلاب مكتبة، الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف صبى، وكان لا يأخذ أجراً على عمله»[1] .

ب ـ هل يتعلم الطفل علماً آخر مع القرآن؟

اختلفت مذاهب الأمصار الإسلامية فى ذلك، كما يقول ابن خلدون [2]،فمن البلاد من تشارك فى تعليم القرآن علماً آخر، ومنهم من يشارك، على اعتبار العلوم الأخرى فرعية، ومنهم من يشارك بالتساوى، فيقول عن كل بلد :

1ـ **أهل المغرب** : فمذهبهم فى الولدان، الاقتصار على تعليم القرآن فقط، مع العناية برسمه، واختلاف حملة القرآن فيه، ولا يخلطون ذلك بسواه فى ومجالس تعليمهم، لا من حديث، و لا من فقه، ولا من شعر، ولا من كلام العرب .

2 ـ **أهل إفريقية** : يخلطون فى تعليمهم للولدان القرآن بالحديث فى الغالب، ومدارسة قوانين العلوم ـ أى العلوم الدينية ـ وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن، واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته، وقراءته أكثر، وعنايتهم بالخط تبع لذلك .

3 ـ **أهل الأندلس** : مذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذى يراعونه فى التعليم،فلا يقتصرون على القرآن،بل يخلطون فى تعليمهم للولدان رواية الشعر، والترسل، وأخذهم بقوانين العربية، وتجويد الخط، ولا تختص عنايتهم فى التعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها .

4 ـ **أهل المشرق** : يخلطون فى التعليم كذلك .

وإذا تأملنا واقعنا الحالى الذى نعيشه الآن نرى ـ والله أعلم ـ أنه لا بأس بجمع تعليم القرآن والعلوم الأخرى، إذ الذاكرة العقلية تتلقح من جميع العلوم، فتساعد على التفتح، والتركيز، والفهم، وهذا لطالب العلوم غير الشرعية، أما طالب العلم الشرعى، فأول ما يبدأ بحفظه كتاب الله تعالى، ليكون مغذياً لروحه، وعقله، وبصيرته، والله أعلم .

الأساس العقدى الخامس : تربية الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها :

---

(١) عن أصول الحديث لعجاج الخطيب (ص145) .

(٢) فى مقدمته (ص397) . وانظر تاريخ التربية للدكتور شلبى .

العقيدة تعلو بالتضحية لها، وكلما اتسعت دائرة التضحية، كلما قويت النفس على الثبات، ودل ذلك على الصدق، وهو عين الاستقامة .

والطفل المسلم اليوم، فى مواجهته للتحديات المعاصرة الكثيرة، وللخطط والمؤامرات، والدراسات التى تدبر ضده، لكى تحرفه عن دين الله ومنهجه، يحتاج فى مواجهة ذلك إلى التضحية فى سبيل الله، والثبات على منهجه، فعند ذلك يتذوق حلاوة الإيمان، وترتفع درجة قوته فى النفس، ويتعرف على تضحية المؤمنين من القرآن ومن سيرة رسول الله ﷺ،حتى إذا وصلت التضحية إليه بذل نفسه فى سبيل الله، كما تعلم ذلك من القرآن وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام .

الطفل المسلم اليوم فيما قصة له الرسول ﷺ عن طفولة المؤمنين وتضحيتهم لدين الله أسوة وقدوة، ولما بذله أطفال الصحابة قدوة، يسير على درب الإيمان، لا يخاف فى الله لومه لائم .

1ـ غلام الأخدود قدوة للأطفال :

روى مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال الملك : إنى قد كبرت، فابعث إلى غلاما، أعلمه السحر، فبعث إليه، وسمع كلامه، فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مر إلى راهب، فقال : إذا خشيت الساحر، فقل :حبسنى أهلى، وإذا خشيت أهلك فقل :حبسنى الساحر، فبينما هو على ذلك، إذ أتى على دابة عظيمة [1] قد حبست الناس، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة، حتى يمضى الناس، فرماها فقتلها،ومضى ـ الناس[2]، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب : أى بنى أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت، فلا تدل على .

وكان الغلام يبرئ الأكمة ـ من ولد أعمى ـ والأبرص ـ من بجسمه بياض ـ ويداوى الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك، وكان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال : ما ها هنا لك أجمع، إن أنت شفيتنى، فقال : إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفى الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى، فشفاه الله تعالى، فأتى الملك، فجلس إليه، كما

(١) فى عبد الرازق : أسد .

(٢) فى رواية عبد الرازق : فقال الناس : قد علم هذا الغلام علمًا لم يعلمه أحد .

كان يجلس، فقال له الملك : من رد عليك بصرك؟

قال : ربى،قال : أولك رب غيرى؟ قال : ربى وربك الله، فأخذه، فلم يزل يعذبه،حتى دل على الغلام، فجئ بالغلام، فقال له الملك : أى بنى، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه، والأبرص، وتفعل وتفعل! فقال: إنى لا أشفى أحدا، إنما يشفى الله تعالى، فأخذه، فلم يزل يعذبه، حتى دل على الراهب، فجئ بالراهب، فقيل له : ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فى مفرق رأسه، حتى وقع شقاه .

ثم جئ بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك، ثم جئ بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال :اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفينهم بما شئت، فرجف الجبل، فسقطوا، وجاء يمشى إلى الملك فقال :

كفيناهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال : اذهبوا به، فاحملوه فى قُرقُور، وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشى إلى الملك، فقال : ما فعل أصحابك؟ فقال له : كفانيهم الله، فقال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد واحد، وتصلبنى على جذع، ثم خذ سهما من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبد القوس، ثم قل، بسم الله، رب هذا الغلام ثم ارمنى، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى .

فجمع الناس فى صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهم من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال : بسم الله رب الغلام ،ثم رماه ، فوقع السهم فى صدغه ـ أى ما بين العين إلى شحمه الأذن ـ فمات، فقال الناس : آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر؟! قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك ـ الطرق ـ فخدّت ـ شقت ـ وأضرم فيها النيران، وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له : اقتحم ، ففعلوه .

حتى جاءت امرأة، ومعها صبى لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام : يا أماه اصبرى، فإنك على الحق [1]. وفى رواية عبد الرازق قال : فذلك قوله تعالى

---

(١) علق لى على موقف الأم هذه فضيلة الشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ القراء ـ رحمه الله تعالى، عندما قدمت إليه البحث لينظر فيه، فوضع على الهامش : (تقديم أمر الله

: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ..... بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [البروج] قال : فأما الغلام فإنه دفن . قال : فيذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب ،وأصبعه على صدغه، كما كان وضعها .

2ـ نماذج من تضحية وجهاد أطفال الصحابة والسلف الصالح :

1ـ الأمهات يشجعن أطفالهن على الجهاد :

روى ابن أبى شيبه عن الشعبى : أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله فشدته على ساعده بنسعة[1]، ثم أتت به النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله، هذا ابنى يقاتل عنك، فقال النبى ﷺ : (أى بنى، احمل ها هنا، أى بنى احمل ها هنا) فأصابته جراحة، فصرع، فأتى به النبى ﷺ فقال : (أى بنى لعلك جزعت) قال : لا يا رسول الله! . كذا فى كنز العمال (5/ 277) .

2 ـ الأمهات يفرحن باستشهاد أطفالهن :

أخرج أحمد والبخارى عن أنس ﷺ أن حارثة بن ا لربيع، جاء يوم بدر نظارًا، وكان غلامًا، فجاء سهم غرب، فوقع فى ثغرة نحره، فقتله، فجاءت أمه الربيع فقالت : يا رسول الله، قد علمت مكانة حارثه منى، فإن كان من أهل الجنة فسأصبر، وإلا فسيرى الله ما أصنع، فقال : (يا أم حارثة ، إنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنان كثيرة ، وإنه فى الفردوس الأعلى) [2].

3 ـ الأطفال يقتلون الطغاة أعداء رسول الله ﷺ :

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال : إنى لواقف يوم بدر فى الصف، نظرت عن يمينى وشمالى، فإذا أنا بين غلامين، حديثة أسنانهما، من الأنصار، فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزنى أحدهما، فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال : نعم وما حاجتك إليه يا بن أخى؟ قال : إنى خبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذى نفسى بيده لو رأيته لا يفارق سوادى سواده، حتى يموت الأعجل، قال : فتعجبت من ذلك، فغمزنى الآخر، فقال لى مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يزول فى الناس، فقلت لهما : ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه، فابتدراه، فضرباه

على رحمة الولد) . قال حبيب الرحمن الأعظمى معلقاً على مصنف عبد الرازق : وأخرجه الترمذى وأحمد ومسلم .

(١) سير أو حبل عريض طويل ، تشد به الرحال .

(٢) رواه ابن سعد وابن خزيمة والطبرانى انظر : صحيح الجامع رقم (7853) .

بسيفيهما، حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه، فقال : (أيكما قتله؟) قال كل واحد منهما : أنا قتلته ، قال : (مسحتما سيفيكما؟) قالا : لا، فنظر فى السيفين، قال (كلاكما قتله) فقضى بسلبه لمعاذ بن الجموح، واسم الآخر معاذ بن عفراء .

رواه البخارى ومسلم وأبو يعلى فى مسنده (2/ 170) بسند صحيح .

4ـ الأطفال يبكون ويتوارون حتى يخرجوا للجهاد :

روى ابن عساكر عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال :

رد رسول الله ﷺ عمير بن أبى وقاص عن مخرجه إلى بدر، واستصغره ، فبكى عمير ﷺ فأجازه، قال سعد : فعقدت عليه حماله سيفه ولقد شهدت بدراً، وما فى وجهى إلا شعرة واحده أمسحها بيدى[1] .

وروى ابن سعد عن سعد ﷺ قال :

رأيت أخى عمير بن أبى وقاص ﷺ قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت : ما لك يا أخى ؟ قال : إنى أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ فيستصغرنى، فيردنى وأنا أحب الخروج، لعل الله أن يرزقنى الشهادة، فكان سعدﷺ يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره ، فقتل وهو ابن ست عشره سنه[2] .

وعن زيد بن حارثه ﷺ أن رسول الله ﷺ استصغر ناساً يوم أحد منهم : زيد بن حارثة ـ يعنى نفسه ـ يعنى نفسهوالبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم وسعد وأبوسعيد الخدرى، وعبد الله بن عمر، وذكر جابر بن عبد الله .

رواه الحاكم فى مستدركه (2/ 59) وقال : صحيح الإسناد، وأقره الذهبى .

وهذا الرد لم يمنعهم من الاستمرار فى الخروج للجهاد حتى يأذن لهم رسول الله .

فهذا سعد بن عتبة يرده النبى ﷺ يوم أحد، ويراه يوم الخندق وهو يقاتل قتالاً شديداً مع حداثة سنة، فدعاه رسول الله وقال له : «من أنت؟» فقال : سعد بن عتبه، فقال : (أسعد الله جدك) ومسح على رأسه . كما فى وفيات الأعيان لابن خلكان (6/ 398) .

5 ـ الأطفال يطلبون تجهيزهم للجهاد :

---

(١)كنز العمال (5/ 270) والحاكم (3/ 88) .

(٢) الإصابة (135) .

أخرج مسلم وأبو داود عن أنس ﷺ أن فتى من أسلم قال : يا رسول الله ﷺ إنى أريد الغزو، وليس معى ما أتجهز به؟ قال : «ائت فلاناً قد كان تجهز فمرض» فأتاه، فقال : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول : أعطنى الذى تجهزت به، فقال : يا فلانه، أعطيه الذى تجهزت به، ولا تحبسى منه شيئًا، فوالله لا تحبسين شيئاً فيبارك لنا فيه .

وعن سمرة بن جندب قال : «كان رسول الله ﷺ يعرض علينا من الأنصار، فيلحق من أدرك منهم فعرضت عاماً، فألحق غلاماً وردنى، فقلت : يا رسول الله لقد ألحقته ورددتنى، ولو صارعته لصرعته، قال : فصارعته فصرعته فألحقنى» رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد[1] .

6 ـ الآباء يصحبون أطفالهم فى المعارك :

أخرج البخارى عن عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ قال : كانت فى الزبير ثلاث ضربات إحداهن فى عاتقه، إن كنت لأوغل أصابعى فيها، ألعب بها وأنا صغير، قال له أصحاب رسول الله ﷺ يوم اليرموك : ألا تشد فنشد معك؟ قال : إن شددت كذبتم، قالوا : لا نفعل، فحمل عليهم، حتى شق صفوفهم، فجاوزهم، وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً ـ فأخذ بلجامه ـ فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة : وكان معه عبد الله بن الزبير يوم اليرموك وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس، ووكل به رجلاً .

وروى ابن جرير فى تهذيب الآثار (1/ 94) بسنده عن عبد الله بن الزبير قال : كنت أنا وعمر بن أبى سلمه فى الأطم يوم الخندق، فكان يطأطئ فأنظر إلى القتال، وأطأطئ له فينظر إلى القتال . فرأيت أبى يجول فى السبخة، يكر على هؤلاء مره، فقلت له : يا أبت ، قد رأيتك تكر فى السبخة على هؤلاء مرة وعلى هؤلاء مرة، فقال : قد جمع لى رسول الله ﷺ اليوم أبويه[2] . وزاد البخارى : «فقال : فداك أبى وأمى» .

وفى رواية له : قال : هل رأيتنى أى بنى؟! قال : نعم، قال : كان رسول الله ﷺ

---

(١) انظر : عقود الجواهر المنيفة (2/ 97) .

(٢) البخارى ، فضائل باب (13) ومسلم (4/ 1880) ومسند أحمد (1/ 164) مع اختلاف فى اللفظ، وانظر : طبقات ابن سعد (3/ 106) والبداية (4/ 107) . ورواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 35) بسند صحيح .

يجمع حينئذ لأبيك أبويه يقول : «احمل، أبى وأمى» .

بمثل هذا الجهاد ربى الصحابة أطفالهم، لا يعرفون تكاسلاً ولا تثاقلاً إلى الأرض، وإنما يستخدمون شتى الأساليب لكيلا يستصغرهم النبى ﷺ فيردهم، فتارة يبكون وأخرى يتوارون، وثالثة يقفون على رؤوس أصابعهم، كل ذلك ليخرجوا إلى الجهاد فى سبيل الله، وينالوا شهادة أخروية، لايعدلها أى شهادة فى الدنيا على الإطلاق، وبنوا مستقبلاً حقيقيًا زاهرًا مشرفًا خالدًا أبديًا فى جنات عرضها السموات والأرض .

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

7 ـ تدريب الأطفال على طاعة الله تعالى بإزالة المنكرات، وتنفيذ حدود الله تعالى :

روى مالك فى الموطأ عن أنس بن مالك ﷺ قال : كنت أسقى أبا عبيدة بن الجراح، وأبا طلحة الأنصارى وأبى بن كعب شرابًا من فضيخ وتمر، قال : فجاءهم آت، فقال : «إن الخمر قد حرمت»، فقال أبو طلحة : يا أنس، قم إلى هذه الجرار فاكسرها، قال : فقمت إلى مهراس لنا، فضربتها بأسفله حتى تكسرت . وأمر رسول الله ﷺ أنيسًا أن يغدو على امرأة رجل ذكر أنها زنت، فقال النبى ﷺ لأنس : «اذهب إلى امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها » فاعترفت فرجمها . عن رسالة الشافعى (1/ 25) .

8 ـ قيام أطفال الصحابة رضوان الله عليهم بواجب الدعوة إلى الله :

ليس من طبيعة هذا الدين أن يكون حكرًا على الذين آمنوا به فحسب، فيضربون عليه سورًا يمنعون الناس من الدخول إليه، وإنما دعوة ربانية عالمية، من حق كل إنسان أن يتعرف عليه، ويتأمل فيه، ويعتنقه ويصبح فى لحظة نطقه بالشهادتين أول الركب فى الدعوة إلى الله وليس من طبيعة هذا الدين الجمود والتوقف عن كسب الأفراد الجدد من يوم أعلن سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ رسالته أمام الملأ، عندما وقف على جبل الصفا إيذاناً بالرسالة والدعوة إلى توحيد الله ، فمنذ ذلك اليوم ، وقافلة الدعوة تسير فى اطراد والناس يدخلون فى دين الله أفواجًا، تاره ، وأفراداً تاره أخرى ، ودولاً ومجتمعات تارة ثالثة .

إن من خصائص الإسلام السامقة أنه نور الله فى الأرض، يراه كل من يبحث عنه، ويحس به كل من يسعى إليه، ويشعر به كل من يتحرك نحوه، فقوته فى ذاته، وذاته فى نوره، ونوره مستمد من منور السموات والأرض؛ لذلك لم يكلف أبناءه فوق طاقتهم

فإذا بذل المؤمنون طاقتهم فقد أعذروا أنفسهم أمام ربهم، وتقديم نور الإسلام يبدد ظلمات الأفكار الأرضية، ودعايتها الزائفة، وبهرجتها الخادعة، لقد بذل المؤمنون منذ أول شهيدة فى الإسلام سمية أم عمار بن ياسر ـ رضى الله عنهم ـ وإلى قيام الساعة ما فى وسعهم، حتى إن المرء ليأخذه العجب عندما يرى مثل قبر قثم بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ مدفونًا فى سمرقند بجانب قبر البخارى فى بخارى، فمن حرك ذلك المؤمن إلى تلك البلاد، سوى حب الدعوة إلى دين الله عز وجل .

نعم، لقد فهم الصحابة وأطفالهم ـ رضوان الله عليهم ـ طبيعة هذا الدين الدعوية، فتحركوا به إلى الناس كافة يبتغون رضوان الله فى هداية الناس .

وتختلف الظروف المحيطة بالداعية بين القسوة والرخاء، وبين الشدة عليه واللين به، وتتبدل مواقف الأعداء ـ بفضل من الله وبلاء من عنده ـ تجاه هذا الدين، ولكن الداعية الصادق، يبقى موقفه واحدًا لا يتغير ألا وهو الدعوة إلى الله، حتى وهو ساكت، فسكوته وكلامه، ومشيه ووقوفه، وذهابه وإيابه، وسفره وحضره، وهجرته ودعوته، إلى وطنه، له موقف واحد هو الدعوة إلى الله تنطق به كل ذرة فى خلجات جسمه وكل ذرة فى خلاياه . فإذا كان كذلك، تحرك كل شىء فيه فأصبح دعوة إلى الله، ينشر الله تعالى رضاه عليه فى الأرض، ويوضع له القبول فى السماء قبل الأرض . فهذا على ـ كرم الله وجهه ـ وهو فى مكة قد تربى على يد أفضل المربين بل سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ، يتحرك فى دعوة أبى ذرالغفارى بطريقة أمنية عجيبة ، فى ظروف سرية قاسية وخطيرة ،وفى دقة وتخطيط يقظين : روى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال أبو ذر ﷺ : كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبى، فقلت لأخى : انطلق إلى هذا الرجل وكلمه، وائتنى بخبره، فانطلق فلقية ثم رجع، فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر، فقلت له، لم تشفنى من الخبر فأخذت جرابًا وعصا، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم، وأكون فى المسجد (أى الكعبة) قال : فمر بى على ﷺ وكرم وجهه ـ فقال : كأن الرجل غريب؟! قال : قلت : نعم، فقال : فانطلق إلى المنزل، فانطلقت معه، لا يسألنى عن شىء، ولا أسأله ولا أخبره، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه، وليس أحد يخبرنى عنه بشىء، قال فمر بى على ﷺ وكرم وجهه فقال : أما آن للرجل يعرف منزله بعد؟ قال : قلت : لا، قال : فانطلق معى، قال : فقال : ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ قال : قلت له : بلغنا أنه قد خرج ها هنا

رجل يزعم أنه نبى الله، فأرسلت أخى يكلمه، فرجع ولم يشفنى من الخبر، فأردت أن ألقاه . فقال له : أما إنك قد رشدت . هذا وجهى إليه، أدخل حيث أدخل، فإنى إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأنى أصلح نعلى، وامض أنت، فمضى ومضيت معه، حتى دخل ودخلت معه على النبى ﷺ ،فقلت له : اعرض على الإسلام، فعرضه، فأسلمت مكانى، فقال لى :

«يا أباذر، اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل» فقلت : والذى بعثك بالحق، لأصرخن بها بين أظهرهم، فجئت إلى المسجد وقريش فيه، فقلت : يا معشر قريش، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالوا : قوموا إلى هذ الصابئ، فقاموا، فضربت لأموت، فأدركنى العباس، فأكب على، ثم أقبل عليهم، فقال : ويلكم! أتقتلون رجلاً من غفار؟! ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عنى، فلما أن أصبحت الغد رجعت، فقلت مثل ما قلت بالأمس، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ، فصنع بى ما صنع بالأمس، فأدركنى العباس، فأكب على، وقال مثل مقالته بالأمس» .

9 ـ أطفال الصحابة يعلنون الإيمان فى أحلك الظروف وحتى الممات :

«كان إياس بن معاذ ﷺ غلامًا حدثًا من سكان يثرب، قدم فى وفد من الأوس، جاؤوا يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، وذلك قبيل حرب بعاث فى أوائل سنة (11) من النبوة، إذ كانت نيران العداوة متقدة فى يثرب بين القبيلتين، وكان الأوس أقل من الخزرج، فلما علم رسول الله ﷺ بمقدمهم جاءهم فجلس إليهم، وقال لهم : هل لكم من خير مما جئتم له؟ فقالوا : وما ذاك؟ قال : «أنا رسول الله، بعثنى إلى العباد، أدعوهم أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل على الكتاب» ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن معاذ : أى قوم، هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع ـ رجل كان فى الوفد ـ حفنة من تراب البطحاء، فرمى بها وجه إياس، وقال : دعنا عنك، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ وانصرفوا إلى المدينة من غير أن ينجحوا فى عقد حلف مع قريش .

وبعد رجوعهم إلى يثرب، لم يلبث إياس أن هلك، وكان يهلل، ويكبر، ويحمد، ويسبح عند موته ، فلا يشكون أنه مات مسلمًا»[1] .

---

(١) الرحيق المختوم (ص 129) .

وهكذا رأينا أن الطفل عندما يؤمن بالعقيدة، فإن قلبه لا يعرف النفاق، ولا حب الدنيا، وإنما يخلص للعقيدة، ويسعى لتنفيذها وتطبيقها، ويذكر الله تعالى وتطيب نفسه بذكره، ويسبح ويهلل كل ذلك يفعله بلذة عارمة وفرح شديد ، وتجاوب مع فطرته التى فطره الله عليها من الإيمان، فالأطفال هم الطريق لاستئناف حياة إسلامية راشدة خالدة، وهم المعنيون بآيات التهديد للكبار ـ والله أعلم ـ باستخلاف غيرهم فى الآيات الكريمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة] .

فإذا استكبر الكبار عن الدعوة إلى الله، وتبليغ شرعه، فإن الله تعالى ينشئ من الصغار جيلاً مؤمناً صفاتهم : ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾ فلا يخافون لوم اللائم كائنًا ما كان ذلك اللائم، وأيا كان نوعه وشكله، ومهما كان مصدره .

والأطفال هم المعنيون فى مثل قوله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨ ﴾ [محمد] .

فهذا الاستبدال من الكبار الذين لا يستجيبون لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، فإذا توقفت الدعوة مع الكبار، وتجمدت معهم، فإن فى إنشاء الأجيال الطفولية خير معين، وخير رافد للدعوة . وهم بصفائهم أكثر قبولاً وهم بفطرتهم الإيمانية أسرع تنفيذاً لأمر الله تعالى وأمر رسول الله ﷺ وهم بصدقهم أكثر حمية وغيرة على شرع الله تعالى، وهم بعاطفتهم أسرع تحركاً وتحريكاً للمجتمع، وهم بحبهم ينشرون الدعوة بين الكبار أكثر تأثيرًا ونفوذًا إلى نفوس الكبار المتبلدة المنشغلة بالدنيا، الناسية للآخرة . فهل نصحو؟ وهل نعيد ترتيب البيت الدعوى وأولوياته الدعوية؟ وهل

نتبطأ ونتثاقل كتثاقلنا مع الكبار؟!

اللهم إليك أشكو ضعفى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين .

10ـ هجرة الصغار فى سبيل الله تعالى :

هجرة الصغير مع أهله وعشيرته من الوطن فى سبيل الله تعالى، تتكرر صورها وأشكالها، وأسبابها ومسبباتها، وأصبحت فى هذا العصر سمة ظاهرة فى كثير من بقاع العالم الإسلامى، نتيجة تسلط الأعداء عليهم .

وقد بدأت هجرة الصغار منذ عهد رسول الله ﷺ فقد روى البخارى عن أبى موسى ﷺ قال : بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لى، أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال : فى بضع، وإما قال : فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى ، فركبنا سفينة ألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، ووافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر : إن رسول الله ﷺ بعثنا ها هنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال : فأعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئًا، إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم . ورواه مسلم كاملاً والترمذى وأبو داود .

الأساس العقدى السادس : تعليم الطفل حرمة دم المسلم وماله وعرضه :

شدد الرسول ﷺ فى خطبة الوداع، وهو يودع الأمة للقاء الله تعالى، على حرمة دم المسلم وماله وعرضه، وكان من بين الحاضرين الكبار والصغار، والرجال والنساء، فقال ﷺ : «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا،فى شهركم هذا، وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه»، ثم قال : «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت ؟» قلنا : نعم ، قال : «اللهم اشهد» . متفق عليه .

ودليل وجود الأطفال وسماعهم خطبة حجة الوداع وجود الفضل بن العباس وهو صغير، وغيره من الأطفال :

عن أبى أمامة ﷺ قال : لما كان فى حجة الوداع قام رسول الله ﷺ وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم فقال : «يا أيها الناس، خذوا من العلم قبل أن

يقبض، وقبل أن يرفع ...» الحديث رواه أحمد والطبرانى وابن ماجه طرف منه .

ويبين الرسول ﷺ خطورة الوقوع فى دم المسلم فقال ﷺ : «لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ، ما لم يصب دماً حراماً » رواه البخارى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما .

وبعد حصول الفتنة الكبرى بين الصحابيين الجليلين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ والتى كان من حكمتها التى ظهرت، أن ظهر (فقه البغاة) وطريقة التعامل معهم، وحث الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والتابعين والسلف الصالح على الاعتقاد الحسن بالطائفتين، وأنهما من المؤمنين، وغدا فى عهد عمر بن عبد العزيز تعليم الصبيان هذا الموضوع، يقول الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ فى رسالته [1] إلى عالم البصرة عثمان البتى ـ رحمه الله :

(وإنى أقول فيما مضى من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فيما كان بينهم : الله أعلم، ولا أظن هذا إلا رأيك فى أهل القبلة، لأنه أمر أصحاب رسول الله ﷺ وأمر حملة السنة والفقه .

زعم [2] أخوك عطاء بن أبى رباح، ونحن نصف له هذا : إن هذا أمر أصحاب رسول الله ﷺ وزعم أخوك نافع هذا، وأنه فارق ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ على هذا .

وزعم سالم عن سعيد بن جبير : هذا أمر أصحاب محمد ﷺ وزعم ذلك أيضًا عبد الكريم عن طاوس عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : أن هذا أمره قد بلغنا عن على بن أبى طالب ﷺ حين كتب القضية أنه يسمى الطائفتين مؤمنين جميعًا .

وزعم ذلك أيضًا عمر بن عبد العزيز كما رواه من لقينى من إخوانك فيما بلغنى عنك، ثم قال : ضعوا لى فى هذا كتابًا، ثم أنشأ يعلمه ولده، ويأمركم بتعليمه .

علمه جلسائك رحمك الله تعالى، فكان بمكان من المسلمين .

واعلم أن أفضل ما علمتم، وما تعلمون الناس السنة، وأنت ينبغى لك أن تعرف أهلها الذين ينبغى أن يتعلموها» .

---

(١) سيتم إن شاء الله تعالى نشر رسائل أبى حنيفة فى العقيدة، وهى خمس رسائل .

(٢) الزعم هنا بمعنى القول الحق بقرينة المقام وهو من الأضداد، فكل هؤلاء لا يرون نفى الإيمان عن مرتكب الكبيرة . قاله الكوثرى ـ رحمة الله ـ على تعليقه للرسالة .

فانظر رعاك الله إلى فقه الإمـام أبـى حنيفـة فى أصـحاب رسـول الله ﷺ وانظـر توريث حرمة دم المسلم وماله وعرضه، وعدم الوقوف فيه، كيف كان يورثـه عمـر ابن عبد العزيز الخليفة العادل إلى أبنائه، ويـأمر المسـلمين فى وضـع كتـاب بـذلك، وتدريسه للناس ،وخاصة طلاب العلم صغيرهم وكبيرهم .

وإن توريث الحماس الدينى فى الأطفال والفتيان والشباب شـىء مهـم، ولكـن الأهم منه هو توريثهم الحماس مع حسن الاعتقاد بحرمة دم المسلم وماله وعرضـه، وأن مرتكب الكبيرة يبقى من المسلمين، ولا ينتفى عنه صفة الإيـمان ،وهـذا اعتقـاد أهل السنة والجماعة .